الجزء الاول من تفسير القرآن

المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان بعض ما يشير الى
اعجاز القرآن تصنيف الامام الكامل المحقق الثقة
الهمام الفاضل نادرة الزمان ونتيجة الاوان
مورد الافاده ومصدر الاجاده الشيخ ابن العلامة على
المهايمى قدس الله روحه ونور ضريحه

وبهامشه نزهة القلوب فى تفسير غريب القرآن للامام
أبى بكر محمد بن عزيز السجستانى عليه سحائب الرحمة
والرضوان

(طبع بمطبعة بولاق بمصر) باجازة الوزير الكبير
الخطير الشهير المجلى دقائق العلوم المتجلى برقائق
الفهوم تاج العلماء العاملين وزين النبلاء
المجيدين ذى المجد الاثيل والقدر الجليل مولانا الشيخ
محمد جمال الدين لازالت ألوية فضائله منشورة فى
العالمين مدار مهام رياسة مدينة بوفال بالاقطار
الهنديه حفظه الله تعالى من كل آفة وبليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أنار بكلامه قلوب أولى الالباب ليبصروا به مع عقولهم طريق الصواب يشتمل لظاهره من الاقوال والاعمال وباطنه من الاعتقادات والاخلاق والمقامات والاحوال فيحل عنها قيود النقائص [illegible] الى غاية الكمال وجعل شمسه بحيث يحتملها أبصارهم بأن حجبها بمظاهرها من الكلمات والآيات فكانت غيوما ممطرة يخرج ما فيها كالنباتات من جمعها لما فى الملك والملكوت بفتح أبواب الرحموت فيتفجر بها ينابيع الاسرار ثم تصير بحارا من الانوار ممتلئة بأنواع الجواهر الكبار من خاضها نال الكبريت الاحمر من المعارف المقلبة الى نفائس الصفات واستخرج الياقوت الاحمر من معرفة ذاته سبحانه وتعالى والاكهب من معرفة صفاته الكاملات والاصفر من معرفة أفعاله فى الكائنات والدر الازهر من التزكية والتحلية التى هى الصراط المستقيم والزبرجد الاخضر من معرفة أحوال السعداء والاشقياء يوم رجوعهم الى العزيز الحكيم ومن ساح بسواحلها التقط العنبر والعود من معرفة احراقه الفجار بالنار ذات الوقود يصعد منه دخان الخوف الى القلوب فتستريح بالرغبة فى علام الغيوب ومن تغلغل فى جزائرها استبرز من حيواناتها ترياق الحجج والبينات لدفع سموم الشبه المهلكات والمسك الاذفر من معرفة الاحكام الفرعية الناشرة طيب الذكر فى الامصار والفلوات والصلاة على المخصوص بأعلى الكتب واجلاها وأجمعها وأحلاها المعجز لمن بلغ فى البلاغة غايتها وفى العدوات [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم
أخبرنا الشيخ أبو عبد الله
محمد بن محمد بن حامد بن
مفرج بن غياث الارتاجى
قراءة عليه وأنا أسمع قال
أنبأنى الشيخ أبو الحسن
على بن الحسين بن عمر
الفراء قال أخبرنى الشيخ
أبو الحسن عبد الباقى بن
فارس المقرئ بالجامع
العتيق بمصر فى شعبان
سنة أربع وخمسين
وأربعمائة قال أخبرنا
[illegible] أحمد عبد الله بن الحسين
[illegible] البغدادى
[illegible] العتيق
[illegible] مائة

ممن اجتمع ببلاده أكثر من حصا البطحاء ورمال الدهناء وتفرق فى الآفاق منهم ومن سائر
الفضلاء حتى أعرضوا عن المعارضة بالحروف الى المقارعة بالسيوف فاحتملوا بذل المهج
فلم يعارض الى مدة ثمانمائة واحدى وثلاثين من الحجج الا معارضة ركيكة هى ضحكة
للناظرين ومنهم من تعلل بأنه سحر مبين مع أن المعجزة القولية لامجال لتوهم السحر فيها
ولا سبيل لاسبابه اليها مع انها فى جميع وجوه الهداية بلغت أقصى الغاية وأشارت الى
مالا يتناهى من فوائد العلوم المهمة فى باب الديانة فأقامت من الحجج ورفع الشبه ماعجز عنه
أهل الملل والفلسفة وقد اعترف بفضله من يعتد به منهم وشهدله كتب من تقدم من المرسلين
ولذلك ظهر دينه على كل دين وكان علماء أمته كانبياء بنى اسرائيل فى فتح أبواب اليقين
ونصب كل سلطان مبين وكثر أولياء أمته بالكرامات التى هى كمعجزات الاولين وقد أعطى
منها ماسبق به السابقين كخروج الماء من الاصابع أغرب من خروجه من الحجر وشق البحر
دون شق القمر والبراق الرافع الى مافوق السموات بليلة مع الرجوع قبل الفجر أجل من
ريح غدوها شهر ورواحها شهر وتكلم الشاة المسمومة وتسبيح الحصا وحنين الجذع أتم
من الاحيا محمد سيد الرسل المخصوص بأكمل السبل وأقربها الاسهل الاجمل لذلك كان
ناسخ الملل وفاسخ الدول صلى الله عليه وعلى آله الذين فاقوا سائر الامم مما استنبطوا من
الكتاب والسنة من العلوم المهمة التى أناروا بها قلوب العالمين وزينوا بها ألسن
العاملين وقوموا بها أعضاء العابدين صلاة تنمو الى أبد الآبدين وسلم كثيرا (وبعد)
فهذه خيرات حسان من نكت نظم القرآن لم يطمث أكثرهن انس قبلى ولا جان ولم يكن لى
أن أمسهن اذ لايمسهن الا المطهرون وأنا غريق بحر خبث هلك فيه الاكثرون ولكن الله
سبحانه وتعالى من على بالتيسير فى خطبهن الخطير بمحض فضله اذ هو بكل فضل جدير وعلى
كل شئ قدير فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن يرى بعرايا جمالهن صور الاعجاز من
بديع ربط كلماته وترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الالغاز فيظهر به انها
جوامع الكلمات ولوامع الآيات لامبدل لكلماته ولامعدل عن تحقيقاته فكل كلمة
سلطان دارها وكل آية برهان جارها وان ماتوهم فيها من التكرار فمن قصور الانظار
العاجزة عن الاستكبار ولا بد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة وتقرير الادلة
القوية وكشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها ولا تطويل فى
اضمار المقدمات ولا ابعاد فى اعتبار المناسبات مع وفاء بالاغراض وشفاء للامراض مما
فيها من أغذية طيبة لا يعقب اختلالا ولاملالا وأدوية حلوة جامعة للمنافع حالا ومآلا
وثمرات أشجار أصولها ثابتة وفروعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين لطوائف العلماء
لامقطوعة ولاممنوعة ومع كونها مرفوعة قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم
فى الايام الخالية تجرى من تحتها الانهار من الانوار المتضمنة للاسرار بل مرج فيها بحرا
الظاهر والباطن يلتقيان بالتوفيق وان كان بينهما برزخ التفاوت فلا يبغيان فى التحقيق

قال أنبأنا أبو بكر محمد
ابن عزيز السجستانى رحمه
الله (قال) الحمد لله رب
العالمين وصلى الله على
سيدنا محمد خاتم النبيين
والمرسلين وعلى آله
الطاهرين وسلم تسليما
هذا تفسير غريب القرآن
ألف على حروف المعجم
ليقرب تناوله ويسهل
حفظه على من أراده
وبالله التوفيق والعون

(الهمزة المفتوحة)

(الم) وسائر حروف الهجاء
فى أوائل السور كان بعض
المفسرين يجعلها أسماء

يخرج منهما من لطائف الشريعة والطريقة والحقيقة اللؤلؤ والمرجان أتحلية السن أهلها والاذهان وتجرى فيهما اعلام العلوم برياح الفهوم مملوءة بامتعة الاصول المقررة لتحصيل أرباح جهاز الفروع المكثرة أو لجلب خيول الحجج القاطعة وأفيال البينات الساطعة لقتال أعداء الدين والاستيلاء على قلاع شبهاتهم التى هى عندهم أعلى حصن حصين بجعلها قاعا صفصفا بعد استنزال من كان بها فى عزمتين وسلخ جلودهم التى تجلدوا بها على مقاومة كل سلطان مبين من براهين اليقين حتى يصير أسودهم قرودا خاسئين وسوادهم سود الوجوه فى نار القهر خالدين ويصير أهل الحق فى نعيم التحقيق لا يمسهم فيها نصب يغسير عليهم شراب علم اليقين بل يجعله بيض[illegible] لذة لشاربى علم عين اليقين يصحون بها الآيات الآفاق والانفس التى تجلى الله بها لاهل حق اليق[illegible]ن مع انى لم أغص غمارهم ولم أشق غبارهم ولم أقف آثارهم وبضاعة علومى وأعمالى مز[illegible] وأستار الجهل والكسل على مرخاة ولكن الله غالب على أمره يمن على من يشاء فوق ق[illegible]ره تفضل على من موجبات شكره أن بصرنى ما يتميز به لباب كتابه من قشره ويسر لى ا[illegible]طلاع على بعض ما خفى من سره * (لذلك سميته تبصير الرحمان وتيسير المنان بعض ما يشير الى [illegible]ازالقرآن) * نسأله من فضله أن يزيدنا بصيرة بأسراره وغوصا فى غماره وتوفيقا لاقتفاء آث[illegible]ره واقتباس أنواره والقيام بشكره والتحفظ من قهره ومكره وأن ينفعنى بكتابى وا[illegible]طالبين ويجعلهم فيه راغبين ويرحمنى واياهم ومن دعالى منهم ويتقبل فى دعوته برحمته انه هو أرحم الراحمين * (ولنقدم أمورا) * الاول اتفقت الملل على أنه تعالى متكلم مخبر طالب ولا يصير متكلما الا بقيام صفته به اذ لو صار بخلقه فى غيره لصار بخلق السواد اسود وليست صفته هذه العبارات التى هى اعراض غير قارة مؤلفة مرتبة اذ ليس محلا للحوادث وهى غير العلم اذ لا طلب به وغير الارادة اذ لا اخبار بها وليس الطلب نفس الارادة اذ قد يطلب من الشخص ما لا يراد منه لاظهار عصيانه وليس بمجرد الصيغة وليس الاخبار نفس العلم اذ قد يخبر بخلاف ما يعلم ولا سفه فى اخبار وطلب نفسيين بلا اسماع سامع اذا قصد التعليق به وقت وجوده ولا كذب فى التعبير بالماضى عند اعتبار زمن الاخبار ولا تعدد فهذه الصفة وان تعلقت بما لا يتناهى فلا تأليف ولا ترتيب وليست نفس المنقسم الى الاخبار والطلب اذ ليسا من جزئياته بل من متعلقاته وهو نفس المتلو والمحفوظ والمكتوب وان كانت التلاوة والحفظ والكتابة منا وان أريد بها الحاصل بالمصدر حادثة والقرآن اسم لذلك المعنى ولهذه العبارات بالاشتراك والاول كلام الله تعالى بمعنى انه صفته والثانى بمعنى انه ليس من صنع غيره والمطلق على العبارات كلى يطلق على الكل والبعض وهو المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتحدى بسورة منه فعجز أهل عصره ومن بعدهم عنه لانه أحلى من نظمهم ونثرهم مع مخالفته لاساليبهم واكمل معنى جمع من علوم جمة ما لا يتناهى من فوائد مهمة فى ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد لها العلوم ويشهد بها ويشتمل على أصول مسائلها مع دلائلها ورفع الشبه عنها لا تجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماتم

للسور تعرف كل سورة بما افتتحت به وبعضهم يجعلها أقساما أقسم الله تعالى بها لشرفها وفضلها لانها مبادى كتبه المنزلة ومبانى أسمائه الحسنى وصفاته العلا وبعضهم يجعلها حروفا مأخوذة من صفاته عز وجل كقول ابن عباس فى كهيعص ان الكاف من كاف والهاء من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق (أأنذرتهم) أأعلمتهم بما تحذرهم ولا يكون المعلم

وترتيب آياته الذى يفتقر فيه الى تأمل كامل وتدبر تام من ذى علوم كثيرة وباعتبار استقلالها بالنزول وعدم الارتباط فى الظاهر مع اعتبار المعانى الحقيقية والمجازية والاشارات من شبهة الاشتقاق وغيرها والاستدلالات من جمع متفرقها أو ضمها الى الاحاديث النبوية أو القواعد العقلية أو الفوائد الكشفية *(الثانى)* الانزال الايواء أو التحويل من علو الى سفل كانزال الجيش أو القطر ولما كانا بالحركة وليست الصفة الا بتبعية الموصوف اذا استقرت ولا حركة لله ولا للمعنى القائم به ولا للعبارات الغير المستقرة فلا بد من التجوز بأن يقال ظهر ذلك المعنى فى القلم الاعلى بلبسة الحقائق المجردة للحروف ثم زاد ظهورها باللوح المحفوظ ثم لم يزل يزداد حتى وصل الى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلبه أو يقال وصف بوصف حامله باعتبار حمله نفس المعنى أو الصور المحفوظة والمكتوبة أو باعتبار قيام الالفاظ به ولو عند الاداء الى المنزل عليه والسر فى انزال العبارات جذب القاصرين بما يناسبهم من الاصوات والحروف منها الى ما يناسبه من معانيها وحقائقها كفعلنا بالحيوانات العجم نخاطبهم بما يناسبهم لكن هذا المنزل لما كان معجزا ظهرت به عظمته فكان أشد للجذب الى الكمالات باستفادة الاعتقادات والاحكام وعلوم المعاملة والمكاشفة وغيرها مما لا يتناهى *(الثالث)* الاستنباط قال عليه الصلاة والسلام من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار * قال الامام حجة الاسلام فى الاحياء تحريم التكلم بغير المسموع باطل اذ لا يصادف السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا فى بعض الآيات والصحابة رضى الله عنهم ومن بعدهم اختلفوا اختلافا كثيرا لا يمكن فيه الجمع ويمتنع سماع الجميع من رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخبار والآثار تدل على اتساع معانيه قال عليه السلام لابن عباس رضى الله عنه اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فلو كان مسموعا فلا وجه للتخصيص وقال عز وجل لعلمه الذين يستنبطونه وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقال على رضى الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقال ابن مسعود من أراد علم الاولين والآخرين فليثور القرآن وقال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقى من فهمها أكثر وقال آخر القرآن يحوى سبعة وسبعين ألف علم ومائتى علم اذ لكل كلمة ظهر وبطن وحد ومطلع وفى القرآن اشارة الى مجامع العلوم وكل ما أشكل على النظار ففى القرآن رموز اليه فالنهى اما عن التأويل على وفق ماله من الرأى الذى لولاه لم يلح له كمن يلبس على خصمه بالتمسك بآية على تصحيح بدعته مع علمه بأنه ليس بمراد وقد يكون له غرض صحيح يتمسك عليه بآية يعلم أنه ليس المراد منها كمن يدعو الى مجاهدة النفس فيتمسك بقوله عز وجل اذهب الى فرعون انه طغى ويشير الى نفسه وقد تكون الآية محتملة فيميل فهمه الى ما يوافق غرضه واما عن التسارع الى الباطن قبل احكام الظاهر فانه كالبلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب هذا حاصل كلامه * وقال شارح التأويلات أجمعوا على استخراج معانيه بالرأى واختلفوا فى التوفيق بينه وبين الاحاديث فقيل التفسير بيان سبب النزول

منذرا حتى يحذر باعلامه فكل منذر معلم وليس كل معلم منذرا (أندادا) أمثالا ونظراء واحدهم ند (ازلهما الشيطان) أى استزلهما يقال ازللته فزل وازالهما نحاهما يقال ازلته فزال (آل فرعون) قومه وأهل دينه (آيات) علامات وعجائب أيضا وآية من القرآن كلام متصل الى انقطاعه وقيل معنى آية من القرآن أى جماعة حروف يقال خرج القوم بآيتهم أى بجماعتهم

(قال الشاعر)

والتأويل بيان مايحتمل اللفظ وقد جعل الله القرآن أصلا لجميع مايحتاج اليه وليس كله منصوصا فلابد من الاستخراج بالرأى بالعرض على الاصول وقيل التفسير بيان حقيقة اللفظ اذا علمت والتأويل صرف اللفظ المحتمل الى بعض وجوهه لموافقته للاصول فلو قطع منه كان تفسيرا بالرأى * وقال الشيخ أبو منصور التفسير هو القطع فان كان ثمة دليل قطعى صح والا حرم لمافيه من الشهادة على الله بمالا يؤمن فيه الكذب والتأويل بيان عاقبة الاحتمال بغالب الرأى بلا قطع وقيل باتحاد التفسير والتأويل فالذى بالرأى هو الصادر عن العقل دون العرض على الاصول من آية محكمة أو خبر متواتر أو اجماع فالسلف انما فسروا القرآن بدليل اذنوا بالعمل بمثله بأبلغ الاجتهاد وقيل التفسير بالاجتهاد والعرض على الاصول تفسير بالرأى لكنه نوعان مذموم يشهد فيه على الله بكونه حقا ومحمود يعتقد حقيقته بغالب الرأى مع احتمال الخطا وقيل المذموم جعل الرأى معيارا لما جاء به القرآن فيفسر على وفقه تقريراله ويترك ظاهر القرآن والمحمود جعل الرأى تابعا لدلالة القرآن وقيل المنهى تفسير المتشابه لانه غلو فيما لايحتاج اليه وأما المحتاج اليه فتفسيره بالرأى مأمور هذا حاصل كلامه (وأقول) لك أن تحمل النهى على جميع الوجوه المذمومة سوى تفسير المتشابه بما يوافق المحكم فله فوائد لاتحصى والممنوع حمله على ظاهره أو على مايهواه

(الكلام فى الاستعاذة)

ليست من القرآن بل مقدمة القراءة أوجبها ابن عطاء لكل قراءة واشهر عباراتها اعوذ بالله من الشيطان الرجيم العوذ الالتجاء أو الاعتصام أو التحصن أو الاستعانة والباء للالصاق أى ألصق التجائى بحفظ الله او اعتصامى بقوته أو تحصنى بمنعه أو استعانتى بفضله ولك تبديل الصلة والشيطان من الشطن وهو البعد لبعده عن الله أو الخير يريد ابعاد المتقرب الى الله اذا ابعد من أجله أو من الشيط وهو البطلان أو الهلاك أو الاحتراق لانه باطل فى نفسه مبطل لمصالحه ومصالح من ابطل من أجله هالك باللعنة يريد اهلاك من لعن لاجله محترق غضبا عليه اذا رآه يتقرب الى ربه والمستعاذ منه وسواسه واغواؤه وجميع شروره بل نفسه لانه بذاته شر يستعاذ منه والرجيم من الرجم وهو الرمى بالحجارة لانه يرمى بالسب والشهب ويدل على وجوده رؤية جم غفير من الانبياء والاولياء صورته وسماعهم صوته والآيات والاخبار وماله من الافعال كمسه مجنونا يفيق بالرقى وقد علم من سنة الله أنه لايفعل شيأ الا بسبب يخصه ولهذا اذا استنارت حيطان البيت واسود سقفه علم أن سبب الاستنارة غير سبب الاسوداد فكذا أسباب استنارة القلب واسوداده فيقع فيه افكار واذكار يستبصر فيها تارة ويتحير أخرى فالمبصر ملك خلق لافاضة النافع فى العاقبة وكشف الحق والوعد بالمعروف والمحير شيطان خلق لضد ذلك * واختلف فى حقيقته فقيل مجرد يتصرف بالتعلق ويدرك بآلة هى كرة الاثير وأول به خلقه من نار ويتميز عن الله تعالى بالمرتبة وليست التجرد أخص صفاته بل هو القيومية وقيل القوة المتوهمة أو المتخيلة المعارضة للعاقلة خلق من الحرارة الغريزية وقيل جسم

خرجنا من النقبين لاحى مثلنا
بآيتنا نزجى اللقاح المطافلا
أى بجماعتنا

(أمانى) جمع أمنية وهى التلاوة ومنه قوله اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته أى اذا تلا ألقى الشيطان فى تلاوته والامانى الاكاذيب أيضا ومنه قول عثمان رضى الله عنه ما تمنيت منذ أسلمت أى ما كذبت وقول بعض

ناری والصحیح أنه من العناصر لكن الغالب علیه النار ولا يحس بها لانكسارها بالامتزاج
ولا يجب رؤية الكثيف اذا لم يتلون ولا يمتنع نفوذه بطريق الضوء ولا قدرة اللطيف على
الافعال لو لم يرق قوامه بل النار والريح أقوى ولا تشكل الجسم بالاشكال المختلفة كما فى
السحرة ولا تشكل المجرد من عالم المثال بما يناسب ما غلب عليه ولا يغلط فيه اذا رآه القلب
من وجهه الذى يلى الملكوت عند اشراقه على باطن سر القلب والصورة فيها تابعة للصفة
فيرى الشيطان فى صورة كلب أو خنزير أو ضفدع بخلاف رؤيته من الوجه الذى يلى عالم الملك
فانه كثيرا ما يحصل لمختل الدماغ والاول يختص بالكمل ولا يخل وجود الشيطان الوثوق
بالمعجزات لاختصاصها بالنفس الخيرة الداعية الى وجوه الخير المحض فى العموم والشيطان
ان دعا الى خير فلتفويت خير أعظم أو جر شر لا يفى به ومن عداوته حمله العوام على التفكر
فى ذات الله تعالى وصفاته وأسرار النبوة والامور الاخروية وافضاؤه بهم الى انكارها مع
قيام البراهين القاطعة عليها وأنه يعدهم الامان من عذاب الله واليأس من ثوابه من غير
شبهة فضلا عن حجة وكفى دليلا فيه خلق الله العقل فى الانسان ليفوز بالثواب وينجو عن
العذاب لا ليتعب مع استراحة البهائم وأنه يعد على عبادة الاوثان بالتقرب الى الله ويخوف من
قهرها فى ترك عبادتها ويأمرهم بالاخلاص فيها ويغرق المصلى فى بحار الرياء والعجب وينسيه
الافعال وعدد الركعات ويوقعه فى تحسين النية ومخارج الحروف ويذهب به الى مهمات
لا تخطر بباله فى غيرها ولا تفيده أبدا ويخوف بالفقر فى اعطاء الزكاة ويحث على الانفاق
فى المحرمات ويخيل حصر اللذات فى الشهوات والجاه والعجز والذلة عند عدم امضاء الغضب
ويرى التعب فى عبادة الله تعالى ويسهل على الكفار تحمل المشاق فى عبادة الاوثان ويمنع
عن القتل فى سبيل الله ويحث الكفار على قتل أنفسهم عند الاوثان وقتل من يدعوهم الى
الاسلام ويدعو من له أزواج وجوار معطرة مزينة الى زنا من ليس لها ذلك ويأمر الامراء
بالظلم فى الاموال مع وفورها لهم وبقتل الانفس بأدنى مخيلة مع تمكنهم من الدفع لو وقع وقبل
الوقوع يندفع بأدنى من القتل وله أبواب يطول شرحها وضرر عداوته انه اتفقت الملة
والفلسفة على أن من فسد اعتقاده خلد فى العذاب أو عمله عذب بحسبه وينقسم الى عقلى
وخيالى وحسى ومن الناس من منع الاخيرين لتوقفهما على آلات جسمانية والموت قطع
علائقها ولا دليل على امتناع تعلقها بأبدان تركبت من الاجزاء الاصلية من أبدانهم أو بجزء
منها للادراك أو بجسم آخر ومنهم من أجاز الخيالى بأحد الوجهين الآخرين كما فى النوم
الا أنه يزول باليقظة ولا يتوقف تألم النفس على السبب الخارجى وقال الفارابى وابن سينا
العقل وان لم يوجب الحسى فلا يمنعه بل يحسنه لحسن التخويف فى مبادى الافعال لانه ينفع
الاكثر وهو انما يتم بالاعتقاد الجازم بالايفاء فالايفاء مقتض لازدياد النفع واتفقت الفلاسفة
على العقلى وجعلوه أكمل من الحسى والخيالى وقالوا كمال النفس ان فات لنقصان غريزتها
فلا عذاب كالصبى والمجنون أو لوجود ضد فى القوة النظرية يصير صورة ملازمة تعذب بها

العرب لابن دأب وهو
يحدث أهذا شئ رويته أم
شئ تمنيته اى افتعلته
والامانى أيضا ما يتمناه
الانسان ويشتهيه (أيدناه)
قويناه (أسلمت لرب
العالمين) اى سلم ضميرى له
ومنه اشتقاق المسلم والله
أعلم (آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق) والعرب
تجعل العم أبا والخالة أما
ومنه قوله تعالى ورفع

من شعورها لنقصها واشتياقها الى كمالها مع امتناع اكتسابه لفوات آلته وعدم اشتغالها
بشئ آخر ومادامت فى جلباب البدن يعتقد فى نقصاناتها انها كمالات فاذا رفع ظهر النقص
واشتاقت الى الكمالات ولا يصل اليها فيقع فى النار الروحانية فهو عندهم كالكافر عندنا
يتعذب بقدر رسوخ الضد وعدم رسوخه أو فى القوة العملية تألمت بحسبه والقائل بالخيالى
قال بظهوره فى صورة النار والحيات والعقارب لكنها تزول لانها انما حصلت من ركون
النفس الى البدن ويزول بطول العهد فيتصل بمحل السعادة فهو عندهم كالفاسق عندنا وأما
الصالحة البريئة عن الهيآت الفاسدة فتلتذ بكمالاتها أبدا لتخلصها الى عالم القدس وترقيها الى عين
اليقين فهو كالمؤمن التقى عندنا لكنه مبنى على امتناع اعادة البدن والحق اعادته فيجوز
العقلى بوجوه أخر والحسى والخيالى فهذا رأى من يعتد به من أهل النظر والكشف من
المليين والفلاسفة وثمة جماعة ليسوا فى شئ منهما يدعون فناء النفس وامتناع اعادتها من غير
شبهة فضلا عن حجة ويروجه بعضهم بنسبته الى معروف بدقائق العلوم كافلاطون وارسطو
ولا شاهد لهم من تصنيف أو خط ولا برهان عليه والانبياء والاولياء والعلماء أولى بالتقليد
منهم ومن أين يتصور فى حقهم برهان ضرورى لا يتطرق اليه الغلط مع وقوعه لهؤلاء مع
غزارة علومهم وطول نظرهم فاذا جوزته فعليك باجتناب هذا الخطر العظيم ثم ان العبد
المستعيذ لا يستقل بمقاومة الشيطان بمعارضة الوهم والخيال العقل فى جذب سائر القوى الى
عالم الرسفل فلا بد له أن يستعين بمن سلطه عليه ليبلوه أيرجع اليه أم لا وقد جرت سنته باعاذة من
استعاذ به قال الامام حجة الاسلام فى منهاجه انه كلب سلطه الله عليك والاشتغال بمعالجته
متعب مضيع للوقت وربما يظفر بك فيعقرك والرجوع الى رب الكلب ليصرفه عنك أولى
فاذا رأيته يغلب فهو ابتلاء من الله تعالى ليرى صدق مجاهدتك وقهره فى ثلاثة أمور أن يتعرف
حيله فان اللص اذا علم احساس صاحب البيت به يفر وأن تستخف بدعوته فانه كلب نابح ان
أقبلت عليه ولغ بك ولج والا سكت فاذا أعرضت عنه فاحذر من همه وأن تديم ذكر الله بقلبك
ولسانك اذ هو فى جنب الشيطان كالأكلة فى جنب الانسان على ما فى الحديث * وقال فى
احيائه انما يندفع الشيطان باستقرار الذكر فى القلب بعد عمارته بالتقوى وتطهيره عن الصفات
الرديئة اذ هو كلب جائع لا ينزجر بمجرد اخسائه اذا كان بين يدى الزاجر لحم أو خبز فالشهوة
اذا غلبت القلب رفعت الذكر الى الحواشى والشيطان يتمكن من سويدائه وطروق
الشيطان لقلوب المتقين ليس للشهوات بل لخلوس الغفلة فاذا عاد الى الذكر خنس ثم ان أجل
ما يلقى الشيطان وسوسته عند قراءة القرآن لكونه أجل المعارف والمواعظ الصارفة للعبد الى
مولاه فالاستعاذة طهور عن موانع الاستغراق فيها

(سورة الفاتحة)

لها أسماء تدل على شرفها (فمنها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته وكتابته بها الان تسميتها وحمدها
مبدأ كل أمر ذى بال تحاميا عن البتر لان وجود كل شئ بظهور اسم الله تعالى فيه وتقرره

أبويه على العرش يعنى أباه
وخالته فكانت أمه ماتت
(الاسباط) فى بنى يعقوب
كالقبائل فى بنى
واسحق واحدهم سبط
اسمعيل واحدهم سبط
وهم اثناعشر سبطا من
اثنى عشر ولدا ليعقوب
عليه السلام وانما سموا
هؤلاء بالاسباط وهؤلاء
بالقبائل ليفصل بين ولد
اسمعيل وولد اسحق عليهما
السلام (أسباب) وصلات

بشكره بل هو مستزيد (ومنها) الفاتحة لفتحها خزائن العلوم فبسم الله اشارة الى ذاته وأسمائه التى فوق الالوف وجميع العلوم بمعرفته وعبادته والرحمن الرحيم الى ظهور ذاته بالوجود وصفات الكمال ومنتهى العلوم الوصول الى ذلك وباء الالصاق الى التخلق بها والتحقق * والحمد الى شكر نعمه التى ذكر من جلتها الاطباء فى تشريح بدن الانسان خمسة آلاف منافع وهو أقل من قطرة فى البحر وفى ذلك معرفة النفس التى بها معرفة الكل * ورب العالمين الى أصناف الموجودات من العقول والنفوس والاجسام والاعراض * والرحمن الرحيم الى التخلص من الآفات والفوز بالخيرات وهو أعظم مقاصد العلم * ومالك يوم الدين الى المعاد وبقاء النفوس وسعادة بعضها وشقاوة بعضها وتخريب العالم الاعلى والاسفل والنفخ فى الصور والوقوف فى العرصات والحساب والميزان ودخول الجنة والنار والشفاعة وغير ذلك وأجل ذلك علم الاعتقادات والاعمال * واياك نعبد الى أنواع العبادات القلبية والقالبية وهى المقصودة من خلق العقلاء * واياك نستعين الى أنها لا تحصل الا بالاستعانة منه * واهدنا الصراط المستقيم الى الاستدلال والتصفية * وصراط الذين أنعمت عليهم الى النبوة والولاية والاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة * وغير المغضوب عليهم ولا الضالين الى الكفار والفساق والاعمال الفاسدة والاخلاق الرديئة والاعتقادات الباطلة (ومنها) سورة الحمد لابتداءها بلفظه واشتمال حمدها سائر محامد القرآن وغيرها (ومنها) سورة الشكر لان الحمد رأس الشكر وقد جمعت وجوهه من المحبة بالجنان والثناء باللسان والخدمة بالاركان (ومنها) سورة المنة لقوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم (ومنها) المثانى لتكررها فى أكثر الصلوات أو لانه انضم اليها السورة فى أكثر الركعات أو لتكرر نزولها لانها نزلت بمكة حين فرضت الصلاة وبالمدينة حين حولت القبلة لدلالتها على انه رب الجهات كلها وقد اختار أفضلها فله الحمد كيف وهى جهة الامن فهو الرحمن باعطاء الامان وفيها مقام ابراهيم فهو الرحيم بالاطلاع على الخلة الابراهيمية وهو مالك يوم الدين يقطع النزاع فى القبلة يوم القيامة وهو المعبود دون الجهة فيجب امتثال أمره فى كل وقت دون تخصيص الجهة من عند أنفسنا بعد نسخ الامر الاول فهو المستعان فى الزام الخصوم فى الدنيا نطلب منه الهداية بتوجه الباطن اليه عند توجه الظاهر اليها اذ هو صراط المنعم عليهم بالرجوع اليه عند النظر الى خلقه غير المغضوب عليهم بعبادة الخلق دونه ولا الضالين بعبادة المظاهر أو لانها استثنيت من كتب الاولين لقوله عليه السلام والذى نفسى بيده ما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور مثل الفاتحة (ومنها) سورة الكنز لقول على رضى الله عنه نزلت سورة الفاتحة من كنز تحت العرش أى من أسرار المعارف المحيطة معرفة الذات والاسماء والافعال والمعاد والصراط المستقيم والجزاء والحاجة والاحكام فالله اسم جامع للذات والاسماء وأشار بباء الالصاق الى أن وجودات الاشياء قائمة به قيام الاجساد بالارواح فهو سر وجودها وليس

الواحد سبب ووصلة وأصل السبب الحبل يشد بالشئ فيجذب به ثم جعل كل ما جر شيأ سببا (أصبرهم) وصبرهم واحد وقوله تعالى فما أصبرهم على النار أى أى شئ صبرهم على النار ودعاهم اليها ويقال فما أصبرهم على النار أى ما أجرأهم على النار (ألفينا) وجدنا (أهلة) جمع هلال يقال للهلال

بطريق الايجاب بل لانه رحم بافاضة الوجود والكمالات الذاتية وهو اشارة الى أفعاله وأشار
الى سرها بأنه انما فعل مافعل لكمال ذاته المقتضى للحمد لان من شأن كمال الكامل التكميل
ولا استكمال له فى ذلك لانه رب الكل فهو مفيض للكمالات عليها ولو كان مستكملا لكان
مستفيضا منها وأشار الى أن حمده محيط بلامى الاستغراق والاختصاص لانه المفيض على
الكل ما استحقوا به الحمد فهو أولى بذلك الحمد وهو المطلع للحامد المفيض عليه قدرة الحمد
فهو الحامد والمحمود فى الكل بالحقيقة ثم أشار الى سر حمده بأنه ربى الكل تربية رحمة بأن
خلقه على ماينبغى ثم أفاض مايحتاج اليه فى بقائه ومايفيد سائر الكمالات التى لا تتناهى
وأشار الى المعاد بمالك يوم الدين والى احاطة مالكيته باضافتها الى اليوم المحيط بهم والى سره
بترتيبه على الرحمن الرحيم اذ لا يتم الرحمة على المظلوم بدون ذلك ولا يتم النعمة باعطاء ملك
الابد على كلمة أو على عمل بدون ذلك ثم أشار الى الصراط المستقيم فأشار الى التحلية بالعبادة
والى التزكية بالاستعانة والى احاطتها بالتخصيص والى سره بالشكر المشار اليه بالحمد
والصبر المشار اليه بالعبادة ثم أشار الى سر العبادة بالدعاء الذى هو مخها المتضمن التضرع
والابتهال الذى هو روح العبودية وأشار الى الجزاء بالانعام والغضب وأشار الى احاطته
بشموله لكل سالك طريق الهداية والضلالة والى سره بترتيبه على العبادة والاستعانة فان
الربوبية والعبودية انما يتم حقهما بذلك والى الحاجة بأنه مبدأ الكل باتفاق فلابد من
دليل للقائل باستقلال الواسطة ولا شبهة له فى ذلك فضلا عن حجة والى احاطتها بتعميم الحمد
والربوبية والى سرها بتعميم الرحمة المقتضية شكرها بنسبة النعم اليه لا الى الغير كيف
والواسطة مرحوم فلا يستقل بدون الراحم والى الاحكام بالعبادة والى احاطتها باطلاقها
للتعميم مع الاختصاص به والى سرها بالاستعانة الدالة على التبرى وهو لباب عقيدة التوحيد
(ومنها) سورة تعليم المسئلة والدعاء لان السؤال فيها بعد الثناء والعبادة والدعاء فيها بما هو
أهم أصول الامور وهو الهداية للصراط المستقيم الذى هو سبب الانعام الابدى المبعد عن
الغضب والضلال (ومنها) سورة المناجاة لان المصلى يناجى بها الرب فيجيبه الرب على ما فى
حديث القسمة (ومنها) سورة التفويض لما فيها من الاستعانة (ومنها) سورة الوافية
لاشتراط ايفائها فى كل ركعة أو لوفائها بمعراج الصلاة فأشار بالباء الى أنه أظهر الاشياء
اذ به ظهرت الموجودات لكنه لغاية ظهوره خفى اذ عمت رحمته بافاضة الوجود وسائر
الكمالات حتى استحق جميع المحامد لانه ربى الكل بما ينبغى أولا فى وجوده ثم أعطى كلا
ما ينبغى فى بقائه وليست تلك الكمالات لذوات الموجودات لانه قاهر عليها باذهابها لكنه يعظم
عوضها لمن عبده واستعان به ولم يرها كمالا له بل رآه ناقصا اذ لا يطلب الكمالات بالهداية
والاستقامة والانعام ويخاف البقاء فى النقص أو العود اليه فيتعوذ من الغضب والضلال
أو لوفائها بالترتيب الكامل لانه ذكر الله تعالى واستدل عليه برحمته الموجبة لحمده المطلع على
كمالاته فى تربية كل شئ بما يليق به أولا فى افاضة الوجود والصفات وثانيا بأسباب البقاء

في أول ليلة الى الثالثة
هلال ثم يقال القمر الى
آخر الشهر (أفضتم من
عرفات) دفعتم بكثرة
(الايام المعلومات) عشر
ذى الحجة والايام المعدودات
أيام التشريق (الحج
أشهر معلومات) شوال
وذو القعدة وعشر من
ذى الحجة أى خذوا فى
أسباب الحج وتأهبوا له فى
هذه الاوقات من التلبية

وسائر

وسائر الكمالات وخوف عن سوء العاقبة المذهبة بها ليكون داعيا الى تصحيح الاعتقادات
وتحسين الاخلاق والافعال فلذلك عقبه بالعبادة وأراه قاصرا فى ذلك محتاجا الى الاستعانة
ورتب على ذلك الهداية والاستقامة والانعام المطلوب بالذات والخروج عن الغضب
والضلال المهروب عنه بالذات بعد ذلك (ومنها) سورة الشفاء والشافية لقوله عليه السلام
فاتحة الكتاب شفاء من كل داء وروى من السم لان نور اسم الله يذهب بالظلمة التى هى ينشأ
منها أسباب الداء ورحمته تنافى آفة الداء وحمده يجلب الشفاء والاقرار بربوبيته يقتضى
التربية التى بها يكمل الشفاء وبالرحمة يقتضى كمال الافعال المرتبة على كمال الصحة
وبمالكيته ليوم الدين قهر أسباب الداء والجزاء على الحمد بالشفاء وبطلب الهداية ازالة
أمراض القلب الموجبة أمراض البدن وباستقامته استقامة أحوال البدن الذى هو
مطية القلب وبالانعام يستدعى اللطف بالانتفاع بالخيرات بتبعية الشفاء ويدفع الغضب
والضلال ازالة أصول أسباب الداء (ومنها) الرقية لان صحابيا مر بمصروع فقرأ عليه هذه
السورة فبرأ (ومنها) أم الكتاب وأم القرآن لرواية الترمذى عن أبى هريرة لاشتمالها على علم
الشريعة التكليفات أصولها وفروعها والطريقة معاملات القلوب والحقيقة مكاشفات
الارواح فمن الاصول معرفة الله تعالى بأنه الذى قامت به الموجودات قيام الاجساد
بالارواح ومعرفة وجوده بأنه الذى رجح من رحمته أحد طرفى الممكنات ومعرفة صفاته بأنها
الكمالات الموجبة للحمد والتربية تقتضى الحياة والعلم والارادة والقدرة والجزاء والسمع
والبصر لاقوال المكلفين وأفعالهم والكلام الذى به التكليف ومعرفة أسمائه بأنها
الوسايط القريبة له بينه وبين خلقه بها يربى ويرحم ويفضل ومعرفة توحيده بأنه رب كل
ماعداه ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع اليه ومعرفة افتقار العبد
اليه ابتداء بأنه الرب ووسطا بأنه الرحمن الرحيم وانتهاء بأنه مالك يوم الدين ومعرفة النبوة
والولاية والايمان بالانعام ومعرفة الكفر والبدعة والفسق بالغضب والضلال ومعرفة
السعادة والشقاوة بذلك أيضا ومعرفة الفضل والعدل بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين ومعرفة
الحكمة بترتيب الانعام على الهداية والاستقامة وترتيبهما على العبادة والاستعانة ومعرفة
القضاء والقدر بالعبادة والاستعانة اذ لو لم يقدر خلاف ما كان لم يكن للاستعانة كثير معنى
ومعرفة المبدا ببسم الله والمعاد بمالك يوم الدين والانعام والغضب ومن الفروع معرفة
العبادات بنعبد والمعاملات والمناكحات والحكومات بنستعين لان الهوى معارض للعقل
فيها والواجب والمندوب والمباح والصحيح بالهداية والحرام والمكروه والفاسد بالغضب
ومأخذها من الامر والنهى بالعبادة والغضب وما يترتب عليها من الوعد والوعيد بالانعام
والغضب ومن علم الطريقة معرفة كمال النظرية والعملية بالصراط المستقيم ونقصانهما
بالغضب والضلال ومعرفة ما يجب رعايته فى ابتدائه بالعبادة وفى الوسط بالاستعانة وفى النهاية
بالاستقامة ومعرفة أوصاف النفس بالغضب والضلال لانحرافها عن الاستقامة ومعرفة

وغير ذلك الاشهر الحرم
أربعة أشهر رجب
وذو القعدة وذو الحجة
والمحرم واحد فرد وثلاثة
سرد أى متتابعة (ألباب)
عقول واحدها لب (ألد)
شديد الخصومة (أفرغ
علينا صبرا) اصبب كما
تفرغ الدلو أى تصب
(الاذى) ما يكره ويغتم به
(أقسط عند الله) أعدل
عند الله (آتت أكلها

أوصاف القلب بالاستقامة والهداية ومعرفة التخلية بالعبادة والاستعانة والتحلية بالهداية والاستقامة والتجلية بالانعام ولابد فى التخلية من الخلوص عن الشهوة بالعبادة التى هى ضدها وعن الغضب برحمة الله لانه لا ينبغى لمن يرجو رحمته أن يغضب على من يرحمه وعن الهوى بالاستقامة اذ هى مضلة عنها ومن فروع الثلاثة الحسد والخلوص عنه بالحمد لله رب العالمين لدلالته على رضاه باعطائه العالمين والحسد ضده والحرص والخلوص عنه بالحمد والبخل والخلوص عنه برب العالمين اذ لا بخل بما ليس له والعجب والخلوص عنه بالحمد والاستعانة والكبر والخلوص عنه بالعبادة والكفر والبدعة والخلوص عنهما بالاحتراز عن الضلال ولا بد فى التحلية من التوسط فى الاخلاق كالتعفف والشجاعة والسخاء وفى الاعتقادات أن لا يميل الى التعطيل والتشبيه وفى الاعمال أن لا يقصر ولا يترهب أشار الى الجميع بالصراط المستقيم ومن الزهد والمحبة والشوق بالحمد لانه يرى منه اللذات دون الاسباب فيتزهد فيها ويحبه ويشتاق اليه ومن الافتقار اليه بالاستعانة وطلب الهداية ومن التذلل فيه بالعبادة ومن معرفة عزة الربوبية وذل البشرية برب العالمين وبإياك نعبد ولابد فى التجلية من المعرفة بالباء المشعرة بالاتصال الروحانى به المفيد اياها ومن الذكر بأسمائه ومن الشكر بالحمد ومن الرجاء بالرحمة ومن الخوف بمالك يوم الدين والغضب ومن الاخلاص بإياك نعبد ومن الدعاء باهدنا ومن الاقتداء بالارواح الطيبة بصراط الذين أنعمت عليهم ومن الاستعانة بنون نعبد ونستعين ومن التحرز من صحبة الارواح الخبيثة بغير المغضوب عليهم ولا الضالين ومن علم المكاشفة معرفة سر الربوبية بالحمد لله لانه انما رجع حمد الكل اليه لقيام وجوده به وقد دل عليه باء البسملة ومعرفة تجلى الجلال بمالك يوم الدين والغضب والجمال بالرحمن الرحيم مالك يوم الدين والانعام والكمال بالحمد لله رب العالمين الى يوم الدين ومعرفة أنواع الاسماء باختلاف المذكور فيها ومعرفة النفس بالضلال والقلب بالاستعانة والروح بالهداية والسر والخفا بالاستقامة والانعام ومعرفة سر النبوة بالحمد لله الى الرحيم والانعام والوحى بالباء لانه من اتصال بعض الارواح ببعض الى أن يصل الى الحق ومعرفة الفرق بين النبوة والولاية بالتابع والمتبوع فى صراط الذين ومعرفة الاحوال والمقامات بإياك والهداية والاستقامة والانعام (ومنها) علم اليقين بالغيب الى مالك يوم الدين وعين اليقين بإياك وحق اليقين بالرحمة والهداية والانعام والاستقامة ومعرفة سر القضاء والقدر بالرحيم المخصص بقدر الاستعدادات ومعرفة أسرار العبادات بترتيبها على الاسماء وأسرار المعاملات بترتيب الهداية على الاستعانة وأسرار الامور الاخروية بالانعام على المستقيم والغضب على الغير ومعرفة تسخير عالم الشهادة لعالم الغيب بالاستعانة ومعرفة فناء ماسوى الله فيه بمالك يوم الدين لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ومعرفة بقائه به بالاستقامة والانعام ومعرفة الدنيا ببسم الله اذ هو المبدا ومعرفة الآخرة بالحمد لله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (ومنها) سورة الاساس لانها ركن الصلاة التى هى أساس الخيرات لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر وتوصل

الى

ضعفين) أعطت ثمرها ضعفى غيرها من الارضين (أخلصت لله) أخلصت عبادتى ووجهى لله (أنى لك هذا) من أين لك هذا وقوله أنى شئتم كيف شئتم ومتى شئتم وحيث شئتم فتكون أنى على ثلاثة معان (أقلامهم) قداحهم يعنى سهامهم التى كانوا يجيلونها عند العزم على الامر (الاكمه) الذى يولد أعمى (أحس)

الى مقام المناجاة والمشاهدة أولتأسيس الافعال فيها على الاسماء والحمد لله عليها والعبادة على
المالكية والهداية على الاستعانة والجزاء على الهداية والاستقامة وضدهما (ومنها) سورة
الصلاة لانها ركنها فى كل ركعة للمأموم والامام لما روى الدارقطنى عن النبى عليه السلام
أنه صلى بعض الصلاة التى يجهر فيها بالقراءة فلما انصرف أقبل علينا بوجهه الكريم فقال
مالى أنازع القرآن لاتقرؤا شيأ من القرآن اذا جهرت الا بأم القرآن فانه لاصلاة لمن لم يقرأ بها
وأما قوله عزوجل وأنصتوا فالمراد عن غير القرآن للاتفاق على وجوب القراءة على مصل
يسمعه من غير امامه وروى أبوهريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى
قال قسمت الصلاة أى السورة التى هى أعظم أركان الصلاة بينى وبين عبدى نصفين أى قسمين
فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى ذكرنى عبدى أى الذكر الجامع لذاتى
وأسمائى وصفاتى وأفعالى واذا قال الحمد لله رب العالمين يقول الله حمدنى عبدى أى بالحمد
الجامع لمحامد الكل للكل واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله عظمنى عبدى أى بنسبة ايجاد
الكل الى على ماينبغى واذا قال مالك يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى أى أفردنى عبدى
بالعظمة اذلامالك يومئذ غيره أصلا واذا قال اياك نعبد يقول الله عبدنى عبدى أى بعبادة
الكل على أتم وجوه الاخلاص واذا قال واياك نستعين قال هذا بينى وبين عبدى أى جامع
لحق العبودية من الاستعانة وحق الربوبية من الاعانة واذا قال اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا العبدى ولعبدى ماسأل
أى هذه الامور من طلب الهداية والاستقامة والانعام والفرار من الغضب والضلال أعظم
حقوق العبودية قام بها العبد على نهج التذلل الذى هو روح العبودية فحق أن أقوم بحق
الربوبية من اعطاء كل ماسأله كأنه استوجبه * ثم البسملة تناسب الطهر لرفع نور اسم الله ظلمة
الحدث والرحمة فيها للاستقبال لان رحمة الايجاد بتوجه الحق للاشياء وتوجهها اليه وتوجه
البدن الى مبدا ترابه الغالب عليه من الكعبة يوجب توجه روحه الى مبدئه والحمد القيام
لاشعاره بقيام الخلق بالحق حتى رجعت محامدهم اليه ورب العالمين الركوع لشموله الرب
والعبد شمول الركوع معنى القيام والقعود والرحمة بعده الاعتدال لانها الابقاء المستلزم
للاعتدال المنافى للاختلال ومالك يوم الدين السجود لان الكل فى غاية التذلل له يومئذ
واياك نعبد القعدة بين السجدتين لان العبادة سبب التقرب وقد كمل بالسجود والمقرب
مستحق للجلوس المعقب واياك نستعين السجدة الثانية لدلالتها على أن قرب العبادة انما هو
بعونه وعونه مرجو بالاستعانة منه وهى توجب مزيد التذلل له فهذا القرب يوجب مزيد
التذلل له وهو بالسجدة بعد السجدة واهدنا الصراط المستقيم قعدة التشهد لاشارتها الى
اكرام المستقيم وصراط الذين أنعمت عليهم قراءة التشهد لانها تحف والمتحف ينعم عليه وغير
المغضوب عليهم ولا الضالين السلام (ومنها) سورة النور لاشتمالها على نور الذات والاسماء
والصفات والافعال والعبادة والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والتحرز عن ظلمة

علم ووجد (أولى الناس) أحقهم به
بابراهيم (أنصارى) أعوانى (أليم)
مؤلم أى موجع (أنقذكم
منها) خلصكم منها
(أخزيته) أهلكته

(قال أبو عمرو ويقال
باعته من الخير ومنه قوله
تعالى يوم لايخزى الله
النبى)

(الارحام) القرابات
واحدتها رحم والرحم فى

الغضب والضلال وافاضتها الانوار على المصلى فافهم والله الموفق والملهم

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بعض آية من النمل وليست من القرآن فى براءة اجماعا فيهما ونفى مالك وقدماء الحنفية قرآنيتها
ومتأخروهم كونها من السور على الصحيح من المذهب واتحد رأى الشافعى أنها من الفاتحة
وأصح قوليه من غيرها وأول الآخر بأنها غير تامة فى الغير استدل النفاة برواية عن أنس
ابن مالك صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان وكانوا يفتتحون
القراءة بالحمد لله وأخرى وانهم لا يذكرون بسم الله وأخرى ولم أسمع أحدا منهم قال بسم الله
وأخرى فلم يجهر أحد منهم ببسم الله * وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم
كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله * وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال
يقول الله قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله
تعالى حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدى واذا قال مالك
يوم الدين يقول الله مجدنى عبدى واذا قال اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى هذا بينى
وبين عبدى * وعنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى سورة الملك انها ثلاثون آية وفى الكوثر
انها ثلاث آيات والعدد يكمل بدون التسمية وبأنها لو كانت من الفاتحة لم يكن أنعمت عليهم
آية فيكون لله أربع ونصف وللعبد اثنان ونصف قال القاضى الباقلانى ولا يبعد أن
يفسق المثبت لانها ان تواترت امتنع الخلاف والا لم يكن القرآن حجة قطعية وساغ دعوى
الشيعة بالتغيير فيه واستدل جاعلها من القرآن لا السور برواية أبى سلمة انه عليه السلام كان
يعد بسم الله الرحمن الرحيم آية فاصلة وقال ابراهيم بن يزيد لعمرو بن دينار ان الفضل الرقاشى
يزعم أن بسم الله ليست من القرآن فقال سبحان الله ما أجرأ هذا الرجل سمعت سعيد بن
جبير يقول سمعت ابن عباس يقول كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه بسم الله
الرحمن الرحيم علم أن تلك السورة ختمت وفتحت غيرها وعن طلحة بن عبد الله قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك بسم الله الرحمن الرحيم فقد ترك آية من كتاب الله وعن
أبى بن كعب انه قال له عليه السلام أى آية أعظم فى كتاب الله قال بسم الله الرحمن الرحيم
وقد أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله واتفقوا على كتابتها بخط المصحف ولم يكتبوا آمين
ولا أسماء السور * واستدل الشافعى برواية لام سلمة قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة
الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية الحمد لله رب العالمين آية الرحمن الرحيم آية مالك يوم
الدين آية اياك نعبد واياك نستعين آية اهدنا الصراط المستقيم آية صراط الذين أنعمت
عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آية وأخرى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسم الله
الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين ولابى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عن ربه قسمت
الصلاة بينى وبين عبدى نصفين فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله مجدنى عبدى
واذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدنى عبدى واذا قال الرحمن الرحيم قال الله

غير هذا ما يشتمل على ماء
الرجل من المرأة ويكون
منه الحمل (آنستم منهم
رشدا) أى علمتم ووجدتم
آنست نارا أبصرتها
والايناس الرؤية والعلم
والاحساس بالشئ (أفضى
بعضكم الى بعض) انتهى
اليه فلم يكن بينهما حاجز
وهو كناية عن الجماع
(أخدان) أصدقاء
واحدهم خدن (أحصن)

أثنى على عبدى واذا قال مالك يوم الدين قال الله فوّض الىّ عبدى واذا قال اياك نعبد واياك
نستعين قال الله هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل واذا قال اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال الله هذا لعبدى ولعبدى
ما سأل * وعنه قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يحدث أصحابه فدخل رجل فافتتح
الصلاة وتعوذ وقال الحمد لله رب العالمين فسمع النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال للرجل
قطعت على نفسك الصلاة أما علمت أن بسم الله الرحمن الرحيم من الحمد من تركها فقد ترك آية
منه ومن ترك آية منه فقد قطع عليه الصلاة * وعنه أنه صلى الله عليه وسلم قال فاتحة الكتاب
سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبا بكر وعمر كانوا يجهرون ببسم الله الرحمن الرحيم وربما سئل عن الجهر بها فقال
لا أدرى وروى البيهقى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يجهر فى
الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم وروى الجهر بها عن عمر وابن عمر وابن عباس وابن الزبير
وتواتر الجهر بها عن على رضى الله عنه والجواب عن شبه النفاة أن روايات أنس وأبى هريرة
متعارضة والتنصيف فى المعنى واشارة عائشة رضى الله عنها الى السورة وتقديمها على غيرها
والكتابة بخط القرآن مع الاجماع على أن ما بين الدفتين قرآن يغنى عن التواتر القولى لكن
عدمه أورث شبهة منعت التكفير ولم يظهر دليل كونها من سائر السور وان ظهر على
أنها من القرآن * ثم نقول الباء للالصاق تشعر باتصال العبد بربه وتواضعها الخطى بأن
الاتصال بالرب يوجب مزيد التواضع له وان كان به الارتفاع على ما سواه وانكسارها بأنه
انما يتصل به المنكسر قلبه وجعلها النقطة تحتها بأنه يجعل كل ما سواه تحت قدمه
ووحدتها بأن همته التوحيد وفتحها الفم بأنه يفتح له أبواب العلوم والفوائد سيما عند
اشتغاله بمحامده وقراءة كتابه بعد التخلص من الشيطان ويتعلق بالحمد أى مبتدئا باسمه
الظاهر فى الحامد أو مطلقا أو بأعوذ أو اقرئ ليشعر بأنه لا يستقل بالالتجاء اليه أو بمحذوف
تخفيفا ليشير الى أن الاتصال به يفيد تخفيف المؤن فعل لانه الاصل فى التعلق ولموافقة
اياك ليشير الى احداثه الاتصال به ليعترف بالتقصير فى الماضى وقصد التلافى فى المستقبل
أو اسم ليشعر بثباته حالة الذكر والغفلة من جنس الابتداء ليناسب مبدئيته تعالى أو ما جعلت
التسمية مبدأ له كالقراءة ليشعر بدوام ملابسته مؤخر ليشعر بتقديم اسم الله تعالى
تعظيما له وحصرا وردا على القائل باسم اللات والعزى أو مقدم ليشعر بأن الاهم
التلبس باسمه مع عدم المبالاة بالقائل والاسم لفظ مستقل الدلالة لا تفيد هيئته زمانا
والمسمى المدلول والتسمية الوضع أو الذكر فيغاير الاسم المسمى الا فى نحو زيد مرفوع
أو الاسم المدلول المطابقى والمسمى الذات من حيث هى أو باعتبار ما صدق عليها والتسمية
اللفظ فيتحد الاسم والمسمى وقد يؤخذ المدلول أعم من المطابقى فيعتبر فى أسماء الصفات
ما يقصد من المعانى التضمنية فيتحدان فى أسماء الذوات ويتغايران فى أسماء الافعال

تزوجن أحصن زوجن
(أذاعوا به) أفشوه
(أركسهم) نكسهم وردهم
فى كفرهم (آمين البيت
الحرام) عامدين البيت
وأما قوله فى الدعاء امين
فبتخفيف الميم وتمد وتقصر
وتفسيره اللهم استجب لى
ويقال امين اسم من أسماء
الله تعالى (الازلام) القداح
التى كانوا يضربون بها
على الميسر واحدها زلم
وزلم (من أجل ذلك) من

ويتوسطان فى أسماء الصفات فمن رأى حدوث أسماء الله قال بالاول ومن رأى قدمها قال بالثانى ومن رأى الفصل قال بالثالث فعلى تقدير المغايرة يكون اقحام الاسم للكتابة والاتصال انما هو بذاته تعالى أو للتمييز عن القسم وعلى تقدير الاتحاد يكون الاتصال بالذات باعتبار المعانى التى بها تعلق العالم به لغناه عن العالمين بدونها * ثم ان كان من السمو أشار الى سمو حال من اتصل به أو من السمة أشعر بظهور سمات أسمائه وصفاته فيه والاله اسم لذات المعبود فهو وان لوحظ فيه المعنى لم يقصد فلذلك لا يوصف به ثم غلب على المعبود بحق بطريق الكلية ثم حذفت همزته وعوضت بحرف التعريف وقطعت همزته فى النداء لمحض التعويض تخص بالفرد المستحق لها اتفاقا فلذلك أفاد استثناؤه التوحيد * قال الامام الرازى الاله هو الموجود لا زلى الابدى الواجب لذاته المنزه عما لا يليق به الموجد لغيره * والله علم للفرد الموجود من هذا المفهوم الكلى قائم مقام الاشارة فان كانت الاشارة الى الذات اشارة الى الصفات تناولها والا فلا * وقال الامام حجة الاسلام فى المقصد الاقصى الله اسم للموجود الحق الجامع للصفات الالهية المنعوت بنعوت الربوبية المتفرد بالوجود الحقيقى والاشبه انه جار مجرى الاعلام وتبعه البونى * وقال الشيخ محيى الدين بن العربى فى شرح أسماء الله تعالى الله الذى له القدرة والاختراع والخلق والامر جامع الذات والصفات والافعال انتهى. وقيل الاصل فيه هاء الغيبة ثم زيد لام الملك لمالكيته ثم حرف التعريف تفخيما وقيل الهمزة لظهور الذات ظهور الالف بها فلذلك استخلف عليها والهاء لاضمارها اشارة الى أنه الظاهر والباطن واللام الاولى لتعريفه بالظهور والثانية اشارة الى لطفه بالبطون بعد كمال الظهور والاشبه أنه علم جامد للفرد الموجود من واجب الوجود وهو قول أكثر المحققين كالخليل وسيبويه والشافعى وأبى حنيفة والحليمى والخطابى وامام الحرمين والغزالى وكيف لا يوضع لاجل الاشياء اسم يشار به اليه اشارة معنوية تميزه عما عداه ولا يدل ثبوت الاله واله وتأله على اصالة الهمزة لجواز كونها مشتقة من الله ولما قطعت همزته فى النداء أشبهت الاصلية فأتى بها فيها واعتبر فيها معنى العبادة التى يستحقها ويتعرف لاجلها ثم ان جعل علما للذات مع الصفات تعلق حمده بالكل واستعاذته بالذات مع صفة القهر للعدو واللطف بالمستعيذ وتلبس القراءة بنور الكل وان جعل للذات فحمده انما كان جامعا لان كمالات الصفات من لوازم كمالات الذات واستعاذته بالذات كافية فى قهر العدو ولطف المستعيذ لانهما من لوازم الذات والتبست قراءته بالذات لخرقها حجب الافعال والصفات والرحمة رقة القلب وعطفه ويراد فى حق الله تعالى غايته من ايصال الخير ودفع الشر وتنقسم الى ذاتية عامة افاضة الوجود وخاصة تخصيص بعض العبيد للتقريب اليه وهما المرتبان على اسم الله ووصفية عامة افاضة ما يليق من الاعراض وخاصة ما يتفضل به البعض على البعض وهما المرتبان على اسم الرب قيل الوجود كله خير والشر هو العدم اذ هو عدم كمال الوجود كالفقر والموت والجهل

جناية ذلك ويقال من
أجل ذلك من جراء ذلك
ومن جرا ذلك بالمد
والقصر ويقال من أجل
ذلك من سبب ذلك (أحبار)
علماء واحدهم حبر (أذلة
على المؤمنين) أى يلينون
لهم من قولك دابة ذلول
أى منقاد سهل لين ليس
هذا من الهوان انما هو
من الرفق (أعزة على
الكافرين) أى يعازون
الكافرين

ويطلق

ويطلق على سببه مجازا كالبرد والافعال المذمومة والاخلاق الرديئة والآلام والغموم فالبرد
من حيث هو كيفية وبالقياس الى سببه ليس بشر وانما عرض له من حيث افساده أمزجة
الثمار فالشر بالذات فقد الثمار كمالاتها والظلم والزنا ليسا بشر من حيث صدورهما عن
الغضبية والشهوية وانما عرض لهما بالقياس الى المظلوم والى السياسة المدنية أو الى النفس
الناطقة الضعيفة عن ضبط القوتين والاخلاق والآلام ليستا بشرور من حيث هي
ادراكات الامور وانما هي شرور بالنظر الى فقدان أحد تلك الاشياء كماله فهو الشر بالذات
(قال) الامام حجة الاسلام في المقصد الاقصى انما أراد الخير لذاته والشر للخير في ضمنه لذلك قال
سبقت رحمتي غضبي فان خطر لك شر لا ترى تحته خيرا أو امكان تحصيل ذلك الخير بدون ذلك
الشر فاتهم عقلك فليس كل محال يدرك استحالته بالبديهة أو بالنظر القريب ثم رحمة الله
أكمل لانه جواد يفيد ما ينبغي لا لعوض كالثواب والثناء ولا لغرض كازالة الرقة وحب
المال والعبد لا يخلو من أحدهما مع انه انما يعطى بداعية من الله فهو الراحم بالحقيقة ثم انما
ينتفع بعطائه اذا سلم الله قواه على أن عطاءه يوجب التذلل له وهو ذلة والتذلل لله عزة ثم
اشتق منها صيغتا مبالغة وهما الرحمن الرحيم والاول أبلغ لكثرة حروفه مختص بالله لا بطريق
العلمية لجريانه وصفا فيكفر من أطلقه على غير الله ومبالغته اما بالكمية لكثرة افراد الرحمة
الايجادية حتى يدخل فيها الشرور سيما من حيث تضمنها اللطف أو افراد المرحوم أو
بالكيفية بتخصيصه بالجلائل أو المستمرة وتقديم اسم الله لكونه علما ثم الرحمن لانه مثله في
الاختصاص والرحيم ان خص بالرحمة الخاصة ففيه ترق أو بالدقائق فتتميم وهو تخصيص بعد
التعميم فيهما وان عم فهو تتميم من وجه ترق من وجه وهو تعميم بعد التخصيص فيهما
وذكرهما بعد اسم الله تعالى ان تناول الاسماء للتفصيل بعد الاجمال مع التخصيص بعد
التعميم ثم مع كونهما للمبالغة بوالغ فيهما بالتجوز باطلاق السبب على المسبب أو الملزوم على
اللازم ففيه ايهام الجمع بين المثلين وتعلق الاستعاذة بالرحمن على تقدير كونه لكثرة الرحمة
الايجادية انه وان أوجد العدو من رحمته به وسلطه من رحمته بالتسلط فمن رحمته على المستعيذ
أن تلطف به بقهر عدوه ومنع تسلطه عنه وعلى اعتبار كونه للطف في ضمن القهر أن تلطف
بالمستعيذ بتوفيقه لمجاهدة من ابتلى به وعلى تقدير كونه لكثرة افراد المرحوم ان من عمت
رحمته الكل حتى أمهل الشيطان حقه أن يرحم المستعيذ به بدفع شر عدوه عنه وعلى تقدير
كونه لجلائل النعم أن حقه أن يجل رحمته للمستعيذ به بقهر عدوه بالكلية واثابته على
مجاهدته وعلى تقدير كونه لاستمرار النعم ان حقه أن يبقى على المستعيذ به ما أنعم عليه من
العبادة وأما تعلقها بالرحيم فعلى تقدير خصوصه بالرحمة الخاصة أن حقه أن يخص المستعيذ
بتلك الرحمة بدفع شر العدو عنه أو بالدقائق أن من حقه أن يعيذه من وسواسه وعلى تقدير
عمومه أن حقه أن لا يخلى المستعيذ به عن رحمة تمنعه عما استعاذ منه وأما تعلق الحمد به
فظاهر الا على ايجاد الشر وذهو انه يرفع بها الدرجات اذ ينال بها الصبر الذي لا نهاية لاجره

يغالبونهم ويمانعونهم
يقال عزه يعزه عزا اذا غلبه
(أوحيت الى الحواريين)
ألقيت في قلوبهم وأوحى
ربك الى النحل ألهمها
(أغرينا بينهم العداوة
والبغضاء) هيجناها ويقال
أغرينا بينهم ألصقنا بينهم
ذلك مأخوذ من الغراء
والعداوة تباعد القلوب
والنيات والبغضاء البغض
(الاوليان) واحدهما

وأما تعلق القراءة فيرجى بتعلق الرحمن افاضة أنواع الرحمة أو جلائلها على القارئ وبتعلق الرحيم يرجى خصائصها أو دقائقها * وتقديم الاستعاذة على التسمية مع انها الاشمالها على المبدئية بالبداية أولى للاشعار بأنه لابد من رفع الحجب التى أعظمها الشيطان أولا ومن تطهير القلب عن كدوراته لتنزيل الذكر به أو بأنه لما استعاذ به اطلع على عجزه الكلى فتعلق بالجامع ليتلطف به ويقهر عدوه ثم طلب اللطف بحفظه عن شر العدو ثم بتحصيل الكمالات له أو بأنه بالاسم الاول سلط الشيطان بقهره ونبه على التعوذ عنه بلطفه أو سلطه لتكميل ثوابه ان جاهده وعقابه ان أهمله وبالثانى أن يطلب اللطف الخفى بالمجاهدة وبالثالث الكفاية عنه * وأما ترتيب الحمد على التسمية مع انه أيضا ثناء فلانه لما ذكر الكامل بذاته وصفاته وأفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود وجهات حمده وتخصيص التسمية بهذه الاسماء ليعلم أن الاولى التعلق بجامع الكمالات ليفيض ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق. (الحمد لله) الحمد ذكر اللسان كمال ذى علم وهو ما يرفع حال الشئ ذاتيا كوجوب الوجود والاتصاف بالكمالات والتنزه عن النقائص أو وصفيا ككون صفاته كاملة واجبة أو فعليا ككون أفعاله مشتملة على حكمة فأكثر تعظيمه له آثره على المدح الذى هو ذكر اللسان كمال الشئ ذا علم أولا لان الكمال الذى لا يعتبر معه العلم لا يكون كمالا مطلقا ويقابله الذم. وعلى الشكر وهو مقابلة الانعام بالتعظيم ذكرا باللسان أو اعتقادا بالجنان أو خدمة بالاركان مع صرف ما أنعم الى ما أنعم لاجله لانه وان عم جهات الشاكر قصر عن احاطة كمالات المشكور اذ لا يتعلق باللازمة ويقابله الكفران وعلى الثناء الذى هو ذكر الاوصاف كمالات أو نقائص * ولام الحمد للجنس والجارة للاختصاص فيختص حقيقة الحمد به فيدخل فيه حمد الحق نفسه وحمده للخلق بأنهم مظاهر ذاته أو صفاته أو أسمائه أو أفعاله للحق وحمد الخلق للحق وحمد الخلق للخلق بما اطلع الله بعضهم على ما أفاض على بعضهم من صور كمالاته أو آثارها ولا يرجع اليه المذام اذ لا ذم فى الافاضة وانما هو فى الاتصاف بالمذموم على انه انما أفاض الخير لذاته والشر لعارض تقتضيه الحكمة فهو برعايتها محمود وهناك أيضا وللقصد الى التعميم لم ينسبه الى حامد فلا يقدر حمدت أو أحمد الابيان انه كان الاصل ثم عدل عنه للدلالة على التعميم والثبات وحمد الشاهد نفسه انما قبح لما فيه من تهمة الكذب والكبر بغير الحق وتزكية النفس مع ما فيه من ذل العبودية وعيوب وآفات وكماله من غيره لذلك قبح له التكبر فلا يتصور شئ من ذلك فى حق الله تعالى فلا يقبح منه مع أن فيه تنبيها على عجزهم عن حمده الا أن يقلدوه اجمالا فيحمدوه به تقربا اليه لينالوا به الدرجات والكمالات أو أنهم لما عجزوا عن شكره لامتناع احاطتهم بنعمه حمد عنهم ليقرر عليهم نعمه ويزيدهم من فضله وذلك أن النعمة وهى ما يطلب ويؤثر حقيقة هى السعادة الابدية وما يوصل اليها من فضائل النفس ومرجعها الى الايمان المنقسم الى اعتقاد واقرار وعمل وحسن خلق فلا يقدم على مقتضى شهوة أو غضب الا بمراعاة العدل وفضائل

الاولى والجمع الاولون
والانثى الوليا والجمع
الولييات والولى (أنباء)
أخبار واحدها نبأ (أكنة)
أغطية واحدها كنان
(أساطير الاولين) أباطيل
وترهات واحدها أسطورة
واسطارة ويقال أساطير
الاولين أى ما سطره
الاولون من الكتب
(أوزارهم على ظهورهم)
أى أثقالهم يعنى آثامهم

البدن المتممة لها وهى الصحة والقوة والعفة والجمال وطول العمر ومتممها أربعة خارجة وهى المال والاهل والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع الا بأسباب يجمع بينها وبين الفضائل النفسية من الهداية معرفة طريق الخير والشر بالعقل والشرع وثمرة المجاهدة ونور يشرق فى عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة ومن الرشد الباعث الى جهة السعادة ومن التسديد تيسير الحركة الى صوب الصواب فى أسرع الاوقات لمساعدة الاسباب ومن التأييد تقوية أمره بالبصيرة من داخل ومساعدة الاسباب من خارج فهذه ستة عشر ضربا أدناها الصحة ولا يمكن استقصاء أسبابها فنها الاكل وهو لكونه فعلا حركة تفتقر الى جسم ذى قدرة وارادة وعلم فلنذكر أسبابه فالنبات لما فيه من قوة جذب الغذاء بعروقه أكمل من الجماد لكنه يعجز عن طلب البعيد اذ لا معرفة له ولا انتقال فاعطى الحيوان الحواس أولها اللمس ليحس بنار وسيف فيهرب لكن المقتصر عليه كالدود يعجز عن الهرب عما بعد وطلبه فخلق الشم لادراك الرائحة فربما يطوف الجوانب ولا يعثر على الغذاء فخلق البصر ليدرك البعيد وجهته لكن لا يدرك المحجوب فيعجز عن الهرب الابعد قرب العدو فخلق السمع وخلق لمعرفة الغائبات الكلام المنتظم من الحروف ثم خلق الذوق ليدرك حال الغذاء الواصل ثم الحس المشترك ليتأدى اليه المحسوسات ليدرك المرارة والصفرة معا أكله مرة من المتصف بهما ثم خلق الشهوة المحركة الى المطلوب والكراهة للهرب من الضد والغضب لدفع ما يضر ثلا يؤخذ عنك ما حصلته من الغذاء والباعث الدينى لمعرفة العواقب والرجل آلة للطلب والهرب واليد للاخذ والفم لايصال الطعام الى المعدة والطاحونة وهى اللحيان المركب عليهما الاسنان ليسهل ابتلاعه واللسان ليحركه ويذوقه وينطق واللعاب ليعجنه والمرىء والحنجرة ليدفعه الى المعدة التى لابد منها فينفتح لاخذ الطعام ثم ينطبق ويضغط حتى ينقلب الطعام فيهوى الى المعدة ثم يطبخ فيها الى أن تتشابه أجزاؤه كماء الشعير من حرارة الكبد والطحال والثرب ثم ينتقل من مجارى العروق الى الكبد فيصير كالدم فيتولد منه السوداء كالدردى يجذبها الطحال من عنقه الممدود وصفراء كالرغوة تجذبها المرارة كذلك فيصفى الدم مع زيادة رقة ورطوبة لما فيه من مائية تجذبها الكليتان بعد الطلوع من عروق دقيقة ثم تنقسم العروق الى البدن حتى تصير شعرية ثم تقذف المرارة بعنق آخر الى الامعاء ليحصل به رطوبة مزلقة فى ثفل الطعام وفى الامعاء لدغ للدفع والطحال يحيل فضلته فيحصل فيها حموضة وقبض ثم يرسل منها الى فم المعدة لتحريك الشهوة ويخرج الباقى مع الثفل وأما الكلية فتتغذى بما فى تلك المائية من دم وترسل الباقى الى المثانة ثم لابد من مأكول له أصل يحفظه لئلا يتلف فيبقى جائعا فلابد من تنميته ليتم حاجاتك فخلق فيها قوة التغذية ولا بد لها من ماء ممتزج بتراب وهواء ولا بد للهواء من ريح يحركها بعنف حتى ينفذ فيها فيقع الازدواج بين الثلاث ولابد من حرارة الربيع أو الصيف اذ يضر فيه البرد المفرط ثم الماء يحتاج فى انسياقه الى أرض الزراعة الى بحار وأنهار وعيون وسواق ثم لا يرتفع الى الاراضى المرتفعة فخلق الغيوم

٢ وقوله حملنا أوزارا من زينة القوم أى أثقالا من حليهم وقوله تعالى حتى تضع الحرب أوزارها أى حتى تضع أهل الحرب السلاح أى حتى لا يبقى الا مسلم أو مسالم وأصل الوزر ما حمله الانسان فسمى السلاح أوزارا لانه يحمل وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى أى لا تحمل حاملة ثقل أخرى أى

وسلط عليها الرياح وخلق الجبال حافظة للمياه وتتفجر منها العيون تدريجا لئلا يغرق البلاد
ولابد للحرارة فى وقت الحاجة من تسخير الشمس لتسخن الارض وقتا دون وقت ثم النبات
ان ارتفع عن الارض كان فى الفواكه انعقاد وصلابة فلابد من رطوبة ينضجها فسخر القمر
وكذا كل كوكب فى السماء مسخر لفائدة ولا يتم ذلك الا بحركات الافلاك وهى بالملائكة
فمنهم أرضية وكلهم الله بك فلا يغتذى جزء من بدنك الا بسبع ملائكة فأكثر لان معنى الغذاء
قيام جزء من الطعام مقام ما تلف فلابد من ملك يجذب الغذاء الى جوار اللحم والعظم اذ لا
يتحرك بنفسه ومن ثان يمسكه ومن ثالث يخلع عنه صورة الدم ورابع يكسوه صورة اللحم
أو العظم وخامس يدفع الفاضل وسادس يلصق الجنس الى الجنس وسابع يراعى المقادير
لئلا يتشوه الصورة وبعض الاجزاء كالعين والقلب يحتاج الى أكثر من مائة ملك وبعدهم
ملائكة السماء وبعدهم حملة العرش ثم ان الله سبحانه وتعالى ربط قوام الاعضاء وقواها
ببخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الى القلب ويسرى فى جميع البدن بالعروق الضوارب
وهو الروح الحيوانى وهو كالسراج والقلب مسرجته والدم الاسود فتيلته والغذاء زيته
والحياة ضوءه وهو غير الروح الالهى والمنعم بالكل هو الله تعالى لا شريك له فهو المشكور
دون الوسايط فمن رأى للوزير والوكيل دخلا فى انعام الملك لم يتم له شكره وانما يتم لمن يراهما
كالقلم والكاغد فكذا سائر الاسباب سخرها الله تعالى حتى ان من أوصل نعمته اليك فهو
مضطر بما سلطه عليه من الارادة وألقى فى قلبه أن فى اعطائك له نفعا فينبغى أن يكون فرحك
بالمنعم لترتقى الى درجة القرب منه والاستدلال به على عنايته لترجى ثوابه ثم انه ينبغى ان يقصد به
الخير ويضمره للكافة ويظهر شكره باللسان والجوارح باستعمالها فى طاعته فمن استعملها فى
معصيته فقد كفر بالنعمة ثم لا ينبغى أن يرى الشكر من نفسه بل من ربه فهو الشاكر
والمشكور فيختص به الحمد من كل وجه لكن من فعل على يديه ما بلغت به الحكمة غايتها فهو
الشاكر وما وقعت دونها فهو الكفور ونسبته الى الاول محبة والى صاحبه رضا والى
الثانى كراهة والى صاحبه لعنة فأشار الى السعادة الاخروية بالانعام والى الفضائل
النفسية بالتربية والى الفضائل البدنية والخارجية بالرحمة والى الاسباب الجامعة بالعبادة
والاستعانة والهداية والاستقامة والانعام والى جر المنافع ودفع المضار بالشهوية والغضبية
بالرحمة والى التعديل بمالك يوم الدين والى المأكول واعطاء القوى بالتربية والى ارتباط كل
من العلوية والسفلية بالآخر وربط البدن والقوى بالبدن برب العالمين والى أن المنعم
بالكل هو الله بالحمد لله والى المحبة والرضا بالانعام والى الكراهة واللعنة بالغضب وقدم الحمد
فى مقاصد الكتاب للاشعار بأنه أعظم مقاصد انزال الكتب وارسال الرسل وتكليف العباد
وخلقهم وأنه مقدمة كل خير ومنتهاه ولأمر ما قال اللعين ولا تجد أكثرهم شاكرين وأقسم
الله سبحانه لاهله بالمزيد فقال لئن شكرتم لأزيدنكم وقدم المبتدأ لانه أهم بعد معرفة المنعم فى
التسمية مع أن تأخير لله ليشعر بأنه المرجع ولا حاجة الى تقديم الخبر للاختصاص لحصوله من

لا تؤخذ نفس بذنب غيرها
ولم يسمع لاوزار الحرب
واحد الا أنه على هذا
التأويل وزر وقد فسر
الاعشى أوزار الحرب
بقوله
وأعددت للحرب أوزارها
رماحا طوالا وخيلا ذكورا
ومن نسج داود يحدى بها
على أثر الحى عيرا فعيرا
أى تجرى بها الابل (أول)
غاب (أنشأكم) ابتدأ كم

لام التعريف والجر وأظهر اسم الله بعد ذكره للاشعار بأن اقتضاء الحمد باعتبار ظهوره
وحذف الخبر وأقيم الظرف مقامه فكأنه جمع فيه بين الحذف والذكر المتنافيين ثم ان قدر
فعلا دل على التجدد والاسمية على الثبوت ففيه ايهام الجمع بينهما من وجه آخر وان قدر
اسما ففيه ايهام الجمع بين المثلين لانه مشعر بالثبوت المحض من غير تجدد فكأنهما ثبوتان
وذكر المسند اليه لانه الاصل مع التلذذ بذكره مع كونه ناشئا من النعم منشئا للمزيد مع
التلذذ بذكر المنعم ففيه ايهام الجمع بين المثلين من وجه آخر (رب العالمين) الرب المالك فلا
يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل بالانعام فله الحمد من جهة استيلائه وتفضله أو
السيد الذى علت رتبته فله أعلى المحامد لعلوه وباءلائه للعبيد بانعامه عليهم أو الخالق فله أتم
المحامد على كمال أفعاله وصفاته التى تتوقف عليها وانعامه قبل الاستحقاق أو المربى وهو المصلح
أو المدبر بتبليغ الشئ أعلى مراتبه كجعل النطفة علقة ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم افاضة
الروح عليها واعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشريعة والطريقة والحقيقة فله أجمع
المحامد والعالم مايعلم به الخالق من المحدثات جمع ليشير الى توحده وعموم فيضه واستيلائه
جمع العقلاء ليشير الى أنهم المقصودون بالذات ثم انه أضاف الحمد أولا الى الذات الجامعة
للكمالات ثم الى الربوبية التى بظهور نور الوجود ثم الى الصفات الظاهرة فى المظاهر بصورها
وآثارها ثم بمايترتب عليها من الجزاء وفى رب العالمين باعتبار اشارته الى ماذكر ايجاز
وايراده بعد الاسم الجامع اطناب ففيه ايهام الجمع بين الضدين وهو كالخاص بعد العام
والرحيم خاص بعد الرحمن ففيه ايهام الجمع بين المثلين ثم انه صفة موضحة باعتبار ان العوام
انما يعرفون الله بالعالمين ومادحة باعتبار ان الخواص انما يعرفون الاشياء به ففيه مع جعل
المعرف معرفا ايهام الجمع بين المعنى الحقيقى والمجازى للوصف ثم ان العالمين معرف لله فى حق
العوام فهو أعرف وقد عرف بلام التعريف ففيه ايهام تحصيل الحاصل ثم ان هذه الاسماء
علة الحمد والحمد علة ظهورها لانه ربى ليحمل ففيه ايهام علية الشئ لما هو معلوله وفى الاضافة
تعظيم المضاف بأن له الاستيلاء على الكل والمضاف اليه بأن له هذا الرب الكامل التربية
والحمد بأنه لايليق لغيره والعالمين جمع عالم وهو جمع فى المعنى فهو مع كونه تفرقة اشارة الى
جمع الجمع (الرحمن الرحيم) قدم ان وحتى التسمية ذاتيتان وهاتان وصفيتان وقيل هنالك
رتسكين هيبة اسم الله وهنا الترجية العابدين المخوفين بمالك يوم الدين اذ لابد للعبادة الشاقة
من قائد الرجاء وسائق الخوف احداهما التسكين هيبة العوام وترجيتهم والاخرى للخواص
ويمكن أن يشار بذلك الى أنهما كما وقع بهما الابتداء يقع بهما الانتهاء فتعذيب الكفار رحمة
للابرار بالانتقام من أعدائهم واعطائهم منازلهم من النار وأخذهم منازلهم من الجنة أو الى
انهما كما كانتا مبدأ الحمد العامة مبدأ للعام والخاصة للخاص فهما منتهاه كذلك أو الى أن الحمد
وان كمل فلا يكافئ النعم السابقة عامة أو خاصة فلا يوجب المزيد الا بجعل الرحمتين اياه
موجباله العامة للمزيد العام والخاصة للخاص أو الى أنه كما انقسمت رحمة الدنيا الى عامة

وخلقكم (أكابر) عظماء
(الاعراف) سور بين
الجنة والنار سمى بذلك
لارتفاعه وكل مرتفع من
الارض اعراف واحدها
عرف ومنه سمى عرف
الديك عرفا لارتفاعه
ويستعمل فى الشرف
والمجد وأصله فى البناء
(أقلت سحابا ثقالا) يعنى
الريح أى حملت سحابا
ثقالا بالماء يقال أقل فلان

ايجادية وخاصة تفضلية تنقسم رحمة الآخرة الى عامة نجاتية وخاصة تقريبية أو الى أنه
تعالى كما رحم أولا بذكر أسمائه رحمة عامة أو خاصة رحم ثانيا بالعبادة العامة أو الخاصة
أو الى أن العامة الدنيوية انما شابت المحنة لوقوعها بين الجلال والجمال والاخروية وقعت بين
الجمالين او الى أن الرحمة علة للحمد بلا واسطة الا أن تكون الخاصة واسطة للعامة وللعبادة
بواسطة مالك يوم الدين العامة للعامة والخاصة للخاصة فالحمد أتم تقريبا اذ هو المقصود من
العبادة المقصودة من خلق المكلفين المقصودين من خلق العالم (مالك يوم الدين) بالالف
عاصم والكسائى والباقون بغيرها والمادة للربط والشدة فالمالك الشىء من اشتد ارتباطه به
فاستقل بالتصرفات فيه لو كمل رأيه ولم يتعلق به حق الغير بعينه فالوكيل والولى ليسا مالكين
لعدم استقلالهما والصبى والمجنون مالكان امتنع تصرفهما القصور رأيهما والراهن مالك
امتنع تصرفه لتعلق حق المرتهن بعينه بخلاف المؤجر لان حق المستأجر انما يتعلق بالنفع
والملك من اشتد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم ودفع مفاسدهم ونفوذ أمره
ونهيه فيهم ثم منهم من اختار المالك لانه يعم تعلقه بالناس وغيرهم وكمال قدرته على المملوك
لتمكنه من بيعه وهبته ومزيد علوه على العبد وقوة نسبته لامتناع خروج العبد من ملك
السيد وعدم وجوب رعاية العبد على السيد ووجوب خدمة العبد له وعدم استقلال العبد
بدون اذنه والعبد يطمع فى المولى والملك فى الرعية وللملك انصاف وعدل وهيبة وسياسة
والعبد يرجو من مولاه العفو والتربية ولمولاه عليه رقة ورحمة ونحن الى العفو والتربية
والرقة والرحمة أحوج منا الى الهيبة والسياسة والعدل والانصاف والملك اذا عرض عليه
العسكر رد الضعفاء والمالك يعين عبده المريض وحروف المالك أكثر فيكثر ثوابه ورد بأن
الملك انما امتنع تعلقه بغير الناس لعدم تعلقهم بأمره ونهيه والاعم كسليمان عليه السلام
وبأن للملك استيلاء على الاحرار والعبيد والعلو على الحر أتم وان لم يكن له عبد ولا يمكن
للرعية الخروج عن ولاية الملك الا اذا لم تتم ولايته وقد عمت هنا اذ أضيفت الى الكل ويمكن
لعبد الحربى الخروج عن ملكه بالهرب الى دار الاسلام بل يمكنه قهر مولاه واسترقاقه
أينما كان والعبد يطلب النفقة والكسوة من سيده وهو أشد من رعاية الرعية ويجب عليهم
امتثال أمر الملك وهو خدمته ويستقل العبد بالاكتساب والاتهاب ولا تستقل الرعية بأخذ
الحقوق فى مكان الفتن ولا باقامة الحدود والاقتصاص والمولى يطمع فى أموال العبد ويعدل
بين عبيده وينصف بينهم وله عليهم هيبة وسياسة ويرجى من الملك العفو والتربية وله رقة
ورحمة فى ضعفاء الرعية ونحن فى التمدن أحوج الى الهيبة والسياسة وهو يعطى الضعفاء
من مال الصدقة ويخلص الرعية من الاعداء والثواب انما يكثر بكثرة الحروف لو لم
يكن الاقل أشرف منه * ومنهم من اختار الملك لان كل ملك مالك وأمر الملك ينفذ على المالك
بلا عكس فيهما وسياسة الملك أقوى وألف مالك لا يقاوم ملكا ومع مالك الملك أكثر ويكثر
ملاك بلد دون ملوكه والرب بمعنى المالك فيتكرر والملك من جملة الاسماء التسعة

اذا استقل به الشىء واستقل به فلان أطاقه وحمله وفلان انما لا يستقل بحمله الكيزان قلالا لانها سميت تقل بالايدى أى تحمل فيشرب فيها (آلاء الله) نعم الله واحدها ألى وألى وإلى (أرجسه) أحزن (آسى) أخره أى احبسه وأخر أمره (أسفا) شديد الغضب والاسف والاسيف الحزين أيضا (أخلد الى الارض)

والتسعين وليس فيها المالك نعم فيها مالك الملك وقد تمدح به فى القرآن دون مالك الملك بالكسر
والملك هو المذكور فى آخر القرآن والختم انما يكون بالاشرف ويجب على الكل طاعة الملك
لا المالك الا على عبيده ورد بأن الملك انما يعم المالك لو لم يضف الى الكل وأمر الملك انما ينفذ
فى مالك لو لم يشتمل ملكه وسياسة الملك لكونها غير مضمونة أقوى وانما مقاومة الملك لمن لم يعم
ملكه واطلاق المالك على من قل ملكه لا يجعله أدنى مطلقا بل اذا كان كذلك وانما يكثر
ملاك البلد حيث لم يشتمل ملك الواحد ولا بأس بذكر الخاص بعد العام وليس كل ما فى الاسماء
التسعة وتسعين أعلى من كل ما خرج منها وذكر مالك الملك يستلزم ذكر المالك لانه اذا ذكر
المقيد كان المطلق مذكورا فى ضمنه والتمدح بمالك الملك تمدح بمالك الملك اذا عم بطريق
الاولى وذكر الملك فى آخر القرآن انما يفيد الشرف لو لم يكن فى تخصيصه فائدة أخرى مع أن
ترتيب السور غير منزل واذا عم ملك المالك وجب على الكل طاعته ولو صحت الادلة كان
لكل ترجيح من وجه واليوم ما بين طلوع الفجر الصادق الى غروب الشمس وقد يراد به
مجرد الوقت ويوم الدين يوم القيامة ما بين النفخة الثانية الى استقرار أهل الجنة والنار فيهما
والدين الملة أى يوم ظهور نفع ملة الاسلام أو حقيتها للكل أو الانقياد أى انقياد الكل لله
أو الجزاء أو القضاء أو الحساب أو السياسة واللام على الاول للعهد وعلى البواقى للاستغراق
اذ لا يعتد بما تقدمه وهو مشهور فى الملة فان أريد غيرها فتورية أو تجوز فان كانت
الاضافة بمعنى اللام وأريد باليوم ما فيه من الملك ففيه مجازان وان كانت بمعنى فى فهو ظرف
للمالكية وقد قصد احاطتها فكأنها ظرف لظرفها ثم الاضافة بمعنى فى اما على معنى مالك الامر
كله يوم الجزاء فالزمان ان كان موجودا دخل فى الكل فقد أضيف اليه ظاهرا وباطنا
جميعا وأما على معنى مالك اليوم المحيط بما فيه فيجعل كناية عن مالكية ما فيه لان الغالب ان
المظروف ملك مالك الظرف ثم اضافة المالك للاختصاص فمالكيته تعالى للكل وان كانت
مستمرة فكأنها لم تكن قبل ذلك اليوم لتوهم مالكية الغير قبله ثم اضافة اليوم للاختصاص
فهو اشارة الى أنه وان وقع فى ذلك اليوم أمور كثيرة فالمقصود منها الدين وقد فهم ذلك من
تخصيص هذا الاسم من بين أسماء يوم القيامة ففيه اجتماع المثلين بل ثلاثة ثم اضافة المالك
الى يوم لتعظيم المضاف لظهور احاطة مالكيته أو المضاف اليه بأنه بلغ فى كمال رفع اللبس
بحيث لم يبق فيه وهم شركة الغير ثم اضافة اليوم تتضمن تعظيم اليوم ففيه تعظيمان فهو أيضا
يوهم اجتماع المثلين من جهة أخرى ثم ان أريد بالدين الاسلام ففيه تعظيم المضاف اليه بأن له
يوما خاصا يظهر فيه كمال نفعه وان أريد غيره ففيه تعظيم المضاف بأنه الذى يعتد به دون
ما تقدمه ثم المالك مضاف الى المستقبل فان أريد به الاستمرار يوهم الاستمرار مع العدم فى
الماضى والحال وان قصد به الماضى والدين مستقبل ففيه جمع بين الماضى والمستقبل وهما
ضدان فى الظاهر ومثلان فى الحقيقة اذ المراد باسم الفاعل الماضى والمستقبل أيضا ثم مالك
صفة توضيح اذ يظهر به حقيقة الهيئة لانه يرفع توهم عجزه أو جهله أو رضاه بالقبيح أو صفة مدح

اطمان اليها ولزمها
وتقاعس ويقال فلان
مخلد أى بطىء الشيب
كأنه تقاعس عن ان يشيب
وتقاعس شعره عن
البياض فى الوقت الذى
شاب فيه نظراؤه (أيان)
معناها أى حين وهو
سؤال عن زمان مثل متى
(وإيان) بكسر الهمزة لغة
سليم حكاها الفراء وبه قرأ
السلمى إيان يبعثون

اذ علل به الحمد لانه انما يتم بالجزاء على الابتلاء والاخذ من المظالم فكأنه علة لنفسه وترتيب
مالك يوم الدين على الرحيم لان الرحمة الخاصة بالحقيقة هى السعادة الابدية التى تكون يوم
الدين وعلى الرحمن بواسطته لان العوام انما خوفوا به لاصلاح باطنهم وظاهرهم ليرحموا بهذه
السعادة ان تأثروا بها فكانت رحمة عامة موصلة الى الخاصة لمن تأثر وقد قصد فى حق من لم
يتأثر أيضا وعلى الربوبية بواسطتهما لانهما انما يتم بالاصلاح المذكور المفضى الى السعادة
الابدية فالاصلاح رحمانية والافضاء الى السعادة رحيمية وعلى اسم الله بواسطة الثلاثة لان
الالهية انما تظهر بهذه التربية التى انما تتم بالرحمتين اللتين تمامهما بالجزاء ووجه استحقاق
الحمد على هذه المالكية انه يظهر به فضل الخالق باعطائه على كلمة واحدة أو عمل ساعة ما لا
يحصى من الثواب الابدى وعدله اذ لم يجاوز فى الجزاء ما يناسب الافعال والاعتقادات
وحكمته بالتفرقة بين المحسن والمسىء بالانعام الصرف والانتقام الصرف والجزاء مصلح
للظاهر والباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى والغضب وبه يتم التمدن وقيل حمد
أولا باعتبار الالهية المقتضية للوجود ثم بالربوبية المقتضية للاعراض ثم بالرحمانية المقتضية
لاسباب المعاش ثم بالرحيمية المقتضية لاسباب انتظام المعاد ثم بالجزاء المرتب على اصلاحه
او الاخلال به * وقيل فى ايراد الاسماء الخمسة فى الفاتحة ان العبادة مقتضى الالهية والاستعانة
مقتضى الربوبية وطلب الهداية مقتضى الرحمانية والاستقامة مقتضى الرحيمية والانعام
مقتضى المالكية عند الاستقامة كما ان الغضب مقتضاها عند الاخلال بها (اياك نعبد
واياك نستعين) ايا ضمير منفصل منصوب المحل واللواحق لبيان حاله ولا محل لها عند سيبويه
والفارسى وضمائر معه أضيف اليها عند الخليل والاخفش والمازنى وعند الفراء هى الضمائر
وايا اعتماد وعند الزجاج والسيرافى ونقله ابن عصفور عن الخليل اسم ظاهر بمعنى النفس
وعند سائر الكوفيين الضمير المجموع والعبادة تذلل للغير عن اختيار لغاية تعظيمه فخرج
التسخير والسخر والقيام والانحناء نوع تعظيم والاستعانة طلب المعونة ما يفيد استطاعة
على الفعل أو تيسيرا له أو تقريبا اليه أو حثا عليه * والسر فى العبادة من وجوه الاول ان الله
تعالى لكمال ذاته وصفاته وأفعاله يقتضى أن يتذلل له من لا يخلو عن نقص لغاية تعظيمه رعاية
للحكمة الواضعة كل شىء موضعه الثانى انه تعالى منعم على الانسان بغاية الانعام اذ جعله
مختصر الحضرة الالهية بما أفاض عليه من الوجود والحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع
والبصر والكلام ومختصر العالم لانه بالحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة كالعناصر
وبالتركيب كالمعادن وبالغذاء والتوليد كالنبات وبالحس والتخيل والتوهم والتلذذ والتألم
كالحيوان وبالجراءة كالسبع وبالمكر كالشيطان وبالمعرفة كالملك وباجتماع الحكم فيه
كاللوح المحفوظ وبما يثبت بكلامه صور الاشياء فى القلوب كالقلم الاعلى فلا بد أن يشكره
بصرف نعمه الى ما خلقها من أجله وقد أعطى العقل للمعرفة والآلات الجسمانية لتكييف
الجوارح بهيئة العبادة الحافظة للمعرفة فيهيئه لتكميل ملكيته بمساعدة أعمال البدن

(أيان مرساها) متى منتهاها من ارساها الله أى أثبتها أى متى الوقت الذى تقوم عنده وليس من القيام على الرجل انما هو من القيام على الحق من قولك قام الحق أى ظهر وثبت (أنفال) غنائم واحدها نفل والنفل الزيادة والانفال مما زاده الله هذه الامة فى الحلال لانه كان محرما على من كان قبلهم

اعمال القلب لارتباط بينهما فالانسان مخلوق للمعرفة والعبادة فلو اخل بشئ منهما لم يكن
انسانا بالحقيقة ولما عارض العقل فى ذلك الوهم والخيال أيده بالشرع فلو فقد عجز العقل
عن ادراك أكثر الامور فالعقل بصر والشرع شعاع * الثالث الانسان يفتقر فى تعيشه الى
معاونة ومعاملة لا يتم الا بالعدل ولا يتفق عليه مالم يعلم كونه من الله ولا يتم الا برجاء الثواب
وخوف العقاب ولا يتمان الا بما يذكر الاله على التكرير والذكر القلبى انما يتم بافعال الجوارح
* الرابع ان الكمال الانسانى أن تنجلى مرآة قلبه فيحاذى شطر الحق ويلحق بافق الملائكة
والاتراكم الخبث على مرآة القلب باتباع الشهوات المظلمة فيلحق بافق البهائم ولا ينجلى الا
بالمجاهدة وهى بالعبادة القامعة ظلمات الاهوية التى هى امراض القلب المؤلمة عند مفارقة
الروح من البدن فالعبادات أدويتها تنير القلب بالمشاهدة وتشرف اللسان بالذكر وتزين
الاعضاء بالخدمة وهى وان كانت تذللا فى الظاهر فباطنها عز وتجمل ويكفى فى ذلك انها
اشتغال بالحق وفيه كمال لذة العارفين وبه تقر أعينهم وتسر قلوبهم وتريح أرواحهم والسر فى
الاستعانة من وجوه * الاول ان العبادة وان كانت كسبا للعبد فهى بخواطر لا يشعر بها
العبد قبل وقوعها فهى باحداث الله وكذا العلم بنفعها وضررها ولا يلجئ الى الفعل مالم يكن
راسخا ولا قدرة للعبد فى ذلك فهو بعون الله تعالى وانما هو فى الغالب للمستعين به * الثانى
العقل يختار الاصلح فى العواقب وان كان فيه مشقة ومؤنة فى الحال والهوى يؤثر ما يدفع
الاذى فى الحال وتعمى عليه العواقب فيتنازعان ويكون الترجيح غالبا لجند الهوى لسبقه
واستقراره بمملكة القلب فلا يمكن ازعاجه الا بعون الله تعالى * الثالث العبادة لا تتيسر
الا برفع العوائق الدنيا والخلق والشيطان والنفس ورفع العوارض الرزق والاخطار
والمصائب وأنواع القضاء ورفع القوادح الرياء والعجب وغيرهما وبتحقيق البواعث الخوف
والرجاء وكل ذلك عقبة شاقة لا يتيسر قطعها الا بعون الله تعالى وتوفيقه * وقدم العبادة لانها
وسيلة والاستعانة حاجة على ان اهم ما نستعين له اتمام العبادة واتمام الشئ يشبه لواحقه
فاقيم سببه مقامه وفيه اشارة الى انه انما يعين العابد اذا استعان به وأنه لا بد من الاستعانة به
فيها وفى جميع الاحوال وترتب العبادة على مالك يوم الدين لانها ان كانت لطلب الثواب
والهرب من العقاب فلا يكونان الا يومئذ وان كانت لمشاهدة الرب فلا يتم الا هنالك وترتب
الاستعانة عليه لانها اما لخوف تلف الثواب أو انقلاب سببه سببا للعقاب أو لخوف الحجاب
ولو بالعبادة عن المعبود وانما يتم رفعه يومئذ وعلى الرحمن الرحيم بواسطته لانها شكر النعم
السابقة لتصير سببا للمزيد الى الابد وذلك بالاعانة المستمرة الى ذلك اليوم وعلى رب العالمين
بواسطة الكل لان الربوبية تستحق العبادة سيما اذا رحم سيما اذا رتب عليه الجزاء والاعانة
حق الربوبية نظرا الى رحمته بالمستعين به خوفا من التلف الظاهر يومئذ وعلى الله بواسطة الكل
لانه انما يستحقها بواسطة الربوبية وهو انما يتم بما بعدها وتقديم اياك للتنبيه على عظمة
الله للعبد على الخشية فلا يلتفت يمينا وشمالا ولان الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء

ويجوز ان يسمى النافلة من
الصلاة لانها زيادة على
الفرض يقال لولد الولد
النافلة لانه زيادة على الولد
وقيل فى قوله تعالى
ووهبنا له اسحق ويعقوب
نافلة انه دعا باسحق
فاستجيب له وزيد يعقوب
كأنه تفضل من الله عز
وجل وان كان كل بتفضله
(أمنة) مصدر وأمنت
أمنة وامنا وامانا كلهن

بصفة العبد وهى العبادة والاستعانة ولتقديم الواجب على الممكن وليسهل بمعرفته تحمل اثقال العبادة وليستعد لها بالبصيرة فلا يأخذه الكسل والغفلة أو ليفيد الاختصاص لاختصاصه بغاية العظمة وكمال القدرة والانعام التام والجود العام وانما خاطبه بعد الغيبة لانه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها والمشاهدة بعدها ولانه كان أولا ذاكرا فمفكرا ثم صار واصلا ولان الثناء محببة وهى فى الغيب آكد والعبادة خدمة وهى فى الحضور أتم ونون نعبد للجمع ان قرأ فى الصلاة جماعة وان صلى فيها منفردا فمعه الملائكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره سعيا فى حقه أو دلالة على انه واحد من العباد نفيا للتوهم ادعاء التفرد بها أو استقصار الذكر عبادته وحده من غير ان يضمها الى عبادة أخيه أو ليورد العبادات موردا واحدا لئلا تتوزع قبولا وردا أو ليستشعر بتعظيم نفسه عند التذلل له لئلا يستنكف عنها ويجرى فى نون نستعين بعض هذه الوجوه * وفصلت الجملة عما قبلها لكمال الانقطاع لان ما قبلها يتعلق بالله وهذا بالعبد أو لكمال الاتصال لانها كبيان ما تقدم لان الثناء أيضا عبادة وكذا جملة اهدنا عن نستعين لان طلب الهداية استعانة مع أن جملة اهدنا انشائية وجملة نستعين خبرية فكلاهما متردد بين كمال الانقطاع وكمال الاتصال وكرر اياك لئلا يتوهم انه يستعين بالعبادة بل بمجرد الفضل الالهى ولم يقل لك نعبد لئلا يتوهم انها تفيده شيأ ولم يقل بك نستعين لئلا يتوهم جعله آلة متوسطة بينه وبين مطلوبه ولم يقل لا نعبد الا اياك مع انه مصرح بالنفى اشعارا بقلة الالتفات بالنفى مع انه ايجاز وانفصال الضمير اطناب فيتوهم الجمع بينهما ولم يقل عبادتى لك اشعارا بوقوع الفترة فيها ولا اياك عبدت لئلا يتوهم الفراغ عنها ولم يؤكد العبادة اشعارا بضعفها ولا المسند اليه اشعارا بقصور عبادتهم حتى يجوز ان يتوهم فيهم انهم ليسوا بعابدين وأكد بالتقديم اشعارا بانهم وان قصروا فى العبادة لا يعبدون غيره ثم الاستعانة تذلل كالعبادة فيتوهم اجتماع المثلين وطلب الهداية أيضا استعانة ولم يذكر شيأ من المتعلقات ولا من التعليلات ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن أو ليجعل كناية عن أى مقيد شاء ولم يقل اعنا كما قال اهدنا ليشعر بأن الحاجة بالحقيقة لطلب الهداية وذكر الاستعانة كالاستخارة فى طلب الحاجة أولا (اهدنا الصراط المستقيم) الهداية الدلالة بلطف اما بالهام كمص الثدى والتشكى بالبكاء أو بافاضة المشاعر الظاهرة والباطنة أو بديهة العقل أو الدلائل النظرية أو بارسال الرسل وهى اما عامة تعريف طريق الخير والشر وهو اما تبيانى شرح ما جاؤا به بحيث لا يتطرق اليه الاحتمال ويدخل فيه الابتلاء واما توقيفى وهو الاخذ والتمسك بهدى الانبياء الذى يوصل الى السعادة الابدية والاصطفاء اما الى الجنة واما الى الحق واما خاصة اشراق نور فى عالم النبوة أو الولاية يكشف عن الاشياء على ما هى عليه اما من الله قل ان هدى الله هو الهدى أو الى الله انى ذاهب الى ربى سيهدين أو بالله لولا الله ما اهتدينا أو أخص ما يعد به العبد حالا فحالا من ترقيه فى العلوم وزيادته فى صالح الاعمال والذين

سواء (امطرنا عليهم) يقال لكل شئ من العذاب امطرت بالالف وللرحمة مطرت (اذان من الله) اعلام من الله والاذان والتأذين والايذان الاعلام وأصله من الاذن يقال أذنته بالامر تريد أوقعته فى اذنك (اقاموا الصلاة) اداموها فى مواقيتها ويقال اقامتها ان يؤتى بها

اهتدوا

اهتدوا زادهم هدى ويعدى بالى اذا أريد الايصال الى الطريق وباللام اذا أريد وصف الطريق وبنفسه اذا أريد تسييره فيه الى ان يقطعه ويصل الى المقصود والصراط الطريق الواضح واصله السين سمى به لانه يسرط السابلة اى يبتلعهم وكأنه يشير الى ان من عظمته انه بحيث لا يظهر سالكوه وان بلغوا ما بلغوا من بذل وسعهم فيه والمستقيم ما لا يميل الى جانب وهو ان يأخذ بالاوساط فى الاعتقادات بان لا يقول بنفى الصفات ولا باثباتها على نهج التشبيه ولا بالجبر والتفويض ولا ينفى الرؤية ولا يثبتها على نهج التشبيه برؤية الاجسام والاعراض ولا ينفى الكلام النفسى ولا يجعله نفس العبارات الحادثة وفى الاخلاق بتهذيب الناطقة عن الجربزة وهى استعمال الفكر فيما لا ينبغى والغباوة تعطيله وتهذيب الشهوية مبدأ جذب المنافع ودفع المضار عن الخداعة الوقوع فى ازدياد اللذات على ما لا ينبغى والجمود السكون عما رخص فيه عقلا وشرعا لتحصيل العفة بصرف الشهوية الى مقتضى الناطقة ليسلم عن عبادة الهوى وتهذيب الغضبية مبدأ الاقدام على الاهوال والتسلط والترفع عن التهور الاقدام على ما لا ينبغى والجبن الخوف عما ينبغى لتحصيل الشجاعة وانقياد الغضبية للناطقة ليكون اقدامها واحجامها على حسب الرؤية من غير اضطراب والمطلوب تكثير الادلة أو امتثال بجميع أوامره ونواهيه عز وجل أو تميز الطرق الموصلة اليه أو تحصيل الفضائل أو الرتب العالية أو الثبات على ما هو عليه من جملة ادعاء بذلك لانه الحكمة التى هى خروج النفس من القوة الى كمالها الممكن علما وعملا لان من أوتيها فقد أوتى خيرا كثيرا من فضائل الدارين على ما اتفقت الملة والفلسفة عليه وللدعاء تأثير تواتر عن الانبياء والاولياء والحكماء حتى قيل الدعاء لاستجلاب المطالب كالفكر لاستجلاب العلوم وأورد صيغة الامر للاشعار بجزم الطلب واظهار الرغبة وليس بأمر حقيقى لانه تذلل ولا من تذكير الساهى وحمل البخيل على الجود لان الحكمة قد تقتضى منع الطالب اذا لم يتذلل ولا ينافى الرضا بالقضاء لانه قد يكون رضا الله فى وقوعه بعد التذلل والجزم فى طلبه ويجوز أن يشترط وقوعه فى علم الله به ولم يجعله ماضيا لانه يشعر بالتحقيق المنافى للابتهال والتضرع وأورد اهدنا لانه ادخل فى الجمع من يستحق الاجابة ولا يليق بالكريم رد البعض أو لانه لما ذكر حمدهم وعبادتهم واستعانتهم دعا لهم ولم يقل واياك نستهدى لان ظاهره خبر يحتمل الكذب ولم يعتبر ذلك فيما تقدم لتلبسه بهما ولم يقل وأرشدنا لان الرشد فوق الهداية فكأنه اعترف بالقصور عن غاية الكمال وان طلب الاستزادة والمراتب العالية ولم يقدم المفعول قصدا الى التخصيص لان غير المستقيم لا يتوهم طلبه ولا يتصور التوهم فى حق الله تعالى ولم يقل مستقيم الصراط لان الاضافة البيانية انما تليق بما يلتبس فيه الموصوف بغيره والاستقامة انما هى وصف الصراط المستعار عن الطريق المحسوس الموصوف بوصفه ترشيحا ولم يقل بنون التأكيد لان كامل الرحمة لا يحتاج الى تأكيد طلبها منه على انه كرر الصراط ثلاث مرات بابداله الصراط وغير المغضوب عليهم ورتب الهداية

بحقوقها كما فرض الله تعالى يقال قام الامر وأقام الامر اذا جاء به معطى حقوقه (آتوا الزكوة) اعطوها يقال آتيته أعطيته وأتيته جئته (أواه) دعاء ويقال كثير التأوه اى التوجع شفقا وفرقا والتأوه ان يقول اوه أوه وفيه خمس لغات أوه واو وأوه وآه وأوه ويقال هو يتأوه ويتأوى (اسلفت) قدمت (الآن)

على الاستعانة لان الهداية استعانة خاصة وعلى العبادة بواسطتها الانها تفيد الهداية اذا كملت بالمجاهدة المفتقرة الى الاستعانة وعلى مالك يوم الدين بواسطتهما لانه انما يكمل نفعها يومئذ بواسطة العبادة المكملة بالاعانة وعلى الرحمن الرحيم بواسطة الثلاثة لانه رحم بالهداية العامة والخاصة بواسطة العبادة والاستعانة من خوف يوم الدين وعلى رب العالمين بواسطة الاربعة لانه انما ربى بالهداية بواسطة رحمته بالعبادة وبالاستعانة من خوف الجزاء وعلى الله بواسطة الجميع لانه لاعلاقة له بالعالم سوى الربوبية فاذا تعلق رحمه وكملت رحمته باصلاح الاعتقادات والاخلاق والاعمال من التخويف بالجزاء الداعى الى العبادة والاستعانة

(صراط الذين أنعمت عليهم) قد مر ان النعمة مايطلب ويؤثر والحقيقية هى السعادة الابدية والمجازية مايوصل الى العامة والمنعم عليهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون فالنبى انسان كمله الله بلاواسطة تربية بشر بل بتأثير نور القدس فيه فى القوة النظرية المتجلى فيها صورة الاشياء بحيث لايتطرق اليها الغلط والعملية جعلت ملكة يقتدر بها على اعمال صالحة منفرة عن اللذات البدنية مرغبة فى اللذات الروحية ثم بعثه لتكميل الخلق فيهما وصدقه بمعجزة أمر تخرق العادة المشهورة تظهر من نفس خيرة تدعو الى الخيرات مقرونا بدعوى النبوة على وفقها يتحدى به من غلب عليهم نوعه ويتعذر معارضته فالامر يعم القول والفعل والترك كالقران واجراء الماء من الاصابع وترك الطعام مدة مديدة والتقييد بالمشهورة لانه يعتاد ظهور الخارق من الانبياء والاولياء لكنه نادر وبالنفس الخيرة للتحرز عن خوارق المتأله لان دلالة الخارق فى حقه معارضة بما يقطع ببطلان دعواه وبالدعوة الى الخيرات عن السحر اذ لايتأتى للساحر الدعوة اليها عادة وهو وان خرج بقيد خيرية النفس الا ان شريتها ربما لاتظهر بخلاف المتأله وباقتران دعوى النبوة عن الكرامات وبكونها على وفقها عمن يقول آية نبوتى ان ينطق هذا الحائط فنطق بانه كذاب وبالتحدى عن الارهاص وبتعذر المعارضة عما يستعان فيه بخواص الاشياء وبغلبة النوع كالسحر والطب والفصاحة فى عهد موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام اذ لاعبرة بتحدى الغير وقد يزاد قيد أن يكون فى زمن التكليف احترازا عن خوارق الآخرة واشراط الساعة ولاحاجة الى ذلك لخروجها بما مر وقد جرت سنة الله تعالى بخلق العلم الضرورى فمن شاهدها أوسمعها بالتواتر بصدق من ظهرت على يديه فكانت كصريح التصديق منه * قال الراغب لكل نبي آيتان عقلية يعرفها البصراء كالانوار الرائقة عليهم والاخلاق الكريمة لهم والعلوم الزاهرة بان يكون كلامهم ذا حجة وبيان يشفى السامعين وهذه أحوال لايطلب معها بصير معجزة الاعتقادا والثانية معجزة لابد للقاصرين عن ادراك الفرق بين كلام الله والبشر عن طلبها وقال بعض المحققين القاصر يستدل بالمعجزات على الاعتقادات الصائبة والاعمال الصالحة والكامل يستدل بكمالهما فى شخص على صدقه ووجوب اتباعه اذ الامراض الروحانية غالبة على الاكثر لانقضاضهم فى القوتين فاذا رأينا من يعالجها ويكمل النفوس علمنا انه طبيب حاذق ونبي صادق ثم النبوة

أى فى هذا الوقت والآن هو الوقت الذى أنت فيه (اخبتوا الى ربهم) تواضعوا وخشعوا الى ربهم ويقال اخبتوا الى ربهم اطمأنوا الى ربهم وسكنت قلوبهم ونفوسهم اليه والخبت ما اطمأن من الارض (اراذلنا) الناقصو الاقدار فينا (أوجس فى نفسه خيفة) احس وأضمر فى نفسه

تعاضد العقل فيما يستقل كوجود البارى وتفيده بما لا يستقل كالكلام والرؤية والمعاد
الجسمانى وبيان تفاصيل الثواب والعقاب على الاعمال وبيان حال أفعال تحسن تارة
ويقبح أخرى على ان الاكتساب بالعقل لا يتأتى لمن خلا عن صناعة النظر ويفوت اكتساب
أسباب المعاش والصديق من احترز عن الكذب والمعاريض الا عند الضرورة وأخلص فلا
يمازجه حظ النفس ولم يتردد فى عزمه واستوى سره وعلانيته وكان له غايات مقامات الدين
والشهيد من تحقق بالمشاهدة قلبه والصالح من طهر ظاهره عن المعاصى وباطنه عن
الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة ويشملهم اسم الولى وهو المقبل على الله بكل
حال وقد يكون له كرامة أمر خارق للعادة خال عن دعوى النبوة مقرون بالتزام متابعته فخرج
بالخلو المعجزات وبالالتزام الاستدراج ومؤكده تكذيب الكذاب كصيرورة العين الصحيحة
عورا بدعوة مسيلمة لتصحيح العوراء ويسمى اهانة وما وقع تخليصا للمؤمنين ويسمى معونة
ولا كرامة بدون الايمان ومتابعة الشريعة فاذا رأيت من يصدر عنه الخوارق غير مستقيم
فذلك من تعلقه بالشيطان فانه يعطى الخبيث الخوارق كما يعطيها الله تعالى الطاهر بالحاقه
بافق الملائكة * قال الامام حجة الاسلام فى منهاجه من نعم الله عليهم ان يثنى عليهم ويعظمهم
ويحبهم ويتوكل أمرهم ويتكفل برزقهم ويكفيهم من أعدائهم ويكون انيسهم ويعز
نفوسهم فلا يرضون بخدمة الملوك لهم ويرفع هممهم عن التلطخ بقاذورات الدنيا ويغنيهم وينور
قلوبهم فيكشف لهم عن علوم لا يصل غيرهم الى بعضها الا بجهد جهيد فى عمر مديد ويشرح
صدورهم فلا تضيق بمحن الدنيا ومصائبها ومؤن الناس ومكايدهم ويجعل لهم مهابة فى قلوب
الجبابرة ويحمل الناس على حبهم ويبارك فى كلامهم وانفاسهم وافعالهم واماكنهم وفيمن
صحبهم أو رآهم ويسخر لهم البر والبحر ويسيرون فى الهواء ويمشون فى الماء ويقطعون
الارض فى أقل من ساعة ويسخر لهم الحيوانات ويملكهم مفاتيح الارض فحيث ضربوا
أيديهم فلهم فيه كنز وأرجلهم فلهم فيه عين وأينما نزلوا فلهم فيه مائدة ان شاؤا ويجعل لهم
جاها عنده ليستنجح بهم الحاجات ويجيب دعوتهم ولو أشاروا الى جبل لزال ثم يهون عليهم
سكرات الموت ويثبتهم على الايمان ويرسل اليهم الروح والريحان بالبشرى والامان ويخلدهم
فى الجنان ويعظم ملائكة السموات أرواحهم والناس جنائزهم ويزدحمون فى الصلاة عليهم
ويؤمنهم فتنة القبور ويوسعها لهم وينورها ويؤنس أرواحهم فيجعلها فى أجواف طيور
خضر ويحشرهم فى عز وكرامة من حلل وتاج وبراق ويبيض وجوههم ويؤمنهم من
أهوال يوم القيامة ويعطى كتبهم بأيمانهم وييسر حسابهم ومنهم من لا يحاسب ويثقل
ميزانهم ومنهم من لا يوقف للوزن ويوردهم الحوض على النبى صلى الله عليه وسلم ويجوزهم
الصراط وينجيهم من النار ومنهم من لا يسمع حسيسها ويخمد له ويشفعهم كالانبياء ويعطيهم
ملك الابد ويحل لهم الرضوان الاكبر ويلقون رب العالمين هذا مع ما سبق فى بحث الحمد
* وكرر الصراط ليشير الى ان المنعم عليهم انما أنعم عليهم بالسعادة الاخروية ووسائلها السلوكهم

سر (اسر باهلك)
خوفا
سرى
بهم ليلا يقال
وأسرى لغتان (آوى الى
ركن شديد) أنضم الى عشيرة
منيعة وقوله تعالى فتولى
بركنه أى بجانبه أى
أعرض (ادلى دلوه)
أرسلها ليملأها ودلاها
أخرجها (أشده) منتهى
شبابه وقوته واحدها
شد مثل فلس وافلس
وشدة وقولهم فلان ودى

الصراط المستقيم ثم الابدال اطناب وحذف العامل ايجاز ففيه ايهام الجمع بين النقيضين وحذف المعمول أيضا ايجاز ففيه ايهام الجمع بين المثلين ثم انه تخصيص بعد التعميم ان اريد المستقيم فى الجملة لان هذا فى أعلى مراتب الاستقامة لاختصاصه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين فان اريد كامل الاستقامة فهو تفصيل للمجمل ثم انه جمع فيه بين فعل العبد أى الاستقامة وفعل الرب أى الانعام واضافة الصراط تتضمن تعظيم المضاف بانه لا يسلكه أحد الا من انعم عليه أو المضاف اليه بانهم الذين يطلب من الله التوفيق لمتابعتهم ولم يقل من انعمت عليهم لاحتمال ان يكون نكرة موصوفة فلا يفيد العلم بكونهم معروفين بالانعام عليهم لكنه شرط طلب المتابعة لامتناع طلب متابعة المجهول حاله واسند الانعام الى الذات اشعارا بكماله وخاطب ائلا يرجع الى الغيبة بعد الحضور فانه قصور ولم يقدم عليهم لان التخصيص مانع لطلب المثل وجعله ماضيا ائلا يتوهم انه مشكوك فيه شك المستقبل وحذف مفعول الانعام ليشمل الدنيوية والاخروية ان جعل مطلقا فى قوة العام أو ليكون كناية عن المقيد الذى هو السعادة الاخروية أو ليذهب وهم السامع كل مذهب ممكن وقابل بين الانعام والغضب والضلال لانهما سببا الانتقام فكأنهما نفسه وجعل الواحد مقابل الاثنين اشعارا بغلبته لان الرحمة سابقة وسيأتى تمام تحقيقه (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الغضب كيفية نفسانية يغلى منها دم القلب فتخرج النفس عنه دفعا للمكروه وقهر السببه وأول فى حق الله تعالى بالانتقام أو ارادته وقال الامام حجة الاسلام وهو نسبة مشيئة الله الى من استعمل اسباب الحكمة دون غايتها ومبدؤه الكفران ويترتب عليه اللعن والمذمة ويقابله الرضا نسبة مشيئته تعالى الى من استعمل اسباب الحكمة لاتمامها ومبدؤه الشكر ويترتب عليه الثناء والعطاء والضلال سلوك طريق لا يوصل الى المطلوب اما الغفلة كايثار اللذات الحسية على الروحانية ايثار الصبى اللعب على السلطنة أو الغرور سكون النفس الى ما تهواه أو لشبهة ككون النقد خيرا من النسيئة والدنيا نقد وهو غلط فان العشرة النسيئة خير من نقد الواحد عند التيقن والآخرة يقين عند البصراء من الانبياء والاولياء والعلماء وعلى القاصرين تقليدهم كما ان على المريض تقليد الطبيب فان كان شكا فالمريض يتيقن بشاعة الدواء ويشك فى الشفاء أو لغلبة هوى عليه يضيق صدره عن الخير ويشرحه للشر فان استمر عليه أورثه رينا ثم طبعا ثم ختما ثم قفلا ثم موت القلب فلا ينفعه الآيات والنذر وفى عكسه ان صبر على اقتراف الحسنة أورثه حسنا ثم انشراح صدر ثم يصير ممتحنا للتقوى ثم ينزل عليه سكينة تهزه فان انتهت صارت عصمة وفسر البيضاوى المغضوب عليهم بالعصاة والضالين بالجاهلين بالله لان المنعم عليه من جمع بين معرفة الحق لذاته والخير للعمل به فيقابله من أخل باحدهما فالمخل بالعمل فاسق مغضوب عليه وبالعقل جاهل ضال وأقول المغضوب عليه المعاند فى الكفر تقليدا أو تقصيرا والمتعمد بالمعاصى والضال الواقع فى الكفر تقليدا أو تقصيرا فى النظر وفى المعاصى اعتمادا على كرم الله وعفوه

والقوم اودى وشدة وأشد مثل نعمة وانعم ويقال الاشد اسم واحد لا جمع له بمنزلة الآنك وهو الرصاص والاسرب وهو القزدير وذكر عن مجاهد فى قوله تعالى ولما بلغ أشده قال ثلاثا وثلاثين سنة واستوى قال أربعين سنة واشد التقديم قالوا ثمان عشرة سنة (أكبرنه) اعظمنه

او المغضوب عليه الكافر والضال المبتدع أو المغضوب عليه المنتقم منه والضال المخطئ أعم منه ومن المعفو عنه وهذا أقرب حذر عن متابعتهم لانها كمتابعة أعداء الملوك بجعل التابع فى حكم المتبوع وابتدأ باسم الله وحمده وانتهى بذم الغضب والضلال لان مطلع الخيرات الاقبال على الله وتمامها بالسلامة عن الغضب والضلال وفيه اشارة الى سبق الرحمة ثم ان جعل غير بدلا فكأن الداعى رأى قصور نفسه عن سلوك صراط المنعم عليهم فاعرض عن طلبه واخذ يطلب السلامة وان جعل وصفا باعتبار اشتهار المضاف اليه بمغايرة الموصوف بان يكون تعين المغضوب عليهم ولا الضالين بالمخلين باحدى القوتين مثل تعين المنعم عليهم بالجمع بينهما كمالا فهو طلب الجمع بين سلوك طريق المنعم عليهم والسلامة عن طريق غيرهم اذ قد يعطيان خوارق يتوهم انها نعم وكرامات ولفظة غير تشعر بالمغايرة الكلية وزيادة لا مشعرة بان المطلوب الاخلاء عنه سواء قارنه الغضب أم لا ثم انه نسب الانعام الى الحق لانه تفضل به دون الغضب لانه سبب فعل المغضوب عليه فهو كالفاعل الحقيقى له على ان نسبة الغضب الى الله يؤيس من رحمته ولم يقل غير الذين غضبت عليهم لانه يخص الاحتراز عن المعلوم والمقصود التعميم ولم يقل غير مغضوب عليهم لئلا يتوهم اختصاص الهرب من قوم دون قوم ثم المغضوب عليهم مجاز مرسل تجوزه تابع لتجوز الغضب ان أريد المنتقم منهم ثم الاصل ان يجعل المغضوب عليهم فى مقابلة المنعم عليهم والضالون فى مقابلة الهداة لكن لما جعل المنعم عليهم هداة يطلب صراطهم قابل المنعم عليهم بهما وقدم ما يقابل الصريح أو يقال المنعم عليه لما كان هو الجامع بين القوتين قوبل بهما وقدم الاهم وهو من استولى عليه الغضب بحيث لا يرجى انفكاكه عنه بناء على انه الكافر ثم تمم بما يعمه والفاسق ولم يقل ولا المضلين لان الاضلال وان كان من الله لكنه بعد اختيارهم فهم أولى بنسبته اليهم (آمين) ليس من القرآن وفاقا لم يكتبه الاولون فى مصاحفهم بمعنى استجب أو كذلك افعل او قاصدين نحوك أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين اجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن سائر الاشياء أو راضين بما قضيت لنا أو علينا وبالجملة ففيه رجوع الى الله وادامة الافتقار اليه وهو أصل كل خير وبه يتم سلوك طريق الحق ويسلم من الآفات سلمنا الله عنها بمحض فضله ومنه انه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة البقرة)

سميت بها لدلالة قصتها على وجود الصانع اذ حياة القتيل ليست من ذاته والا لحيى كل قتيل ولا بضرب بعض البقرة عليه والا لحصلت متى ضرب وعلى قدرته لانه أحيى بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده وعلى حكمته لانه اشار بذلك الى احياء القلب بذبح النفس الامارة المظلمة له وعلى النبوة لكونها معجزة وفيها الاشارة الى وجوب طاعة الانبياء من غير تفتيش لتقل المؤنة ولا تقع الفضيحة التى وقعت للقائلين أتتخذنا هزوا وعلى الاستقامة لان طلب الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شبهة وعلى ان المجاهدة تفيد الهداية وعلى شرائط ذلك بكونها فى

(اصب اليهن) امل اليهن ويقال اصبانى فصبوت أى حملنى على الجهل وعلى ما يفعل الصبى ففعلت (اضغاث احلام) اخلاط احلام مثل اضغاث الحشيش يجمعها

غير زمن الشيخوخة لان قلع أصول الهوى بعد استحكامها وضعف النفس القالعة لها بعيد جدا ولا فى زمن سكر الشباب لقلة العقل المحارب للهوى مع التزين بصفرة الصلاح وهى التى تسر الناظرين وعلى المعاد بعود الحياة الى القتيل وسائر ما فى السورة متممات أو مقدمات لهذه الامور .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اى باسم الله الذى تجلى بذاته وصفاته فى كتابه الشامل على بيان كمالاته الرحمن بنفى الريب عنه بجعله معجزا للكل الرحيم بجعله هدى للمتقين (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى) اى الاصل اللازم للمستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله لجمعه ما فى الكتب الالهية قبله مع رفعه كل ريب باقامة الحجج ورفع الشبه مؤيدا بالاعجاز وتصديق الكتب الالهية له قبله وكشوف الاولياء بعده بل انما يعرف صدق الجميع به والادلة العقلية المحضة قلما تخلو عن معارضة أو مناقضة أو نقض والنقلية المحضة من سائر الكتب تحتمل التحريف وقد ارتفع من هذا الكتاب ما ذكر مع كمال هدايته لما لا يتناهى من المطالب العلمية والعملية أو أعلى لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب لان فيه أدلة قاطعة مؤيدة بما ذكر مع رفع ما يوقع فى الريب حتى يفيد الهداية الكاملة أو أتم لطف مفيد للكمالات لانه أفاد بالفاظ قليلة ما لا يتناهى من العلوم مؤيدة بنفى الريب وتكميل الهداية أو أساس اب للمطالب العالية لان فيه الادلة الاولية التى لا ريب فيها مع انتاجها أكثر الغوامض التى هى لب المطالب العالية أو غير ذلك مما يناسب المقام (للمتقين) المتقى من وقى نفسه عما يضرها فى الآخرة من اعتقاد وخلق وعمل كملت هدايتهم لانهم لما اتقوا لم يعطلوا النظر ولم يقصروا فيه ولا الجوارح ولم يتركوا الاخلاق الرديئة فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات الداعية الى التعطيل والتقصير والترك اما الاعتقادات فلانهم (الذين يؤمنون بالغيب) الايمان هو التصديق بما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عدى بالباء لتضمنه معنى الوثوق أو الاعتراف والغيب ما خرج عن ادراك الحواس الظاهرة والباطنة كالصانع والملائكة واليوم الآخر والقدر والكتب والرسل من حيث اضافتهما الى الله اعتبر ليبقى اختيار المكلف والهداية فى ذلك الاطلاع على حقائق وتفاصيل من ذلك (و) أما الاعمال فلانهم الذين (يقيمون الصلوة) اى يحفظونها من كل خلل فى عمل القلب واللسان والجوارح فريضة أو عزيمة أو بعضا أو هيئة أو شرطا أو أدبا بكل حال يهتدون فيها الاسرارها كدلالة الطهر على الحدث والخبث على الطهر عن علائق الحوادث من جهة خبثها المناسب الحق المنزه فيصلح لخدمته وتوجه الظاهر الى القبلة التى هى منشؤه على توجه الباطن الى جناب الحق الذى هو منشؤه ويؤيده شغل اللسان بدعاء الاستفتاح ودلالة القيام على الاستقامة والتكبير على استصغار ما سواه للاعراض عنه ويؤيده رفع اليدين ودلالة الثناء باللسان الذى هو ترجمان القلب على ميله بالكلية اليه ويؤيده الخطاب والتخصيص بالعبادة والاستعانة والتضرع اليه بها أو بسؤال

الانسان فيكون فيها ضروب مختلفة واحدها ضغث وهو ملء كف منه (اعصر خمرا) أى استخرج الخمر لانه اذا عصر العنب فانما يستخرج الخمر ويقال الخمر العنب بعينه حكى الاصمعى عن معتمر بن

الهداية وبالتعوذ من طريق أهل الغضب والضلال ودلالة الركوع على الانكسار لعظمته والاعتدال على الاستقامة فيه والسجود على التذلل بعد الانكسار والجلوس على التقرب بالسجود والسجود الثانى على رفع التكبر بالتقرب (و) أما الاخلاق فلانهم الذين (مما رزقناهم ينفقون) الرزق ما ساقه الله الى الحيوان لينتفع به ونسبه الى عظمته ليدل على عظم فيضه تسهيلا للانفاق منه ويدخل فيه انفاق المال تطهيرا للشهوية عن البخل وتحصيلا للسخاء ببذل الزكاة والفطرة وصدقة التطوع والوقف وبناء المساجد والمدارس والقناطر وفى الحج والجهاد وأشار الى منع الاسراف فى الانفاق على النفس والاهل وغيرهما بمن التبعيضية وبذل الروح فى سبيل الله تطهيرا للغضبية عن الجبن وتحصيلا للشجاعة فاستكمل بذلك القوتين بعد استكمال الحكمية بما مر (و) كيف لا يكون هذا الكتاب هدى الى ما لا يتناهى وهو يوجب الايمان بكل ما أنزل اليك منه ومن السنة وبما أنزل على الانبياء من كتبهم وسننهم من قبلك فلا شك أن (الذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) أحاطوا بالهدايات كلها كيف (و) قد زاد أهل هذا الكتاب بمزيد تفصيل وتحقيق للامور الاخروية فلا شك أنهم (بالآخرة هم يوقنون) فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان (أولئك) مستولون (على هدى) عظيم (من ربهم) الذى ربى الامم كلها بتلك الهدايات بالايمان بها اجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها (و) ليست شاملة على ما فيه فلا شك أن (أولئك هم المفلحون) بالهدايات كلها بل لا هداية لهم أصلا لان الكفر بهذا الكتاب يستلزم الكفر بها على انه ضلال لا يوازيه تلك الهدايات (ان الذين كفروا) بهذا الكتاب لم يكن كفرهم لشبهة عرضت لهم فى اعجازه بعد النظر فيه بل لتركهم النظر أو لعنادهم ولا يكادون ينظرون أو يتركون العناد وان خوفتهم من ذلك وعرفوا صدقك بل (سواء عليهم) انذارك وعدمه بحيث يشك فيه (أأنذرتهم أم لم تنذرهم) لانهم سواء ظهر لهم الدليل أم لا (لا يؤمنون) والكفر انكار شئ مما علم بالضرورة كونه من دين محمد عليه السلام بأن لا ينقاد له عرف حقيقته أو اعترف بها أم لا ثم أشار الى أن الدلائل وان كانت قطعية فانما تفيد من فتح الله عليه باب النظر وهؤلاء (ختم الله على قلوبهم) أى جعلها كالمستوثقة بالختم فلا يستدلون بأنفسهم (و) لا يسمعون الى المستدلين لان الله ختم (على سمعهم و) لا يبالون بكمال المستدلين اذا رأوه اذ (على أبصارهم غشاوة و) ليس لهم أن يعتذروا بعدم اطلاعهم على حقيقته بل (لهم عذاب عظيم) لان ذلك كان من تقصيرهم وعنادهم وكان من وجوه كثيرة ثم ان الختم والغشاوة لم يكونا لخفاء الاعجاز لانه ختم عليهم وغشى بالنسبة الى أظهر الاشياء وهو الله تعالى وحكمته المقتضية للجزاء وان ادعى بعضهم ظهورهما له (و) ذلك أن (من الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) بهما فى الباطن مع غاية وضوحهما ثم من شدة ختمهم وغشاوتهم انهم يتمنون أنه لو تحقق الله والجزاء لتمسكنا عليه بايماننا فى الظاهر

سليمان قال لقيت اعرابيا ومعه عنب فقلت له ما معك فقال خمر (آوى اليه أخاه) ضمه اليه وأوى اليه انضم اليه (آثرك الله علينا) فضلك الله علينا ويقال له علينا أثرة أى فضل (أناب) تاب والانابة الرجوع عن منكر (أشق) أشد (أصنام) جمع صنم والصنم ما كان

كما تمسك به على المؤمنين فى حقن الدماء والاموال فهم فى زعمهم (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون الا أنفسهم) لان الله تعالى أعلى من أن يخدع ويظهره على المؤمنين وان أجروهم مجرى أنفسهم ويقع خداعهم بأنفسهم اذ يرونها اذلك كمال رأيهم فى تركهم النظر بالكلية (وما يشعرون) بخداعهم لانفسهم مع غاية ظهوره وانما لا يظهر لهم اذ (فى قلوبهم مرض) هو تفريطهم فى القوة الحكمية فيما ألفوه من دين آبائهم وافراطهم فى الشهوية والقرآن وان كان شفاء الا أنهم لما أبغضوه لم يستعملوا النظر فيه (فزادهم الله مرضا) بافراط الغضبية (و) عدم النظر لو صلح عذرا فى عدم الايمان فليس بعذر فى التكذيب فلا محالة (لهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) لانه تكذيب بلا دليل بل مع الدليل على صدقه وهو الاعجاز (و) لعدم شعورهم بالمرض (اذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض) من افراطكم فى الشهوية والغضبية وتفريطكم فى الحكمية بترك الانقياد للشرائع التى بها انتظام أمر الدارين وتحقق الانسانية (قالوا انما نحن مصلحون) أى مقصورون على الاصلاح لانا نرجع الامر الى ما كان عليه فى الازمنة الماضية (ألا انهم هم المفسدون) لان ذلك الامر كان فسادا مستمرا ازاله الله ببعثة الرسل فلما استرجعوه كانوا مفسدين بعد الاصلاح وهو أتم من ترك المستمر (ولكن لا يشعرون) من مرض قلوبهم انه مخل بانتظام أمر الدارين وبتحقق الانسانية مع ظهوره (واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس) الذين قصدوا اصلاح نظام الدارين وتحقق الانسانية اذ به الانقياد لقواعد العدل التى بها الانتظام والتحقق (قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء) الذين من سخافة رأيهم لم يستوفوا فوائد الشهوية والغضبية (ألا انهم هم السفهاء) بترك تعديلهما واتباعهما للحكمية وهو أتم استيفاء لمن تأمل حق التأمل (ولكن لا يعلمون) لتركهم التأمل بالكلية ثم أشار الى أن قولهم أنؤمن كما آمن السفهاء ليس بطريق التصريح بل مقتضى عباراتهم (و) ذلك انهم (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) بالجملة الفعلية الماضية من غير تأكيد لعلمهم بقبولهم له عن سفاهتهم اذ يحقنون بمجرد ذلك دماءهم وأموالهم مع ظهور فسادهم (واذا خلوا) أى مضوا خالين عن حضور مؤمن معهم (الى شياطينهم) أى الذين ماثلوا الشياطين فى التمرد (قالوا انا) وان أظهرنا الايمان لهم حينا مستمرون على الكفر (معكم) فى أعلى مراتبه فأكدوا لهم بالجملة الاسمية لاعتقادهم كمالهم بحيث لا يقبلون منهم ذلك القول مع اظهارهم الايمان من غير تأكيد ومع ذلك يعتقدون فيهم انهم يعترضون عليهم بلسان الحال ما لكم تظهرون الايمان لهم فيقولون (انما نحن مستهزؤن) أى مستخفون بهم لاغترارهم بمجرد قولنا المخالف لفعلنا فقال عز وجل ان كان المؤمنون محل استهزائهم حينا مع غاية جهلهم فهم محل استهزاء الله علام الغيوب استهزاء مستمرا بتجدد الامثال اذ (الله يستهزئ بهم) بحقن دمائهم وأموالهم ليزدادوا نفاقا فيزدادوا عذابا هو أشد ايلاما من ذهاب الاموال والدماء المؤلم أيام الحياة الدنيا (و) يدل

علیه

مصورا من حجر أو صفر أو نحو ذلك والوثن ما كان من غير صورة (أصفاد) أغلال واحدها صفد (أسقيناكموه) تقول لما كان من يدك الى فيه سقيته فاذا جعلت له شربا أو عرضته لأن يشرب بفمه أو يسقى زرعه قلت أسقيته ويقال سقى وأسقى بمعنى واحد قال

عليه انه (يمدهم) بالنعم مستغرقين (فى طغيانهم) مجاوزة الحد فى الضلال (يعمهون) أى يترددون مع حدوث الدلائل يوما فيوما فهذا دليل على مزيد عذابهم الذى هو أشد وجوه الاستخفاف وسيفتح لهم فى النار بابا الى الجنة كلما صاروا اليه سد عليهم وكيف لا يستهزئ الله بهم وهم أسفه الناس معاملة معه اذ (أولئك الذين اشتروا) أى استبدلوا (الضلالة) أى النفاق (بالهدى) أى الايمان الذى أنطق الله به ألسنتهم وفيه ربح الدارين وفى الضلالة خسرانهما فان لم يكن خسران الدنيا (فما ربحت تجارتهم) أى ما كانت سبب ربح الدنيا وقد خسروا الآخرة اذ ضيعوا رأس مالها (و) هو الهدى لانهم (ما كانوا مهتدين) بمجرد النطق بالايمان وان كان هدى فى نفسه كيف وقد استبدلوه بتكذيب الباطن فلم يربحوا شيأ وقد خسروا سعادة الابد التى لو استبدلوها بسعادة الدنيا كان عين الخسران العظيم فكيف اذا لم يحصل أيضا وأى سفه أعظم من ذلك (مثلهم) أى صفتهم العجيبة الشأن فى اشتراء الضلالة المظلمة بالهدى المنير (كمثل الذى استوقد نارا) أى طلب الوقود ليرتفع لهب النار لمزيد الانارة اذا ادعوا لانفسهم قوة الايمان الذى هو فى الانارة المعنوية مثل النار فى الحسية أو أشد (فلما أضاءت) النار (ما حوله) أى حول المستوقد فابصر ما فيه اطفأ النار على ظن انه لم يبق له اليها حاجة كذلك اطفأ هؤلاء مصباح الايمان من باطنهم على ظن انه لا يحتاج اليه الا فى حقن الاموال والدماء مما حول النفس وقد حصل كالابصار للمستوقد فلما ماتوا (ذهب الله بنورهم) أى بفائدته من حقن الدماء والاموال (وتركهم فى ظلمات) ظلمة الكفر وظلمة أهوال يوم القيامة وظلمة غضب الله وعقابه بحيث لا يعقبها نور اذ (لا يبصرون) خلاصهم عنها فهذا مثلهم لو سمعوه لكنهم (صم) ولو سمعوا لم ينطقوا بما يزيله من الايمان الخالص لانهم (بكم) ولو أمكنهم النطق به لم ينطقوا اذ لا يرون حسن الايمان وقبح النفاق لانهم (عمى فهم) وان أمكنهم الاقالة (لا يرجعون) عن ضلالتهم الى هداهم (أو) مثلهم فى اشتراء الضلالة بالهدى (كصيب من السماء) أى كمثل مستبدل مكان مطر كثير من السماء وهو نظير الاسلام الذى هو مكان مطر العلوم النافعة بمكان لا صيب فيه وهو نظير الكفر الذى ليس فى مكانه مطر علم نافع استبدلوا مكان الصيب بما فيه من أذيات اذ (فيه ظلمات) ظلمة تتابع القطر وظلمة الغمام وظلمة الليل (ورعد) هو الصوت المسموع من السحاب باصطكاك أو خرق (وبرق) ما يخرج منه من الاجزاء المحترقة الدخانية التى فيها دهنية بالحرق ولا شئ من ذلك فى مكان لا صيب فيه كذلك فى الاسلام أذيات مطا عن الجهال والجهاد والهجرة عن الاهل والاموال ورعد الوعيد على المعاصى وبرق الدلائل المانعة من استيفاء الشهوات وامضاء الغضب بل كأن الهاربين من مكان المطر (يجعلون أصابعهم) أى أناملهم (فى) صماخ (آذانهم) خوفا (من) تأثير أصوات (الصواعق) جمع صاعقة نار تنزل من السحاب يجعلونها فيها (حذر الموت) من تأثيرها فكذلك هؤلاء يجعلون أصابعهم

لبيد
سقى قومى بنى مجد وأسقى
نميرا والقبائل من هلال
(أرذل العمر) الهرم الذى ينقص قوته وعقله ويصيره الى الخرف ونحوه (أثاث) متاع البيت واحدها أثاثة (اكنان) جمع كن وهو ما ستر ووقى من الحر والبرد (أنكاث) جمع نكث

في آذانهم من سماع الوعيد لئلا يلجئهم الى اخلاص الايمان الذي يرونه موتا بفوات ما ألفوه
من دين آبائهم (و) هؤلاء وان هربوا من سماع الوعيد فلا يفوتونه اذ (الله محيط بالكافرين)
محيط بهم قهره أينما هربوا انه كما يخاف الهاربون من المطر لاجل البرق اذ (يكاد البرق
يخطف) أي يعمي (أبصارهم) كذلك هؤلاء يخافون من برق الدلائل أن يخطف أبصار
شبهاتهم وكما ان الهاربين من المطر (كلما أضاء) العالم بالبرق (لهم مشوا فيه) كذلك هؤلاء
المنافقون اذا رأوا غلبة نور الاسلام مشوا فيه (و) كما ان الهاربين (اذا أظلم) العالم (عليهم)
بذهاب البرق (قاموا) كذلك هؤلاء اذا ظهرت لهم أذية قاموا في كفرهم ظاهرين به فهذا
مثالهم لكنهم لا يسمعونه ولا يبصرون ما فيه لذهاب سمعهم وأبصارهم الباطنة (ولو شاء الله
لذهب بسمعهم وأبصارهم) الظاهرة أيضا كما لو شاء لذهب بسمع الجاعلين أصابعهم في آذانهم
من الصواعق وأبصار الخائفين من البرق بل لو شاء لذهب بهما من غير صاعقة ولا برق (ان الله
على كل شيء قدير) فلا يحتاج الى سبب ولا يمنعه مانع ثم أشار بأن هذا التمثيل لا يفيد علما فلا
يعارض الدليل القاطع على وجوب عبادة الله بالاسلام له والانقياد لاحكامه فقال (يا أيها
الناس) أي يا من نسي الاصل الذي يتمسك به في مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل
الضعيف (اعبدوا ربكم) فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا وحقيقة العبد أن
يكون عابدا سيما اذا أنعم عليه بأجل النعم وهو الايجاد وما يتوقف عليه اذ هو (الذي خلقكم
والذين من قبلكم) من مقدمات وجودكم فهذا الخلق يقتضي أجل وجوه الشكر وهو
العبادة (لعلكم تتقون) سخطه بترككم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم واهمالكم شكر
اجل نعمه ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه وهو أن ما جعلتموه مشبها به للهرب عن
الاسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته ومبدئه ومنتهاه وما يحصل منه اذ هو (الذي
جعل لكم الارض فراشا) أي وطاء قرركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع
اقتضاء طبعه الاحاطة بها وجعلها بين الصلابة واللطافة لتقعدوا وتناموا عليها كالفراش
(والسماء بناء) أي سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار الملائكة العلوية (وأنزل من
بعض أوضاع (السماء) في حال حركاتها (ماء) لانبات النبات الحامل مواد الثمرات (فأخرج به
من الثمرات) اذ جعل في الماء قوة فاعلة وفي الارض قابلة يتولد من اجتماعهما أنواع النبات
والثمار ليكون (رزقا لكم) وكما تفرد بهذه الانعامات أفردوه بالعبادة (فلا تجعلوا لله أندادا)
أي امثالا في استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك في الالهية أو الصفات الكمالية (وأنتم
تعلمون) انه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء ولا الارض ولا أنزل الماء ولا أخرج الثمرات
وهذا هو الاسلام الذي يقتضيه المطر مع لواحقه ولم يمنع طاعة الغير اذ هي امتثال أمر من له
الامر كالرسول والحاكم بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها الا من له غاية العظمة
ولما كانت العبادة مقتضى ذات الرب والعبد ومقتضى انعامه عليه لم يكن بد منها في

الحكمة

وهو ما نقض من غزل
الشعر ونحوه وغيره (ان
تكون أمة هي أربى من
أمة) أي أزيد عددا ومن
هذا سمي الربا (أمرنا
وآمرنا) بمعنى واحد أي
كثرنا وأمرنا بالتشديد
جعلناهم أمراء ويقال
أمرناهم من الامر أي
أمرناهم بالطاعة اعذارا
وانذارا وتخويفا ووعيدا

الحكمة ولما كانت امتثال الامر وهو اما بالكتاب أو بالسنة أو بالاجماع أو بالقياس وأصل
الكل الكتاب لم يكن منه بد واما لم يتم شأن هذا الا بنفى الريب عنه نفى عنه باعجازه فقال (وان
كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا) يشير الى أنه لا ينبغى ان يرتاب فيه لكونه محض الحكمة
البالغة فان فرض فلا ينبغى ان يدوم لوجود ما يزيله لحقه المضى فان دام فلا ينبغى أن يحيط
بالجوانب احاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه فان كان فغايته أن يكون نوعا أو فردا
منه فان كنتم فيه مع انا جعلناه معجزا حال تفرقته فى الانزال فحال الاجتماع أشد اعجازا ودل
اعجازه على انه من مقام عظمتنا ولا يبعد لكون المنزل عليه عبدا منسوبا اليه لغاية كماله
فان كنتم فى ريب منه (فأتوا بسورة) طائفة من القرآن مترجمة أقلها ثلاث آيات من سور
المدينة لاحتوائها على علوم واحكام احتواء السور على ما فيه (من مثله) أى مما يماثله بعض
المماثلة (وادعوا) ان اتيتم بشئ وزعمتم انه من مثله (شهداءكم) أى من يشهد لكم فالعاقل
لا يرضى لنفسه ان يشهد بما يظهر اختلاله (من دون الله) أى مجاوزين شهادته التى يأتى بها
العاجز (ان كنتم صادقين) فى ان للريب دخلا فيه (فان لم تفعلوا) أى لم تأتوا بعد هذه
المبالغة فى التحدى مع كثرتكم واشتهاركم بالفصاحة والبلاغة وتهالككم على العناد (وان
تفعلوا) والا لاشتهر لان الطاعنين فيه أكثر ودواعيهم الى التشهير أوفر فيمتنع خفاء المعارضة
عادة وقد الجأتم الى جلاء الوطن و بذل المهج ظهر عنادكم مع الله ورسوله (فاتقوا النار
التى) هى أثر غضب الله (وقودها) أى ما تتقد به ابتداء (الناس والحجارة) مع انهما سببا
انطفاء نيران الدنيا فذلك من غاية شدة حرارتها ولا يتراخى التعذيب بها عن موتكم لانها
(أعدت) أى هيئت (للكافرين) أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم ومعاصيهم لانه
غضب عليهم فى الازل تخوفهم به (و بشر) أخبر خبرا يغير بشرة الوجه وغلب فى الخير حتى
عد وقوعه فى الشر تهكما (الذين آمنوا) بالكتاب المعجز (وعملوا الصالحات) التى أمر بها
هو أو أحد فروعه من السنة والاجماع والقياس (أن لهم جنات) جنة الفردوس وجنة
عدن وجنة المأوى ودار الخلد ودار السلام ودار المقامة وعليون و بجنات معارفهم من
الكتاب (تجرى من تحتها) أى من تحت اشجارها (الانهار) جمع نهر وهو المجرى الواسع بما
أجروا من أنهار الحكمة الى ألسنتهم ثم الى العالم (كلما رزقوا منها) أى من تلك الجنات (من
ثمرة رزقا) حقيقيا حسيا أو عقليا أو خياليا (قالوا هذا) جزاء (الذى رزقنا من قبل) من
المقامات والاحوال التى هى ثمرات الايمان والاعمال (و) لما كانت لكل عمل ثمرات متشابهة
يفضل بعضها بعضا (أتوا به متشابها) يشبه بعضه بعضا فى الصورة مع التفاوت فى اللذات
(ولهم فيها) على ما تخلقوا باخلاق الله فى الكتاب (أزواج مطهرة) من الاخلاق الرديئة (وهم
فيها خالدون) لغلبة الروحانية على أجسامهم و بقاء هيئات الايمان والاعمال على أرواحهم
وقلوبهم ولما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع الانسان باصلاح معاشه ومعاده بارسال

ففسقوا أى نخرجوا عن
أمرنا عاصين لنا فحق عليها
القول فوجب عليها
الوعيد (أوابين) توابين
(أجلب عليهم) اجمع عليهم
(أسفا) غضبا و يقال حزنا
(أبصر به وأسمع) أى
ما أبصره وأسمعه (أعثرنا
عليهم) أطلعنا عليهم
(أساور) جمع اسورة
واسورة جمع سوار وسوار

الرسل وذكر النحل والنمل لبيان عظيم عنايته بأحقر الاشياء حتى الهم الاول طريق تحصيل
العسل والثانى شأن سليمان عليه السلام وذكر الذباب والعنكبوت لتحقير الاصنام مربيها لهم
حتى كأنهم قالوا ودل اعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه اذ لا يليق لعظمته
رد الله عليهم بقوله (ان الله لا يستحيى) أى لا يترك ترك المستحيى اذ هو لازم الحياء الذى هو
انقباض النفس عن القبح مخافة الذم (أن يضرب مثلا ما) أى ان يجعل شيأ ما مثلا لآخر
أو جاريا مجراه (بعوضة فما فوقها) فى الصغر مثلا لاحقر الاشياء اذ لا ذم فى ذلك اذ الواجب
فيه أن يكون على وفق الممثل له من جهة التمثيل الذى يبرز المعنى المعقول فى صورة المحسوس
تخليصا للعقل عن منازعة الوهم لكن السامعون قسمان مؤمنون يعتبر بقولهم لجريهم على
وفق العقل وكفار لا يعتبر بقولهم لجريهم على خلافه عنادا (فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه
الحق) أى الثابت الذى لا يمكن تبديله اذ لا يمكن بيان خسة الشئ بتمثيله بأعظم الاشياء (من
ربهم) أى الذى رباهم بما بين لهم من مراتب الاشياء ليضعوا كل شئ فى مرتبته (وأما الذين
كفروا فيقولون) مع علمهم بحقيته (ماذا أراد الله) مع غاية عظمته (بهذا مثلا) أى بجعل
هذا الحقير مثلا مع انه لا يناسب عظمته (يضل به) مع كونه سبب الهداية (كثيرا) يرى
تمثيل أحقر الاشياء لبيان حقارته بالشئ المعظم وأشار بقوله كثيرا الى أنه لا يغتر بكثرتهم حتى
يحمل قولهم على الصواب فيعتبر ذمهم (ويهدى به كثيرا) يعرفهم حقارة بعض الاشياء
ليجتنبوه فضلا عن أن يعبدوه (و) ليس بطريق التحكم اليه لانه (ما يضل به الا الفاسقين)
أى الخارجين عن حد العقل لما مر وعن حد الشرع لانهم (الذين ينقضون عهد الله) فى
التوراة أن يبينوا أمر محمد صلى الله عليه وسلم وينصروه استعار لابطاله النقض اذ شبهه بالحبل
لربطه أحد المتعاهدين بالآخر كقوى الحبل (من بعد ميثاقه) أى من بعد تحقق ما يقع به
الوثاقة من المعجزات التى تكفى فى الالزام لولا العهد (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل)
وهى وصلة الرسل أن لا يفرقوا بتصديق البعض وتكذيب البعض (ويفسدون فى الارض)
بتعويق الناس عن الايمان وحثهم على القتال حفظا على الرشا ولكن (أولئك هم
الخاسرون) اذ خسروا ديارهم وأموالهم والعقل وفوائد الكتاب والآخرة ثم أشار الى أن
الكفر بكتاب الله لبيانه حقارة ما دونه بطريق التمثيل بأحقر الاشياء لئلا يعبدوا لعظمة عنايته
بأحقرها للحث على عبادته كفر بالله لاستدعائه عبادة الغير دون عبادته على أن فيه
تكذيب الله وتكذيب ما بين من كمال معرفته فأنكر الحالة التى يكون عليها الكفر ليكون
انكارا له بطريق برهانى فقال (كيف تكفرون بالله) فى الجملة سيما لبيان حقارة بعض
الاشياء لئلا يعبدوا لعظمة عنايته بأحقر الاشياء للحث على عبادته (و) قد عظمت عنايته بكم
اذ (كنتم أمواتا) أى أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطفا أو مضغا ثم أمواتا بالجهل
(فأحياكم) بنفخ الارواح فيكم وانزال الكتاب عليكم (ثم يميتكم) باذهاب صفات نفوسكم

وهو الذى يلبس فى الذراع
من ذهب فان كان من فضة
فهو قلب وجمعه قلبة وان
كان من قرون أو عاج فهو
مسكة وجمعها مسك
(أرائك) أسرة فى الحجال
واحدها أريكة (أجاءها
المخاض) جاء بها ويقال
ألجأها (أهش بها على غنمى)
أضرب بها الاغصان
ليسقط ورقها على غنمى

بمقتضى الكتاب و بالموت الطبيعى لا لاعدامكم بل لينقلكم الى دار أكمل من داركم (ثم
يحييكم) بصفاته بمقتضى الكتاب و بالنشر ولا يكون كالاحياء الاول مع الحجاب (ثم اليه
ترجعون) بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب وفى الموت الطبيعى للجزاء الفارق بين الولى
والعدو ولا يترك ذلك لانه قد خلق لكم جميع النعم فلابد ان يسألكم عنها هل صرفتموها
فيما خلقها من أجله أم لا اذ (هو الذى خلق لكم) أى قدر لنفعكم (ما فى الارض جميعا) حتى
السموم والقاذورات اذ ينتفع بها فى بعض الادوية وقد خلق فيكم اسرار جميعها (ثم استوى)
أى توجه (الى السماء) لتضمنها أسباب تحصيلها (فسواهن سبع سموات) أى جعلهن سبع
سموات معتدلة لا عوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الاشياء
المكنونة فى الارض وخلق فيكم اسرارها أيضا وانما خص السبع لغلبة تعلق الآثار السفلية
بكواكبها وليس فى الآية نفى الزائد (و) ذلك لعلمه بربط كل شئ بسببه اذ (هو بكل شئ عليم)
فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع اسرارها فى الانسان و يعلم اجزاء الميت فيسهل عليه جمعها للاعادة
ويعلم مقدار ما يقتضى كل عمل من الجزاء وما يقتضيه شاكر هذه النعم وكافرها فلا يعمل
الحكمة من راعاها فى هذه الاشياء بترك الجزاء فهذا كالمجئ الى ترك الكفر به ولو فى ضمن
الكفر بهذا الكتاب ثم أشار الى انه انما خلق له ما فى الارض جميعا وسوى له السموات
السبع لانه جامع لاسرار الله وأسرار العالم صالح لخلافته عليهم (و) اذكر لمنكر ذلك (اذ قال
ربك) أى وقت قول ربك اظهارا لفضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة أصلا
(للملائكة) وهم اجسام لطيفة خيرة قادرة على التشكل باشكال مختلفة عند جمهور
المتكلمين وجواهر مجردة خيرة مخالفة للنفوس الناطقة تتصور بصور خيالية عند الفلاسفة
(انى جاعل فى الارض) أى التى هى محل الكون والفساد فهو محل التصرف من عناصرها
ومن الروح السماوى (خليفة) نائبا عنى عليهم والهاء للمبالغة (قالوا أتجعل فيها) لعمارتها
واصلاحها (من يفسد فيها) لكونه من العناصر المختلفة الداعية الى اللذات السفلية
(ويسفك الدماء) اذ فيه قوة غضبية من النار (ونحن) وان لم يكن لنا جمعية (نسبح) ذاتك
ملتبسا (بحمدك) على كمالاتها (ونقدس) أى ننزه صفاتك فنقول انها مستحقة (لك) دون
غيرك (قال انى اعلم) من قصور تسبيحكم وتقديسكم وعدم صلاحيتكم للخلافة على الكل
واقتضاء ظهور أسمائى اللطفية والقهرية (ما لا تعلمون و) لما لم يكن للخليفة بد من العلم
بحقائق المستخلف والمستخلف عليه ليؤثر بها فيها على أكمل الوجوه (علم آدم) بخلق علم
ضرورى فيه (الاسماء كلها) أى الالفاظ الدالة على الحقائق اذ هى أقل ما يفيد التمييز بينها
(ثم عرضهم) أى المسميات (على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء) أى بأقل مميزاتها حتى
يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم ودعواكم (ان كنتم صادقين)
فى دعواكم أنكم تسبحون الله على الاطلاق أى بجميع أسمائه وتقدسونه بها (قالوا

عونى فتأكله (أزرى) وظهرى ومنه فآزره أى فأعانه (آناء الليل) ساعاته واحدها انى وانى (أمثلهم طريقة) أعدلهم قولا عند نفسه (أمتا) ارتفاعا وهبوطا ويقال نبكا النبك الروابى من الطين (آذنتكم على سواء) أعلمتكم فاستوينا فى العلم * قال الحرث بن

سبحانك) أى ننزهك تنزيها عن أن يقصر علمك أو تشاركك فيه أو تعبث فى فعلك وانما سألناك
استفسارا او استرشادا لانه (لا علم لنا الا ما علمتنا) وانما لم تعلمناها ابتداء اذ (انك أنت العليم)
بان حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة وقد جعلت الوسايط مع قدرتك على الافعال ابتداء
لانك أنت (الحكيم قال يا آدم أنبئهم) وان كنت دونهم فى التجرد الذى به الاطلاع (بأسمائهم)
أى بأسماء المسميات المعروضة عليهم فانبأهم بجميعها (فلما أنبأهم بأسمائهم) مع فواتها
للحصر من غير غلط فيها (قال ألم أقل لكم انى أعلم) ما لا تعلمون قاصدا به انى أعلم (غيب
السموات) أى العالم العلوى مع كونكم منه (و) غيب (الارض) أى العالم السفلى مع
ظهوره للحس فبقى كل منهما من الخفايا ما لا يبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجردكم
(وأعلم ما تبدون) من قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء والحكمة تقتضى
ايجاده ليظهر أثر الاسم القهار والغفار ونحوهما (وما كنتم تكتمون) من كونكم أحق
بالخلافة منه ثم ألزمهم الاعتذار لما قالوا فيه والتذلل لما رأوا فيه من عظيم القدرة وظاهر
الآيات (و) اذكر لمنكر ذلك (اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) بجعله قبلة سجود تحية
اكراما له واستلزم أمر الملائكة أمر من دونهم من الجن سيما من لحق بهم كابليس (فسجدوا)
أى المأمورون بالسجود (الا ابليس أبى) أى امتنع عن السجود (و) انما امتنع لانه
(استكبر و) أدى استكباره الى انكار وجوبه لذلك (كان من الكافرين) بالله لانكار
وجوب امتثال أمر قطعى من أوامره وفيه اشارة الى أنه اذا كان انكار واجب كفرا بالله
فكيف لا يكون انكار واجبات القرآن كلها كفرا به ثم أشار الى أن ترك امتثال الامر من
غير انكار الوجوب كان سبب هبوط آدم الى متاعب الدنيا الباقية فى نسله الى يوم القيامة
(و) ذلك انا زدناه اكراما اذ (قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك) تكميلا لاكرامك باكرام
محبوبتك دار كرامتنا (الجنة و) أكملنا استيلاءهما عليها اذ قلنا (كلا منها) أى من نعيمها
(رغدا) أى واسعا كثيرا (حيث شئتما) أى من أى مكان شئتما (و) من اكرامنا اياهما أنا
لم نكلفهما بشئ سوى أن قلنا (لا تقربا) فضلا عن تناول شئ منها فضلا عن الاكل اذ القرب
من الشئ يأخذ بجامع القلب ويلهيه عما هو مقتضى الشرع والعقل (هذه الشجرة) من
بين الاشجار الفائتة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة (فتكونا من الظالمين)
أنفسهم بتفويت الكرامات والتعرض للعقاب والعتاب فكان هذا مدخلا للشيطان
(فأزلهما) أى أصدر زلتهما (الشيطان عنها) أى عن تلك الشجرة (فأخرجهما مما كانا
فيه) من الكرامات قيل أتى باب الجنة فمنعته الخزنة فجاءته الحية فسألها الدخول بفيها
فأدخلته فوقف بين يدى آدم فقال هل أدلك على شجرة الخلد فلم يقبل فقاسمهما انى لكما لمن
الناصحين فاغترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل النبوة
بنسيان بجرم النهى بتغرير ابليس و انسائه قوله فتكونا من الظالمين (وقلنا) لاهباط نهينا

حلزة شعر
آذنتنا ببينها أسماء
رب ثاو يمل منه الثواء
(أوثان) جمع وثن وقدمر
تفسيره (أترفناهم)
نعمناهم و بقيناهم فى
الملك والمترف المتقلب فى
لين العيش (أحاديث) أى
جعلناهم أخبارا وعبرا
يتمثل بهم فى الشر لا يقال
جعلته حديثا فى الخير
(أيامى) الذين

عن حده (اهبطوا) من دار كرامتنا الى دار الابتلاء وأقله العداوة والمضرة فى الدنيا والدين اذ (بعضكم لبعض عدو) يعاديكم ابليس بالاضلال والحية باللدغ (و) لا رجوع لكم الى الجنة عن قريب اذ (لكم فى الارض مستقر) أى مدة استقرار يوقع فى الامل (ومتاع) يوقع فى الشهوات و ينسى نعيم الجنة (الى حين) أى القيامة على ظهورها أو فى بطنها ولما لم يكن معصية آدم كفرا وكان معتنى به ألهمه الله كلمات (فتلقى) أى تقبل (آدم من) الهام (ربه كلمات) هى ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فاستغفر عنها وتاب عن امثالها (فتاب) الله (عليه) أى قبل توبته وان لم يمكنه اتيان مثل ذلك الذنب لافراط رحمته به (انه هو التواب الرحيم) ومع فضل رحمته به لم يرفعه الى الجنة فى الحال بل (قلنا اهبطوا) أى استقروا بمكان الهبوط (منها) أى من أثر تلك المعصية (جميعا) أى مجتمعين مع ما بينكم من العداوة ولان المقصود بالذات من الاهباط الى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف (فاما يأتينكم منى هدى) أى فان تحقق لكم اتيان هدى علمتم بالدلائل العقلية والمعجزات القولية والفعلية انه منى (فمن تبع هداى) أى ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى فى نفسه لا يصح نسبته الى مضل (فلا خوف عليهم) بكونه تلبيسا منى أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الامور السماوية أو الارضية اذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة (ولا هم يحزنون) لما يفوتهم من الدنيا بعده (والذين كفروا) أى أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات البعيدة بل الباطلة بكونه هدى فى نفسه (وكذبوا بآياتنا) الواقع صدقها فى القلوب بالضرورة فلا يرفعون الى الجنة ولا يتركون فى محل الهبوط المذكور بل يهبطون عنه الى أسفل سافلين اذ (أولئك أصحاب النار) اى لا انتقال لهم عنها كأهل الاهباط الاول بل (هم فيها خالدون) اذ لا يتم الابتلاء الا بايعاد العذاب الخالد ولا يتم الا بالايفاء به (يا بنى اسرائيل) اى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطلعين على قصة آدم وعهده (اذكروا نعمتى التى أنعمت) على اسلافكم فكانت فى معنى الانعام (عليكم) من لدن آدم بقبول توبته الى زمن موسى بفلق البحر لكم واغراق أعدائكم وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى عليكم وانزال التوراة فانها كرامات مثل كرامات آدم باسجاد الملائكة له وادخاله الجنة (وأوفوا بعهدى) بالايمان بكل هدى تحقق مجيئه منى سيما هدى محمد صلى الله عليه وسلم المأخوذ فيه ميثاق الانبياء عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم فى الشجرة وما أخذ عليه فى ذريته بعد الهبوط (أوف بعهدكم) بازالة الخوف والحزن وتكفير السيآت وتضعيف الحسنات و رفع الآصار والاغلال (و) لا تخافوا فوات جاهكم ورشاكم بل (اياى فارهبون) فى كل ما تأتون وتذرون والرهبة خوف مع تحرز ثم أشار الى أنه لو لم آخذ عليكم العهد بالايمان به لوجب عليكم أيضا فقال (وآمنوا بما أنزلت) اى بما علمتم انزاله منى باعجازه وعلم كونه هدى لكونه (مصدقا لما معكم) فى القصص والاعتقادات والنسخ ليس بتكذيب بل بيان لانتهاء الحكم

لا أزواج لهم من الرجال والنساء واحدتهم أيم (أشتاتا) فرقا الواحد شت (أصيل) ما بين العصر الى الليل وجمعه أصل ثم آصال ثم أصائل جمع جمع (أحسن مقيلا) من القائلة وهى الاستكنان فى وقت انتصاف النهار وجاء فى التفسير انه لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يستقر أهل

باتيها مصلحته التي شرع لها (ولا تكونوا أول كافر به) يتبعكم من بعدكم فيكون عليكم اثمكم مع اثمهم (ولا تشتروا) اى ولا تستبدلوا (بآياتى) اى بالايمان بآيات التوراة الدالة على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) اى حظا يسيرا من الرشوة لتزدادوا بذلك اثما الى تلك الآثام (واياى فاتقون) ان لم تخافوا ذهاب الآخرة لاعتقادكم انه لن تمسكم النار الا أياما معدودات فلا تأمنوا غضبى فى استبدال آياتى (ولا تلبسوا) على عوامكم (الحق) من تأويل تلك الآيات (بالباطل) من تأويلكم حيث لا تغيرون ألفاظ التوراة (و) لا (تكتموا الحق) من ألفاظ التوراة أو تأويلها (وأنتم تعلمون) اى عن التعمد منكم لا لخطا فى الاجتهاد فيرجى عفوه (و) لا يكفيكم العمل بالمنسوخ من التوراة وان لم تغيروه ولم تلبسوا فيه ولم تكتموه بل (أقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) بمقتضى هذا الكتاب (و) اعملوا بفضائله وان لم تكن ناسخة لما فى كتابكم لذلك (اركعوا مع الراكعين) اى صلوا بالجماعة اذ فضلت على صلاة الفذ فى هذه الملة بسبع وعشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها انظاهر النفوس على الخيرات ثم أشار الى انهم لا يأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال (أتأمرون الناس بالبر) وهو التوسع فى الخيرات أو مراعاة الاقارب أو حسن معاملة الناس (وتنسون أنفسكم) اى تتركونها ترك المنسى فلا تأتون بشئ من الخيرات فضلا عن الفضائل (وأنتم تتلون الكتاب) اى التوراة فحقكم أن تسبقوا الناس بالعمل بما فيه ليقتدى الناس بكم ويعتمدوا على أقوالكم (أ) رضيتم بهلاك أنفسكم مع صلاح غيركم (فلا تعقلون) والعقل فى اللغة الحبس سمى به الادراك الانسانى لمنعه عن القبائح وليس المراد منع الواعظ اذا لم يتعظ بل حثه على تزكية النفس وتكميلها أولا (واستعينوا) على البر ان شق عليكم (بالصبر) عن الشهوات المانعة عنه (و) استعينوا على هذا الصبر باقامة (الصلاة) الجاذبة الى الله تعالى (و) لكن الاستعانة بها شاقة (انها لكبيرة) اى شاقة فى نفسها تقتضى الصبر على الطاعات (الا على الخاشعين) الخائفين السالكين الى الله فانها لا تشق عليهم فلا تشق الاستعانة بها فى حقهم على الصبر عن الشهوات لذلك كانت فى حقهم تنهى عن الفحشاء والمنكر كيف وهى فى حقهم قرة أعينهم لشاهدتهم الحق فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم (الذين يظنون) اى يعتقدون اعتقادا راجحا (أنهم ملاقوا ربهم) فيشاهدهم (و) ان لم يكونوا على هذا الاعتقاد فلا أقل من أن يعتقدوا (أنهم اليه راجعون) فيتوقعون فى مقابلتها ما يستحقر لاجله مشاقها ويستلذ حتى تنغص الشهوات عندهم فاى استعانة للصبر عنها أعظم منها فى حقهم ثم أشار الى أنه اذا شق عليهم الصبر استعانوا بالشكر الموجب للمحبة المفيدة اللذة التى هى أكمل من لذات سائر المشتهيات فقال (يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم) فحقكم ان تشكروها بأعمال البر بمقدار ما أنعمت به عليكم (وأنى فضلتكم على العالمين)

الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار فتحين القائلة وقد فرغ من الامر فيقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار (أناسى كثيرا) أناسى جمع انسى وهو واحد الانس جمعه على لفظه مثل كرسى وكراسى والانس جمع الانس يكون مطرح ياء النسبة مثل رومى وروم ويجوز أن يكون أناسى

اى على عالمى زمانكم بتكثير الانبياء والملوك العدول والعلماء العاملين فيكم فحقكم أن تفضلوا الخلائق بفضائل الاعمال واذا عسر عليكم الصبر والشكر استعينوا بالخوف (واتقوا) اذا تركتم البر بانفسكم اكتفاء بأمره غيركم (يوما لا تجزى نفس) أنت بالبر المأمور فى حق الآمر به (عن نفس) اى أمرتم ايا بالبر اذا تركته (شيأ ولا يقبل منها) اى من نفس أنت بالبر المأمور (شفاعة) فى حق الآمر به (ولا يؤخذ منها عدل) اى لا يقبل من النفس الآتية بالبر فدية تماثل نفس المفدى عنه لو وجدت عندها أو من النفس الآمر به فدية عن نفسها (ولا هم ينصرون) بدفع العذاب عنهم قهرا فالآية الكريمة نفت دفع العذاب عنهم من كل وجه لانه اما بالقهر وهو النصر أم لا فاما مجانا وهو الشفاعة أم لا فاما بأداء ما كان عليه وهو الاجتزاء واما باعطاء البدل وهو الفدية ولا متمسك للمعتزلة فى الآية على نفى الشفاعة لاختصاصها بمن لا بر له وهو الكافر (و) اذكروا من جملة تلك النعم (اذ نجيناكم) اى وقت انجائنا اياكم (من) أشد عذاب (آل) اى أهل (فرعون) هو لقب من ملك العمالقة ككسرى وقيصر والنجاشى لمن ملك الفرس والروم والحبشة والمراد مصعب بن قابوس أو مصعب بن زياد أو وليد بن مصعب كان بعد فرعون يوسف الريان بن الوليد بأكثر من أربعمائة سنة (يسومونكم) اى يبغونكم (سوء العذاب) اى افظعه (يذبحون أبناءكم) اى يكثرون ذبح ذكور أولادكم (ويستحيون نساءكم) اى يتركونهن احياء يستفرشهن اعداؤكم (وفى ذلكم) المذكور (بلاء) اى امتحان (من ربكم) بتسليطهم عليكم (عظيم) ليكون انجاؤكم بعدها أعظم نعمة واتعلموا أن من صبر على أشد البلاء نال أعظم الجزاء سيما فى دار الجزاء ثم هذا الانجاء يقتضى من الشكر ما يقصر معه كل عبادة شاقة وقد تحمل أوائلكم هذه المشاق من أعدائهم فما لكم لا تتحملون مشاق عبادته وقد خففها عليكم فى هذه الشريعة (و) اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى أفردت بالذكر بعد التعميم (اذ فرقنا) اى فصلنا (بكم) اى بسبب وصولكم (البحر) حين أمر موسى عليه السلام ان يسرى بكم فوصلتم اليه والماء فى غاية الزيادة ورأيتم فرعون خلفكم فقلتم ياموسى أين ما وعدتنا هذا فرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا والبحر امامنا ان دخلناه غرقنا فأوحى الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق وأرسل اليه الريح والشمس حتى يبس فخضتم فيه كل فرقة فى سكة (فأنجيناكم) من آل فرعون ومن كل شبهة فى وجود الصانع الحكيم القدير أو فى نبوة موسى فوصل فرعون فاقتحم هو وجنوده فالتطم عليهم (وأغرقنا آل فرعون) لئلا يبقى لكم خوف منه ولا حزن من خروجكم من دياركم فملككم ديارهم وأموالهم ولم تترك لكم شكا فى ذلك اذ أغرقناهم (وأنتم تنظرون) فكان اغراق عدوكم بنظركم أعظم نعمة عليكم يوجب أعظم شكر فحقكم أن تخوضوا بحر عبادته فى سكك أنواعها وتغرقوا أعداءها فى بحر التزكية بنظركم الحافظ من

جمع انسان وتكون التاء بدلا من النون لان الاصل أناسين بالنون مثل سراحين جمع سرحان فلما ألقيت النون من آخره عوضت الياء بدلا منها (أثاما) عقوبة والاثام الاثم أيضا (الارذلون) أهل الضعة والخساسة (اذ أفناهم الآخرين) أى جمعناهم فى البحر حتى غرقوا ومنه ليلة المزدلفة

تلبيس أنفسكم ثم أشار الى انه أنجاهم من جريمة اتخاذهم العجل وقد أخذ بمادونه آل فرعون فقال (و) اذكروا (اذ واعدنا موسى) بعد هلاك فرعون انزال كتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون بعد ثلاثين ليلة يقومها ويصوم نهارها فلما تمت أنكر رائحة فمه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك أبطلتها بالسواك فأتمها بصوم عشر أخر فتم (أربعين ليلة) فجاء جبريل على فرس الحياة لا يصيب شيأ الا حى ليذهب بموسى الى ربه فلما رآه السامرى وكان منافقا من قوم يعبدون البقر قال ان له شانا فأخذ قبضة من تربة حافره وكان بنو اسرائيل استعاروا من قوم فرعون حليا كثيرا حين أرادوا الخروج من مصر لعلة عرس لهم فقال لهم السامرى ان الحلى المستعارة لا تحل لكم فادفنوها بحفرة حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه فلما اجتمعت صاغها السامرى عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب حافر فرس جبريل فأخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر كاحسن ما يكون وخار خورة فقال السامرى هذا الهكم واله موسى تركه ههنا وخرج يطلبه ولذلك تأخر فشككتم فى أمره (ثم اتخذتم العجل) الها (من بعده) اى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون والاوثان (وأنتم ظالمون) مثل ظلم آل فرعون بل أشد لانه بعد الايمان (ثم عفونا عنكم) اى تجاوزنا عن مؤاخذتكم (من بعد ذلك) الاتخاذ بعد الايمان (لعلكم تشكرون) عفونا بتحمل المشاق فى عبادتنا وقد خففنا أكثرها فى هذه الشريعة فما لكم تعرضون عنها (و) اذكروا (اذ آتينا موسى الكتاب) الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون (والفرقان) اى الفرق بين المحق والمبطل (لعلكم تهتدون) لما هو شكر المحق والمبطل (و) من تلك الهداية التوبة فهذه التوبة من شكر المحق لانه عرف قدر نعمتها حتى آثرها على الحياة الدنيا بقتل الانفس حدا على اتخاذ العجل فاذكروا (اذ قال موسى لقومه) من افراط شفقته عليهم (ياقوم) ان من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم (انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل) الذى هو أبعد من فرعون عن الالهية (فتوبوا الى بارئكم) الذى خلقكم برآء من الشرك والمعاصى ويرجى تبرئتكم عن هذا الظلم الذى لا ينمحى هيئته عن قلوبكم لافراط حبكم اياه (فاقتلوا أنفسكم) لانه وان كان شرا عند أنفسكم لكن (ذلكم خير لكم عند بارئكم) اذ يبرئكم عن جريمته التى تخلدكم فى النار فعلتم (فتاب عليكم) اى قبل توبتكم وان كانت جريمتكم أعظم لكفركم بعد الايمان (انه هو التواب) اى البالغ فى قبول التوبة حتى انه قبلها على عمل أهلك بمادونه آل فرعون وانما تاب عليكم لانه (الرحيم) اذ رحم على تعذيب ساعة بكرامة الابد وهذه من الهداية الفارقة بين المحق والمبطل قد أخذ بها قدماؤكم وأنتم لا تسمعون بمجرد القول ولا بالاعمال السمحة من هذه الشريعة مع وفور رفضا تلها ثم أشار الى انهم لم يؤمنوا بهدى موسى وفرقانه بعد سماعه من الله بلا واسطة لشبهة واهية من احتمال

أى ليلة الازدلاف أى الاجتماع ويقال أزلفناهم أى قربناهم من البحر حتى أغرقناهم فيه ومنه أزلفنى كذا عند فلان أى قربنى منه (أعجمين) جمع أعجم وأعجمى أيضا اذا كان فى لسانه عجمة وان كان من العرب ورجل عجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا ورجل اعرابى اذا كان بدويا

كونه من الشيطان واستحقوا بذلك ماهو أشد من القتل فقال (واذ قلتم ياموسى) حين اختار
سبعين من خياركم بأمر الله لتعتذروا اليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم والتطهر فلما دنا
من طور سينا وقع عمود الغمام فدخله وأدخلهم خروا له سجدا فسمعوه يكلم موسى فلما فرغ
وانكشف الغمام قالوا (لن نؤمن لك) اى لقولك انه مسموع من الله (حتى نرى الله جهرة)
اى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر فغضب الله عليكم عن قولكم لن نؤمن لك لا عن طلب
رؤيتكم اياه اذ لا يستحيل كرؤيته ايانا (فأخذتكم الصاعقة) نار من السماء (وأنتم تنظرون)
اليها ولا يمكنكم الفرار عنها فأحرقتكم فدعا موسى وبكى وتضرع وقال يارب ماذا أقول لبنى
اسرائيل وقد أهلكت خيارهم (ثم بعثناكم) اى أحييناكم (من بعد موتكم) الحقيق
لا السكتة (لعلكم تشكرون) نعمة الانجاء من الهلاك بعد تحققه وهو فوق الانجاء السابق
(و) لكنكم لم تشكروها كما لم تشكروا نظائرها اذ (ظللنا عليكم الغمام) فى التيه انجاء عن حر
الشمس بدعوة موسى عليه السلام اذ شكوتم اليه فارسل غماما أبيض وهذا أعظم اذ كان حال
الغضب الموجب كونكم فى التيه (و) زدناكم انعاما فيه اذ (أنزلنا عليكم المن) الترنجبين
(و) قلتم لموسى قد قتلنا حلاوته فادع لنا ربك أن يطعمنا اللحم فأنزلنا عليكم (السلوى)
السمانى أو طائرا يشبهه ولم يكن معه كلفة ولا مؤنة شكر بل قلنا لكم (كلوا من طيبات
ما رزقناكم) فلا تدخروه ولا تستبدلوه فانه مناف للشكر (وما ظلمونا) بالكفران المنافى للشكر
وان كان مانعا من فيضنا الذى هو حقنا (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) بالكفران المانع من
الفيض عليهم الذى لا مؤنة معه ولا حساب ولا عذاب فعادتكم الكفران فلذلك كفرتم نعمة
بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ولم تأتوا بأعمال الشكر على دينه وان كانت أخف مما فى دينكم
ثم أشار الى انهم لم يشكروا نعم الاكل ولا تكلف فيها بترك الادخار والاستبدال أدنى وجوه الشكر
الذى كلفوا به من السجود وطلب المغفرة مرة مع ما وعدوا عليه من عموم المغفرة ومزيد
الثواب فقال (واذ قلنا ادخلوا هذه القرية) أريحا أو ايليا أو بيت المقدس (فكلوا منها) اى
من مطاعمها (حيث شئتم) اى من أى مكان وزمان شئتم (رغدا) اى أكلا واسعا (و) يكفيكم
من الشكر عليه أقل شئ (ادخلوا الباب سجدا) جمع ساجد (وقولوا) طلبا لعموم المغفرة
(حطة) اى حط عنا خطايانا (نغفر لكم خطاياكم) كلها (و) لا نقتصر عليه بل (سنزيد
المحسنين) ثوابا فوق ثواب غيرهم (فبدل الذين ظلموا) الاستغفار بالسخر كفرا اذ قالوا
(قولا غير الذى قيل لهم) لفظا ومعنى وهو حنطا سمقاثا أى حنطة حمراء (فأنزلنا على الذين
ظلموا) دون غيرهم (رجزا) ما يعاف منه والمراد الطاعون (من) أعظم الاماكن
(السماء بما كانوا يفسقون) أى يخرجون عن أمر الله خروجا فاحشا فهذه عادتهم
فى كفران نعم الله وتبديل أوامره لذلك كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وغيروا نعته

وان لم يكن من العرب
ورجل عربى منسوب الى
العرب وان لم يكن بدويا
وقال الفراء الاعجمى
منسوب الى نفسه من
العجمة كما قالوا للاحمر
أحمرى وكقوله وهو العجاج
شيخ كبير
أطربا وأنت قنسرى
والدهر بالانسان دوارى
انما هو دوار (الا بكة)
الغيضة وهى جماع من

ثم أشار الى أن النعم الالهية لو لم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة
فقال (واذا استسقى موسى) أى دعا بالسقى (لقومه) اذ عطشوا فى التيه (فقلنا اضرب
بعصاك الحجر) وكانا من الجنة حملهما آدم فتوارثهما الانبياء عليهم السلام حتى وصلا
الى شعيب فأعطاهما موسى عليه السلام وكان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل
كل عين فى جدول ولا يبعد من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقلبا لها بقوة تبريده بالماء
(فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) عدد قبائلهم (قد علم كل) قبيلة (أناس مشربهم)
المعين اذ لا يجتمعون على مشرب واحد فلم يجتمعوا فى حياة موسى الجامع لهم على مشرب
واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة فقيل لهم (كلوا) من المن والسلوى
(واشربوا) من المشارب حال كونهما (من رزق الله) فلا تستعينوا به على معصية الله بل
اجعلوه عونا على طاعته واستدلوا به على عنايته بكم (ولا تعثوا) أى لا تفسدوا افسادا اساريا
(فى الارض) حال كونكم (مفسدين) بالتفرقة فلا تزيدوا عليها فعلم أن نعم الله لم تزل فى حقهم
سببا لمزيد فسادهم لذلك زادوا افسادا بعد نعمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى أن النعم
المذكورة انما كانت فى حقهم أسباب الكفر أو التفرقة لكونها أمورا سماوية فشقت
عليهم لميلهم الى الامور الارضية فقال (واذ قلتم يا موسى) نادوه باسمه من قلة أدبهم (لن نصبر
على طعام واحد) وهو المن والسلوى لكونه سماويا (فادع لنا) أى للتيسير لنا (ربك يخرج
لنا) أى لاطعامنا (مما تنبت الارض) أى بعض نباتات الارض (من بقلها) المنتفع بنفسه
من غير انتظار شئ من حبوب أو ثمرة (وقثائها) الثمرة المنتفع بظاهرها (وفومها) أى حنطتها
الحبة المنتفع بلبها (وعدسها) الحبة المعينة فى أكل الخبز من الحنطة (وبصلها) المشابه
للاصول المعين فيه أيضا (قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير) أى أتطلبون أدنى
الاشياء قدرا ونفعا ولذة بدل أعلاها ولذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة وشريعتهم بهذه
الشريعة (اهبطوا مصرا) أى انزلوا بلدا (فان لكم) فيه (ما سألتم) من غير دعاء أحد ولا
يليق بى أن أدعو لتنزيلكم (و) لما مالوا الى الادنى (ضربت عليهم الذلة والمسكنة) أى
جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الاحاطة بهم فلا يكاد ترى يهوديا الا ذليلا ومسكينا فى
نفسه او فيما يظهره من حاله مخافة أن يستزاد فى الجزية وفيه اشارة الى أنهم ليس لهم اذلال
هذا الدين أصلا (و) ليس تذللهم ومسكنتهم محمودا يفيد رضا الله بل لذلك (باءوا) أى
رجعوا الى ذلة أنفسهم ملتبسين (بغضب) عظيم (من الله) بتسليط قهره ومنع لطفه ولذلك
سلط عليهم الكفر ومنعهم الايمان وليس بمجرد استبدالهم الطعام الممل لهم بل (ذلك بأنهم
كانوا يكفرون بآيات الله) التى من جملتها المن والسلوى (و) لكفرهم كانوا (يقتلون
النبيين) شعيبا وزكريا ويحيى وغيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه (بغير الحق) أى الموجب له

(أوزعنى) ألهمنى الشكر يقال فلان موزع بكذا ومولع به ومغرى به بمعنى واحد (أثاروا الارض) قلبوها للزراعة (أهون عليه) أى هين كما يقول فلان أوحد أى وحيد وانى لأوجل أى وجل وفيه قول آخر أى وهو أهون عليه عندكم أيها المخاطبون لان الاعادة عندهم أسهل من الابتداء

ثابت شرعا وكذلك بالآيات الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه وسلم ويريدون قتله (ذلك) الكفر والاجتراء على قتل الانبياء (بما عصوا) فان المعاصى تجر الى الكفر ولانهم أصروا على صغائر أو اكتسبوا كبائر على الندور (و) لكن لانهم (كانوا يعتدون) أى يتجاوزون الى الاصرار على الكبائر وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لاصرارهم على أخذ الرشوة ثم أشار الى أن الاصرار على الكبائر وان كان يجر الى الكفر فالايمان بالله واليوم الآخر يمحو كل ما مضى من ذلك والعمل الصالح يزيل الخوف والحزن فقال (ان الذين آمنوا) باللسان دون القلب وان خادعوا الله والمؤمنين (والذين هادوا) وان كثرت قبائحهم (والنصارى) وان قالوا بالهية المسيح (والصابئين) وان عبدوا الكواكب (من آمن) منهم مخلصا (بالله واليوم الآخر) الذى لا يتم الايمان بالله بدونه اذ به الايمان بدوام ربوبيته لهم وعموم قدرته وحكمته وعدله وأما الايمان بالكتب والرسل والملائكة فلازم للايمانين اذ لا يعرفان الا بهذه الامور فلم يصرح به لقوة دلالة الايمانين عليه (وعمل صالحا) ولا بد فيه من الاخذ بالناسخ وترك المنسوخ (فلهم أجرهم) الكامل الذى لو استمروا على الايمان والعمل الصالح من وقت مولودهم (عند ربهم) الذى يربى لهم ايمان أقل المدة وعمله فيبلغه مبلغ ما كان مدة العمر كله (ولا خوف عليهم) من تأثير الكفر السابق فى نقص الاجر لان العمل اللاحق جبر هذا الايمان (ولا هم يحزنون) لفوات العمل مدة الكفر لان هذا العمل استدرك ما فاته ثم أشار الى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال (واذ أخذنا ميثاقكم) أى عهدكم الوثيق بتحمل الاحكام الشاقة من التوراة فأبيتم فشددنا عليكم (ورفعنا فوقكم الطور) أى رفع جبريل بأمرنا جبلا قلعه على قدر عسكركم فوق رؤسكم قائلا (خذوا ما آتيناكم) من التكاليف التى هى بالحقيقة عطايا (بقوة) تتحملون بها مشاق اكتساب الدنيا ولذلك لا تجرون الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم الا بالقتل والاسر والاجلاء (و) لا تقتصروا على ظاهر العمل بل (اذكروا ما فيه) من الاسرار والفوائد (لعلكم تتقون) أى رجاء ان تبلغوا بذكرها رتبة المتقين (ثم توليتم) أى أعرضتم عن ظاهره وباطنه (من بعد ذلك) التشديد البليغ فلذلك تعرضون عن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم (فلولا فضل الله عليكم) بامهالكم (ورحمته) بتمكينكم من التوبة من غير قتل الانفس (لكنتم من الخاسرين) أى لمضى حكم خسرانكم فلم يقبل التبديل فلا تحققوا خسرانكم بالموت على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وكيف تستبعدون مضى حكم خسرانكم على ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم وقد خسر من أعرض عما هو أدنى منه بكثير (و) هو انه (لقد علمتم الذين اعتدوا) بالصيد (منكم فى السبت) الذى أمرتم فيه بالتجرد للعبادة وكانوا بأيلة قرب الساحل فاذا كان يوم السبت اجتمعت الحيتان مخرجة

وأما قوله الله أكبر فالمعنى الله أكبر من كل شئ (أنكر الاصوات) أقبح الاصوات وانما يكره رفع الاصوات فى الخصومة والباطل ورفع الصوت محمود فى مواطن منها الاذان والتلبية (ادعياءكم) من تبنيتموه (أقطارها) وأقتارها جوانبها الواحد قطر وقتر (أشحة) جمع شحيح أى بخيل (أوبى

خرطومها هنالك واذا مضى تفرقت فقال لهم الشيطان انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فعمد رجال الى حفر الحياض حول البحر وشرع الانهار منه اليها فاذا كان عشية الجمعة فتحوا الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى الحياض فاذا كان يوم الاحد أخذوها وهكذا أدت بهم الحال الى زمان ثم أخذوا يصطادونها يوم السبت واجترؤا عليه (فقلنا لهم) على لسان داود (كونوا قردة) سود الوجوه (خاسئين) أى مهانين ولذلك قلبت بواطن هؤلاء واسودت وجوهها وهانت على الله لاصطيادهم حيتان الرشا فى أيام المحاكمة (فجعلناها) أى تلك العقوبة (نكالا) أى عبرة (لما بين يديها وما خلفها) أى للقرى القريبة منها والبعيدة عنها (وموعظة للمتقين) الذين يسمعونها الى يوم القيامة فلو صح دعواهم التقوى لانفسهم لاعتبروا وغيروا بذلك حالهم فى ترك متابعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى أن اعراضهم عن أمر الله لم يتأخر الى عصر المعتدين فى السبت بل كان فى عصر موسى مرارا فى أمر واحد قصدوا ذلك وان فعلوه آخرا فقال (واذ قال موسى لقومه) حين قتل رجل منهم ابن عمه ثم أصبح يدعى على الناس بالقتل فجحدوا فسألوه أن يدعو الله ليبين لهم (ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة) تضربون ببعضها الميت فيحيا فيخبر عن قتله (قالوا) من سوء محاورتهم (أتتخذنا هزوا) اتجيب سؤالنا عن القاتل بذبح البقرة (قال أعوذ) أى امتنع (بالله) من (أن أكون من الجاهلين) بالجواب على خلاف السؤال وبالاستهزاء فى طلب القصاص فلما علموا انه عزم من الله وأرادوا التخلص باستيصافها بأوصاف لا توجد بقرة تتصف بها أصلا (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) أى ما حالها التى جعلت فيها هذه الخاصية تصير بها ماهيتها ممتازة عن ماهية سائر البقور (قال انه يقول) ليست هذه الخاصية فيها باعتبار خصوصية ماهية أو صفة سوى كمال السن (انها بقرة لا فارض) أى مسنة قطعت سنها (ولا بكر) فتية ولا تميل الى احدى الجانبين بل (عوان بين ذلك) أى متوسطة بين المذكور ولا تنظروا الى الخواص بل الى أمر من يوجدها ببعض مشيئته (فافعلوا ما تؤمرون قالوا) كما ان الكمال يكون بالسن يكون باللون (ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها) حتى نعلم انه كمال أم لا (قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها) أى شديد صفرتها وهو أكمل الالوان اذ به (تسر الناظرين) أى تعجبهم والسرور فى الاصل لذة فى القلب تحدث عند حصول نفع أو توقعه (قالوا) انه وان كان كمالا لكنه كمال مشترك فيه ولا يصلح مرجحا لايجاد هذه الخاصية (ادع لنا ربك يبين لنا ما هى) أى ماهيتها المشخصة التى رجحت به فيها ايجاد هذه الخاصة على الخصوص (ان البقر تشابه علينا) اذ ليس فى شئ مما ذكرت ما يرجح ايجادها فيه على الخصوص (وانا) اذا وجدنا ذلك المرجح (ان شاء الله لمهتدون) بالاطلاع على مبدأ هذه الخاصية ولمتابعتك (قال انه يقول) المرجح عزتها فى ذاتها وسلامتها عن العيوب (انها بقرة لا ذلول) أى غير مذللة (تثير الارض) أى

معه) سبحى معه والتأويب سير النهار كله فكان المعنى سبحى معه نهارك كله كالتأويب السائر نهاره كله وقيل أوبى سبحى بلسان الحبشة (أسلنا) أذبنا من قولك سال الشئ واسلته انا (أثل) شجر شبيه بالطرفاء الا انه أعظم منه (أسروا الندامة)

تقلبها

تقلبها للزراعة (ولا) عاملة (تسقى الحرث مسلمة) عن العيوب (لاشية فيها) لا يخالط لونها
بشئ من الالوان الاجنبية (قالوا الآن جئت بالحق) أى بالسبب الثابت لايجادهذه
الخاصية بحيث لانتردد فيه (فذبحوها) بعدما اشتروها بمل ء مسكها ذهبا (وما كادوا
يفعلون) لخوف الفضيحة فى ظهور القاتل واغلاء الثمن روى أن الشيخ الصالح كانت له عجلة
أتى بها غيضة وقال اللهم انى استودعكها لابنى حتى يكبر وكانت وحيدة بهذه الصفات
فساوموها اليتيم وكان يراجع أمه وتقول لاتبع حتى تراجعنى فلم يزالوا يساومونه ويراجعها
حتى اشتروها بالثمن المذكور وكانت البقرة يومئذ بثلاثة دنانير ثم أشار الى أن اعراضهم عما
ذكر انما كان آخرا واما أولا فقد كانوا مستبعدين أن يكون له وحى يطلعه على الغيب فقال (واذ
قتلتم نفسا فادارأتم) أى تدافعتم (فيها) لاستبعادكم أن يوحى الى موسى فى ذلك (والله مخرج)
عن قلوبكم (ما كنتم تكتمون) من أمر القاتل وانه لوسماه موسى لكذبوه (فقلنا) اذبحوا
بقرة و (اضربوه ببعضها) فان الله يحييه عنده لابه (كذلك يحيي الله الموتى) عند نفخ الصور
لابه ولا بسبب آخر يؤثر فى ذلك (ويريكم آياته) الدالة على قدرته على الاشياء بغير سبب مؤثر
(لعلكم تعقلون) كمال قدرته (ثم) انه يقدر على خلاف مقتضى السبب فانه (قست) أى
تصلبت (قلوبكم من بعد ذلك) الاحياء الدال على الاحياء الاخروى الموجب للخوف الملين
للقلوب لقبول الخيرات (فهى) فى الصلابة (كالحجارة) لا كالحديد الذى يلين بالنار اذلا تلين
بنار التخويف (أو) هى (أشد قسوة) من الحجارة فلا تصلح لان يكون مشبها بها كيف (وان
من الحجارة) كالجبال (لما يتفجر منه الانهار) بأن ينقلب بعض أجزائها هواء ثم يجذب
الهواء من الجوانب ويقلبها بقوة تبريدها ماء (وان منها لما يشقق) بمدافعة الماء من خلفه
(فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط) أى ينزل من الجبل (من خشية الله) أى من الريح
العاصفة الموجبة خشية الله بالقهر عندها وقلوبكم لاتذوب ولاتشقق لدخول
الوعظ فيها ولاتنزل عن كبرها وتعديها بالمصائب (وما الله بغافل عما تعملون) من ازدياد
التعدى والتكبر عند ازدياد الآيات والزواجر (أ) تعلمون هذه القساوة منهم وازدياد
التعدى والتكبر ومع ذلك ترونهم الدلائل وتزجرونهم بالمواعظ (فتطمعون أن يؤمنوا
لكم) أى لدلائلكم وزواجركم (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله) من التوراة يدل
على صدق نبيكم وصحة دينكم (ثم يحرفونه) بتغيير اللفظ أو بالتأويل الفاسد (من بعد
ما عقلوه) أى فهموه فهما ساعده عقلهم فأتوا بلفظ يغايره من كل وجه أو معنى ليس له أصل
(وهم يعلمون) ما فى تحريفه من شدة غضب الله تعالى ثم أشار الى أن هذا التحريف حيث
ظهر لنا على لسان بعضهم والا فهم مبالغون فى الكتمان ويشددون على من أظهر (و) ذلك
أن فريقا منهم (اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا) أى صدقنا نبيكم فى الباطن لانه مذكور
فى كتابنا لكن لانترك فى الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولا نترك التمسك
بالتوراة (واذا خلا بعضهم الى بعض) فاجتمع الكاتمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن

أظهروها ويقال لنموها
يعنى كتمها العظماء من
السفلة الذين أضلوهم
وأسر من الاضداد
(الاذقان) جمع ذقن وهو
مجمع اللحيين مفتوح اللام
وهما العظمان اللذان تنبت
عليهما اللحية (أغشيناهم
فهم لا يبصرون) جعلنا على
أبصارهم غشاوة أى غطاء

المؤمنين (قالوا) أي الكاتمون للمظهرين (أتحدثونهم) أي المؤمنين (بما فتح الله عليكم) من
خزائن علمه (ليحاجوكم به عند ربكم) أي ليغلبوكم بالحجة ويشهدوا عليكم عند ربكم
(أ) تلقنونهم الحجة عليكم (فلا تعقلون) فقال الله تعالى (أ) يزعمون انهم لو كتموا لم يكن لكم
حجة عليهم ولا لله (ولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) فله أن يحتج بنفسه ويظهرها
للمؤمنين ليحتجوا به عليهم ثم أشار الى أن تحريفهم لا يتم على المؤمنين بل على من كان منهم
أميا فقال (ومنهم أميون) أي باقون على ما ولدتهم أمهاتهم (لا يعلمون الكتاب الا أماني) أي
أحاديث قدرها المحرفون فى أنفسهم تقدير الامانى الكاذبة ولا يتخلصون بذلك عن الكفر
لانهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الجزم بقولهم (وان هم الا يظنون) أي ما يبلغ
اعتقادهم الا هذا الظن الراجح اذ يظنون انهم لا يجترؤن على تحريف كتاب الله
فيقلدونهم ويتركون الادلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين
(فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم) المحرفة (ثم يقولون هذا) هو النازل
(من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا) أي ليأخذوا من الاميين باعطاء المحرف لهم قليلا من
الرشا (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون) أي فلهم الويل الزائد على
عذاب الاميين من جهتين ليستافيهم من جهة كتابتهم للمحرف ومن جهة اكتساب الرشا
عليه ثم أشار الى انهم انما احتملوا الويل من الجهتين لاعتقادهم انه وان كثرت جهاتهم فلا
يعذبون الا قليلا (و) ذلك انهم (قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة) أربعين عدد أيام عبادة
العجل أو سبعة أيام لان مدة الدنيا بزعمهم سبعة آلاف سنة يعذبون يوما بكل ألف سنة (قل
أتخذتم عند الله عهدا) من كتابه بذلك (فلن يخلف الله عهده) ان كان لكم عند الله عهد
(أم) لم تتخذوه ولكن (تقولون على الله ما لا تعلمون) صدقه من الخبر المروى عن يعقوب
عليه السلام ان الله تعالى عهد اليه أن لا يعذب بنيه الا تحلة القسم فان صح عنه فالمراد أولاد
صلبه لا ذريته النازلة المشتملة على مؤمن وكافر قال عز وجل ليس كما يقولون (بلى من
كسب سيئة) ولو صغيرة من دون تحريف الكتاب وأخذ الرشوة (و) لكن استباحها حتى
(أحاطت به خطيئته) بأن صارت كفرا محبطا لاعماله وأنتم باعتقاد تقليل مدة العذاب فى
معنى المستبيحين وقد كفرتم بالدليل القاطع من هذا الكتاب (فأولئك أصحاب النار) أي
ملازموها (هم فيها خالدون) كيف وهم فى مقابلة المؤمنين الصالحين (والذين آمنوا وعملوا
الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) فكما يدوم جزاء أحد الفريقين يدوم جزاء
الآخر اذ لا يتم نظام العالم بينهم الا بوعد الثواب الدائم أو العقاب الدائم ولا يتم الا بالايفاء به
ثم أشار الى أن فى كتابكم ما يكاد ينفى كون العذاب أياما معدودة فانه أخذ فيه مواثيق
كثيرة يبعد أن يكون العذاب على نقض جميعها مدة يسيرة سيما اذا بولغ فى توثيقها سيما اذا
صار النقض عادة فقال (واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) على التوحيد فى العبادة فقلنا
بطريق الاخبار الذى يرى المؤمن الخلف فيه تكذيبا (لا تعبدون الا الله و) قلنا (بالوالدين

احسانا)

(اجداث) قبور واحدها
جدث (أسلما) استسلما
لامر الله (ألفوا) وجدوا
(الاحزاب) الذين تحزبوا
على أنبيائهم أي صاروا
فرقا (أواب) رجاع أي
تواب (أكفلنيها) ضمها
الى واجعلنى كافلها أي
الذى يضمها ويلزم نفسه
حياطتها والقيام بها

احسانا) بحذف العامل أي احسنوا وهو نوع من المجاز المفيد للمبالغة (وذي القربى
المشاركين لهما في القرابة (واليتامى) محل الشفقة للضعف (والمساكين) محلها للفقر
(وقولوا للناس حسنا) اكتفى في الاجانب بالاحسان القولي لانه لا يتيسر الفعلي في حق
العامة قدم حق الآدمي على حقه سوى التوحيد لانه أشد فالنقض فيه أصعب ثم قال
(وأقيموا الصلوة) العبادة الشاملة للقلب واللسان والجوارح (وآتوا الزكوة) المحسنة
للاخلاق (ثم توليتم) عن هذه المواثيق كلها (الا قليلا منكم) فكيف يكون العذاب على
نقض جميعها أياما معدودة كيف (وأنتم معرضون) أي عادتكم الاعراض ولو قالوا أكثر
هذه أمور هينة لا تقتضي طول مدة العذاب على نقضها أجيبوا بانكم تخلفون بمواثيق
لا يهون الامر فيها بل يقرب من التوحيد (و) ذلك (اذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم)
أي لا يريق بعضكم دم بعض فيه فيفضي الى اراقة دم نفسه قصاصا لها أو الى العذاب
الاخروي الذي هو أشد منه بكثير (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) أي لا يخرج بعضكم
بعضا من داره ولو باساءة جواره لانه يفضي الى اخراج المخرج من الجنة أوردهما بطريق
الخبر كالتوحيد فيما تقدم ليعلم انهما قريبان منه (ثم أقررتم) أي اعترفتم بالتزام هذين
الميثاقين (وأنتم تشهدون) به الآن أيضا وان نقضتموهما (ثم) بعد هذا الاقرار والشهادة
(أنتم هؤلاء) أي المشار اليهم بالقرب لدناءة حالكم تنقضون الميثاقين الواردين بطريق الخبر
فيشبه التكذيب اذ (تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم) ولا يختص ذلك
بالقاتل والمخرج بل يعم المظاهر وأنتم (تظاهرون عليهم) أي يعين بعضكم بعضا على
القتل والاخراج (بالاثم والعدوان) أي بما هو معصية في نفسه وتعد على أخيه وذلك أن
قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج فاذا اقتتلا عاون كل فريق حلفاءه في
القتل والاجلاء وقد أخذ عليكم الميثاق أيضا بأن كل أسير وجدتموه من بني اسرائيل
فاشتروه بما قام من ثمنه وأعتقوه فلم تنقضون هذا الميثاق (و) هو قوله (ان يأتوكم أسارى
تفادوهم) ولذلك لم يذكره في المواثيق المنقوضة أولا فقيل لهم كيف تقاتلونهم وتفدونهم
قالوا نفديهم لانا أمرنا بذلك ونقاتلهم حياء أن تذل حلفاؤنا فقيل (وهو) أي الشأن (محرم
عليكم اخراجهم) والقتل أولى والمعاونة على القتل قتل وعلى الاخراج اخراج (أ) تعملون
ببعض المواثيق وتنقضون البعض (فتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) أي
تفعلون فعله (فما جزاء من يفعل ذلك) سيما (منكم الا خزي) هو ذل يستحيي منه (في الحيوة
الدنيا) كقتل قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ونفيهم لاستهانتهم بمواثيق الله دون مواثيق
حلفائهم (ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب) لا الى عذاب هين مدة معلومة لكثرة
ما نقضوا من مواثيق الله المؤكدة مع كونها معظمة في نفسها حتى انه لو ترك هذه المبالغة في
شأنهم توهم فيه الغفلة (وما الله بغافل عما تعملون) وكيف لا يردون في الآخرة الى أشد
العذاب ولم يتركوا لانفسهم منها شيئا اذ (أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة) حيث

(أحببت حب الخير عن ذكر ربي) أي آثرت حب الخيل عن ذكر ربي وسميت الخيل الخير لما فيها من المنافع وفي الحديث الخير معقود بنواصي الخيل (الايد) القوة كقوله داود ذا الايد واما قوله تعالى أولي الايدي والابصار فالايدي من

آثر وا أمر حلفائهم على أمر الله فلم يتركوا شيأ من خير الآخرة (فلا يخفف عنهم العذاب)
لانه خير أخروى فلا يحصل لهم باختيار الهى (ولاهم ينصرون) بدفعه قهرا ثم أشار الى أنه
لوهان عليهم العذاب بالقتل والاخراج والمعاونة فكيف يهون على نقض ميثاق الايمان
بالرسل الذى هو بمنزلة التوحيد وعلى قتلهم فقال (ولقد آتينا موسى الكتاب) المشتمل على
المواثيق كلها وآكدها الايمان بالرسل الذين يأتون بعده (وقفينا من بعده بالرسل) فكذبتم
البعض وقتلتم البعض (و) ان زعمتم أنهم لم يكونوا أولى معجزات قاهرة فقد (آتينا عيسى بن
مريم البينات) القاهرة كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وهى كآيات موسى أو أجل
(و) زدناه المعجزات القولية اذ (أيدناه بروح القدس) بتغليب ملكيته على بشريته
(أ) نقضتم الميثاق فى حقهم بلا سبب سوى مخالفتهم أهويتكم (فكلما جاءكم رسول بما لا
تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم) كمحمد وعيسى (وفريقا تقتلون) كشعيا
وزكريا ويحيى عليهم السلام زيادة على التكذيب وانما قال تقتلون لانهم يجدون قصده
لو وجدوا الآن (وقالوا) فى الاعتذار انما فعلنا بهم ذلك لانه لم يظهر لنا صدقهم اذ (قلوبنا
غلف) أى كانها مغشاة بالغلاف قال الله تعالى ليس كذلك (بل) لانهم (لعنهم الله بكفرهم) فكان
كفرهم غلافا لهم أكده الله باللعن (فقليلا ما يؤمنون) حتى بموسى الذى زعموا الايمان به
وكيف يهون عذابهم على تكذيبهم هذا النبى لوهان على تكذيب من سبق وقد كملت
معرفتهم به وعنادهم معه وحسدهم عليه (و) ذلك انهم (لما جاءهم كتاب) علموا انه (من
عند الله) لاعجازه وقد تأكد بكونه منه أنه (مصدق لما معهم) من كتاب الله من غير أن يكون
للمنزل عليه به خبر قبل نزوله (وكانوا من قبل) معترفين نبوته وفضله على سائر الانبياء اذ كانوا
(يستفتحون) أى يطلبون النصر به (على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا) قبل مجيئه بما
ذكر فى كتابهم وبعده بمعجزاته سيما القولية المصدقة لما معهم (كفروا به) عنادا وحسدا
فكيف يخفف فى حقهم العذاب أو يجعل أياما معدودة (فلعنة الله على الكافرين) أى
كلهم سيما من كفر عنادا وحسدا فانهم (بئسما اشتروا به أنفسهم) وهو (أن يكفروا بما
أنزل الله) أى بئسما باعوا به حظ أنفسهم الاخروى اذ باعوه بالكفر بما أنزل الله لالريب
فيه بل (بغيا) أى عنادا مع الله كراهة (أن ينزل الله) من وحيه الذى هو (من فضله على من
يشاء من عباده) سيما من رآه اهلا له دونهم فعاندوا الله (فباؤا بغضب) عظيم من الله على
عنادهم معه وتحكمهم عليه (على غضب) على كفرهم بآياته ورسله ونقضهم مواثيقه
فكيف يكون عذابهم هينا وأياما معدودة كيف (و) قد أذلوا بالقتل والتكذيب من
أعزهم الله بالتصديق فلا جرم يكون (للكافرين عذاب مهين) لا يتبدل بالاعزاز بعد أيام
معدودة ولا بالتخفيف (و) يدل على أن كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم انما كان لحسدهم
على انزال الكتاب على غيرهم وهو أنهم (اذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله) أى بكل ما أنزله
(قالوا نؤمن بما أنزل علينا) احترازا عن المنزل على غيرهم كراهة انزال الله على الغير

يقال له يد فى
الاحسان
وقدم فى الخير
والابصار البصائر فى الدين
(اتراب) اقران اسنان
واحدها ترب (أشرقت
الارض) أى أضاءت (أمتنا
اثنتين وأحييتنا اثنتين)
مثل قوله تعالى وكنتم
أمواتا فأحياكم ثم يميتكم

وحسدا للمنزل عليه (ويكفرون بما وراءه) مع تحقق الموجب للايمان فيه (وهو) أنه (الحق) فى نفسه وكونه (مصدقا لما معهم) من الكتاب الذى يؤمنون به (قل) ان صح ايمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق الايمان بكل نبى فمالكم لا تؤمنون بالانبياء وان منعكم التمسك بالتوراة عن الايمان بنبى لنسخه بعض أحكامها (فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين) أى ان صح دعواكم فعلم أنكم لا تؤمنون بها أيضا ثم أشار الى أن كفرهم لم يتأخر الى عصر الانبياء الذين قتلوهم بل كفروا فى عصر موسى بما هو أشد منه (و) ذلك انه (لقد جاءكم موسى بالبينات) الدالة على تخصيص الله بالالهية والعبادة له (ثم اتخذتم العجل) الها معبودا (من بعده) أى من بعد تقررها عندكم (و) لا يبعد منكم اذ (أنتم ظالمون) أى عادتكم الظلم كقولكم سمعنا وعصينا حين رفع عليكم الطور (و) ذلك (اذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة) تتحملون بها المشاق (واسمعوا) كل ما نقول لكم لئلا يفوتكم شئ من ذلك (قالوا سمعنا وعصينا و) انما قالوا عصينا فى تلك الحالة لانهم (أشربوا) أى تداخلهم حب العجل تداخل الشراب فى اعماق البدن فاستقر (فى قلوبهم العجل بكفرهم قل) ان كان قولكم عصينا واشراب العجل صادرا عن أمر ايمانكم (بئس ما يأمركم به ايمانكم) من هذه القبائح وغيرها مما ذكرنا (ان كنتم مؤمنين) أى ان صدقتم فى دعوى الايمان بالتوراة (قل) ان كان كفركم بما وراء التوراة لزعمكم انه لم ينزل بعدها كتاب لكانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة و (ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله) سيما اذا كانت (خالصة) لا بمعنى اختصاصكم بارفع الدرجات منها بل (من دون الناس) أى مجاوزة عنهم لكان الموت أحب اليكم وان علمتم انه يحصل لكم بالحياة أعمال رافعة للدرجات الا انه يتأخر بها الوصول الى المحبوب وبالموت يحصل بسرعة والانقطاع عن المحبوب أشد ولان علم انه يحصل بعد مدة أكمل فلو تحقق عندكم (فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) فى هذه الدعوى وحصل لكم متمناكم لانه موعود به عند التمنى قال عليه السلام لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقى على وجه الارض يهودى (وان يتمنوه أبدا) أى ماداموا فى هذه الحياة لعلمهم انه يحصل به متمناهم واذا حصل جازاهم الله (بما قدمت أيديهم) أى كسبت أنفسهم أطلقت على العامل آلة أكثر الاعمال مجازا وهو من الاخبار بالغيب اذ لو تمنوه بالقلب لاظهروه باللسان دفعا للمقالة ولو أظهروه لاشتهر وكيف لا يجازيهم مع ظلمهم (والله عليم بالظالمين) فهم وان لم يتمنوه يميتهم الله ثم يجزيهم وأشار الى أن تمنى الموت لا يصير محبوبا لهم وان تركوا طبعهم فقال (ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة) أى نوع من الحياة وهى المتطاولة مع الرفاهية (و) زاد حرصهم على الكل حتى على من لا يعرف الآخرة (من الذين أشركوا) وقد بلغ من حرصهم أنه (يود أحدهم لو يعمر ألف سنة) وان علموا أنه لا يبقى للمسن شئ من القوى ولا ينتفع بعيشه لكنهم يتباعدون بذلك من العذاب (وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر) أى وما التعمير يبعده من العذاب وان بلغ أن يعمر مدة

ثم يحييكم فالموتة الاولى كونهم نطفا فى اصلاب آبائهم لان النطفة ميتة والحياة الاولى احياء الله تعالى اياهم من النطفة والموتة الثانية اماتة الله اياهم بعد الحياة والحياة الثانية احياء الله اياهم للبعث فهاتان موتتان وحياتان ويقال الموتة

الدنيا الانها وان طالت فهى قريبة وهو يزداد بالتأخر معصية فلا يعد تبعيدا وانما المبعد الحقيقى ما يبعده تحقيقا (والله بصير بما يعملون) فلا يخفف عنهم بل يزيدهم بزيادتهم اعمالهم ولو قالوا لا نكفر بما وراء التوراة لانه نزل على غيرنا بل لانه نزل به عدونا وهو جبريل كما قالوا لعمر رضى الله عنه حين دخل مدارسهم فقالوا اما صاحب محمد الذى يأتيه بالوحى فقال جبريل فقالوا ذلك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل عذاب وخسف (قل) ان جبريل لا يعاديكم بل تعادونه لانه أنزل القرآن على غيركم (من كان عدوا لجبريل) لذلك فلا وجه لعداوته (فانه نزله على قلبك باذن الله) لا باستقلال من نفسه لانه رسول الله فلا يفعل الا ما يأمره واظهاره أسرار اليهود بأمر الله أيضا لا بعداوته على أنه لو كان عدوا فلا وجه لترك الايمان بالمنزل لكونه (مصدقا لما بين يديه) فرده رد لما بين يديه (وهدى) أكمل من هداه (و) لكنهم ردوه لكونه (بشرى للمؤمنين) ولو آمنوا لدخلوا فى تلك البشرى أيضا فلا وجه لعداوته على أنها عداوة لله أن ينزل من فضله على غيرهم (من كان عدوا لله) لانزاله فضله على من يشاء أو لامر آخر (وملائكته) الذين ليسوا برسل (ورسله) الذين ليسوا بملائكة فانه أيضا من عداوته لان عداوة المحبوب عداوة المحب (وجبريل وميكال) الجامعين بين الملكية والرسالة فانه أولى بأن تكون عداوتهما عداوة الله فمن عادى الله بذاته وعادى هؤلاء من خواص أحبابه فعداوة الله منعكسة عليه (فان الله عدو للكافرين) بوجه من الوجوه فكيف لا يعادى من جمع هذه الوجوه كلها (و) عداوة جبريل لانزال القرآن على غيرهم عين عداوتنا لانا منزلون بالحقيقة (لقد أنزلنا اليك آيات) أى معجزات لا قدرة لغيرنا عليها وليست للاضلال لكونها (بينات) أى واضحة الهداية لموافقتها كتب الاوائل والعقل (وما يكفر بها الا الفاسقون) أى الخارجون عن مقتضى العقل والنقل (أ) ينكرون فسقهم (وكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) عهد بنو قريظة والنضير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوه ولم يفسقوا بمجرد نقض العهد (بل) بكفرهم أيضا اذ (أكثرهم لا يؤمنون) بكتابهم أيضا فى الحقيقة (و) يدل عليه أنه (لما جاءهم رسول) علموا مجيئه (من عند الله) بمعجزاته مع أنه (مصدق لما معهم) ومقتضاه أن يزدادوا ايمانا بكتابهم ويؤمنوا به وهم قد عكسوا الامر اذ (نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله) الذى يعترفون بحقيته كأنهم جعلوه (وراء ظهورهم) لا يلتفتون حتى صاروا (كأنهم لا يعلمون) فاختاروا الجهل المطلق على علم الكتاب الالهى (و) لم يقتصروا على ذلك التبديل (اتبعوا ما تتلوا الشياطين) أى كتب السحر التى تتلوها شياطين الانس والجن يفترون (على ملك سليمان) أنه حصل له بهذا العلم فسخر به الانس والجن والريح فكذبهم الله عز وجل بأن أكثر أعماله كفر (وما كفر سليمان) قط لاعترافكم بنبوته ووجوب عصمة الانبياء عن الكفر (ولكن الشياطين) من بطلانهم فى أنفسهم (كفروا) أى مضوا على كفرهم بحيث يعتقدون تأثير الاسباب وزاد كفرهم

الاولى التى تقع بهم فى الدنيا والحياة الاولى بعد الحياة احياء الله تعالى اياهم فى القبر لمساءلة منكر ونكير والموتة الثانية اماتة الله تعالى اياهم بعد المساءلة والحياة الثانية احياء الله تعالى اياهم للبعث (أسباب السموات) أبوابها (أقوات) أرزاق بقدر ما يحتاج اليه

بانهم

بأنهم (يعلمون الناس السحر) باستعمال أعماله (و) مااقتصروا على سحر الشياطين
الذى خالط فيه الكفر وغيره بل اتبعوا أيضا ماهو محض الكفر (ما أنزل على الملكين)
النازلين (ببابل) من أرض الكوفة يسميان (هاروت وماروت) ابتلاء من الله للناس بتعليم
السحر ليميزوا بينه وبين المعجزة (و) مايقصدان بذلك اضلال الناس وتكفيرهم بل (مايعلمان
من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة) أى ابتلاء من الله (فلا تكفر) باعتقاد تأثير الكواكب
أو الشياطين أو بعبادتهم ولا كفر فى تعليم مايؤدى الى الكفر ولا فى تعلمه كان يقول المعلم
اذا عبد الكوكب الفلانى أو الشيطان الفلانى حصل كذا فيتعلمه وانما يكفر من
عبدهما أو اعتقد تأثيرهما (فيتعلمون منهما) ماغايته اضرار الناس اذ من جملته علم
(مايفرقون به بين المرء وزوجه) مما يفضى الى قطع النسب الموجب تخريب العالم وأشار الى
أن من الكفر فى السحر اعتقاد الضرر بدون اذن الله فقال (وماهم بضارين به من أحد
الا باذن الله و) لولم يكن فيه كفر ولا فى العمل به ولا فى اعتقاد تأثير الكواكب أو الشياطين
لكان حق العاقل أن يتعوذ منه اذ (يتعلمون مايضرهم ولا ينفعهم) لا كالفلسفة التى تضر
تارة وتنفع أخرى (و) ليس اختيارهم اياه من جهلهم بضرره فوالله (لقد علموا لمن اشتراه)
أى أخذ السحر بدل كتاب الله فآثره عليه (ماله فى الآخرة من خلاق) أى نصيب (و) لا يقتصر
فى حقه على قطع النصيب بل (لبئس ماشروا به أنفسهم) أى بئسما باعوا به حظهم الاخروى
حتى كأنهم أتلفوا انفوسهم (لو كانوا يعلمون) أن لهم بدل السعادة الابدية الشقاوة الابدية
لكنهم يزعمون أنه ينقطع عذابهم تمسكا بعفترأهم أنهم ان تمسهم النار الا أياما معدودة
(ولو أنهم آمنوا) بكتابهم وبما أمروا بالايمان به مما نزل بعده (واتقوا) عن متابعة المنسوخ
بعد نزول الناسخ ومتابعة كتب السحر (لمثوبة) ما (من عند الله خير) من الدنيا ومافيها
فضلا عن رشاهم ومايحصل لهم من السحر لكنهم انما يعلمون ذلك (لو كانوا يعلمون) الحقائق
أن المثوبة خير من الرشا وغيره ولكنهم يؤثرون السعادة الدنيوية على الاخروية ثم أشار الى
أنهم اعتادوا التلبيس فى كلامهم وهو مما يشبه السحر فهم جامعون بين السحر ومايشبهه
اذ يقولون راعنا يوهمون أنهم يطلقونه بمعنى راقبنا اطلاق المؤمنين ويقصدون معنى
الاحمق اسم فاعل من الرعونة على أنه منادى نكرة فقال (يا أيها الذين آمنوا لاتقولوا راعنا)
وان لم تقصدوا به المعنى الباطل اذ يصير ذريعة للمبطلين وكما أن الايمان يقتضى ترك السحر
يقتضى ترك التلبيس وان لم يقصده المؤمن (وقولوا) بدله (انظرنا) اذا خاطبكم الرسول
لتفهموا كلامه (واسمعوا) سماعا لاتحتاجون معه الى شئ من القولين (وللكافرين) الذين
آذوه بهذا التلبيس (عذاب أليم) أشد ايذاء لهم من هذه المخاطبة ثم أشار الى أن أهل الكتاب
انما يخاطبونكم بذلك ليوهموا الناس حماقتكم المنافية للانزال عليكم لانه (مايود الذين
كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم) فاذا عجزوا
عن منع الله عن الانزال قصدوا هذا الايهام ولا يتم لهم الا بمنع الانزال (و) لكن لايتأتى لهم

واحدها قوت (أرداكم)
أهلككم (أكمامها)
أوعيتها التى كانت فيها
مستترة قبل تفطرها
واحدها كم وقوله تعالى
والنخل ذات الاكمام أى
الكفرى قبل أن تتفتق
(آذناك) أعلمناك (أكواب)
أباريق لا عرا لها ولا
خراطيم واحدها كوب
(آسفونا) أغضبونا

المنع اد (الله يختص برحمته من يشاء) بل ربما يرحم غيرهم بأكمل مما رحمهم كيف (والله ذو الفضل العظيم) ومن الفضل العظيم النسخ وهو بيان انتهاء التعبد بالقراءة أو الحكم أو كليهما فانا (ما ننسخ من آية أو ننسها) أى نؤخرها ونبعدها عن الذهن فلا يسبق اليه لفظها ولا معناها (نأت بخير منها) أى أسهل فى العمل أو أوفق لمصلحة الفاعل او العصر أو أكثر فى الاجر (أو مثلها) أن يكون المتأخر فى عصره مثل المتقدم فى عصره فى الامور المذكورة واذا فعلنا ذلك بآيات الكتاب المعجزة لا يبعد أن نفعل مثله بغيره ولم يتم فضل الناسخ أو مثليته لغيرهم لا ينقادون له اذ لابد افيه بل التخفيف أو رعاية المصالح أو اعطاء الفاضل للفاضل ولا يبعد من الله (ألم تعلم أن الله على كل شئ قدير) فيقدر على التخفيف ورعاية المصالح واعطاء كل ذى حق حقه ولا يبعد منه تفضيل الامم بعضها على بعض (ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) فكما فضل السموات على الارض فضل بعض عباده على بعض وبعض أحكامه على بعض (و) ان لم ينقادوا الله فى تفضيله (ما لكم من دون الله من ولى) يجرى أموركم على أكمل مما يعطيكم وأصلح (ولا نصير) يدفع عنكم النقائص والمفاسد أتستقرون على حكم الله فى كل عصر (أم) لا بل (تريدون أن تسئلوا رسولكم) بتبديل حكم الله (كما سئل موسى من قبل) فى أمر البقرة المطلقة أن يبدلها بالمقيدة بالقيود الصعبة وفيه رد على اليهود بأنه لا نسخ فى حكم الله على أن هؤلاء يرون تبديل الناسخ بالمنسوخ كفرا (ومن يتبدل الكفر بالايمان) فانه وان ظن أنه اهتدى (فقد ضل سواء السبيل) اذ لم يبق هدى بعد النسخ ثم ان أهل الكتاب يعلمون بوقوع النسخ فى دينهم فى أمر البقرة وأن شبهتهم واهية ولكن (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم) بالقاء الشبه (من بعد ايمانكم كفارا) كما كفروا (حسدا) لا موجب له من قبلكم بل (من عند أنفسهم) ولا بقاء شبهة عندهم بل (من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا) أى تجاوزوا عن الالتفات الى قولهم وشبههم (واصفحوا) أى أعرضوا عن قتالهم (حتى يأتى الله بأمره) بالقتال ولم يؤخره لعجزه (ان الله على كل شئ قدير) لكن لحكمة لئلا يقال اذا غلب عن قلة واستمر عليه أنه انما يغلب بقوة سحره (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) ليكون جهادا على أنفسكم بدل الجهاد عليهم واجعلوهما على وفق الناسخ الخير دون المنسوخ (وما تقدموا لانفسكم من خير) وان خالف المنسوخ (تجدوه عند الله) وهو أن منعه المتعبد بالمنسوخ (ان الله بما تعملون بصير) فيقبل من عمل بالناسخ ويرد من عمل بالمنسوخ على عكس ما عنده لعدم ابصاره ثم قال (و) هذا القول منهم كما (قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى) أى قالت اليهود لا يدخل الجنة الا يهودى وقالت النصارى لا يدخلها الا نصرانى قال عز وجل (تلك أمانيهم) أى اراداتهم التى يتمنونها على الله (قل هاتوا برهانكم) عليه من نص أو عقل (ان كنتم صادقين) فى هذا القول (بلى) لا نص عليه ولا عقل بل على أن (من أسلم وجهه لله) أى جعله منقادا لآياته وأحكامه فى كل عصر (وهو محسن) للنظر فيها وللعمل بمقتضاها (فله أجره

(أبرموا امرا) أحكموا أمرا (فأنا أول العابدين) معناه ان كنتم تزعمون ان للرحمن ولدا فأنا أول من يعبده على أنه واحد لا ولد له ويقال فأنا أول الآنفين والجاحدين لما قلتم (أثرة) وأثارة من علم أى بقية من علم يؤثر عن الاولين أى يسند اليهم

عند ربه) وان لم يكن عندهؤلاء (ولا خوف عليهم) من قول هؤلاء (ولاهم يحزنون) من
التردد من قولهم (و) كيف لا يطلب البرهان منهم وقد ضلل كل فرقة صاحبتها اذ (قالت
اليهود ليست النصارى على شئ) من الدين والهداية بل على محض الضلال فى الاعتقاد والعمل
(وقالت النصارى ليست اليهود على شئ و) لا ترجيح لفرقة باختصاصها بالعلم اذ (هم) بأجمعهم
(يتلون الكتاب) وترجيح عالم على آخر انما يكون بالدليل ولا دليل لهم بل (كذلك قال
الذين لا يعلمون) من قبلهم من جهال الامم فلو جاز تقليد احدهم لجاز تقليد احد القدماء
لانهم انما قالوا (مثل قولهم) بلا فرق فان أصروا على قولهم بلا دليل ولم يبالوا بالدليل
على خلافه (فالله يحكم بينهم يوم القيامة) بما يجازيهم (فيما كانوا فيه يختلفون) اذ يجازى
كلا على وفق اعتقاده وعمله وكيف يؤخذ بقولهم وهم بمنع الفسخ أظلم الناس (ومن أظلم ممن
منع مساجد الله) أن يصلى فيها بمقتضى الناسخ ليتضمن ذكر الله بجميع الاجزاء من القلب
واللسان والجوارح فكأنه منع (أن يذكر فيها اسمه و) اذا منع لم يهتم لعمارتها فكأنما (سعى
فى خرابها) لكنه انما يتأتى لو سلطوا عليها والله تعالى لا يسلطهم بل (أولئك ما كان لهم أن
يدخلوها الا خائفين) من المؤمنين اذ ليس لهم بعد الاسلام دخولها الا باذن المؤمنين بل
(لهم فى الدنيا خزى) قتل وأسر وجزية لاهانتهم الناسخ الفاضل (ولهم فى الآخرة عذاب
عظيم) لمنع الله اعطاء الثواب على العمل بالناسخ ثم أشار الى أنهم وان منعوا عن الصلاة فى
المسجد الحرام والاقصى فقد جعل الله لكم الارض كلها مسجدا فقال (ولله المشرق
والمغرب) أى الارض كلها (فأينما تولوا) أى وليتم وجوهكم شطر القبلة (فثم وجه الله) أى
الجهة التى أمر بها للقربة اليها فى الصلاة وانما جعل جميع الارض مسجدا لكم لسعة رحمته
بكم وعلمه بمصالح الحكم (ان الله واسع عليم) ولعلمه بمصالح الحكم لا يمنع اعطاء الثواب على العمل
بالناسخ ثم العمل بالمنسوخ اما عن قول محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرضونه أو عن قولهم
(و) لا اعتماد عليهم اذ صاروا مشركين كيف اذ (قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه) من أن يجانس
شيأ والولد من جنس الوالد أبدا فلو فرض له مجانس فليس مما فى السموات والارض (بل له
ما فى السموات والارض) ملكا على أن ولده يجب أن يكون خارجا عن العبودية وهؤلاء
(كل له قانتون) ولا متشبث لهم فى ولادة عيسى بلا أب ولا فى علم عزير بالتوراة بلا تعلم اذ هو
(بديع السموات والارض) فلا يبعد أن يوجد بلا أب أو يعلم بلا واسطة بشر كما انه لا يحتاج
فى ايجاد الاشياء الى مادة ومدة بل (واذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون) والولد من
الحوادث المقتضية فجعل بعض ما حصل بالامر ولدا دون البعض تحكم محض (وقال الذين
لا يعلمون) لما رأوا بعض الانبياء أتى بحكم وآخر بخلافه ولكل آية تصدقه (لولا يكلمنا الله)
بأن الحق ما أتى به فلان (أو) لولا (تأتينا آية) ملجئة بأن الحق حكم فلان ومنشأ هذا جهلهم
بأنهم لم يبلغوا رتبة المكالمة مع الله لاختصاصها بالملائكة والانبياء عليهم السلام ويجوز
تعدد أحكام الله بحسب الاشخاص أو الازمنة فبقى الاشتباه على هؤلاء مع كونهم من أهل

(آنفا) أى الساعة من قولك
استأنفت الشئ اذا ابتدأته
وقوله تعالى ماذا قال آنفا
أى الساعة أى فى أول
وقت يقرب منا (أحقاف)
رمال مشرفة معوجة
واحدها حقف (أضل
أعمالهم) أبطل أعمالهم
(أثخنتموهم) أكثرتم

الكتاب كما بقي على المشركين من قبلهم فكما قال هؤلاء (كذلك قال الذين من قبلهم) بلا
تفاوت بل (مثل قولهم) وان كان هؤلاء من أهل العلم دون من قبلهم لكن (تشابهت
قلوبهم) بالكفر فصار وامثالهم في الجهل فأنكروا الآيات الدالة على حقية كل من الناسخ
والمنسوخ في عصره ولكنه (قد بينا الآيات) الرافعة لشبهة امتناع تعدد حكم الله بحسب
الاشخاص والازمنة بتعدد المصالح (لقوم يوقنون) ثم انهم يريدون في الآيات البلوغ الى
حد الالجاء وليست بشرط بل يكفي البلوغ الى صلاحية الانذار والتبشير وقد وجد ذلك
في آيات محمد صلى الله عليه وسلم كما قال (انا أرسلناك بالحق) أي بالدلائل الثابتة التي لا تتزلزل
بشبهة (بشيرا ونذيرا) ولا يضر في صحتها انكار هؤلاء اياها لانه عن عناد لانهم اختاروا لانفسهم
الجحيم (ولا تسئل عن) انكار المعاندين (أصحاب الجحيم) ولو قيل ان صلحت آياتك للتبشير والانذار
فلم لا يقبلها أهل العلم وان عاند فيها الجهال لكن اليهود والنصارى لا يقبلونها فقال (وان ترضى
عنك اليهود ولا النصارى) فيقبلوا آياتك لانهم لاشتهارهم بالعلم يريدون أن يكونوا متبوعين
على الاطلاق فلا يرضون عنك وان بلغت ما بلغت (حتى تتبع ملتهم قل) لا يتبع رسول
الا الهدى و(ان هدى الله) في كل عصر (هو الهدى) الذي جاء به رسول ذلك العصر وغيره
وان كان قبل النسخ هدى فانه يصير بعده هوى (ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من
العلم) القطعي بأن هدى هذا العصر ما جئت به لا غير (مالك من الله من ولي) يقويك (ولا نصير)
يدفع عنك العذاب حتى موسى وعيسى باتباع ملتهما على أن أهل الكتاب قسمان قسم هم
(الذين آتيناهم الكتاب) بالحقيقة وهم الذين (يتلونه حق تلاوته) من غير تحريف لفظا أو
معنى (أولئك يؤمنون به) اى بمحمد صلى الله عليه وسلم لعلمهم بكمال آياته وصلوحها للتبشير
والانذار (ومن يكفر به) وهو القسم الآخر (فأولئك هم الخاسرون) للايمان بمحمد
وبكتابه جميعا وللآخرة وبكل فضيلة حصلوها وان حصلوا الرشا ضيعوها مع سائر أموالهم
وديارهم (يا بني اسرائيل) الزاعمين استحقاق مطلق المتبوعية حتى لأكمل الرسل صلى الله عليه
وسلم (اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم) حتى ادعيتم هذا الاستحقاق من ذلك (و) من (أني
فضلتكم على العالمين) اى على عالمي زمانكم فليس مقتضى تلك النعمة وذلك التفضيل أن
تتكبروا على آياتي ورسلي وتكفروا بي بالكفر بهما (واتقوا) في ذلك (يوما لا تجزي نفس)
فضلتم من نسبتكم اليها (عن نفس) تبعتها اذا تكبرت على آياتي فكفرت بها وبرسلي (شيأ ولا
يقبل منها عدل) اى فدية لو فادوكم باعمالهم الصالحة أو بأنفسهم (ولا تنفعها شفاعة) منها وان
نفعت في حق الاجانب (ولا هم ينصرون) بدفع العذاب قهرا من قوة نسبتهم اليها أو غيرها
(و) كيف تستحقون متبوعية أكمل الرسل صلوات الله عليهم أجمعين وليس فيكم من يستحق
متبوعية العوام لظلمكم فاذكروا (اذ ابتلى ابراهيم) اى كلفه (ربه بكلمات) اى بمحن النار
والهجرة وذبح الولد والختان أو الشمس والقمر والكواكب أو عشر في براءة التائبون
العابدون الآية وعشر في المؤمنين قد أفلح المؤمنون الآيات وعشر في الاحزاب ان المسلمين

والمسلمات

فيهم القتل (آسن) وأسن
متغير الريح والطعم
(أشراطها) علاماتها
ويقال أشرط نفسه للأمر
اذا جعل نفسه علما فيه
ولهذا يسمى أصحاب الشرط
لجعلهم لباسا يكون علامة
لهم والشرط في البيع
علامة للمتبايعين (أولى
لهم) وأولى لك فأولى لهم

والمسلمات الآية وقيل خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وخمس فى البدن قلم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء (فاتمهن) اى فاحسن الصبر أو النظر أو العمل (قال انى جاعلك للناس اماما) اى قدوة لمن بعدك فى هذه الكلمات وغيرها (قال و) اجعل (من ذريتى) اماما فى كل عصر (قال) فى بعض الاعصار لا يبقى منهم الا ظالم و (لا ينال عهدى) بالامامة (الظالمين) وقد تحقق ظلمكم بتحريف التوراة وقتل الانبياء واتخاذ العجل وغير ذلك (و) ان قالوا الا نريد المتبوعية لكن أحكام الله لا تتعدد فلا بد من الرجوع الى أحكام التوراة أجيبوا بأن التوراة قد نسخت أحكام ملة ابراهيم فلم لا يكون لمن بعدها نسخ أحكامها فاذكروا (اذ جعلنا البيت) اى الكعبة (مثابة للناس) اى موضع ثواب لهم بالحج فى دين ابراهيم ثم نسخ فى دينكم (و) جعلناه لذلك (أمنا) لئلا يؤذى فيه الحجاج (و) جعلناه فى دينه قبلة اذ قلنا (اتخذوا من مقام ابراهيم) وهو الحجر الذى فيه أثر أصابع رجليه (مصلى) وليس بقبلة فى دينكم (وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل أن طهرا بيتى) من الانجاس (للطائفين) اى الدائرين حوله وليس فى دينكم (والعاكفين والركع) ولا ركوع فى دينكم (السجود) فقد نسختم من دينه ودين أولاده هذه الامور (و) كيف لا يكون محل الحج فى عهد ابراهيم وأولاده وقد دعا بذلك ابراهيم فاذكروا (اذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا) أى ذا أمن لئلا ينقطع عنه الحجاج (وارزق أهله من الثمرات) لئلا يضطروا الى نهب الحجاج وخص بدعاء الرزق (من آمن منهم بالله واليوم الآخر) لئلا يعمره الكفار فيضعوا فيه أو حوله الاحجار (قال) لا أميز بين الفريقين بما يكون ملجئا الى الايمان بل أرزق المؤمنين (ومن كفر) لكن من كفر (فامتعه) بالامن والثمرات (قليلا) أى أيام حياته (ثم اضطره الى عذاب النار و) لا أخفف عنه بتعميره بل يكون (بئس المصير) مصيره لانه ألحد فى بيتى فأضاعف عذابه (و) كيف تنكرون كونه محل الحج والقبلة وقد دعا بذلك ابراهيم ايماء تارة وتصريحا أخرى فاذكروا (اذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل) أى يرفعان أساسه بما يرفعه قائلين (ربنا تقبل منا) هذا البناء الذى بنيناه للحج والتوجه اليه فى الصلاة (انك أنت السميع) لدعائنا (العليم) بنياتنا فهذا ايماء وأصرح منه قوله (ربنا واجعلنا مسلمين لك) بأن نقصد بالحج والتوجه اليه عبادتك لا عبادته (و) اجعل (من ذريتنا أمة مسلمة لك و) أصرح من ذلك قوله (أرنا مناسكنا) أى متعبداتنا فى الحج بأسرارها (وتب علينا) فيما سهونا من المناسك وأسرارها (انك أنت التواب الرحيم) وكيف تنكرون بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ناسخا لما نسختم من ملته وقد قال ابراهيم (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم) وليس فيهم غير محمد صلى الله عليه وسلم (يتلوا عليهم آياتك) الدالة على تعظيمك وتعظيم رسولك وبيتك (ويعلمهم الكتاب) أى علم الظاهر لئلا يضلوا بالباطن لو تجرد (والحكمة) أى الباطن المطلع لهم على أسرار الحج والتوجه اليه فى الصلاة (ويزكيهم) عن سوء الاعتقاد فيما بعد من أفعاله عن العقل وعن الالتباس بأفعال الكفرة فانه قد كثر فيه ذلك (انك أنت

تهديد ووعيد أى قد وليك شرفا حذره (أملى لهم) أطال لهم المدة مأخوذة من الملاوة والملاوة وهو الحين أى تركهم حينا ومنه قولهم تمليت حينا أى عشت معه حينا (أضغانكم) أحقادكم واحدها ضغن وحقد وهو ما فى القلب مستكن

العزيز) أى الغالب بتيسير هذه الاسرار (الحكيم) فى تخصيص اظهارها بمن يستحقه
فيكفى فى محمد صلى الله عليه وسلم هذا المقدار فلا يحتاج معه الى تعيين اسمه وهيئته وزمانه
ثم أشار الى أن محمدا عليه السلام لما كان مبينا لآيات البيت وأسرار المناسك كانت ملته ملة
ابراهيم وانما نسخت فى حق اليهود لقصورهم لانهم أهل الظاهر المحض فلما جاء أهل الكمال
الجامعون بين الظاهر والباطن عاد ذلك المنسوخ فالميل عنه ميل عن الكمال الذى فى ملة
ابراهيم. (ومن يرغب عن ملة ابراهيم) بعد حصول الاستعداد لها (الا من سفه نفسه) أى
جهل كمال استعدادها المقتضى للتعبد بأكمل الملل وهى ملة ابراهيم كيف (ولقد اصطفيناه
فى الدنيا) بالرسالة والنبوة والولاية والامامة وتكثير الانبياء من نسله واعطاء الخلة واظهار
المناسك وأسرارها عليه وجعل بيته أمنا ذا آيات بينات الى يوم القيامة (وانه فى الآخرة)
وان انقطعت نبوته ورسالته وامامته (لمن الصالحين) بولايته الخاصة التى هى أفضل من
النبوة والرسالة وان كانا أفضل من ولاية من محض وليا وقد حصلت له هذه الكمالات بمجرد
اسلامه (اذ قال له ربه) بالوحى الظاهر أو الخفى (أسلم قال أسلمت لرب العالمين) فأسلم بجميع
أسمائه وأحكامه فى كل عصر لجذبه ربه بجمعها اليه وبقى أثره فى أولاده الى أن كمل مع
كمالات أخر فى محمد صلى الله عليه وسلم (و) ذلك لانه (وصى بها ابراهيم بنيه) اسمعيل واسحق
ومدين ومدان وقيل ثمانية وقيل أربعة وعشرون والتوصية التقدم الى الغير بقول فيه
صلاح وقربة (و) وصى بها (يعقوب) ابن ابنه بنيه أيضا روبيل وشمعون ويهوذا وسوز
وخورمولون ودوان ونفتونى وكداد وأوشير وبنيامين ويوسف قائلين (يا بنى ان الله
اصطفى لكم الدين) أى الاسلام الذى لا يسمى غيره معه دينا ولا يقبل اعتقادا وعملا يخالفه
(فلا تموتن) أى لا تكونن قبيل الموت على حالة وان فنيتم فى الله أو بقيتم به (الا وأنتم مسلمون)
لا تدعون الالهية لانفسكم ولا تعتقدونها للمخلوق باعتبار الذات أو باعتبار صفات الكمال
أو استحقاق العبادة له ولم يوص فى التزام أحكام اليهودية أو النصرانية أو أحكام ملته بل
تركها الى الانقياد لرسول كل زمان على أنه لم يوص هو ولا يعقوب بعبادة عزير وعيسى
أكنتم غائبين غيبة مطلقة بأن لم يصل اليكم قصة وصية يعقوب بنيه (أم كنتم شهداء) أى
حاضرين اذ بين لكم فى كتابكم قصة وصيته (اذ حضر يعقوب الموت) فوصى بنيه بعبادة الله
وترك عبادة الغير (اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك) أى اسلافك
لا من أشرك منهم بل (ابراهيم واسمعيل واسحق) ولما أوهم تكرير الاضافة التعدد أزالوه
فقالوا (الها واحدا) لم يتقيدوا بملة نبى دون آخر بل قالوا (ونحن له مسلمون) أى منقادون
لاحكامه فى كل عصر يأتى بها رسول ذلك العصر وأنتم يا أهل الكتاب وان كنتم من أولادهم
فليس فيكم من ذلك شئ فكأنها فى حقكم (تلك أمة) أى جماعة (قد خلت) أى مضت مع
وصاياها وآثارها فى حقكم (لها ما كسبت) من الاعتقادات والاعمال والاخلاق (ولكم
ما كسبتم) مما لم ترثوا منهم (و) لا ينفعكم انتسابكم اليهم اذ (لا تسئلون عما كانوا يعملون)

من العداوة (أنابهم) جازاهم (آزره) اعانه (ألقى
السمع وهو شهيد) استمع
كتاب الله وهو شاهد القلب
والفهم ليس بغافل
ولا ساه (ألقيا فى جهنم)
قيل الخطاب لمالك وحده
والعرب تأمر الواحد
والجمع كما تأمر الاثنين
وذلك أن الرجل أدنى

قوله روبيل الخ سقط من
هذا العد لاوى وبه تتم
الاثنا عشر وقد وقع
فى كتب التفسير
والتاريخ اضطراب شديد
فى ضبط تلك الاسماء والذى
ذكره بعض المؤرخين مانصه
وأما أسماء آباء الاسباط
الاثنى عشر أولاد يعقوب
فهم روبيل ثم شمعون
ثم لاوى ثم يهوذا ثم يساخر
بكسر الياء المثناة التحتية
وتشديد السين المهملة
وفتح الخاء المعجمة ثم زبولون
ثم يوسف ثم بنيامين ثم دان
ثم نفتالى بفتح النون وسكون
الفاء وفتح التاء المثناة فوق
وكسر اللام ثم كان ثم أشار ام

لو عملوا السيئات فكذا لا ينفعكم حسناتهم اذا لم تكونوا على وصاياهم وآثارهم ثم أشار الى
أنهم لا يعترفون بكمال ملة ابراهيم بل يكادون يجعلونها ضلالا فقال (وقالوا كونوا هودا
أو نصارى تهتدوا) لان الهداية منحصرة فيهما (قل) لا انحصار للهداية فيهما (بل) تتبع (ملة
ابراهيم) فانها أكمل من اليهودية والنصرانية سيما التى اليوم لكونه (حنيفا) أى مائلا عما
سوى الله اليه وأنتم تميلون الى عزير أو المسيح (وما كان من المشركين) باعتقاد استحقاقهما
للعبادة فان قالوا جعلتم اليهودية والنصرانية شركا كنتم كافرين بما أوتى موسى وعيسى
(قولوا) ما كفرنا بشئ يجب الايمان به بل (آمنا بالله) المستلزم للايمان بجميع آياته
وأحكامه المستلزم للايمان بجميع الرسل (و) لكن نقدم الافضل ونقدم من تبعه افضل
تبعيته فالافضل ومن تبعه فنقول آمنا بجميع (ما أنزل الينا) من الآيات والاحكام التى هى
غاية الكمال (وما أنزل الى ابراهيم) مما يشبه هذا الكمال (و) الى (اسمعيل واسحق ويعقوب
والاسباط) ممن هو تابع أو كالتابع لهذا الكمال (وما أوتى موسى وعيسى) فهما وان فضلا
بعض من تقدم فما أوتيا الامقدار استعداد اممهما فهو دون ما تقدم فأخرناهما لكن لكمالهما
جعلنا الايمان بهما مستقلا (و) كذلك آمنا بجميع (ما أوتى النبيون من ربهم) وان كان
فيه تفاوت ولكن (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض دون البعض كيف (ونحن له
مسلمون) أى منقادون لجميع أحكامه فى الاعصار وان تفاوتت فضلا بتفاوت الامم (فان
آمنوا) أى اليهود والنصارى الحاصرون للهداية فى ملتهم (بمثل ما آمنتم به) من المتقدم عليهم
والمتأخر والمعاصر لهم (فقد اهتدوا) أى صدق عليهم لفظ الهداية وان لم ينحصر فيهم
(وان تولوا) فهم وان وافقوا موسى أو عيسى فى الظاهر (فانما هم) بالحقيقة (فى شقاق) أى
خلاف معهما فان حاجوك أو قاتلوك على ذلك أو غيره (فسيكفيكهم الله وهو السميع)
لاقوال الفريقين (العليم) بمن هو على الحق منهما وقد بينه لنا بيانا واضحا حتى صار صبغة
لقلوبنا (صبغة الله) اى صبغ قلوبنا بالهداية والبيان صبغة كاملة لا ترتفع بماء الشبه
ولا تغلب صبغة غيره عليه كيف (ومن أحسن من الله صبغة) وكيف تذهب عنا صبغته
(و) نحن نؤكدها اذ (نحن له عابدون) والعبادة تزيل رين القلب فينطبع فيها صورة الهداية
بمزيد وضوح (قل أتحاجوننا فى) دين (الله) اذ لا يتعدد (و) لا يتعدد اذ (هو ربنا وربكم) وله
باختلاف نسبه أسماء مختلفة تقتضى أحكاما مختلفة عند ظهور سلطنتها (و) كذلك يكون
(لنا أعمالنا) التى نعملها على وفق أمره الآن (ولكم أعمالكم) التى عملتموها على وفق
أمره حين أمرتم بها وأما الآن فلا يحصل لكم أجرها (و) يحصل لنا اذ (نحن له مخلصون)
العمل باتباع أمره وأنتم تتبعون أهواءكم بعد نسخ أمره أتقولون ديننا أكمل من دين
ابراهيم وأولاده (أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) أولاد
يعقوب (كانوا هودا أو نصارى) لان دين الله لا يتبدل (قل أأنتم أعلم أم الله) الذى حكى
لكم فى كتابكم أن فى دينه وجوب الحج وكون الكعبة قبلة ووجوب الركوع فى الصلاة وقد

أعوانه فى ابله وغنمه اثنان
وكذلك الرفقة أدنى
ماتكون ثلاثة تجرى كلام
الواحد على صاحبيه
(ادبار السجود) ذكر عن
أمير المؤمنين على بن أبى
طالب رضى الله عنه
أنه قال ادبار السجود
الركعتان بعد المغرب

درج دينه بتكثير الانبياء من أولاده وذكره في كتابكم أيضا وذكر أيضا حقية هذه الملة
وانها اوفق في الاكثر ملة ابراهيم لكنكم تكتمون هذه الشهادات كلها (ومن أظلم ممن كتم
شهادة) واحدة صحت (عنده) أنها (من الله) بل زدتم على الكتمان بالتحريف (وما الله بغافل
عما تعملون) من كتمانكم وتحريفكم ولا ينفع اعمال أسلافكم من مجازاتكم على وفق
أعمالكم بل (تلك أمة قد خلت) بأعمالهم لم تترك لهم من أعمالهم شيأ (لها) جزاء (ما كسبت)
من الصالحات (ولكم) جزاء (ما كسبتم) من الصالحات وكيف يكون لكم جزاء أعمالهم
(ولا تسئلون عما كانوا يعملون) والجزاء انما يكون عقيب السؤال وسؤال الشخص
عن عمل الغير غير معقول في العدل ولما كانت ملة الخليل عليه السلام أكمل كانت قبلتها
أكمل فلا ينكر التحويل اليها الا سفيه كما قال (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن
قبلتهم التي كانوا عليها) بعد الكعبة والنسخ انما يكون بالخير (قل لله المشرق والمغرب) أي
الجهات كلها فله أن يولي عباده الى أي جهة شاء لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة
بينهما مع اجتماع الخلائق الى جهة واحدة ليتفق بواطنهم في استفاضة الانوار وله أثر عظيم
لذلك شرعت الجماعة في الصلاة ليتفق أهل محلة ووجبت في الجمعة ليتفق أهل بلد ووجب
الحج ليتفق أهل الآفاق ولا يتأتى تعيين الجهة الا بأمر سماوي فخص ابراهيم عليه السلام
بأكمل الجهات وهي الكعبة لانها المبدأ الترابي للانسان اذ بسطت الارض من تحتها فاذا
توجه اليه الظاهر توجه الباطن الى مبدئية جناب الحق وقد كان فيها الدرة المحمدية التي
أجابت الحق من الارض وما قابلها من السماء اذ قال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا
أتينا طائعين ثم جعلت لليهود صخرة بيت المقدس لان منها عروج بعض الانبياء الى السماء
فالتوجه اليها مشعر بمعراج الصلاة ثم جعلها لمحمد صلى الله عليه وسلم ليكون جامعا فجعلت له
الكعبة أولا لكمال نشأته ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق معراجه ليزداد عروجا حين تحول الى
المدينة فصلى اليها ستة عشر شهرا يتألف بها اليهود ثم عاد الى الكعبة لان النهاية هي الرجوع
الى البداية فكانت غاية الكمال لان توجه الظاهر اليها لما استلزم توجه الباطن الى الحق
لم يكن ثمة مسافة والمعراج يشعر بالمسافة وهي انما تعتبر في حق البعداء فلذلك قال عز وجل
(يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) أي الى أقرب الطرق وذلك لقربكم من الله بكمال
الاعتدال في الاعتقاد والاخلاق والاعمال ثم أشار بانا كما جعلناكم معتدلين لتقريبنا جعلناكم
معتدلين لتكميل العدالة فقال (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي معتدلة في الاعتقادات
والاخلاق والاعمال (لتكونوا شهداء على الناس) لكمال عدالتكم لعدم ميلكم الى طرف
مع ان هذا الاعتدال بعد التزكية والتصفية يفضي الى كشف الامور على ما هي عليه
اذ لم يختل بالرياضة المزاج فلم يفض الى الجنون (ويكون الرسول عليكم شهيدا) اذا أنكر
المشهود عليهم أن يكون لكم هذه الرتبة فيبين لهم الرسول بيان الشاهد عند الحاكم ثم قال
اعتذارا عن الانتقال من الكامل الى الناقص في النسخ (وما جعلنا القبلة التي كنت عليها)

أي

وادبار النجوم الركعتان
قبل الفجر الادبار جمع
دبر والادبار مصدر أدبر
ادبارا (ايان يوم الدين)
متى يوم الجزاء (ألتناهم)
نقصناهم يقال الت يالت
ولات يليت لغتان (اللات
والعزى ومناة) أصنام
كانت في جوف الكعبة

أى بيت المقدس بعد الكعبة التى هى أكمل منها (الا لنعلم من يتبع الرسول) أى ليتميز
بمقتضى علمنا باليهود من يتبع الرسول منهم لرؤية تأليفه (ممن ينقلب على عقبيه) فيزعم انه
عليه السلام تبعهم (وان كانت لكبيرة) أى وان تلك القبلة كانت ثقيلة على أرباب النظر
لما فيها من الانتقال من الاعلى الى الاسفل (الا على الذين هدى الله) للحكمة الالهية فى تأليف
اليهود فان هداهم يجبر نقصها ولما كان هذا كمالا فى حق الرسول عليه السلام دون الصحابة
توهموا اضاع صلاة من صلى اليها فأزاله الله عنهم بقوله (وما كان الله ليضيع ايمانكم) أى
أعمالكم التى عملتموها بمقتضى ايمانكم بالله انقياد الامره فانه أتم فى العبودية من اتباع
ما يطابق العقل اذ فيه انقياده والله تعالى يكمل لمنقاده نقص الجهة (ان الله بالناس لرؤف
رحيم) ثم أشار الى أن الله تعالى وان كمل أجر المتوجهين الى الصخرة من فضله لامتثالهم
لكنها لما كانت دون الكعبة الكاملة بالذات أراد الكامل بالذات أن يؤمر بالجهة الكاملة
ليكمل أجره باعتبار الذات وباعتبار الفضل من امتثال الامر فقال (قد نرى تقلب وجهك
فى السماء) تنتظر الوحى الآمر بالكعبة (فلنولينك قبلة ترضاها) فانه وان كملت العبودية
فى الصخرة نراعى رضاك باعطاء الكامل بالذات (فول وجهك شطر المسجد الحرام) أى الذى
يحرم على الكامل النظر الى غير الله ولا يختص ذلك بك لغاية كمالك بل يكون لاتباعك بتبعيتك
حتى قيل لهم (وحيثما كنتم) من المراتب (فولوا وجوهكم شطره) فانكم تنالون بتبعيته
من الكمال ما لم ينله من هو أفضل منكم من قدماء الانبياء (وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه
الحق) أى توجه هذه الامة الى الكعبة وان كانت دون الانبياء المتوجهين الى الصخرة هو
الحق الذى جاءهم (من ربهم) الذى رباهم باعطاء هذه الفضيلة بتبعية أكمل الرسل لكنهم
يكتمون فضائل هذه الامة ويحرفون الكلم عن مواضعه فى نعوت محمد صلى الله عليه وسلم
(وما الله بغافل عما يعملون) من الاعمال ثم أشار الى أن هذا آية لكونه من أخبار الغيب
عما بالغوا فى ستره من كتبهم موجبة لمتابعة قبلتك (و) لكن (لئن أتيت الذين أوتوا الكتاب
بكل آية ما تبعوا قبلتك) اذ يريدون أن تصير والك متبوعين لا تابعين (و) لكن (ما أنت
بتابع قبلتهم) الآن وان تبعتها أولا لانك رجعت الى كمال مبدئك فى منتهاك (و) لا يتبعون
الدلائل لانه (ما بعضهم بتابع قبلة بعض) وان كان له دليل من نص كتبهم لكنه لم يبق دليلا
بعد ما نسخ بل صار هوى (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم) بان قبلتهم نسخت
بما هى أكمل منها نسخا مؤبدا (انك اذا لمن الظالمين) بترجيح الادنى على الاعلى مخالفا لامر
الله (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) أى اتباعك قبلتهم بعد نسخها معرفة لا التباس فيها
(كما يعرفون أبناءهم) من غير لبس اذ لا يخفى عليهم جواز النسخ (وان فريقا منهم ليكتمون
الحق) من جواز النسخ (وهم يعلمون) حقيته وان الكعبة أعلى من الصخرة وان كانت
معراج بعض الانبياء فان سلم علوها فاتباع أمر الله هو (الحق) الآتى (من ربك) دون اتباع
مقتضى ذوات الاشياء على خلاف أمره (فلا تكونن من الممترين) من هذه الشبهة فقد

من حجارة كانوا يعبدونها
(أكدى) قطع عطيته
ويئس من خيره مأخوذ
من كدية الركية وهو
أن يحفر الحافر فيبلغ الى
الكدية وهى الصلابة من
حجر أو غيره فلا يعمل

رفعت بالكلية (و) يدل على أن الواجب متابعة أمر الله لا غير أنه (لكل وجهة هو موليها) أى لكل مصل من عباد الامم جهة هو مول وجهه اليها امتثالا لامر الله اذ هو الخير عند تعارضه مع الفضل الذاتى (فاستبقوا الخيرات) أى فبادروا الى تحصيل الخيرات من امتثال أوامر الله المفيد للسعادات الابدية (أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) أى ففى أى جهة تكونوا من الجهات المأمورة يأت بكم الله الى مقام قربه ولا يستبعد ذلك فى الجهات الناقصة (ان الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى أنه عز وجل وان أتى الى مقام قربه كل متوجه الى جهة أمر بها فلا تتوجه الى أى جهة شئت مما أمر بها الاولون اذ لم تبق جهة بل (ومن حيث خرجت) أى ومن أى مقام أو اذنك الانبياء خرجت من عهدته (فول وجهك شطر المسجد الحرام) لانه الجهة الجامعة لفضائلها (وانه للحق من ربك) الجامع ففيه فوائد سائر الجهات بل لم تبق جهات فى حق أحد يأتى به الى مقام قربه اذ صارت منهية (وما الله بغافل عما تعملون) من الاعمال المخالفة لامره الحاضر او افقتها امامضى من أمره ثم أشار الى أنكم كيف لا تؤمرون بجهة الكعبة مع انكم على ملة ابراهيم فلو خالفتم قبلته لالزمكم الناس بمخالفتكم ملته فقال (ومن حيث خرجت) عن كمال عهدة خلة ابراهيم (فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم) من مراتبكم (فولوا وجوهكم شطره) بمتابعة نبيكم (لئلا يكون للناس عليكم حجة) بمخالفة ملة ابراهيم (الا الذين ظلموا منهم) فانهم لا يحتجون عليكم بذلك اذ يزعمون انها ليست قبلته بل قبلته الصخرة لكونه يهوديا أو نصرانيا فى زعمهم (فلا تخشوهم) أن يقولوا خالفتم قبلة ابراهيم لان هذا القول منهم يخالف ما تواتر من قبلة ابراهيم (واخشونى) فلا تخالفوا أمرى بطعنهم ترجيحا له على أمرى (و) لو صح قولهم انها ليست قبلة ابراهيم فانما أمرتكم بها (لأتم نعمتى عليكم) بالتوجه الى اكمل الجهات المتضمنة للآيات البينات والامن (ولعلكم تهتدون) للصراط المستقيم بالتوجه اليها لاستلزامه التوجه الى الباطن فتهتدون بهذه القبلة هداية كاملة (كما أرسلنا فيكم رسولا منكم) أى كهدايتكم بارسالنا من مقام عظمتنا فيكم أيها الكمل رسولا كاملا (يتلوا عليكم آياتنا) المنسوبة الى عظمتنا مما تدل على ذاتنا وصفاتنا وأفعالنا واسرارنا (ويزكيكم) أى يزكى نفوسكم باعتقاداتها وأخلاقها وأعمالها (ويعلمكم الكتاب) الجامع للعلوم الظاهرة والباطنة (والحكمة) التى يتوصل بها الى الحقائق (ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون) بالنظر الجامع والاستدلال ويعلم سائر الكتب الالهية فالكعبة تتضمن هذه الاشياء ان كوشف بحقيقتها وهى انما تحصل بالتوجه الى الله والاستغراق فى ذكره (فاذكرونى أذكركم) باعطاء هذه الامور (واشكروالى) لازيدكم منها (ولا تكفرون) بدعوى الكمال لانفسكم اذا حصلت لكم تلك الاشياء ثم أشار الى أن الذكر والشكر وترك الكفران انما يتم بالصبر والصلاة اللذين هما مقتضى الايمان فقال (يا أيها الذين آمنوا استعينوا) لتحصيل تلك الامور (بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات (والصلوة) الجامعة لطاعة القلب واللسان والجوارح والناهية

معوله شيأ فيأس ويقطع الحفر يقال أكدى فهو مكد (اقنى) جعل لهم قنية أى أصل مال (أزفت الآزفة) قربت القيامة سميت بهذا القرب يقال أزف شخوص فلان اى

عن

عن الفحشاء والمنكر بل الصبر كاف فى ذلك بل فى تحصيل جميع الكمالات (ان الله) الجامع
للكمالات (مع الصابرين و) لما كان معهم وأجلهم الصابرون فى الجهاد والله تعالى مستجمع
للكمالات التى من جملتها الحياة (لا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله) من الصابرين على الجهاد
(أموات) لا يحصل لهم الترقى فى الكمالات (بل أحياء) يحصل لهم الترقى فيها (ولكن
لا تشعرون) بحياتهم اذ لم يظهر منها شئ فى أبدانهم وان حفظ بعضها عن التلف (و) اذا كان
فى القتل فى سبيل الله أتم وجوه الحياة وهى نتيجة الصبر فلا يخلو عن افادة حياة فى شئ كان
لذلك (لنبلونكم) لننظر هل تصبرون (بشئ من الخوف) من عدو لننظر هل تصبرون معه على
الاسلام (والجوع) لننظر هل تصبرون على ملازمة ديار الاسلام (ونقص من الاموال)
بايجاب الزكاة (والانفس) بايجاب الجهاد لننظر هل تصبرون عليهما أم ترتدون من أجلهما
(والثمرات) بموت الاولاد وانقطاع التجارات لننظر هل تصبرون أم تجعلون ذلك من شؤم
الاسلام فتكفرون وقدم الخوف المفوت للحياة فى الحال ثم الجوع المفوت بعد حين ثم
الاموال المفضية الى الجوع ثم الجهاد المحتمل للافضاء الى الموت ثم الثمرات لانه فى معنى
موتهم بانقطاع نسلهم وأموالهم (وبشر الصابرين) عليها بأن الله معهم سيما (الذين اذا
أصابتهم مصيبة) مما ذكر (قالوا انا لله) أى عبيد له فلا ينبغى أن نخاف غيره لان سيدنا غالب
على الكل أو نبالى بالجوع لان رزق العبد على سيده فان منع وقتا فلا بد أن يعود اليه
وأموالنا وأنفسنا وثمراتنا ملك له فله أن يتصرف فيها بما يشاء (وانا اليه راجعون) فيحصل لنا
عنده ما فوته علينا (أولئك عليهم صلوات من ربهم) أى أنواع الرحمة الخاصة التى لا يبالى
معها بالمصيبة فى الآخرة (ورحمة) عظيمة فى الدنيا عوض مصيبته كيف (وأولئك هم المهتدون)
بوفاء حق الربوبية والعبودية فلا بد أن يوفى الله عليهم صلواته ورحمته ثم أشار الى أن من
المصائب التى لا بد من الصبر عليها مصائب الطعن فى الدين كطعن اليهود وغيرهم فى السعى بين
الصفا والمروة اذ كان أهل الجاهلية يسعون بينهما ويتمسحون بصنمين كانا عليهما اساف على
الصفا ونائلة على المروة فلما جاء الاسلام كسرا فقال الطاعنون هؤلاء يعظمون مكانهما
فقال عز وجل (ان الصفا والمروة من شعائر الله) أى اعلام متعبداته والسعى بينهما من جملة
التعبدات للتحقق بصفاته السبع بعد التخلق بها بالطواف فى حق الكامل والقاصر
يتشبه به ولا يبالى بمطاعن الاعداء فى اقامة العبادات (فمن حج) أى قصد (البيت) من عرفة
(أو اعتمر) فقصده من الميقات أو أدنى الحل (فلا جناح عليه) أى لا ضيق عليه من مطاعن
الاعداء فى (أن يطوف بهما) أى يسعى بينهما تأكيدا للطواف كيف (ومن تطوع خيرا)
أى أطاع الله بنافلة (فان الله شاكر) له فكيف لا يشكره فى الواجبات وكيف يبالى مع شكره
بمطاعن أعدائه (عليم) بمقاصد الاعداء فيجازيهم وكفى به مكافاة ثم أشار الى أنهم انما خافوا
طعن اليهود لان عادتهم كتمان الحق فهم يكتمون السعى بين الصفا والمروة فى دين ابراهيم
فيقولون يعظمون مكان الصنمين ويفعلون أفعال الجاهلية ولكن لم يبق لهما تعظيم بعد

قرب وقوله تعالى وأنذرهم
يوم الآزفة يعنى يوم
القيامة (أعجاز نخل
منقعر) أصول نخل
منقلع وأعجاز نخل خاوية
أصول نخل بالية (أشر)
مرح متكبر وربما كان
المرح من النشاط (الأنام)
الخلق (الاعلام) الجبال

كسرهما وانما هو تعظيم ما عظم الله على لسان ابراهيم بل الطاعنون مطعونون (ان الذين يكتمون ما أنزلنا) ه (من البينات) الدالة على شعائر الله وغيرها (والهدى) فيها (من بعد ما بيناه للناس) من غير التباس اذ جعلناه (فى الكتاب) ليتواتر فلا يمكن اخفاؤه فيسعون فى اخفاء المتواتر (أولئك يلعنهم الله) أى يطردهم عن رحمته لسدهم طريقه (ويلعنهم اللاعنون) من الملائكة والناس والحيوانات والجمادات لان كتمانهم سبب خراب العالم (الا الذين تابوا) من القاء الشبهة مبالغة فى الكتمان (وأصلحوا) بازالتها عن قلوب من ألقوها اليهم (وبينوا ما كتموا (فأولئك) وان بقى فى الضلال من أضلوهم (أتوب عليهم) أى أخرجهم من اللعنة (و) ذلك لانى (أنا التواب الرحيم ان الذين كفروا) بكتمان هؤلاء عليهم (وماتوا وهم كفار) بعد بلوغ البينات أو قبله (أولئك عليهم لعنة الله) لاختيارهم تقليد الكاتمين مع علمهم بكذبهم وصدق الانبياء (و) لعنة (الملائكة والناس أجمعين) فاذا لعن المكتوم عليهم لكفرهم فكيف لا يلعن الكاتمون اذا أصروا عليه لكنهم بمجرد التوبة يخرجون عن الخلود والمكتوم عليهم اذا لم يتوبوا يبقون (خالدين فيها) أى فى اللعنة فلا تتبدل عليهم بوجه من الوجوه (لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون) أى لا يمهلون ساعة مع العود الى التشديد عقيبها اذ التخفيف والانظار نوع اخراج عن اللعنة (و) انما لعن المكتوم عليهم لعلمهم ان خالق المعجزات واحد اذ (الهكم اله واحد) فالذى أظهر المعجزات على يدى من آمن به الكاتمون هو الذى أظهر المعجزات على يدى من كفر به المكتوم عليهم بتلبيس الكاتمين وليس الانحصار فى وحدانيته من حيث انه الاله الاعظم ودونه آلهة صغار يقدرون على خلق المعجزات بل (لا اله الا هو) ولا يبعد عليه ارشاد المتأخرين بارسال رسول لانه (الرحمن الرحيم) وارشادهم رحمة عامة والارسال خاصة فمن لم يؤمن فقد أخرج نفسه عن رحمة الرحمانية فيلحقه اللعنة من الله ومن خواص عباده من الملائكة والناس الخواص بتبعيته والعوام لانهم يتعذبون بسببهم أو يتأذون بعذابهم وكيف ينكرون وجود الله وتوحيده ورحمانيته ورحيميته وقد دل عليها دلائل العلويات والسفليات وعوارضهما والمتوسطات (ان فى خلق السموات والارض) أى العلويات والسفليات (واختلاف الليل والنهار) من عوارض حركات السموات بالكواكب والشمس ثم قدم من المتوسطات الماء لكونه مبدأ الاحياء وابتدأ منه بالبحر الذى هو الاصل واعتبر من عوارضه تحريكه للفلك فقال (والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس) اذ هو كتحريك السموات للشمس المفيد اختلاف الليل والنهار ثم ذكر ماء السماء الحاصل من بخار البحر ومن عوارضه احياء الارض وبث الدواب فقال (وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة) ثم ذكر الهواء وتحريكه للسحاب كتحريك البحر للفلك فقال (وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات) أى دلالات على كل ما ذكر (لقوم يعقلون) أى يستعملون العقل اما دلالة السماء والارض على وجود الاله فلانهما حادثان لان لهما أجزاء يفتقران اليها فلا بد لهما من

(أفنان) واحدها علم
أغصان واحدها فنن (أوّل
الحشر) أوّل من حشر
وأخرج من داره وهو
الجلاء (أوجفتم) من
الايجاف وهو السير
السريع (أسفار) كتب
واحدها سفر (اللائى)
واحدها التى والذى جميعا

محدث ليس بعض أجزائهما الا نه دخله التركيب الحادث والقديم لا يكون محلا للحوادث
والمحدث لابد أن يكون قديما قطعا للتسلسل وعلى التوحيد فلان اله السموات لو كان غير اله
الارض لم يرتبط منافع أحدهما بالآخر وعلى الرحمتين لانه عز وجل جعل فى الارض مواد قابلة
للصور المختلفة وأفاضها واحدة بعد أخرى بتحريك السموات وأما دلالة اختلاف الليل والنهار
على وجود الاله فلحدوثهما من حركات السموات ولابد لها من محرك فان كان حادثا فلابد له
من محدث وعلى التوحيد فلان اله الليل لو كان غير اله النهار لامكن كل واحد أن يأتى بما هو له
فى وقت اتيان الآخر بما هو له فيلزم اجتماعهما وهو محال فان امتنع لزم عجز أحدهما
أو كليهما وعلى الرحمتين فلان الاعتدال الذى به انتظام أمر الحيوانات انما يكون من
تعاقبهما اذ دوام الليل مبرد للعالم فى الغاية ودوام النهار مسخن له فى الغاية وأما دلالة الفلك
على وجود الاله فلانه أثقل من الماء فحقها الرسوب فيها فامساكها فوق الماء من الله ودخول
الهواء فيها وان كان من الاسباب فلا يتم عند امتلاء الفلك بالامتعة الكثيرة اذ يقل الهواء
جدا فيضعف أثره فى امساك هذا الثقيل جدا فلا ينبغى أن ينسب الا الى الله تعالى من اول
الامر وعلى التوحيد فلأن اله الفلك لو كان غير اله البحر لربما منع أحدهما الآخر من
التصرف فى ملكه وهو يفضى الى اختلال نظام العالم لاختلاف المنافع المنوطة بالفلك وعلى
الرحمتين فلأنه رحم المسافرين بالتجارات والمسافر اليهم بالامتعة التى يحتاجون اليها وأما
دلالة انزال الماء على وجود الاله فلأنه أثقل من الهواء فوجوده فى مركزه لا يكون الا من
الله وعلى التوحيد فلان اله الماء لو كان غير اله الهواء لمنع من التصرف فى ملكه وعلى الرحمتين
فلأنه أحيا به الارض معاشا للحيوانات وبث به الدواب تكميلا لمنافع الانسان وأما دلالة
تصريف الرياح على وجود الاله فلأنها حادثة تحدث هذه مرة وهذه أخرى وقد يعدم
الكل فلابد من محدث فان كان حادثا افتقر الى قديم وعلى التوحيد فلانه لو كان لكل ريح
اله لامكن لكل أن يأتى بما له فيلزم اجتماع الرياح المختلفة وهو مخل بالنظام وعلى الرحمتين
فلأنها تحرك الفلك والسحب وتنمى الاشجار والثمار وأما دلالة السحاب على وجود الاله
فلأنه لو كان ثقيلا لنزل أو كان خفيفا لصعد لكنه يصعد تارة وينزل أخرى فهو من الله
تعالى وأما على التوحيد فلأن اله السحاب لو كان غير اله السحاب الآخر لامكن لكل واحد
أن يجعل سحابه فى مكان سحاب الآخر فيلزم تداخل الاجسام أو العجز وعلى الرحمتين فلأن
منها الامطار وله وجوه أخر من الدلالات وفوائد غير محصورة قنعنا بما ذكرنا ثم ان الله تعالى
انما أظهر هذه الآيات الدالة على وجوده وتوحيده ورحمته ليخصه الخلق بالمحبة والعبادة
(و) لكن (من الناس من يتخذ من دون الله) أى مجاوزين الله (أندادا) أى أمثالا مع ان
الآيات منعت من أن يكون له ند واحد فضلا عن جماعة يساوون بينهم وبين الله اذ
(يحبونهم كحب الله و) ليس حبهم لله من ايمانهم بالله حتى يفيدهم عنده اذ مقتضى الايمان
تفضيل حبه على حب كل ما سواه (الذين آمنوا أشد حبا لله) لانهم يعلمون ان جميع الكمالات

والاتى واحدها التى لاغير
(ارجائها) نواحيها
وجوانبها واحدها رجا
مقصور ويقال ذلك لحرف
البئر ولحرف القبر وما
أشبهه (أوسطهم) أعدلهم
وخيرهم (أوعى) جعله فى
الوعاء يقال أوعيت المتاع
فى الوعاء اذا جعلته فيه

له ومنـه والواسـطة انما يكون سببا ولا منـة له كالقلم والمداد فى عطاء الملك وانما اتخـذوها
ليستمدوا منها اذ يرون فيها قوة الامداد (ولو يرى) الآن (الذين ظلموا) باتخاذهم أندادا
ما يرونه (اذ يرون العـذاب) من (أن القوة لله جميعا) ليس لغـيره قوة الامداد أصلا (و) ان
كانت فلا يستمد منـه باتخاذه ندا لان الله تعالى يغار من ذلك فلو رأوا الآن ما يرونه حينئذ
من (أن الله شديد العذاب) من شدة غيرته لتبرؤا منهم الآن لكنهم انما يرون ذلك حين
يرون العذاب فيتبرؤن من محبة الانداد (اذ تبرأ الذين اتبعوا) وهم الآمرون باتخاذ الانداد
(من الذين اتبعوا) فلا يتحملون من عذابهم شيأ (و) لكن (رأوا العذاب) من جهة اضلالهم
أيضا (وتقطعت بهم الاسباب) أى أسباب الخلاص منه فلا يكون تبرؤهم من أسبابه (وقال
الذين اتبعوا) تمنيا المكافأتهم فى التبرئ منهم (لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم) لو وقع عليهم ما يشقهم
وان أمكننا تحمله (كما تبرؤا منا) ولكن لا يفيدهم التمنى بل يزيدهم تحسرا ولا يكتفى بهـذا
التحسر بل (كذلك يريهم الله أعمالهم) كلها (حسرات عليهم) ولا ينقطع تحسرهـم لانه
بانقطاع العـذاب (وماهم بخارجين من النار) ثم أشار الى أنه ليس مقتضى محبـة الله ترك
الطيبات فضلا عن تحريمها فقال (يا أيها الناس كلوا مما فى الارض) أى بعض ما فيها وهو
مالم يرد الشرع بتحريمه (حلالا) ليس فيها حرمة غصب أو رشوة (طيبا) لا شبهة فيه (ولا تتبعوا
بالتحريم (خطوات الشـيطان انه لكم عدو مبين) يجركم الى الكفر بالتحريم قد عمت عداوته
فى كل شئ لانه (انما يأمركم بالسوء) فى الاعمال (والفحشاء) فى الاخلاق (وأن تقولوا على الله
مالا تعلمون) فى الاعتقادات أو يقال انما يأمركم بالسوء فى ترك الطيبات اذ فيـه ترك الشكر
والفحشاء فى تحريمها وأن تقولوا على الله مالا تعلمون من انه حرمها على احبائه واباحها للعوام
(و) انما يأمرهم الشيطان بذلك بما يزينها من كونها دين آبائهم فيرونها أرجح من شرع الله
حتى (اذا قيـل لهم اتبعوا ما أنزل الله) أى آمنوا به واتبعوه (قالوا) لا نؤمن به ولا نتبعه (بل
نتبـع ما ألفينا عليه آباءنا) يتبعون آباءهـم (ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ) من الحسن
والقبح (ولا يهتـدون) للوصول الى شئ منهما اذ جهلوه ثم أشار الى أنه انما يأتى لهم اتباع
ما أنزل الله لو سمعوه سماع الانسان المدرك لما فى الكلام من المنافع والمضار باكتساب
المحاسن والقبائح (و) لكن (مثل الذين كفروا) فى فهم ما أنزل الله (كمثل) الحيوان (الذى
ينعق) أى يصوت له (بما لا يسمع) أى لا يدرك من سماعه (الا دعاء ونداء) أى الا أنه يدعوه
الى فعل كذا يطلب اقباله عليه ولا يفهم وراء ذلك شيأ فهم بالنسبة الى سماع الفهم (صم) والى
النطق بمقتضاها لو سمعوا (بكم) وذلك لانهم بالنظر الى حقيقة الامر (عمى) والتعقل فرع
هذه الامور فاذا فقدوها (فهم لا يعقلون) مقاصد المنزل ثم أشار الى أنه ليس مقتضى الايمان
والمحبـة ترك الطيبات بل أكلها مع شكر الله عليها فقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من
طيبات ما رزقناكم) اذ مقتضى الايمان ابلاغ حكمة الله غايتها فانما خلق للاكل غايته الاكل
(واشكروا لله) ففيه مزيد حبه بل خصوصه (ان كنتم اياه تعبدون) فلا ترو امنة المتوسط

(أصروا) أقاموا على
المعصية (أطوارا) ضروبا
وأحوالا نطفا ثم علقا ثم
مضغا ثم عظاما ويقال
أطوارا أصنافا فى الوانكم
ولغاتكم والطور الحال
والطور التارة والمرة
(أشد وطأ) أثبت قياما
يعنى ان ناشئة الليل وهى

اذهو كالقلم والمداد ثم أشار الى أنه انما يقطع محبته أكل ما حرم وهو (انما حرم عليكم الميتة) لانها خبثت بنزع الروح منها بلا مطهر من الذبح باسم الله تحقيقا أو تقديرا فتتعلق أرواحكم بالخبيث فتخبث فينقطع عنها محبة الله وانما أبيح ميتة السمك لان أصله الماء المطهر فكما لا يؤثر فيه النجاسة لا يؤثر نزع الروح فيما حصل منه والجراد لانه حصل من غير تولد ولا خبث في ذاته كسائر الحشرات (والدم) لانه متعلق الروح بذاته فلا يقبل الطهر (ولحم الخنزير) لان خبث اخلاق روحه انما كان من تعلقها باللحم فكان خبيثا بذاته يؤثر خبثه في اخلاق الآكل (وما أهل به لغير الله) لانه زاد خبثه فلا رخصة في أكل شئ منها وان زعم الآكل أنه تبقى محبته لله ولا يؤثر فيه خبثها وانما تحل للمضطر (فمن اضطر غير باغ) اى خارج على الامام (ولا عاد) أى متعد بقطع الطريق ونحوه فأكله (فلا اثم عليه) وان بقيت حرمته لانه اذا تناوله حال الاضطرار لا يؤثر فيه الخبث لانه كاره بالطبع (ان الله غفور) ساتر لخبثه في حقه (رحيم) برعاية حق ابقائه ثم أشار الى أنه تعالى حرم الرشا أشد من تحريم ما ذكر لانه حرمها للمضطر وغيره سيما التي تؤخذ بدل كتمان ما أنزل الله فقال (ان الذين يكتمون ما أنزل الله) لا من اسرار العلوم التي لا تبلغها فهوم العامة بل مما جعله (من الكتاب) لتعميم الهداية به (ويشترون به ثمنا قليلا) من الرشا (أولئك ما يأكلون) أكلا مستقرا (في بطونهم الا النار) فلا يجدون منها راحة في الباطن (و) لا من سماع كلام الله بالتعنيف حال التعذيب اذ (لا يكلمهم الله يوم القيامة و) لا من جهة كون التعذيب للتزكية اذ (لا يزكيهم) ليدخلوا الجنة طاهرين من الغواشي الظلمانية كيف (ولهم عذاب أليم) من كل جهة في كل وقت اذ (أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى) اى استبدلوا اضلال أنفسهم وغيرهم عن الكتمان والتحريف بالاهداء (والعذاب بالمغفرة) اى أسبابه بأسبابها (فما أصبرهم على النار) اذ تحقق الاسباب بمنزلة تحقق المسبب (ذلك) أى تنزل تحقق الاسباب منزلة تحقق المسبب (بأن الله نزل الكتاب بالحق) اى بالجد لا بمجرد التخويف (وان الذين اختلفوا في الكتاب) هل هو لمجرد التخويف أو على الجد (لفي شقاق بعيد) أى خلاف مع مراد الله بعيد عن موافقته هذا في حق المتردد فكيف في حق من جزم بذلك واجترأ لاجله على تحريفه فقد تحققت فيه عداوة الله وهي أجل أسباب النار وان قالوا ما اشترينا الضلالة بالهدى ولا العذاب بالمغفرة بل نحن أهل البر لصحة قبلتنا أجيبوا بأنه (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) أى ليس الثبات على ما يقبل النسخ بعد تحقق نسخه بالتحويل من المشرق الى المغرب وبالعكس مع ترك ما لا يقبل النسخ وهو الايمان (ولكن البر) ايمان (من آمن بالله) ومنكم من اتخذ العجل وقالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة وقالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله وأكثر اليهود مجسمون (واليوم الآخر) ومنكم من يقول ان تمسنا النار الا أياما معدودة (والملائكة) ومنكم من يقول جبريل عدونا (والكتاب) وأنتم لا تؤمنون بالقرآن واليهود بالانجيل ٣ (والنبيين) وأنتم لا تؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم ومنكم من

ساعاته أوطأ للقيام وأسهل على المصلي من ساعات النهار لان النهار خلق لتصرف العباد فيه والليل خلق النوم والراحة والخلوة من العمل فالعبادة فيه أسهل وجواب آخر أشد وطأ اى أشد على المصلي من

٣ قوله واليهود بالانجيل كذا في النسختين بأيدينا والمناسب اسقاط اليهود لان الكلام معهم كما هو ظاهر اه مصحح

كذب عيسى وقتل شعيا وزكرياويحيى هذا فى باب الاعتقاد (و) أما الاعمال فالبر بر من
(آتى المال) غالبا (على حبه) اياه لترجيحه جانب الله على جانب هواه (ذوى القربى) ليكون
صدقة وصلة (واليتامى) الصغار الذين مات آباؤهم لاحتياجهم مع عجزهم عن الكسب
والسؤال (والمساكين) من أسكنهم الحاجة (وابن السبيل) اى المسافرين وان كان لهم مال
فى أوطانهم (والسائلين) وان لم يعرف بواطن أحوالهم يكتفى فيهم بظواهرها (وفى الرقاب)
لانهم وان لم يحتاجوا الى النفقة يحتاجون الى تخليصهم عن الرق فهذه حقوق الخلق قدمها
لانه أشد ثم ذكر حقوق الله فقال (وأقام الصلوة) الشاغلة بجميع الاجزاء بالعبادة وأنتم لا
تقيمونها على الكمال الذى فى هذا الدين (وآتى الزكوة) أداء لحق الله وان كفى بدونها حوائج
المذكورين وأنتم تأخذون الرشا هذا ما ألزمه الله الناس من غير التزام منهم (و) أما ما ألزمهم
عن التزام فالبر (الموفون بعهدهم اذا عاهدوا) أى اذا وعدوا أنجزوا واذا حلفوا أو نذروا
وفوا واذا ائتمنوا أدوا ومنكم من لا يؤدى الامانة ولو دينارا مالم يقم على طلبه صاحبه
(و) خص الله (الصابرين) بأكمل البر اذ صبروا (فى البأساء) شدة الفقر (والضراء) المرض
(وحين البأس) القتال وأنتم لم تصبروا عن الرشا ولا على طعام واحد وقلتم اذهب أنت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون وانما يتم لهم البر اذ (أولئك الذين صدقوا) فى الاعتقاد (وأولئك
هم المتقون) فى الاخلاق والاعمال فتم برهم فى الظاهر والباطن ولم يصح لكم اعتقاد ولا خلق
ولا عمل ثم أشار الى أن من البر القصاص الذى لا يقول به النصارى فقال (يا أيها الذين آمنوا
كتب عليكم القصاص) اى فرض عليكم اقامة القود بالتسوية (فى القتلى) فيقتل (الحر
بالحر) أى بقتله للعرو يدخل فيه الانثى الحرة لاستوائهما فى الحرية (والعبد بالعبد) وبالحر
بطريق الاولى لا الحر به لعدم الاستواء بالحرية ولا بالانسانية لانه ملحق بالحيوانات باعتبار
كونه محلا للتصرف ولا بالاسلام لعدم كمال فيه لبقاء أثر الكفر وهو الرق (والانثى بالانثى)
وبالذكر بطريق الاولى وقتل الذكر بها ليس الا للاستواء بالحرية والانسانية والاسلام فلم
يعتد بنقيصة الانوثة فجعلت الذكورة للرجل كسائر الفضائل ولم يعتبر بسائر الفضائل لئلا
يؤدى الى سد باب القصاص ويفهم من اعتبار المساواة انه لا يقتل المسلم بالكافر لان العبد
المؤمن خير من المشرك فاذا لم يقتل الحر بالعبد فبالكافر أولى (فمن عفى له) حق (من أخيه
شئ) بأن عفا بعض الاولياء حقه أو جزأ من حقه (فاتباع بالمعروف) أى فالواجب على ولى
الدم طلب الدية بالطريق المعروف من غير استزادة واستعجال (وأداء اليه باحسان) أى
الواجب على الجانى اداء الدية من غير بخس ولا مماطلة (ذلك) المذكور من القصاص والدية
عند العفو (تخفيف من ربكم) باسقاط القصاص بعد العفو وقد ألزم القصاص اليهود
(ورحمة) بايجاب القصاص قبله بعد ان ألزم العفو النصارى (فمن اعتدى بعد ذلك) المذكور
بأن قتل جماعة لقتل الواحد واحدا أو قتل بعد العفو أو ماطل فى اداء الدية أو بخس

صلاة النهار لان الليل
خلق للنوم فاذا أزيل عن
ذلك ثقل على العبد
نهايته كله فيه وكان
الثواب أعظم من هذه
الجهة وقرئت أشد وطاء
اى مواطأة اى أجدر أن
يواطئ اللسان القلب
والقاب العمل وقرئت

فيها (فله عذاب أليم) فى الآخرة (و) انما كان القصاص برامع كونه اتلافا للجانى اذ (لكم فى القصاص حيوة) للقاتل والمقتول بالزجر عن القتل وللقاتل فى الآخرة ولاقاربه بالاقتصار عليه تدركونها (يا أولى الالباب) أى يا أهل النظر فى البواطن دون المقتصرين على الظواهر الذين لا يدركون فيه سوى الاتلاف شرع لكم (لعلكم تتقون) أى رجاء تحفظكم عن الافراط فى الغضبية وعن غضب الله على هدم بنيانه بلا وجب ثم أشار الى ان من البر الوصية وأخرها عن القصاص لانها من أسباب بقاء الحياة والقصاص كنفيها فقال (كتب عليكم) أى فرض عليكم وكان قبل آية الميراث فلما نزلت نسخت شرعيتها فى حق الوارث ووجوبها فى حق الكل ولم يقل ههنا يا أيها الذين آمنوا لانها من مقتضيات طبع الانسان فلا تتوقف على الايمان (اذا حضر أحدكم الموت) أى ظهرت اماراته (ان ترك خيرا) أى مالا فاضلا عن مؤن تجهيزه وديونه (الوصية للوالدين والاقربين) أى ان وجدهم ولم يكونوا يورثونهم (بالمعروف) فلا يفضل الغنى على الفقير واذا أوصى صار ذلك (حقا) لازما تقريره (على المتقين) وان لم يبال به الفاسقون فليس لاحد تغييره (فمن بدله) أى غيره من الاولياء والاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) من المحتضر وان لم يكن به شهود (فانما اثمه على الذين يبدلونه) لا على من حكم بقولهم (ان الله سميع) لاقوال المبدلين (عليم) بمقاصدهم فلو قصدوا بالتبديل خيرا فلا اثم عليه كما قال (فمن خاف من موص جنفا) غلطا (أو اثما) حيفا (فأصلح بينهم) أى بين الموصى لهم باجرائهم على نهج الشرع (فلا اثم عليه) لانه بدل الباطل بالحق بل يرجى غفران ذنب الموصى (ان الله غفور رحيم) ثم أشار الى ان من البر الذى يقتضيه الايمان الصيام التى فيها قتل النفس واحياء الروح فقال (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام) وهو الامساك عن الطعام والشراب والجماع مدة معلومة (كما كتب على الذين من قبلكم) أى على الامم من تحريم الطعام والشراب والجماع بعد العشاء الاخيرة (لعلكم تتقون) المعاصى التى منشؤها الشهوات اذ يكسرها الصيام لكنها جعلت فى حقكم (أياما معدودات) عاشوراء وثلاثة من كل شهر والامم مختلفة فى الايام ووجوب الاداء يختص بالصحيح المقيم (فمن كان منكم مريضا) يضره الصوم (أو) راكبا (على) ظهر (سفر) فشق عليه الصوم فأفطر (فعدة) أى فالواجب عدد أيام تساوى أيام الافطار (من أيام أخر) غير المعدودات المذكورة (و) يجب (على) المفطرين (الذين يطيقونه) اى الصوم اذا أفطروا (فدية) هى (طعام مسكين) مد عند الحجازيين ونصف صاع من بر أو صاع من غيره عند العراقيين لانه اذا أعطاه كان ممسكا عنه فكان كالصائم (فمن تطوع) أى زاد فى الفدية تطوعا اليزداد (خيرا فهو خير له) من الاقتصار على ما أوجبه الله (وان تصوموا خير لكم) من الفدية وان زيد فيها (ان كنتم تعلمون) فضيلة الصوم وفوائده وهذا كله فى أول الاسلام اذ لم يعتادوا الصوم ثم أشار الى نسخ صيام ثلاث الايام بصيام رمضان ونسخ الفدية على المطيقين بالقضاء فذكر فضيلة هذه الايام أولا ليعلم انها خير من المنسوخة فقال (شهر رمضان) هو (الذى أنزل فيه القرآن) أى

أيضا وطأ وقيل هو بمعنى
الوطء وقال الفراء لا يقال
الوطء وما روى عن أحمد
ولم يجزه (أقوم قيلا) أصح
قولا لهدوء الناس
وسكون الاصوات
(انكالا) قيودا ويقال

في ليلة القدر منه من اللوح المحفوظ الى سماء الدنيا ثم نزل منجما الى الارض وذلك لانه الشهر التاسع من شهر الهجرة يشعر بهجرة الكامل من العالم السفلى الى العلوى بصعوده سماء بعد سماء الى أن يبلغ التاسع وهو العرش المجيد الذى فوقه اللوح المحفوظ المشتمل على القرآن فيكاشف به (هدى للناس) فى نفسه من اعجازه (وبينات) أى شواهد (من الهدى) أى الدلائل القطعية (والفرقان) رفع الشبهة فاذا كوشف بالقرآن ظهر له اخلاق الله التى تجلى بها فيه ومن جملتها الصوم اذ هو تخلق بالصمدية لانه استغنى عن الطعام والشراب والنكاح (فمن شهد) أى علم (منكم الشهر) باستكمال شعبان أو برؤية عدل الهلال (فليصمه) فهذا ناسخ لما ذكر أولا لكن بقى منه حكم المريض والمسافر فقيل (ومن كان منكم مريضا أو على سفر) فافطر (فعدة من أيام أخر) لا من رمضان آخر وانما أبقى ذلك لانه (يريد الله بكم اليسر) هو وان والى عليكم الشهر (ولا يريد بكم العسر) اذ فى التوالى لا تختلف العادة والافطار بل فى سنة واحدة مرة (و) أمركم (لتكملوا العدة) فيكمل تأثرها بالتصفية (و) لمزيد التصفية أمركم الله به (لتكبروا الله) بمشاهدته بعد استكمالها ليلة العيد وفجرها شكرا (على ما هداكم) بمزيد التصفية (و) أيضا خفف عليكم اذ كانت سبعة وثلاثين يوما بثلاثين (لعلكم تشكرون) هذا التخفيف فيجبر الشكر ما نقص من تلك الايام بالاجر ثم أشار الى أن هجران العالم السفلى وان أفاد التقريب بالاصعاد الى سماء بعد سماء فليس بشرط فيه فقال (واذا سألك عبادى عنى) أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه (فانى قريب) أراهم وأسمعهم ما يتقربون به الى فاقربهم اذ (أجيب دعوة الداع) منهم بالبيك أو باعطاء المسؤل (اذا دعان) من غير تأخير وهو من خواص القرب لكنه مشروط باجابتهم لى وايمانهم بى (فليستجيبوا لى) فيما أدعوهم الى عبادتى (وليؤمنوا بى) بتصحيح الاعتقاد واذا جابوا لى وآمنوا بى (لعلهم يرشدون) لما يرشد له الصاعدون الى السموات ثم أشار الى أن التقرب الى الله لا ينافى التلذذ بغيره ولو كان بالصوم الذى هو الامساك عن المشتهيات فيختص ذلك بوقت الامساك لا دائما (أحل لكم ليلة الصيام الرفث) هو الافصاح عما يجب أن يكنى عنه كلفظ النيك وان أوجب لكم الميل الكلى (الى نسائكم) فانه بالليل كالطعام والشراب وانما أبيح مع ما فيه من مزيد الميل الى غير الله لصعوبة الصبر عند المعانقة اذ (هن لباس لكم وأنتم لباس لهن) أى يشتمل كل واحد صاحبه اشتمال الثوب وكان حقه أن يمنع منه بعد العشاء الاخيرة لقربه من الصوم كما كان فى أول الاسلام ولكن (علم الله أنكم كنتم تختانون) اى تفعلون خفية فعل الخائن فتظلمون (أنفسكم) بتعريضها للعقاب ونقص حظها من الثواب باشر عمر رضى الله عنه بعد العشاء فندم واعتذر الى النبى صلى الله عليه وسلم فقام رجال واعترفوا بمثله ثم ندموا عليه (فتاب عليكم) أى قبل توبتكم (وعفا عنكم) اى جاوز عنكم تحريمه بلا كراهة (فالآن باشروهن) اى الزموا بشرتكم بشرتهن وهو كناية عن الجماع (وابتغوا) لابطال الميل الكلى اليهن بتحصيل (ما كتب الله لكم) من الولد لا قضاء الشهوة (و) كذلك

أغلالا واحدها غل
(اسفر) الصبح اى أضاء
(أمشاج) اخلاط واحدها
مشج ومشيج وهو ههنا
اختلاط النطفة بالدم
(أسرهم) خلقهم (ألفافا)

(كلوا

(كلوا واشربوا) بعد العشاء الاخيرة وان قرب من وقت الصوم جوّز جميع ذلك (حتى يتبين لكم) ابتداء ضوء الصبح فى ظلمة الليل كأنما يتميز لكم (الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر) الصادق الذى لا تعقب نوره ظلمة (ثم أتموا الصيام) اى صوم كل يوم (الى الليل) اى الى غروب الشمس من ذلك اليوم مع ظهور الظلمة من قبل المشرق لا الى غيبوبة الشفق لان ابتداء الظهور موجب للتخلق باخلاقه وابتداء البطون راد الى عالم السفل ثم أشار الى انه وان احل لكم ليلة الصيام الرفث لم يبح مع الاعتكاف فقال (ولا تباشروهن وأنتم عاكفون) وان خرجتم عن المساجد وأنتم فى حكم المستقر (فى المساجد) والصائم قد خرج عن الصوم بالليل ثم قال ان لم تفهموا معانيها يكفيكم فيها أن (تلك حدود الله) الحاجزة بين ما أحل وحرم (فلا تقربوها) لئلا تدعوكم الى تخطيها (كذلك) اى مثل ذلك البيان الرافع للشبه (يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) أى يتحفظون عن غضبه ثم أشار الى أن المقصود من الصوم الكف عن الشهوات المباحة والمحرمة يجب الصوم عنها أبدا واجلها حقوق الخلق فقال (ولا تأكلوا أموالكم) أى بعضكم مال بعض بل يجب عليه حفظ ماله كانه مال نفسه ولا يجوز بذلك أكله كانه مشترك (بينكم) سيما (بالباطل) أى بالطريق الذى لم يشرعه الله فانه لا يجوز لاحد فى مال نفسه فكيف فى مال الغير (وتدلوا بها) أى ولا تتوسلوا بتلك الاموال (الى الحكام) بجعل بعضها رشوة لهم (لتأكلوا) بواسطة حكمهم الفاسد (فريقا) أى طائفة عظيمة (من أموال الناس) من غير ان تخرج عن اضافتها اليهم لكونهم مالكين لها (بالاثم) أى بواسطة حكمهم الفاسد فانه لا يفيد الحل ولا يشترط فى هذا علم من تأكلون ماله بل يحرم عليكم اذا أكلتموه (وأنتم تعلمون) انه ليس لكم بخلاف ما اذا وهبه المورث ولا علم للوارث به فانه لا يأثم بأكله الوارث لكن اذا علم وجب عليه رد بدله ثم أشار الى ان من أخذ مال الغير لا يبقى عليه ويبقى ظلمة الاثم كالقمر يأخذ نور الشمس فلا يبقى عليه ويعود مظلما فقال (يسئلونك عن الاهلة) روى ان معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا كالخيط ثم لا يزال يزيد حتى يمتلئ ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدا (قل) بعد الاشارة بالترتيب على أكل مال الغير الى الجواب الحقيقى انه بقدر محاذاته للشمس فاذا حاذاها طرف منه استنار ذلك الطرف ثم تزداد المحاذاة والاستنارة حتى اذا تمت بالمقابلة امتلأ ثم تنقص المحاذاة والاستنارة حتى اذا حصل الاجتماع أظلم بالكلية لكن لم يصرح به لانه اشتغال بعلم الهيئة الذى لا ينتفع به فى الدين وصرح بالاسلوب الحكيم اشعارا بأن الاولى السؤال عن الحكمة فيه فقال (هى) أى الزيادات والنقائص (مواقيت للناس) اى دلائل أوقات خاصة لآجال الناس وتعليقاتهم فى الايمان والنذور من غير افتقار الى حفظ الحساب ومراجعة المنجم الفاسق بما يحكم على الاشياء باختلاف القرانات فانه لكثرة خطئه فيها يدعى علم الغيب وان أصاب فى الحساب (والحج) والصوم لان مراجعة المنجم فيهما أشد ثم اشار الى ان سؤالكم عما يتعلق بعلم الهيئة على اعتقاد انه علم نافع كاعتقاد أهل الجاهلية البر فى اتيان المحرم البيوت من

أى ملتفة من الشجر واحدها لف ولفيف ويجوز أن تكون الواحدة لفاء وواحدها لف والجمع جمع الجمع ألفاف (قوله تعالى أحقابا) جمع حقب والحقب ثمانون سنة وقوله لابثين فيها أى كلما مضى حقب تبعه حقب آخر أبدا (قوله

ظهورها الا أن يكون من الحمس كنانة أو قريش أو الى ان أ كل مال الغير من غير الوجه المشروع
فى القبح كدخول الدار من ظهرها وان استحسنه الراغبون فى الدنيا لجهلهم ذلك برا فقال
(وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها) كان الرجل منهم اذا أحرم لم يدخل دارا ولا
حائطا من بابه بل نقب فى ظهر بيته أو يتخذ سلما يصعد فيه وان كان من أهل الوبر خرج من خلف
الخيمة والفسطاط (ولكن البر من اتقى) ما حرم الله فى الاحرام ومن أموال الناس (وأتوا
البيوت من أبوابها) فانه لا كراهة فيها فضلا عن الحرمة بل يحرم مراعاة أمر الجاهلية فكلوا
أموال الناس من الوجوه المشروعة (واتقوا الله) فى شرع الاحكام أو تغييرها (لعلكم
تفلحون) بكل بر وما يترتب عليه ثم أشار الى أن دخول بيوت الدين من أبوابها انما يتم برفع
الشبهات التى تدخل البيوت من ظهورها (و) هو انما يتم بقتال الكفار باقامة الحجج مرة
والسيف أخرى فقال (قاتلوا) بالسيف (فى سبيل الله الذين يقاتلونكم) دون الشيوخ
والنساء والصبيان (ولا تعتدوا) بالمثلة والمفاجأة من غير دعوة وقتل المعاهد (ان الله لا يحب
المعتدين و) ليس من الاعتداء قتلهم فى الحرم (اقتلوهم حيث ثقفتموهم) أى أبصرتموهم
من حل وحرم (وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) من حل وحرم وجواز الاخراج اتفاقا
دليل جواز القتل لان الاخراج فتنة أى محنة يفتتن بها الانسان (والفتنة أشد) أى أصعب
(من القتل) لدوام تعبها ان أمكم (و) ان أمرتم بالقتال فى الحرم (لا تقاتلوهم عند المسجد
الحرام) لان حرمته لذاته وحرمة سائر الحرم من أجله (حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم) فيه
فلا تفتقرون الى الفرار عن الحرم (فاقتلوهم) فيه اذ لا حرمة لهم لهتكهم حرمة المسجد
الحرام (كذلك جزاء الكافرين) لا يترك لهم حرمة كما لم يتركوا حرمة الله فى آياته (فان انتهوا)
عن الكفر بعد القتل لم يطالبوا به (فان الله غفور رحيم) وان كان حق الآدمى لئلا يكون
مانعا من الاسلام لكنه لم يرحمهم حال الكفر فقال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) أى
لا يوجد كفر وشبهة (ويكون الدين) كله (لله) أى يصير جميع الاعمال لله بلا عائق لكنه
يرحمهم بمجرد انتهائهم حتى انه يغضب من أجلهم على من ظلمهم لذلك فقال (فان انتهوا فلا
عدوان الا على الظالمين) أى فلا سبيل الا على من قتلهم ولو قصاصا ثم أشار الى انهم كما
يقاتلون عند المسجد الحرام اذا قاتلوا فيه يقاتلون فى الشهر الحرام اذا قاتلوا فيه فقال
(الشهر الحرام بالشهر الحرام) أى تهتك حرمته بهتكهم حرمته (والحرمات قصاص) أى
متساوية فلا يفضل شهر حرام على آخر بحيث يمتنع هتك حرمته لهتكهم حرمة ما دونه على
انا لا نهتك حرمة الشهر والمسجد الحرام والحرم بل نهتك حرمة من هتك حرمة أحدها (فمن
اعتدى عليكم) وهتك فيه حرمة مكان أو زمان (فاعتدوا عليه) لا على الزمان والمكان (بمثل
ما اعتدى عليكم) لا بأزيد منه (واتقوا الله) فى هتك حرمة الشهر والمسجد والحرم بدون
هتكهم وفى زيادة الاعتداء (و) ان خفتم غلبتهم فى المستقبل فالله يكفيكم (اعلموا أن الله
مع المتقين) وليس من الاعتداء الاستعانة على الكفار بمن لا يقاتلونهم بأنفسهم بل

استعينوا

تعالى اغطش ليلها) أظلم
ليلها (قوله تعالى أقبره)
أى جعله ذا قبر يوارى فيه
وسائر الاشياء تلقى على
وجه الارض يقال أقبره
اذا جعل له قبرا وقبره اذا
دفنه (قوله تعالى أنشره)
أحياه (قوله عز وجل
أبا) هو ما رعته الانعام
ويقال الاب للبهائم

استعينوا عليهم ولو بالاستظهار (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا) بترك الانفاق المفضى الى غلبتهم أنفسكم فى التهلكة كأنكم (بأيديكم) القابضة عن الانفاق تقضونها (الى التهلكة وأحسنوا) الظن بربكم فى الانفاق بأنه يعوضه عليكم فى الدنيا والآخرة (ان الله يحب المحسنين) الظن به ومن أحبه الله لا يفوته شئ (وأتموا) ولو بالقتال فى الشهر الحرام فانه ليس من الاعتداء بل يكاد يكون من الواجبات لتوقف الواجب عليهما (الحج والعمرة) أى اعمالهما بعد احرامهما اذ وجبا (لله) فمن عاق عنهما عاق الله عن حقوقه وذلك لان البيت لكونه أول متعبد لله نازل منزلة بيت الملك الذى يقصده الزوار من بعد وهو الاحرام يجتمعون للزيارة تارة على فناء حريمه وهو الوقوف بعرفة فى الحج وكذا أكثر اعماله ويفترقون تارة وهو العمرة فيطوفون حوله على عدد صفاته السبع التى يتخلق بها المتقربون اليه ويسعون لتأكيده النازل منزلة التحقق بها ويحلقون لقطع علائق ماسواه (فان أحصرتم) أى فان حبسكم العدو ولم يمكنكم قتالهم أو تركتم فأردتم التحلل (فما استيسر من الهدى) أى فالواجب ما تيسر من ذبح بدنة أو بقرة أو شاة لان الابتلاء بالاحصار من خباثة النفس ولا يمكن افناؤها اختيارا فأفنى ما يناسبها من الحيوانات (ولا تحلقوا رؤسكم) للتحلل (حتى يبلغ الهدى محله) أى حتى تعلموا بلوغ الهدى مذبحه من الحرم ان أمكن ايصاله اليه والا فحيث أحصر على مانقله الماوردى عن جميع أصحابنا البصريين وذكر أن الشيخ أبا حامد نقله عن نص الشافعى قال ومن أصحابنا البغداديين من جوز نحره فى الحل وان قدر على ايصاله الى الحرم انتهى وهذا هو المشهور فى المتأخرين وتأويل الآية حينئذ حتى يذبح الهدى فيستقر فى محله وذلك لان الهدى يقوم مقام الافعال السابقة على الحلق واذا لم يجز الحلق قبل البدل فقبل المبدل أولى بالامتناع الا لضرورة مع فدية (فمن كان منكم مريضا) يتضرر بالشعر (أو به أذى من رأسه) من قمل أو صداع (ففدية من صيام) ثلاثة أيام لانه تعدى على الاحرام والطواف والسعى فيصوم لكل تعد يوما (أو صدقة) ثلاثة آصع يتصدق بها على ستة مساكين زيدت على قوت اليوم لانها أخف على النفس من الصوم وقد كملت الجناية (أو نسك) أى ذبح بدنة أو بقرة أو شاة وهو لكماله لم يتعدد (فاذا أمنتم) أى كنتم آمنين من أول الامر أو صرتم بعد الاحصار (فمن تمتع) باستباحة محظورات الاحرام (بالعمرة) أى بالفراغ من أعمال العمرة (الى الحج) أى الى وقت الاحرام بالحج (فما استيسر من الهدى) أى فالواجب عليه انما هو الجزاء الكامل لانه احيا النفس فلابد من قتل بدلها (فمن لم يجد) هديا (فصيام ثلاثة أيام فى الحج) أى بعد الاحرام قبل الفراغ من اعماله والاولى سادس ذى الحجة وسابعه وثامنه جبرا للنقص فى أعماله الثلاثة الوقوف والطواف والحلق (وسبعة اذا رجعتم) الى أوطانكم ابقاء للصفات السبع التى تخلق أو تحقق بها بعد الرد الى عالم السفل (تلك عشرة كاملة) فى العوض عن الهدى لانه يجبر ما نقص جبرا مؤبدا لا يخاف معه الاختلال فى حق الكامل (ذلك) أى

كالفاكهة للناس (وقوله أذنت لربها وحقت) أى سمعت لربها وحق انها ان تسمع (قوله تعالى والارض ذات الصدع) أى تصدع بالنبات (قوله تعالى أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) أى ظفر من طهر نفسه بالعمل الصالح وفات الظفر من أخملها

وجوب دم المتمتع (لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام) أى لمن لم يكن وطنه دون مسافة القصر من الحرم لان من دونه فى حكم القرب من الله فالله تعالى يجبره بفضله (واتقوا الله) فى الجناية على احرامه (واعلموا أن الله شديد العقاب) لمن جنى على احرامه أكثر من شدة الملوك على من أساء الادب بحضرته وكيف لا تعظم الجناية على أفعال الحج وهى معظمة عظم لها أوقاتها اذ (الحج) أى أوقات أعماله (أشهر معلومات) بكثرة الفضائل عند أهل الحقائق فشوال يطلع على أعمال الحق وذو القعدة على صفاته وذو الحجة على ذاته والمراد عشرها الاول نزل منزلة الكل لغاية فضله (فمن فرض) أى أوجب على نفسه (فيهن الحج) باحرامه ولو بنية النفل (فلا رفث) أى فيقتضى احرامه ان لا يوجد جماع (ولا فسوق) بارتكاب محظورات الاحرام وغيرها (ولا جدال) أى مماراة أحد من الرفقة والخدام (فى الحج) أى فى أيامه بل ينبغى أن يوجد فيها كل خير مع خيرات الحج (وما تفعلوا من خير) ولو أدنى (يعلمه الله) فيعظم الجزاء عليه بانضمامها الى خيرات الحج (و) ليس من الخيرات ترك التزود وان أشعر بالتوكل بل (تزودوا) اتقاء السؤال فانه خير من التوكل (فان خير الزاد) أى زاد الآخرة الذى يترك له زاد الدنيا عند تاركه (التقوى) فانها خير من الاعمال النافلة بل لا ينفع عمل بدونها وهى تنفع بدون الاعمال (واتقون يا أولى الالباب) أى يا أهل الحقائق الباطنة فان كل باطن يخالف التقوى مردود وكيف تمنعون من التزود ولا تمنعون من التجارة اذ (ليس عليكم جناح) أى ضيق فى (أن تبتغوا فضلا من ربكم) من الربح ليريح قلوبكم عن اهتمام الرزق لعبادته ومعرفته واقصدوا لعبادته ومعرفته الاجتماع بعرفات (فاذا أفضتم من عرفات) أى دفعتم منها بكثرة دفع الماء عند صبه (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) أى فصلوا المغرب والعشا جمعا ثم اذكروا الله بالجمع بين الظاهر والباطن لاطلاعكم على ذلك عند الوصول الى مبادى حرمة المشعر الحرام وهو جبل قزح أو ما بين جبلى المزدلفة من مازمى عرفة الى محسر (واذكروه كما هداكم) بدلائل الكتاب والكشف والعقل (وان كنتم من قبله لمن الضالين) أى وانكم كنتم من قبل أن هداكم الله بذلك لمن الضالين باعتقاد الهية المظاهر والهيبة من ذكر الله حتى نفى فيه أو بقى به (ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس) اى افيضوا من المشعر الحرام الذى أفاض منه الحمس الذين زعموا انهم الناس فلم يخرجوا منه الى عرفة لبقية اعمال الحج طواف الركن والسعى والحلق والرمى (واستغفروا الله) عند الترقى اليها عما سلف من المعاصى حال وصولكم بمنى بعد الذكر السابق فانه أقرب الى القبول (ان الله غفور رحيم) يغفر ذنب المستغفر ويرحم عليه (فاذا قضيتم مناسككم) أى فرغتم من اعمال الحج (فاذكروا الله) بما رباكم بها ولا تعجبوا بما حصل لكم من الكمال (كذكركم آباءكم) اذ منوا عليكم بالتربية (او) كذكر قوم (أشد ذكرا) لله منكم لآبائكم لان منة الله بالاهداء والتوفيق والتعريف أجل من كل منة واقصدوه بذكره دون غيره لئلا يجعلوه واسطة (فمن الناس) أى الذين نسوا حق عظمته (من يقول ربنا آتنا) مرغوباتنا (فى الدنيا) لا نطلب غيرها فهذا

بالكفر والمعاصى ويقال أفلح من زكاه الله وخاب من أضله الله (قوله أنقض ظهرك) أى أثقل ظهرك حتى سمع نقيضه أى صوته وهذا مثل ويقال أنقض ظهرك أثقله حتى جعله نقضا والنقض البعير الذى قد أتعبه السفر والعمل فنقض لحمه فيقال

(و) ان

(و) ان ذكر الله (ماله فى الآخرة من خلاق) أى نصيب على ذكره لانه استوفى نصيبه فى الدنيا بتخصيص دعائه به (ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة) صحة وكفافا وتوفيقا (وفى الآخرة حسنة) ثوابا ورحمة (وقنا عذاب النار) بالعفو والمغفرة (أولئك) وان اساؤا الادب معه بتوسيطه (لهم نصيب) من حسنات الدنيا والآخرة (مما كسبوا) من هذا الدعاء وسائر الاعمال يحاسبهم الله فى أسرع الاوقات ليوصلها اليهم بسرعة (والله سريع الحساب) واما من دعا الله لذاته ولم يطلب منه سواه فلا حساب لعطائه (واذكروا الله) لذاته لا لطلب شئ منه فان لم يتيسر أيام عمركم فلا أقل من ان تذكروه لذاته (فى أيام معدودات) هى ايام التشريق بالتكبير ادبار الصلوات وعند ذبح القرابين ورمى الجمار والسر فى الرمى الاستهانة بالشيطان بذكر الله وتعظيمه والجمرات الثلاث بمنزلة مداخله من القوة النظرية والشهوية والغضبية وأيام التشريق بمنزلة مراتب النفس الامارة واللوامة والمطمئنة ورمى جمرة العقبة يوم العيد لتزكية الامارة لتعود الى الفطرة وأمرها اهم فقدم والتزكية انما تكون بذكر الله فاذكروه فى هذه الايام سيما الاولين (فمن تعجل فى يومين) أى نفر فى اليوم الثانى بعد رمى الجمار قبل الغروب (فلا اثم عليه) بترك مبيت ليلة الثالث بمنى ورميه اذ لا يحتاج الى تزكية المطمئنة (ومن تأخر فلا اثم عليه) وان زاد عملا يشبه زيادة ركن فى الصلاة لانه احتاط بتزكية المطمئنة احترازا عن تلبيس الامارة بأنها صارت مطمئنة لكنه (لمن اتقى) أن يأتى بمحرم (واتقوا الله) أن تدعوا لانفسكم كمالا بهذه التزكية (واعلموا أنكم اليه تحشرون) فلو ادعيتم الكمال لانفسكم كنتم مدعين مشاركته فى الكمالات فيكون حشركم اليه حشر من ادعى الشركة معه ثم اشار الى انه لا يغتر باظهار النفس الكمال لها للروح ثم لا يبالغ فى تزكيتها وتوليها أمرها فتظهر عداوتها الكامنة وتفسد عليه ميلها الى الله وتهلك اعمالها وأحوالها ومقاماتها حتى تصير لا تبالى بالله وترد الى جهنم البعد والفراق فتستقر فيها فيصير كالاخنس بن شريق اذ قال عز وجل فى حقه (ومن الناس من يعجبك قوله) اى يعظم فى نفسك حلاوته وفصاحته (فى الحيوة الدنيا) التى هى مبلغ علمه ولحفظها على نفسه يظهر محبته لك (ويشهد الله على ما فى قلبه) من الايمان بك والمحبة لك لئلا يتفرس فيه الكفر والعداوة (وهو ألد الخصام) أى أشد فى العداوة اذ لا اثر فى العداوة الظاهرة يعتد به (و) لذلك (اذا تولى) اى صارت له قوة استيلاء على ثقيف (سعى فى الارض ليفسد فيها) بالقتل والاسر والنهب (ويهلك الحرث) أى الزرع بالاحراق (والنسل) أى المواشى الناتجة ففعل ما لا يفعله مؤمن أو محب لله ورسوله لانه مفسد كيف (و) هو مما لا يحبه الله تعالى اذ (الله لا يحب الفساد) فيصير فاعله مبغضا مسقطا عن حبه كيف (و) لم يبال بالله حتى (اذا قيل له اتق الله) فى الافساد والاهلاك (أخذته العزة) أى غلبته عزته فمنعته عن قبول قول الناصح وأمرته (بالاثم) واذا لم يكفه النصح بتقوى الله (فحسبه) أى كافيه (جهنم) اذ استقر فيها أبدا (ولبئس المهاد) أى الفراش الذى يستقر عليه بدل فرش عزته ثم أشار الى أن التزكية انما

له حينئذ نقض (قوله عز وجل أثقالها) جمع ثقل واذا كان الميت فى بطن الارض فهو ثقل لها واذا كان فوقها فهو ثقل عليها (قوله عز وجل أوحى لها) وأوحى اليها واحد أى ألهمها وفى التفسير أوحى لها أمرها (قوله عز وجل الهاكم التكاثر) شغلكم

ثم يبيع النفس لطلب مرضاة الله تعالى فقال (ومن الناس من يشرى نفسه) أى يبيعها حتى كانه ينساها (ابتغاء) أى طلب (مرضات الله) لا لحظ من حظوظها فيعبده لذاته لا لدنياه ولا لآخرته (والله رؤف بالعباد) الذين امحضوا عبادته فلم يكونوا اجراء سوى رحمهم باعطاء حظوظهم فى الدنيا والآخرة اذ يتلذذون به فوق تلذذ أهل الدنيا بدنياهم وأهل الجنة بجنتهم وكثيرا ما يفيض عليهم حظوظها أيضا ثم أشار الى ان بيع النفس ابتغاء مرضاة الله انما يتم بالانقياد لله ظاهرا وباطنا ولا يتم مع طلب حظوظ النفس لانه يعارض فيه ارادته بارادة الحق فقال (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم) فان مقتضى الايمان الانقياد له بالكلية فان لم يتم فلابد من الدخول فيه فادخلوا فيه (كافة و) لا مانع من الدخول فيه سوى اتباع خطوات الشيطان (لا تتبعوا خطوات الشيطان) فانه وان جاءكم بلذات دنيوية أو أخروية يفوت عليكم لذات أهل الله (انه لكم عدو مبين فان زللتم) باتباع خطوات العدو (من بعد ما جاءتكم البينات) على عداوته وعلى عظم لذات أهل الله ثم أهل الجنة واعتمدتم على حلمه وكرمه وجوده (فاعلموا أن الله عزيز حكيم) فاذا أخللتم بمقتضى عزته بترك الانقياد له فلابد ان يفعل بكم ما هو مقتضى حكمته من الفرق بين من قام بمقتضى عزته ومن أخل بها وكما انه جواد كريم لطيف فهو مانع منتقم شديد العقاب ثم أشار الى انه لا يكفى فى الدخول فى السلم الانقياد الظاهر مع انكار الباطن فانه مكر مع من يطلع على مكر الخلائق ولا يطلعون على مكره فقال (هل ينظرون الا أن يأتيهم الله) بقهره مخفيا له (فى ظلل من الغمام) أى السحاب الابيض الموهم كونه ماطرا اخفاءهم النفاق (و) تأتيهم (الملائكة) الذين لا يبصرون بالقهر الذى لا شعور به أصلا بخلاف الذى فى الغمام (و) لا وجه لانتظارهم اذ (قضى الامر) فى حق المنافقين بذلك والانتظار مشعر بالتردد وكيف يتردد فيه (والى الله ترجع الامور) فاذا لم ينقادوا باطنا يكون رجوعهم اليه رجوع العبد الخارج على الملك اذا رد عليه قهرا ثم أشار الى انه لا ينبغى لمن ينقاد لله ان يغتر بما يظهر عليه من الخوارق فقال (سل بنى اسرائيل كم آتيناهم) على رهبانيتهم على خلاف شريعتهم (من آية بينة) فصرفوها وهى نعم الله الى معاصيه فأهلكناهم (و) هكذا (من يبدل نعمة الله) بمعصيته (من بعد ما جاءته) اشتد غضبه عليه (فان الله شديد العقاب) ثم أشار الى ان الخوارق ان لم تقارن بالانقياد لله لم تدل على القرب من الله بل على البعد منه حتى يكتسب بها الدنيا فيشبه الكفرة اذ (زين للذين كفروا الحيوة الدنيا) كيف (و) يكون سبب ازدرائه بالمؤمنين فيشبه الكفرة اذ (يسخرون من الذين آمنوا) بما فاقوا عليهم بأمور الدنيا كذلك أهل الخوارق يسخرون من العوام بما فاقوا عليهم بالخوارق بل على المتقين الذين لا خوارق لهم (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) وان لم يفوقوا بالخوارق فى الدنيا بل رزقهم الله الخوارق كرزق الكفرة الاموال (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فمجرد التقوى أدل على القرب من الخوارق ثم أشار الى انهم كيف عظموا بالخوارق انفسهم ولم يعظموا الانبياء بمعجزاتهم التى هى أعظم الخوارق مع اقترانها بالدعوة

التكاثر (قوله أبابيل) جماعات فى تفرقة أى حلقة حلقة واحدها ابالة وابول وابيل ويقال هو جمع لا واحد له (قوله تعالى الابتر) الذى لا عقب له (قوله تعالى أحد) بمعنى واحد وأصل أحد وحد فأبدلت الهمزة من الواو

العامة الى الخيرات بل كانت سبب تفرقهم اظهورها على يد غيرهم وذلك أنه (كان الناس
أمة واحدة) متفقين على الاسلام فيما بين آدم وادريس وعلى الكفر فيما بينه وبين نوح
(فبعث الله النبيين) بالمعجزات القاهرة والبراهين القاطعة مقرونة بالدعوة الى الخير فى
العموم اذ بعثهم (مبشرين) لمن آمن وأطاع (ومنذرين) لمن كفر وعصى (وأنزل معهم
الكتاب) الجامع لما يحتاجون اليه فى باب الدين على الاستقامة والهداية التامة التى لا يحتاج
معها الى خارق لكونه ملتبسا (بالحق) من جميع الوجوه (ليحكم بين الناس فيما اختلفوا
فيه) من الاعتقادات والاعمال ومعجزاتهم مؤيدة له (وما اختلف فيه) مع كونه رافعا
للاختلاف (الا الذين أوتوه) أى علموه ولم يكن اختلافهم لالتباس عليهم من جهته بل (من
بعد ما جاءتهم البينات) أى الدلائل الواضحة بكون الشبهة بازائها شبهة فى مقابلة البديهيات
فكان اختلافهم (بغيا بينهم) أى حسدا وقع بينهم لكنه لم يبق شبهة فى حق من آمن (فهدى
الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق) أى للحق الذى اختلفوا فيه (باذنه) أى بتيسيره
لا بمراجعتهم المختلفين ولا يبعد مع اقامته الدلائل الواضحة (والله يهدى من يشاء) بغير دليل
ظاهر ولا معلم بشرى (الى صراط مستقيم) كذلك خوارق أهل الضلال سبب الالتباس
عليهم وقد هدى الله المؤمنين فميزوا بين المعجزات والكرامات وبين سائر الخوارق ولو قيل كيف
يتميز المحق من المبطل مع انه يعطى الخوارق والشبه أجيب بأنه التباس ضعيف اذ المعجزة غير
مقدورة للبشر مقرونة بالدعوة الى الخير فى العموم لكن قد يبتلى به كما يبتلى الضعفاء بالبأساء
والضراء فى الاسلام اذ لولاه لاتفق الكل على الحق لانه طالبه ولا مانع عنه أحسبتم أن
تدخلوا الجنة من غير ابتلاء فى تمييز المعجزات أو الدلائل عن الخوارق والشبه (أم حسبتم أن
تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم) أى من غير ان يأتيكم الشأن العجيب
الذى كان للماضين قبلكم فكان سنة الله التى لا تتبدل (مستهم البأساء) أى أصابهم الفقر
والشدة (والضراء) أى المرض والزمانة (وزلزلوا) أى أزعجوا من خوف العدو (حتى يقول
الرسول) الداعى الى الصبر الواعد بالنصر (والذين آمنوا معه) العازمون على الصبر
الموقنون بوعد النصر (متى نصر الله) استبطاء له فيقال لهم (ألا ان نصر الله قريب) فكذلك
التمييز بين المعجزات وسائر الخوارق وبين الدلائل والشبه قريب وان استبعده البعض ثم أشار
الى أن السؤال المذكور فى وضوح الرد كالسؤال عما ينفقون (يسئلونك ماذا ينفقون)
يستصعبونه مع وضوحه (قل) الالتباس فى المصرف أكثر فحقكم ان تسألوا عنه أولا
وتجابوا بأن (ما أنفقتم من خير) فيه اشارة الى أن كل خير صالح للانفاق (فللوالدين) قبل
غيرهما ليكون اداء لحق تربيتهما مع كونه صلة وصدقة (والاقربين) بعدهما ليكون صلة
وصدقة (واليتامى) بعدهم لان فيهم الفقر مع العجز (والمساكين) بعدهم لاحتياجهم (وابن
السبيل) بعدهم لانه كالفقير لغيبة ماله ثم صرح بجواب أصل السؤال تنبيها على
غباوتهم مع مزيد تعميم فقال (وما تفعلوا من خير فان الله به عليم) فيجازيكم عليه وفيه اشارة

ا
المفتوحة كما أبدلت من
المضمومة فى قولهم وجوه
وأجوه ومن المكسورة فى
قولهم وشاح وإشاح ولم
يبدلوا من المفتوحة الا فى
حرفين أحد وامرأة أناة
وأصلها ونا من الونى وهو
الفتور

(باب الالف المضمومة)

الى أن ما يأتى به صاحب المعجزة خير فى نفسه فلولم تميز المعجزة عن سائر الخوارق فعليكم ان تفعلوا ماهو الخير بكل حال ولو قالوا ان أمر الشبه صعب لايكاد يسهل أجيبوا انما صعب لكراهتكم حلها لما يفوتكم من الدين المألوف لكم فيكون حلها على أنفسكم بمنزلة القتال لها فالكره فى حلها كالكره فى الجهاد اذ (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيأ وهو خير لكم) ومنه الجهاد اذ به ظهور الاسلام وتيسير اعماله بلا مانع وحل الشبه اذ به الوصول الى الحق المفيد للسعادة الابدية المنجى عن الشقاوة الابدية (وعسى أن تحبوا شيأ وهو شر لكم) ومنه ترك الجهاد القالع للاسلام المانع من أعماله وحب الملة الباطلة المفوتة للسعادة الابدية المفضية الى الشقاوة الابدية ثم قال (والله يعلم وأنتم لاتعلمون) فاذا اشتبه عليكم شئ فعليكم بكتاب الله وسنة رسوله ثم أشار الى ان مما اشتبه عليهم أمرك بقتالهم فى الشهر الحرام مع قولك بحرمته وهو أيضا سهل الرد فهم (يسئلونك عن الشهر الحرام) أيحرم أم لا فتقول انه حرام فيسألونك عن (قتال فيه قل قتال فيه كبير) من المعاصى الكبائر كيف (و) هو (صد عن سبيل الله) أى عن التجارة التى جعلها الله سبيل الرزق لعباده (و) لو استبيح هذا القتل فهو (كفر به و) صد عن (المسجد الحرام) اذا قتل الحجاج الخارجون فى الشهر الحرام فهذا وجه تحريم القتال فى هذا الشهر (و) لكن (اخراج اهله) أى اخراجهم أهل المسجد الحرام وهم النبى والمؤمنون (منه أكبر عند الله) جرما من قتلهم اياهم لان الاخراج فتنة (والفتنة أكبر من القتل) فقد فعلوا بكم فى المسجد الحرام ماهو أكبر من القتل فيه وحرمة المسجد كحرمة الشهر على ان قتالهم لكم ليس كقتالكم اياهم لانكم تقتلونهم دفعا عن أنفسكم وعلى أن يؤمنوا فيفوزوا بخير الدارين (و) هم يقاتلونكم لطلب الردة بل (لايزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) أى قدروا على ردتكم وهى أضر من القتل الذى تدفعونه لان غاية القتل الموت وهو حاصل للمرتد وان لم يقتل (و) انما كانت الردة أضر لانه (من يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم) أى تلفت جميع مساعيهم النافعة لهم (فى الدنيا) اذ ترفع الامان عن أموالهم وأهلهم (والآخرة) اذ يسقط ثوابهم (و) لايقتصر عليه بل (أولئك اصحاب النار) وهى أشد من القتل سيما اذ (هم فيها خالدون ان الذين آمنوا) بحرمة الشهر فى نفسه وجواز قتال المخرجين أهل المسجد الحرام منه (والذين هاجروا) اذ أخرجوا من المسجد الحرام (وجاهدوا فى سبيل الله) ولو فى الشهر الحرام للدفع عن أنفسهم أو للدعوة الى الاسلام المفيد لهم فى الدارين (أولئك) وان باشروا القتال فى الشهر الحرام (يرجون رحمة الله) على ايمانهم وهجرتهم وجهادهم للدفع أو لاعلان المقتول (والله غفور) لهتكهم حرمة الشهر (رحيم) بما رخص فى القتال مع قيام دليل الحرمة ومما اشتبه عليهم أمر الخمر لانه اتقوى وتفرح ويؤدى سكرها الى التشاتم والتضارب والتقاتل وأمر الميسر لانه يحصل لواحد دما لا ويضيعه على آخر فهم (يسئلونك عن الخمر والميسر) ايباحان لمنافعهما أو يحرمان لمفاسدهما (قل فيهما اثم كبير ومنافع

للناس)

(قوله تعالى وأتوا به متشابها) أى يشبه بعضه بعضا لجائز أن يشتبه فى اللون والخلقة ويختلف فى الطعم وجائزان يشتبه فى النبل والجودة فلا يكون فيه ماينتقى ولا مايفضل لغيره (قوله عز وجل أميون) الذين

للناس) يرون بينهما معارضة فيستشكلونه (و) ليس بمشكل مع ظهور رجحان جانب الاثم
اذ (اثمهما أكبر) تأثيرا (من نفعهما) لان الضرر الاخروى لايحتمل للنفع الدنيوى بل يراه
نفعا من نسى ذلك الضرر (ويسئلونك ماذا ينفقون) فان رجحان الامر الاخروى على النفع
الدنيوى يقتضى انفاق الجميع (قل) لم يأمركم باخلال الامر الدنيوى للنفع الاخروى وانما
منع النفع الدنيوى للضرر الاخروى فانفقوا (العفو) أى الفاضل الذى يمكن التجاوز عنه
لعدم الاحتياج اليه كما فى الخمر لايختل بتركه أمر دنيوى بل فى مشربه أنواع من الخلل الدنيوى
فالاثم انما كان لاختلال الامر الدنيوى بذهاب العقل فلذلك قال عقيبه (كذلك) هكذا
(يبين الله لكم الآيات) الامر والنهى وهوان الدنيا (لعلكم تتفكرون فى الدنيا) انها فانية
(والآخرة) انها باقية وفى أمورهما لتصلحوهما ولا تحملوا مفسداتهما فلا تتركوا اللذائذ
الباقية للذائذ الفانية (ويسئلونك عن اليتامى) بان الضرر الاخروى اذا كان مانعا من النفع
الدنيوى وفى أكل مالهم ضرر أخروى ولا يؤمن منه أوجب التحرز عنهم وهو مضيع لهم
(قل) لاضرر أخروى فى اصلاحهم بل (اصلاح لهم خير) دنيوى لهم وأخروى لكم
(و) خطر أكل مالهم ليس بمانع من مخالطتهم بل (ان تخالطوهم فاخوانكم) ولا بأس
بمخالطة الاخوان اذا لم يكن على وجه الافساد (والله يعلم المفسد) ويميزه (من المصلح) فى الجزاء
فاحترزوا عن الافساد ولا تتركوا الاصلاح فان تركه يشق عليهم (ولو شاء الله لأعنتكم)
أى اشق عليكم بما تشقون عليهم ولا يمنعه من ذلك شئ (ان الله عزيز) أى غالب على ما أراد
(حكيم) وقد اقتضت حكمته ذلك فلا يتركه ثم أشار الى أن الخطر الاخروى وان أمر بتحمله
فى أمر اليتامى لايجوز تحمله فى مناكحة أهل الشرك فقال (ولا تنكحوا المشركات حتى
يؤمن) بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوى بنكاح الامة المفضى الى رقية الولد (ولأمة مؤمنة
خير من مشركة) فان نقصان الرقية فيها مجبور بالايمان الذى هو أجل كمالات الانسان (ولو
أعجبتكم) بسائر الفضائل فان نقصان الكفر لايجبر بها (ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا)
بل يحتمل لاجله الضرر الدنيوى بفوات الكفء (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم)
بكثرة الفضائل فان ذهاب الكفاءة بالكفر غير مجبور بشئ منها وأشار الى وجه الخطر بقوله
(أولئك يدعون الى) أسباب (النار) ويؤثر قولهم لافراط المحبة بينهم (والله) يمنع مناكحتهم
وأمر بمناكحة الارقاء لانه (يدعوا الى) أسباب (الجنة و) أسباب (المغفرة) المنجية من النار
وتيسر ذلك (باذنه) أى بتوفيقه (ويبين آياته للناس) ليتذكروا لا على القطع بل بطريق
الرجاء (لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض) هل يجب ابعادهن عن مكان الفراش للخطر
فى الاجتماع (قل) لا خطر فى ذلك يعتدبه اذ (هو أذى) يأباه الطبع السليم وغايته اعتزال
النساء فى محل الحيض (فاعتزلوا النساء فى المحيض) أى الفرج (و) للخطر فى ذلك (لا تقربوهن)
بمباشرة حريم الفرج وهو ما بين السرة والركبة (حتى يطهرن) أى يحصل لهن النقاء عن الدم
بل حتى يغتسلن (فاذا تطهرن) أى اغتسلن (فأتوهن) أى أبيح لكم اتيانهن (من حيث

لا يكتبون واحدهم أمى منسوب الى الامة الامية التى هى على أصل ولادات أمهاتها لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها (قوله عز وجل أشربوا فى قلوبهم العجل) أى حب العجل (قوله عز وجل أهل به لغير الله) ذكر عند ذبحه اسم غير الله وأصل الاهلال رفع

أمركم الله) أى من القبل الذى أباحه الله لكم وتوبوا لو أتيتم قبل التطهر أو فى غير المأتى فان
التوبة طهر (ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) لانهم يرجعون اليه ويناسبونه فى
التنزه وانما أمركم باتيان القبل لان الحرث انما يكون من جانبه اذ (نساؤكم حرث لكم)
تلقون فى أرحامهن بذر الولد وهو النطفة ومنع اتيان الدبر لا يمنع اتيان القبل من جهته
(فأتوا حرثكم أنى شئتم) أى من أى جهة شئتم فلا تبالوا بقول اليهودان من جامع فى القبل من
جهة الدبر كان الولد أحول (وقدموا) على الاتيان قصد طلب الولد فانه يفيد الثواب
(لانفسكم واتقوا الله) أن تضيعوا بذره بوضعه فيما لا يحل (واعلموا أنكم ملاقوه) فيسألكم
عن بذره (وبشر المؤمنين) الواضعين بذره فى محل أمره بما يجازيهم على تعميرهم للعالم ثم أشار
الى أن قضاء الشهوة لا يمنع من تأثير قصد الخير كما أنه لا يمنع تأثيره نقض اليمين فقال (ولا تجعلوا
الله عرضة لأيمانكم) أى حاجزا يمينكم لاجل يمينكم به على أن لا تبروا أو على أن تفعلوا فعلا
محرما أو على أن لا تدخلوا فى الاصلاح وبين (أن تبروا وتتقوا) فعل المحرم (وتصلحوا بين
الناس) فانقضوا أيمانكم وكفروا عنها يحصل لكم أجر الخير (والله سميع) لاعتذاركم عن يمينه
اذا نقضتموه لتعظيم أمره (عليم) بأنكم قصدتم به تعظيم أمره لا هتك حرمته فلا يؤاخذكم بتلك
اليمين بعد التكفير كما انه (لا يؤاخذكم الله باللغو) أى بالكلام الذى لم يقصد بأيمانكم وان
دخل (فى أيمانكم) بلا قصد (ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم) من هتك حرمته بنقض
اليمين المقصودة أو جعلها وسيلة الى اكتساب حرام (و) انما لا يؤاخذكم باللغو مع قلة
مبالاتكم اذ (الله غفور حليم) ثم أشار الى أنه كما لا يؤاخذكم بنقض اليمين اذا نقضت للبر
والتقوى والاصلاح وكفرت لا يؤاخذ بيمين المولى وهو من حلف لا يجامع امرأته فوق أربعة
أشهر أو مطلقا اذا كفر فقال (للذين يؤلون) أى يحلفون للامتناع (من نسائهم تربص أربعة
أشهر) أى انتظار نسائهم مضى أربعة أشهر اذ لا يحتملن الصبر فوق ذلك (فان فاؤا) اى رجعوا
اليهن بالجماع فنقضوا اليمين وكفروا عنها (فان الله غفور) لحنثه (رحيم) على النساء بما رخص
لهم فى الحنث (وان عزموا الطلاق) أى حققوا موجبه وهو ترك الفىء كأنهم قصدوه جزما
(فان الله سميع) لقصدهم (عليم) بما يجب عليهم من تطليقها من أنفسهم أو على لسان الحاكم
(والمطلقات) ولو موليات انتظرن المدة المذكورة وفى معناهن المفارقات حال الحياة بردة أو
خيار اذا كن من ذوات الاقراء مدخولات غير حاملة (يتربصن بأنفسهن) أى ينتظرن
بحمل أنفسهن عليه قهرا (ثلاثة قروء) أى مضى ثلاثة اطهار يجتمع الحيض فيها فى أرحامهن
اجتماعا كاملا وحين ينتقلن الى الحيض لان هذا الانتقال يدل على براءة الرحم بحسب
الغالب اذ حيض الحامل نادر ولو كثر فلا يكاد يخفى الحمل بعد هذا العدد وجعل تعدد
الطلاقات توسيعا المدة الرجعة على من راعى حقها العله يذهب عن قلبه فى هذه المدة ما كرهها
فيراجعها وعلى من استكمل ليذوق وبال فراقه لو عاد بعد العدتين (ولا يحل لهن أن يكتمن
ما خلق الله فى أرحامهن) من الحيض أو الولد استعجالا للعدة أو ابطالا لحق الزوج فى الرجعة

الصوت (قوله عز وجل
اضطر) أى ألجئ (قوله
عز وجل أمة) وهى على
ثمانية وجوه أمة جماعة
كقوله عز وجل أمة من
الناس يسقون وأمة اتباع
الانبياء عليهم السلام كما
تقول نحن من أمة محمد
صلى الله عليه وسلم وأمة
رجل جامع للخير يقتدى به

(ان

(ان كن يؤمن بالله) ان جرين على مقتضى الايمان به المخوف من ذاته (واليوم الآخر)
المخوف من جزائه (وبعولتهن) أى أزواجهن (أحق بردهن) ان كان الطلاق رجعيا (فى
ذلك) أى فى زمان التربص (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لا اضرارا (و) الاصلاح انما يتم
باداء كل حق الآخر اذ (لهن) على الرجال من المهر والكفاف وترك الاضرار (مثل الذى
عليهن) للرجال من الاطاعة والتعفف وحفظ البيت (بالمعروف و) ليس لهن التحكم على
الرجال من الاعتراض بتزوج أخرى أو بالتسرى اذ (للرجال عليهن درجة والله عزيز) اى
قادر على انتقام من منع حق صاحبه (حكيم) ينتقم منه بمقتضى حكمته (الطلاق) أى
التطليق الذى يستحق الزوج الرد فى عدته (مرتان) فى كل مرة له الرد والتطليق فان رد
(فامساك بمعروف) أى فالواجب امساكها باقامة حقوق الزوجية ولا يجوز اضرارها
بذلك بتطويل العدة (أو) طلق فالواجب (تسريح باحسان) أى لا يأخذ منها شيأ (و) ذلك
لانه (لا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيأ) من المهر والنفقة فضلا عن سائر أموالها
فى كل وقت (الا) وقت (أن يخافا ألا يقيما حدود الله) أى حقوق الزوجية ثم هذا الخوف
يجب أن يكون بحيث لو رفع الى الحكام يقع فى قلوبهم (فان خفتم) أيها الحكام لو رفع
أمرهما اليكم (ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما) أى لا حرج على المرأة فى الاعطاء وعلى
الزوج فى الاخذ (فيما افتدت به) نفسها عن ضرره ولو زائدا على قدر المهر والنفقة ولا يكون
حينئذ تسريحا باحسان بل خلعا (تلك) الاحكام (حدود الله فلا تعتدوها) فلا يحل للزوج
أن يأخذه ان اختص به خوف عدم اقامة الحدود ولا للمرأة أن تعطيه ان اختص بها ذلك
(ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) فى الاخذ والاعطاء وان صح عقد الخلع واذا
خيرناه بعد المرتين بين الامساك والتسريح (فان طلقها فلا تحل له) برجعة ولا بنكاح جديد
(من بعد) لانه قطع محبتها من نفسه وقلبه وروحه فلم يبق له علاقة يمكنه جذبها بها (حتى تنكح
زوجا غيره) أى حتى تذوق وطء زوج آخر بنكاح صحيح وذلك لئلا يكثروا التطليق والعود
مع أنها لما نكحت زوجا آخر ووطئها صارت كأنها لم تكن امرأة الاول أصلا فكأنه لم تكن
بينهما محبة انقطعت يحتاج وصلها الى علقة بل صارت لا تعرفه ولا يعرفها على ان القطع اذا
كان من البعض كان كقطع الشجرة لا من أصلها فيمكن عودها وان كان من الاصل فلا
تعود الا بغرس جديد وجعل الى غارس آخر لئلا يكون القاطع غارسا مرة أخرى فيلزمه
السفه (فان طلقها) الزوج الثانى (فلا جناح عليهما) أى على الزوج الاول والمرأة (أن
يتراجعا) الى الزواج بتجديد النكاح (ان ظنا) أى اعتقدا اعتقادا راجحا اذ لا يمكن الجزم
بالامور المستقبلة (أن يقيما حدود الله) أى حقوق الزوجية (وتلك) أى اصابة الزوج الثانى
وتطليقه وظنهما اقامة حقوق الزوجية (حدود الله يبينها لقوم يعلمون) ان من قطعت
محبته يحتاج فى تجديدها الى حيلة (واذا طلقتم النساء) أيها الازواج الثوانى (فبلغن أجلهن)

كقوله ان ابراهيم كان أمة
قانتا لله وأمة دين وملة
كقوله عز وجل انا
وجدنا آباءنا على أمة وامة
حين وزمان كقوله عز
وجل الى أمة معدودة
وكقوله وادكر بعد أمة
أى بعد حين ومن قرأ أمه
وأمه أى نسيان وأمة أى
قامة يقال فلان حسن
القامة

أى فبلغ انتظارهن ما يقرب آخر مدتهن فأنتم كالازواج الاولين (فامسكوهن بمعروف) أى بقصد اقامة حقوق الزواج (أو سرحوهن بمعروف) أى اتركوهن مسرحات من غير قصد العضل (ولا تمسكوهن ضرارا) بهن بتطويل العدة (لتعتدوا) عليهن بجعلها كالمعلقة (ومن يفعل ذلك) فهو وان ظلمها فى الظاهر (فقد ظلم نفسه) بالحقيقة لانه يعطيها أعماله الصالحة أو يحمل أعمالها الطالحة ويحبس فى النار حبسها فى العدة (ولا تتخذوا آيات الله) أى مواعيده التى بينها باياته (هزوا) فيدوم حبسكم فى النار (واذكروا نعمت الله عليكم) اذ جعلهن بأيديكم ولو جعلكم بايديهن لاضررن بكم فلا تتوسلوا بنعمته الى معصيته (و) اذكروا (ما أنزل عليكم من الكتاب) أى العلم الظاهر (والحكمة) أى العلم الباطن لاصلاح شأنكم اذ (يعظكم به) فلا تفسدوا عليكم ما أصلح الله لكم باياته وظواهر علومه وبواطنها وزواجره (واتقوا الله) فى افساد ما أصلح بذلك (واعلموا أن الله بكل شئ) من اصلاحكم وافسادكم (عليم) وكفى بعلم الملك القدير العدل الحكيم زاجرا عن مخالفته ثم أشار الى أنه كما لا يجوز اضرارهن بالامساك عند تقارب انقضاء العدة لا يجوز اضرارهن بعد انقضائها بمنع التزويج فقال (واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن) أى فبلغ انتظارهن آخر أجلهن (فلا تعضلوهن) أى لا تمنعوهن أيها الازواج (أن ينكحن أزواجهن) أى من أردن من الازواج اذ لم تبق لكم زوجيتهن بل صار غيركم أولى بهذه الاضافة (اذا تراضوا بينهم بالمعروف) أى بطريق النكاح (ذلك) النهى عن العضل (يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله) بقدرته وعدله وحكمته (واليوم الآخر) يوم جزائه (ذلكم أزكى لكم) لنفوسكم من الميل اليهن (وأطهر) لقلوبكم من وسوسة الشيطان (والله يعلم) ما فى العضل من ضرركم عند الله (وأنتم لا تعلمون) ما على أهل العضل من الشدة عنده (والوالدات) ولو مطلقات مأمورات بأن (يرضعن أولادهن) ولو فى بيوت المطلقين اذ لم يكن لهن الحضانة لعدم أهليتهن وان خيف ميلهم اليهن سيما بطول مدة المساكنة لكونها (حولين كاملين) يحتمل ذلك لحفظ الاولاد عن التلف وهذه المدة غاية (لمن أراد أن يتم الرضاعة) فلا يحتمل اسكانهن فى بيوت المطلقين أكثر من ذلك (و) الولد وان كان للوالدة (على المولود له) أجرتها ولم يقل على الوالد ليشعر بأنه ينتسب اليه لا اليها ولذلك كان عليه مؤنته لا عليها وأجرة المثل فى ذلك (رزقهن) أى طعامهن (وكسوتهن بالمعروف) أى بما يراه الحاكم هذا اذا كان الوالد موسرا اذ (لا تكلف نفس الا وسعها) وأما اذا كان الوالد معسرا فحينئذ يصير على الوالدة ولو معسرة (لا تضار والدة بولدها) بمنع ارضاعه ولو عند اعسار الاب (ولا مولود له بولده) عند اعساره وان كان لها الحضانة فذهبت به الى بيتها عند المفارقة اذ ليس عليها مؤنته (وعلى الوارث مثل ذلك) أى ويجب على الصبى اذا ورث مال أبيه أجرة المرضعة ولو أمه هذا اذا احتاج الصبى الى الرضاع (فان أرادا) أى الابوان (فصالا) أى فطاما صادرا (عن تراض منهما) لا لكراهة أحدهما للآخر (و) لا لعسر الانفاق ولا لتعب التربية بل عن (تشاور) وهو

الامة أى القامة وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال النبى صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده وأمة أم يقال هذه أمة زيد أى أم زيد (قوله عز وجل أحصرتم) أى منعتم من السير بمرض أو عدو أو

استخراج الرأى (فلا جناح عليهما) فى منع الارضاع وأجرته (وان أردتم أن تسترضعوا
أولادكم) من غير أمهاتهم لكراهة ظهرت فيهن (فلا جناح عليكم) ولو بعد استئجارهن لمدة
(اذا سلمتم) اليهن (ما آتيتم) أى سميتم لهن من الاجر (بالمعروف) أى بالوجه المستحسن شرعا
بخلاف ما اذا كانت الاجارة فاسدة فانه يجب فيه أجرة المثل لمدة الرضاع (واتقوا الله) فى
الميل الى المرضعات اذا كن مطلقات أو أجنبيات وفى منع شئ من حقوقهن عند ارادة
الاسترضاع من غيرهن (واعلموا أن الله بما تعملون بصير) وان لم يبصره غيركم ولما ذكر عدة
المفارقة حال الحياة وحكمها فى الارضاع فى أثناء العدة وبعدها عقبها بعدة المتوفى عنها
زوجها فقال (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن) أى ينتظرن أزواجهم
بعدهم (بأنفسهن) أى بحملها على الصبر (أربعة أشهر وعشرا) أى مضيها الثلاثة تعارض فى
قلبها حب المتوفى وحب الجديد فاخذت مدة صبرها وهو أربعة أشهر وزيد عليه العشر اذ بذلك
ينقطع صبرها فتميل الى الجديد ميلا كليا فينقطع عن قلبها حب المتوفى على أنه يظهر فى حق
المدخول بها حركة الحمل اذ تكون بعد أربعة أشهر لكنها تبتدئ ضعيفة وتتقوى بمضى عشر
آخر ولم يكتف بالاقراء الدالة على عدمه ههنا بخلاف الفراق حال الحياة لان الفراق
الاختيارى شاهد عدمه مع شهادة الاقراء فثمة شاهدان وههنا واحد وعدم الحركة بعد هذه
المدة يقوى شهادة الاول فيكون كالشاهد مع اليمين (فاذا بلغن أجلهن) أى بلغ انتظارهن
آخر عدتهن (فلا جناح عليكم) يا أولياء المتوفى (فيما فعلن فى) حق (أنفسهن) من التزويج
قبل الحول (بالمعروف) أى بالوجه المشروع من حضور الولى والشهود (والله بما تعملون
خبير) فيجازيكم على لومكم اياهن على الامر المشروع (و) كما لا جناح عليهن فى التزويج
بعده (لا جناح عليكم) أيها الخاطبون (فيما عرضتم به) أى أوردتموه بطريق التعريض وهو
افهام المقصود بما لم يوضع له حقيقة ولا مجازا (من خطبة النساء) بأن تقولوا لها انك جميلة
أو صالحة أو رب راغب فيك أو من يجد مثلك (أو) فيما (أكننتم) أى أضمرتم من نكاحهن
(فى أنفسكم) وان كان حقه التحريم فضلا عن التعريض باللسان لكن أباحه الله لكم اذ
(علم الله أنكم ستذكرونهن) من عدم صبركم عنهن فلا تعتقد واما أباح لكم الى ما وراءه
(ولكن لا تواعدوهن) حال العدة ولو (سرا الا أن تقولوا) بطريق التعريض (قولا
معروفا) يدل على النكاح لا السفاح ولا باستعجال النكاح فانه زيد اباحته لانه يخاف سبق الغير
عند كمال العدة بخطبتها (ولا تعزموا) أى لا تقصدوا جزما حال العدة (عقدة النكاح) بعد
العدة لانه يفيد مزيد تحريك من الجانبين بحيث لا يطاق معه الصبر الى انقضاء العدة (حتى يبلغ
الكتاب) أى ما قدر من العدة (أجله) أى آخره (واعلموا أن الله يعلم ما فى أنفسكم) من الميل
اليهن قبل الاجل (فاحذروه واعلموا أن الله غفور) ذلك الميل اذ لم يتعد العزم عقدة النكاح
لانه (حليم لا جناح) أى لا ضيق (عليكم) من لزوم المهر عليكم ولا على نسائكم من لزوم

سائر العوائق (قوله عز
وجل أخراكم) أى آخركم
(قوله عز وجل أجورهن)
أى مهورهن (قوله عز
وجل اسلموا) أى ارتهنوا
(قوله عز وجل الاهلكة)
أى مالح
و جل أجاج) اى مالح
مر شديد الملوحة (قوله
عز وجل أكله) ثمره (قوله
عز وجل أملى لهم) أى

العدة عليهن أو الاضرار بهن (ان طلقتم النساء مالم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة) أى قبل الوطء وقبل فرض المهر وأما اذا طلقها بعد الوطء وقبل الفرض يلزم مهر المثل وبعد الوطء والفرض يلزم المسمى (و) حيث لا مهر عليكم (متعوهن) جبر الوحشة الفراق وهى مفوضة الى رأى الحاكم ينظر فى حال المطلق (على الموسع قدره) أى يجب على الموسر قدر ما يليق بيساره (وعلى المقتر قدره) أى على المعسر قدر ما يليق باعساره (متاعا بالمعروف) اى بالوجه المستحسن فلا يزاد الى نصف مهر المثل ولا ينقص الى ما لا يعتد به (حقا) اى ثبت ذلك ثبوتا مستقرا (على المحسنين) اى الناظرين الى الله فلا يليق بهم ايحاش خلقه بالكلية (وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) اى قبل الوطء (وقد فرضتم لهن) فى العقد أو بعده (فريضة) ولو أقل من مهر المثل (فنصف ما فرضتم) اى فالواجب نصف المسمى (الا أن يعفون) فلا شئ على المطلقين (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) اى الزوج المالك عقدة النكاح عن استرداد النصف فانه لكونه مالكا للنكاح يستحق رد حقه مع حقها (وأن تعفوا) عن استرداد النصف (أقرب للتقوى) ليكون جبرا للاساءة اذ النصف الآخر انما هو لتحقق نصف موجبه اذ موجبه العقد والوطء وقد تحقق العقد (ولا تنسوا الفضل) أى التفضيل بالزيادة لئلا تذهب بالوحشة (بينكم ان الله بما تعملون بصير) فلا يضيع تفضلكم ثم أشار الى أن اساءة التطليق وان لم تكن بدعة وأدى فيها المتعة أو المهر لا يذهب الا باكتساب الحسنات سيما الصلاة لا كيف كانت بل بالمحافظة (حافظوا على الصلوات) برعاية فرائضها وسننها وأوقاتها (و) لا تكتفى المحافظة على صلاة ما بل لا بد من المحافظة على (الصلوة الوسطى) وهى الصبح الواقعة بين صلاتى الليل والنهار المشهودة للملائكة النازلين والصاعدين وقيل العصر كقوله عليه السلام شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا (وقوموا لله قانتين) أى خاشعين أو ذاكرين له وهذه المحافظة فى غير شدة الخوف (فان خفتم) واشتد خوفكم (فرجالا أو ركبانا) أى فصلوا راجلين أو راكبين فيعفى عن كثرة الافعال واتمام الركوع والسجود واستقبال القبلة (فاذا أمنتم) اى زال خوفكم ولو فى أثناء الصلاة (فاذكروا الله) اى فصلوا ذاكرين (كما علمكم) من فرائضها وسننها (مالم تكونوا تعلمون) مما أفادكم الله أسرارا وعلوما ولما ذكر متعة المطلقات وما يرتفع به اساءة المطلقات بالكلية اشار الى متعة المتوفى عنها فقال (والذين يتوفون منكم ويذرون) أى يتركون (أزواجا) الزمهم الله (وصية لازواجهم) أن يمتعوهن بالنفقة والكسوة (متاعا) ممتدا (الى) آخر (الحول غير اخراج) اى غير مخرجات من مساكن الفراق وكان هذا فى أول الاسلام ثم سقطت النفقة والكسوة بتوريثها الربع أو الثمن والحول بأربعة أشهر وعشرا وبقى لها السكنى لكنها كانت فى أول الاسلام الى سنة وكانت على سبيل اختيارها (فان خرجن فلا جناح عليكم) يا أولياء الميت (فيما فعلن فى) معاش (أنفسهن من) كسب (معروف) جائز شرعا (والله عزيز) اى غالب على مجازاة ما فعلن من غير المعروف بفعله لانه (حكيم) ثم الزمن

أطيل لهم المدة واتركهم ملاوة من الدهر والملاوة من الدهر والملوان الليل والنهار (قوله عزوجل احبسوهم) احصروهم وامنعوهم من التصرف (قوله عزوجل أذن خير لكم) يقال فلان أذن أى يقبل كل ما قيل له

ملازمة السكنى أربعة أشهر وعشرا وذلك لانه لم تكن من عادتهن ملازمة البيوت ثم
الزمن محافظة على ماء الرجل ثم أشار الى أنه كما يكون للمتوفى عنها زوجها نفقة وسكنى
مع أخذها كل المهر يكون للمطلقات بعد الفرض والمس أيضا فقال (وللمطلقات) غير
من طلقت قبل المسيس بعد الفرض لانه لما نقص الفرض فى حقها لم تستحق الزيادة (متاع
بالمعروف) جبرا لوحشة الفراق والمهر حق بضعها (حقا على المتقين) أى ثبت ثبوتا مستقرا
على من يتقى البقاء على الاساءة (كذلك) اى مثل ذلك البيان الشافى (يبين الله لكم) فى جميع
المواضع (آياته) الدالة على أحكامه الحكمية (لعلكم تعقلون) اى تستعملون عقولكم
لاستنباط وجه الحكمة فيها ثم أشار الى أنكم لو منعتم المهر والمتعة بعد ما أمر الله بهما
لم يبعد ان يسلبكم الاموال والحياة التى تجمعونها وان أعطيتم لم يبعد ان يعوضها لكم بل
لا يبعد منه تعويض الحياة فقد عوضها قوما غير محصورين (ألم تر) أيها المنكر لذلك (الى)
أهل داوردان (الذين خرجوا من ديارهم) اذ وقع بها الطاعون الى واد أفيح (وهم ألوف) ثلاثة
أو أربعة أو عشرة أو بضعة وثلاثون أو أربعون أو سبعون (حذر الموت فقال لهم الله موتوا)
اذ ناداهم ملك من أسفل الوادى وآخر من أعلاه ان موتوا فماتوا جميعا فبليت أجسادهم
وعريت عظامهم (ثم أحياهم) اذ مر بهم حزقيل بن بوزى فجعل يتفكر فيهم فأوحى الله اليه
تريد ان أريك آية قال نعم وقيل دعا أن يحييهم فأحياهم ليتوفوا آجالهم تفضلا عليهم وعلى
من بلغهم خبرهم ليعتبروا فيفوزوا (ان الله لذو فضل على الناس) يتفضل عليهم ليشكروه
(ولكن أكثر الناس لا يشكرون) ثم أشار الى أنه لا يبعد من الله أن يأمركم باعطاء المهر
والمتعة (و) قد أمركم ببذل المهج اذ قال لكم (قاتلوا فى سبيل الله واعلموا) ان أنكرتم أمره
أو قصدتم عصيانه (أن الله سميع) لانكاركم وقصدكم (عليم) بمقتضاهما من الجزاء ثم أشار
الى أن بذل المهج والحقوق ليس اتلافا للنفوس والاموال بل تعويض بما هو أجل (من ذا الذى
يقرض الله قرضا حسنا) على سبيل الاخلاص امتثالا لامره لا لحاجته بل لتضعيفه
بمقتضى عظمته (فيضاعفه له) بتكثير فوائد الحياة والاموال فى الآخرة أو الدنيا أيضا
(اضعافا كثيرة و) لا يبعد ان يقبض عمن لا يقرضه ويبسط لمن يقرضه اذ (الله يقبض ويبسط
و) لو لم يعد لكم الاضعاف لوجب عليكم امتثال أمره اذ (اليه ترجعون) وكيف ينكر بسط
الله وقبضه وهو الذى يعطى الفقير الملك ويسلبه من أهله ويقوى الضعفاء من الجمع القليل
ويضعف الاقوياء من الجمع الكثير (ألم تر الى الملا) أى الاشراف (من بنى اسرائيل) الذين
كمل شرفهم فى عهد موسى ثم زال ثم عاد (من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم) هو اشمويل بن بال
أو ابن هلقايا أو شمعون بن صفية حين ظهرت العمالقة قوم جالوت على كثير من أرضهم
وأسروا من أبنائهم لوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وأخذوا توراتهم (ابعث لنا ملكا) اى
أقم لنا أميرا (نقاتل) معه عن رأيه (فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا) اى هل قرب تركم القتال ان فرض عليكم (قالوا وما لنا ألا نقاتل) اى اى

(قوله عز وجل أولوا
الارحام) واحدهم ذو
(ألات) واحدها ذات (قوله
تعالى أترفوا) أى نعموا
وبقوا فى الملك والمترف
المتروك يفعل ما يشاء وانما
قيل للمنعم مترف لانه لا يمنع
من تنعمه فهو مطلق فيه
(قوله عز وجل اجتثت)
معناه استؤصلت (قوله

شئ عرض لنا يكون سبب أن لانقاتل (فى سبيل الله وقد) تحقق فينا موجبه اذ (أخرجنا من دیارنا و) أفردنا من (ابنائنا فلما كتب عليهم القتال) بعد الحاحهم فى طلبه (تولوا) اى أعرضوا عنه جبنا (الاقليلا منهم) وهم الذين عبروا النهر (و) لم يجعل الله المتولين جبناء الالعلمه بظلمهم اذ (الله عليم بالظالمين و) يدل على ظلمهم اعتراضهم على نبيهم فى تعيينه بأمر الله الملك الذى طلبوا تعيينه اذ (قال لهم نبيهم) الذى عرفوا صدقه بالمعجزات (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) فاعترضوا عليه بل على الله اذ (قالوا أنى يكون له الملك علينا) وهو من أولاد بنيامين (ونحن) لكوننا من أولاد يهودا (أحق بالملك منه و) غير المستحق ربما يصير ملكا لسعة المال لكنه (لم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم و) لايتوقف اصطفاؤه على ارث أومال وليس بطريق التحكم بل لانه (زاده بسطة فى العلم) أى علم المملكة (والجسم) فجعله عظيم الجسم جميل الصورة مهيبا (و) ان كان لايشترط شئ من ذلك فى حق الله اذ (الله يؤتى ملكه من يشاء و) لايمكن التضيق عليه اذ (الله واسع) لكنه لايتحكم لانه (عليم و) من ظلمهم انهم لم يكتفوا بهذا البيان من نبيهم بل طلبوا منه الآية حتى (قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت) صندوق التوراة (فيه سكينة من ربكم) اى سكون نفوس بنى اسرائيل يتقوون به على الحرب (وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون) وضع فيه أولادهما عصا موسى وثيابه وعمامة هرون فلما فسدوا واغلب عليهم العمالقة فكان عندهم الى ان أصابهم الدواهى فتشاءموا بالتابوت فأخرجوه الى الصحراء فأخذته الملائكة فيأتيكم (تحمله الملائكة) بين السماء والارض وأنتم تنظرون فتضعه بين يدى طالوت (ان فى ذلك لآية لكم) على ملكه وعلى صدقى لكنها انما تتم دلالتها عندكم (ان كنتم مؤمنين) بآيات الله وأنبيائه ولما اعترضوا على نبيهم فيما سألوه وسألوا منه الآية عليهما ابتلاهم الله فيما سألوه من النهر لعطشهم (فلما فصل طالوت) نفسه عن البلد (بالجنود) أى معهم وكانوا ثمانين ألفا من الشبان الفارغين عن التجارة والدهقنة وغيرهما (قال ان الله مبتليكم) أى معاملكم معاملة المختبر (بنهر) سألتموه لخروجكم وقت القيظ (فمن شرب منه فليس منى) أى من أشياعى الذين يقاتلون معى (ومن لم يطعمه) أى لم يذقه (فانه منى) وليس من الشاربين أحد منى (الامن اغترف غرفة) واحدة (بيده) الواحدة فانه لايخرج بذلك عن كونه منى لانه فى معنى من لم يذقه (فشربوا منه) الى حد الارتواء (الاقليلا منهم) ثلثمائة وثلاثة عشر عدد أهل بدر اقتصروا على الغرفة فكفتهم للشرب والارواء ومن لم يقتصر غالبه العطش واسودت شفته (فلما جاوزه) أى النهر (هو) أى طالوت (والذين آمنوا معه) فصدقوه أن النهر للابتلاء (قالوا) أى المفرطون فى الشرب (لاطاقة لنا اليوم) قبل رؤية جالوت (بجالوت وجنوده) اذ سلب الله شجاعتهم (قال الذين) اغترفوا غرفة بأيديهم لانه الى لهم مع أمر الله على انا ان قتلنا لقينا الله اذ كانوا (يظنون أنهم ملاقوا الله) مع انا نرجو نصره لمتابعتنا أمره اذ (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة) أى كثر غلبة الجماعة القليلة على الجماعة الكثيرة

عزوجل اجنبى) وجنبى بمعنى واحد (قوله أف ولا تنهرهما) ألاف وسخ الاذن والتف وسخ الاظفار ثم يقال لما يستثقل ويضجر منه أف وتف له (وقوله تعالى أف لكم ولما تعبدون) أى تتنالكم (قوله تعالى أفرغ عليه)

لا لافراط قوة القليلة بل مع ضعفهم (باذن الله) أى بتيسيره (و) يرجى ذلك للصابرين اذ (الله مع الصابرين و) كالم يجبنوا عند مجاوزة النهر لم يجبنوا الرؤية جالوت وجنوده ولم يعجبوا بشجاعتهم أيضا بل (لما برزوا) أى ظهروا (لجالوت وجنوده) اذ دنوا منه (قالوا ربنا أفرغ) اى افض (علينا صبرا) فى قتالهم فلا نجزع للجراحات طلبوه أولا لانه ملاك الأمر (وثبت أقدامنا) فى مكان الحرب فلا نهرب منه وهو سبب للصبر ثم طلبوا النصر المرتب عليهما فقالوا (وانصرنا) لانا مؤمنون بك (على القوم الكافرين) بك (فهزموهم) أى هؤلاء القليلون اولئك الكثيرين (باذن الله) اذ شجع القليلين وجبن الكثيرين (وقتل داود) الذى كان أضعف عسكر الضعفاء (جالوت) الذى هو رأس الاقوياء وروى انه عز وجل أوحى الى شمويل ان جالوت يقتله أصغر أولاد ايشى وكان مع أولاده السبع فى عسكر طالوت فطلبه من ابنه فجاء وقد كلمته فى الطريق ثلاثة أحجار انك تقتل بنا جالوت فحملها فى مخلاته ورماه بها فقتله فخص بهذه الشجاعة العظيمة التى قوى بها جماعة الضعفاء المحصورين وضعف بها جماعة الاقوياء الغير المحصورين (و) لم يقتصر فى حقه عليها بل (آتاه الله) مع ذلك (الملك) الذى استولى به على الاقوياء والضعفاء (والحكمة) التى لا نسبة لخير الملك الى خيرها الكثير (و) مع ذلك (علمه مما يشاء) من اسرار العلوم (و) انما قوى الله هؤلاء الضعفاء وأعطى بعضهم الملك والحكمة ومن سائر العلوم ليدفع فساد الاقوياء بالسيف والشبهات وسوء العشيرة اذ (لولا دفع الله الناس بعضهم) من أهل الشر (ببعض) من أهل الخير (لفسدت الارض) أى مضى فسادها ولم يعد الى صلاح فهو وان قهر الجمهور لم يقصد به عموم القهر بل دفع عموم الفساد للاوقات كيف وانما يتركه من لا يعم فضله (ولكن الله ذو فضل على العالمين) ولذلك انما قهر من قهر بعد اظهار الآيات على ألسن الرسل وقد أراد الآن ازالة الفساد العام أيضا بارسالك مع الآيات اذ (تلك) المذكورات من اماتة الالوف واحيائهم وتمليك طالوت واتيان التابوت وانهزام جالوت وقتل داود اياه وتملكه (آيات الله) اذ هى أخبار غيوب تدل على كمال قدرته وحكمته ولطفه (نتلوها عليك بالحق) الثابت عند أهل الكتاب والتواريخ (وانك لمن المرسلين) بتلك الآيات وآيات اخر تفوق آيات الاولين ثم أشار الى انه عز وجل وان كان ذا فضل عام على الناس لم يكن رافعا للفساد من أصله لانه أوجب التفاوت فى الناس حتى الرسل الذين لهم غاية الكمال الانسانى اذ (تلك الرسل) حزقيل واشمويل وموسى وهرون وداود ومحمد عليهم السلام ليسوا بالسوية بل (فضلنا بعضهم على بعض) اذ (منهم من كلم الله) كموسى عليه السلام بلا واسطة (ورفع بعضهم درجات) كداود آتاه الله النبوة والرسالة والخلافة والملك والحكمة فلا يبعد ان يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم درجات كتكليمه ليلة المعراج ورؤيته وتقريبه قاب قوسين وتعميم دعوته وتعظيم آياته وحججه وتكثيرهما وتكثير فضائله العلمية والعملية (و) لا يمنع التفضل على موسى وداود اذ (آتينا عيسى ابن مريم البينات) التى هى أكمل من آيات موسى وداود كابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى

أى أصبب علينه خماسا صدابا (قوله عز وجل اخفيها) استرها وأظهرها أيضا وهو من الاضداد من اخفيت واخفيها أظهرها الاغير من خفيت (قوله عز وجل ازلفت الجنة) قربت وادنيت (قوله تعالى اضمم يدك الى جناحك) أى اجمع يدك

(و) قد آتيناه مع الآيات الفعلية الآيات القولية أيضا اذ (أيدناه بروح القدس) ولا يدل اختلاف اهل الكتاب فى عيسى بعد اتفاقهم على موسى وداود على نقص عيسى اذ لم يكن عن شبهة فضلا عن حجة بل عن عناد محض قدره الله عليهم ليهلكهم اذ بالغوا فيه حتى اقتتلوا (ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم) أى من بعد انبيائهم بموسى وداود وغيرهما الآيات ظهرت عليهم (من بعد ما جاءتهم البينات) على يدى عيسى ومحمد عليهما السلام اكمل من آياتهم فكان حقهم الاتفاق عليهما (ولكن اختلفوا) ولم يقتصروا على هذا الاختلاف فى حقهما بل وقع فى حق الاولين (فمنهم من آمن) بموسى وداود وغيرهما اذ آمن بعيسى ومحمد عليهم السلام (ومنهم من كفر) بالكل ولم يقتصروا على الاختلاف بطريق التردد فيهما اذ لم يردهم الله الى ذلك لعدم كونهما محل التردد بل ردهم الى الجزم بالكفر لافراط عنادهم (ولو شاء الله ما اقتتلوا) مع علمهم بأنهم على الباطل (ولكن الله) رد عنادهم الى الجزم بالكفر لانه (يفعل ما يريد) ولا يريد الا مقتضى استعداد المحل ولذلك أوقع التفاوت بين الناس ثم أشار الى ان الله تعالى وان خلق الناس متفاوتين فلا ينافى عموم تفضله اذ جعلهم قابلين لتحصيل الفضائل وهيأ لهم أسبابه كالمال ينفق فى سبيل الله فيشترى به فى الدنيا فضيلة السخاء وفى الآخرة رضوانه وجنته ويحصل به خلة الفقراء وشفاعة الاولياء منهم فقال (يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم) لتشتروا منا الرضوان والجنة وتحصلوا خلة فقرائنا وشفاعة أوليائنا (من قبل ان يأتى يوم لا بيع فيه) فيشترى الجنة والرضوان (ولا خلة) تسامح بهم تهما (ولا شفاعة) تخلص من النار (و) لم يمنع فضله الكافرين بابطال القابلية أو بعدم تهيئة الاسباب لهم بل (الكافرون هم الظالمون) بابطال القابلية وصرف الاسباب الى امور الدنيا بشراء أمتعتها او تحصيل خلتها او التوسل به الى شفاعة خواص الملوك اليهم وبالجملة صرفوا المال فى غير مصرفه ثم أشار الى ان ظلمهم لا يختص بذلك بل وقع فى حق الله من جهات كثيرة اذ منهم من ينكر وجوده ومنهم من ينكر توحيده ومنهم من يقول بحلوله أو اتحاده ومنهم من ينكر كمال علمه ومنهم من ينكر كمال قدرته ومنهم من يشرك غيره فى صفات الكمال واستحقاق العبادة لكنه هو (الله) الواجب الوجود الذى له الوجود الحقيقى لا لغيره لا يشاركه فى صفات كماله ولا فى استحقاق العبادة غيره اذ (لا اله الا هو) وكيف يستحقها غيره وهو ميت لذاته اذ هو (الحى) لذاته وحياة الغير من ظهور حياته فيه بل الغير معدوم فى ذاته اذ هو (القيوم) اى القائم بذاته المقوم لكل ما عداه فوجود الكل من ظهور نور وجوده فيه ومن كمال حياته وقيوميته أنه (لا تأخذه سنة) فتور تتقدم النوم (ولا نوم) حال تعرض للحيوان من استرخاء دماغه من رطوبات أبخرة متصاعدة تمنع الحواس الظاهرة عن الاحساس فهما منقصان للحياة منافيان للقيومية لانهما من التغيرات المنافية لوجوب الوجود الذى للقيوم ونفى النوم أولا التزاما ثم صريحا ليدل كمال نفيه على ثبوت كمال ما ينافيه ومن كمال قيوميته اختصاصه بملك العلويات والسفليات المشار اليه بقوله (له ما فى السموات) من الملائكة

الى جيبك والجناح ما بين
أسفل العضد الى الابط
وقوله تعالى واضمم
اليك جناحك من الرهب
يقال الجناح ههنا اليد
ويقال العصا (قوله عز
وجل اسلك يدك فى جيبك
أى ادخلها فيه ويقال
الجيب ههنا القميص

والشمس والقمر والكواكب (ومافى الارض) من الاصنام وغيرها حتى انه لا حكم لغيره بطريق الشفاعة يدفع بها ما يريده بل من افراط هيبته (من ذا) من الانبياء والملائكة فضلا عن الاصنام (الذى يشفع عنده) فضلا ان يقاومه أو يناصبه (الا باذنه) تحققا للعبودية على ان الشفيع انما يشفع بعد ان يعلم ذنب المشفوع له لكنه لا يعلم الا باطلاع الله اياه وهو بذاته (يعلم ما بين ايديهم) اى ما قدموا من الطاعات أو المعاصى (وما خلفهم) اى ما أخروا منهما (ولا يحيطون بشئ من علمه) الذى به مؤاخذته (الا بما شاء) ومجرد اطلاعهم لا يمكنهم من الشفاعة اذ احاط ملكه بالكل لانه (وسع كرسيه) الذى به تصرفه فى العالم بما دون العرش (السموات والارض) فله ان يتصرف كيف شاء بلا معارض فلا يمكن للشفيع ان يشفع بدون اذن مالكه ومالك المشفوع له (و) كذلك أحاطت قدرته حتى انه (لا يؤده) اى لا يشقه (حفظهما) اى السموات والارض فلا يمكن للشفيع مقاومته ولا أن يحفظ عليه ما يريد اهلاكه أو تعذيبه وفيه اشارة الى انه لا يفتقر الى شريك ولا ولد وكيف يشق عليه (وهو العلى) أى الغالب على الكل كيف وهو (العظيم) الذى لا عظمة لغيره اذا اعتبر معه واعلاؤه وعظمته لا يحله الحوادث ولا يحلها ولا يحدثها وكيف لا يكون انكار هذه الامور أعظم ظلم منهم مع انها تكاد تكون ضرورية حتى انه (لا اكراه) على العقول فى التزامها بل (فى) جميع أمور هذا (الدين) لانها منقادة للدلائل ان لم يعقها تعصب أو عناد وقد ظهرت دلائله حتى انه (قد تبين) بهذه الآية وأمثالها (الرشد) منحصرا فى هذا الدين مميزا (من الغى) فى سائر الاديان تميزا لم يبق معه شبهة الا من جهة تسويل شيطان يأمر بالطغيان على الله أو وهم أو خيال يطغى على العقل (فمن يكفر بالطاغوت) اى بجميع ما يدعو الى الطغيان (ويؤمن بالله) الذى يدعو اليه العقل السليم والكشف المستقيم (فقد استمسك بالعروة الوثقى) اى بالحجة القوية (لا انفصام) اى لا انقطاع (لها) بشبهة فان عرضت استعان عليها بالله (والله سميع) لدعوة من يستعين به (عليم) بما يقطع الشبهة من قلبه (الله ولى الذين آمنوا) اذا توجهوا عند توارد الشبهات على قلوبهم (يخرجهم من الظلمات) اى ظلمات الشبهات (الى النور) اى نور الدلائل المفيدة لليقين الماحى للشبهات بالكلية (والذين كفروا) انما تبقى شبهاتهم لرجوعهم فى دفعها الى شياطين الانس والجن فهؤلاء (أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور) اى نور الدلائل القطعية (الى الظلمات) اى ظلمات الشبهات (أولئك) بمراجعتهم الطاغوت واتباعهم الشبهات دون الانبياء والاولياء والعلماء والدلائل القاطعة (أصحاب النار هم فيها) وان كانوا مجتهدين مع المعاندين (خالدون ألم تر الى) اخراج الطاغوت نمرود (الذى حاج ابراهيم) اى جادله (فى ربه) من نور نسبة الاحياء والاماتة اليه الى ظلمات نسبتهما الى نفسه واستعان الطاغوت على هذا الاخراج (أن آتاه الله الملك) الذى أقل شكره ان يعترف به (اذ قال ابراهيم) حين سأله من ربك الذى تدعونا اليه وذلك حين أخرجه من السجن للاحراق (ربى الذى يحيي ويميت) وأنت عاجز عنهما فلا تستحق الربوبية (قال)

(قوله اغضض من صوتك) أى انقص منه ومنه قوله قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم أى ينقصوا من نظرهم عما حرم عليهم فقد اطلق لهم سوى ذلك (قوله عزوجل اركض برجلك) اضرب الارض برجلك والركض الدفع بالرجل ومنه ركضت

لست بعاجز بل (أنا أحيي) بمباشرة المرأة (وأميت) بالقتل (قال ابراهيم) أريد الاحياء
والاماتة بنفخ الروح واخراجه وأنت عاجز عن تحريك بعض الاجسام المتحركة الى جهة
بتحويلها الى أخرى مع ان أصل التحريك من آثار الحياة فاذا عجزت عن أثر من اثارها مع
وجود مثله فأنت عنها فى غاية العجز (فان الله يأتى بالشمس) بتحريك فلكها على خلاف
حركته الخاصة (من المشرق) الى المغرب (فأت بها) بتحريك فلكها على حركته الخاصة (من
المغرب) الى المشرق ان قدرت على مقاومته (فبهت الذى كفر) اى غلب بالحجة من ثبت كفره
لكنه لم يخرج من ظلمته لاصراره على العناد الذى هو أجل وجوه الظلم (والله لا يهدى)
بالحجج والدلائل (القوم الظالمين) بالعناد (أو) ألم تر الى (كالذى) اى مثل عزير بن شرخيا
أو ارميا بن حلقيا المخروج من الظلمات الى النور بطريق لا نظير له حين (مر على قرية) هى
بيت المقدس (وهى خاوية) اى حيطانها ساقطة (على عروشها) اى سقوفها لسقوطها أولا
حين خربها بختنصر (قال) استعظاما لقدرة المحيي واستصغارا لنفسه عن معرفة كيفية
الاحياء (أنى يحيي هذه الله بعد موتها) اى كيف يعمر الله هذه القرية بعد خرابها فكان
منه كالوقوع فى الظلمات فأراه الدليل على الاحياء الحقيقى فى نفسه مبالغة فى قلع الشبهة
اخراجا له منها الى النور (فأماته الله) وتركه ميتا (مائة عام) لينذرس بالكلية (ثم بعثه) أى
أحياه يبعث روحه الى بدنه وبعض اجزائه الى بعض بعد تفرقها ولما التبس عليه أمر الموت
بالنوم سأله عن مقدار لبثه ليعلمه ان اللبث فى النوم لا يمكن هذه المدة وذلك اذ (قال كم لبثت)
وكان قد مات ضحى وبعث بعد المائة قبل غروب الشمس (قال) قبل النظر الى الشمس (لبثت
يوما) ثم التفت فرأى بقية فقال (أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام) فان ترددت (فانظر
الى طعامك وشرابك لم يتسنه) أى لم يتغير اذ لو لم يكونا معادين لكانا بطول النهار متغيرين
(و) لو امكن بقاؤهما على حالهما (انظر الى حمارك) كيف صار عظاما ولا يتصور فى يوم
واحد فأعدنا لك الكل ليكون لك آية على البعث (ولنجعلك آية للناس) على البعث وان لم
يشاهدوا اعادتك ولا اعادة طعامك وشرابك وحمارك (و) لو أردت معرفة كيفية الاحياء
(انظر الى العظام) أى عظام الحمار (كيف ننشزها) أى نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه
(ثم نكسوها لحما فلما تبين له) اعادته مع طعامه وشرابه وحماره بعد التلف الكلى وظهر له
كيفية الاحياء (قال أعلم أن الله على كل شئ قدير) نخرج من الظلمات الى النور (و) اذكر
لتمثيل قصة المار على القرية فى الاخراج من الظلمات الى النور بالاحياء قصة ابراهيم (اذ قال
ابراهيم رب ارنى كيف تحيي الموتى قال) مع علمه بأنه اكمل الناس ايمانا ليظهر به غرضه
فى الجواب فيعلمه السامعون (أ) تشك فى قدرتى على الاحياء ووعدى به (ولم تؤمن قال بلى)
آمنت (ولكن) سألت (ليطمئن قلبى) برؤية الاحياء فوق طمأنينته بالوحى والاستدلال
(قال) ان أردت الطمأنينة (فخذ أربعة) أى أربعة افراد (من) اجناس (الطير) الذى
هو أعلى من الحيوانات الارضية والمائية (فصرهن) أى اضممهن (اليك) لتتأملها فلا

الدابة اذا ضربتها برجلك
ويقال اركض برجلك
ادفع برجلك (قوله تعالى
أولى اجنحة مثنى وثلاث
ورباع) أى لبعضهم
جناحان ولبعضهم ثلاثة
ولبعضهم أربعة (قوله
عزوجل أم القرى) أى
أصل القرى لان الارض
دحيت من تحتها يعنى مكة

يلتبس عليك بعد الاحياء (ثم) اذبحهن وجزئهن و(اجعل على كل جبل) بحضرتك وكانت اربعة أوسبعة (منهن جزأ ثم ادعهن) بتعالين (يأتينك سعيا) أى مسرعات فأخذ طاوساوديكا وغرابا وحمامة أونسرا فذبحهن ونتف ريشهن وأمسك رؤسهن وخلط سائر أجزائهن ووزعها على الجبال ثم نادهن فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صرن جثثا ثم اقبلن الى رؤسهن فانضممن اليها وفيه اشارة الى ان من أراد احياء نفسه بالحياة الابدية فعليه بقتل حب الشهوات والزخارف الطاوسية والصولة الديكية والخسة والامنية الغرابية ومسارعة الهوى الحامية والاقبال على القوى البدنية بقتلها ومزجها لتنكسر سورتها فيطاوعنه مسرعات متى دعاهن بداعية العقل والشرع (واعلم ان الله عزيز) لا يعجزه مراد (حكيم) لا يحيى قبل القيامة فى مستمر العادة لئلا يكون الجاء الى الايمان بالبعث وانما اراكه لسبق ايمانك الذى قصدت الطمأنينة فيه ثم أشار الى أن هذا الاحياء كما يخرج عن ظلمات الاعتقادات الى نورها يخرج عن ظلمات الاخلاق والاعمال الى نورها اذ يعتقد انه كما يحصل الاحياء بطريق الانبات يحصل الجزاء بطريق الاثبات أيضا حتى ان الاعمال المالية كذلك فقال (مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة) القيت فى الارض ثم (انبتت) ساقا ثم انشعبت سبع شعب خرج من كل شعبة سنبلة فصارت (سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة) أى عدد كثير من الحبات وهذا فى الذرة والدخن كثير وفى البر فى الاراضى المغلة فالمال حبة وسبيل الله أرض المزرعة وقبول الساق وتربيته الشعب على عدد صفاته السبع والسنابل تجلى تلك الصفات فى العبد والحبات آثار ذلك التجلى فى العبد (والله يضاعف) هذا التضعيف أوأكثر منه (لمن يشاء) بحسب النيات والاستعدادات (و) لا يبعد من فضله اذ (الله واسع) لا يتضيق عليه ما يتفضل به لكن لا يتسع فى حق الكل لانه (عليم) بالنيات والاستعدادات ولو قيل اذا كان الانفاق كالقاء البذر وهو محل الآفات الكثيرة فهو تضييع للحاضر لامر مشكوك اجيب بأن آفات الانفاق ليست سماوية بل من المنفق فعليه ان يحفظ نفسه من المن والاذى والرياء (الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله) لا فى سبيل غيره كالرياء (ثم لا يتبعون) أى لا يعقبون (ما انفقوا منا) أن يعتد باحسانه على من احسن اليه (ولا اذى) أن يتطاول عليه بالانعام (لهم أجرهم) المضاعف (عند ربهم) اذ يربى لهم الصدقة (ولا خوف عليهم) من آفة سماوية فى الاستقبال (ولا هم يحزنون) لها فى الحال وانما منع تعقيبهما لان منع الصدقة مع عدمهما خير من الصدقة مع أحدهما اذ (قول معروف) اى رد جميل للسائل (ومغفرة) ينالها من الله بذلك القول (خير من صدقة يتبعها أذى) اذ لا يحصل للصدقة ثواب ولا به مغفرة ويحصل اثم الاذى والمن قريب منه وان لم يحصل به اثم (والله غنى) عن طلب صدقة لعبيده مع الاذى لهم أو المن عليهم (حليم) عن معاجلة من يمن ويؤذى بالعقوبة ولو قيل كيف يكون منع الصدقة مع عدم الاذى خيرا من الصدقة معها مع ان ثواب الصدقة أعظم فلو لم يع سيئة الاذى فلا أقل من ان تبقى فى

(قوله عزوجل أم الكتاب) أصل الكتاب يعنى اللوح المحفوظ (قوله عزوجل أولوا العزم من الرسل) نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم وعلى جميع الانبياء السلام (قوله عزوجل ازدجر) افتعل من الزجر وهو الانتهار (قوله عزوجل اقسم

نفسه حسنة اذ لا يمحوها السيئة الفرعية أجيب بانه يبطلها مادونها فضلا عنها (يا أيها
الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى) فانهما اساءتان ينافيان الاحسان المعتبر
فى الصدقة والمنافى مبطل كالرياء فيصير المان والمؤذى (كالذى ينفق ماله رئاء الناس
و) لا يقبل لانه كالذى (لا يؤمن بالله واليوم الآخر) اذ مقتضى هذا الايمان العمل لله
وطلب اجر الآخرة وليس هذا من الصدقة الممثلة بالبذر المنبت سبع سنابل (فمثله) اى
هذا المنفق رئاء (كمثل) من ألقى بذره على (صفوان) هو الحجر ألقى عليه اذ (عليه تراب) وهو
انما ينبت لو دام مع سبب الانبات وهو الماء لكن لا يدوم معه فاذا ألقى عليه البذر (فأصابه
وابل) لم يبق عليه تراب ولا بذر (فتركه صلدا) أى املس لا شئ عليه فالمرائى لم يلق البذر
فى سبيل الله وان توهم انه سبيله نظرا الى المصرف وكان سبيل الشيطان ليس عليه والمانّ
والمؤذى قد انتقلا من سبيل الله اليه فاذا ازال بوابل العدل الالهى فكما لا يقدر الزارعون
على الصفوان على تحصيل الغلة قليلها أو كثيرها (لا يقدرون) أى المرائى والمانّ والمؤذى
(على) تحصيل (شئ مما كسبوا) اى من ثواب ما عملوا اذ لم ينظروا الى الثواب الاخروى
فاشبهوا الكفار (والله لا يهدى القوم الكافرين) الى تحصيل الثواب الاخروى فكذا من
أشبههم ثم أشار الى ان الزرع ليس مثال كل صدقة مقبولة أيضا بل منها ما يمثل بغيرها فقال
(ومثل الذين ينفقون أموالهم) لا رياء ولا للاجر الدنيوى ولا الأخروى بل (ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم) فى محبته بقطع محبة ماسواه فهو فى تضعيف مراتب القرب (كمثل)
غارس (جنة) أى بستان (بربوة) أى موضع مرتفع فان عظم عليه الفيض الالهى يضاعف
ثوبه فصار كأنه (أصابها وابل فآتت اكلها ضعفين فان) لم يعظم فلا بد من فيض ما كما ان
الجنة ان (لم يصبها وابل فطل و) ليس التفاوت بالتحكم بل بحسب حال العمل فانه يتفاوت
وان قصد به طلب رضا الله وتثبيت النفس بل هو أشد تفاوتا من الذى طلب به الاجر اذ (الله
بما تعملون بصير) ولو قيل ينبغى ان لا يبطل بالمن والاذى ما قصد به طلب رضا الله وتثبيت
النفس اذ ليس مثاله الزرع أصلا حتى يكون كالزرع على الصفوان بل مثاله الجنة بالربوة
التى لا تضيع بوابل ولا بطل اجيب بانه كما انقلب المثال فى حق المانّ والمؤذى من الزرع
المنبت سبع سنابل الى الزرع على الصفوان انقلب هنا الى البستان المحترق (ايود أحدكم
أن تكون له جنة من نخيل واعناب) هما مثالان للمراتب الشريفة (تجرى من تحتها الانهار)
هو مثال ازدياد الشرف بالتزين بالمعارف ونحوها (له فيها من كل الثمرات) هو مثال فوائد
القرب (وأصابه الكبر) هو مثال العجز عن اكتساب ما نزل عنها من الدرجات العالية (وله
ذرية ضعفاء) هو مثال شدة احتياجه اليها فليست مما لا يبالى بالنزول عنها واحتراقها
(فأصابها اعصار) أى ريح هو مثال المن والاذى (فيه نار) هو مثال غضب الله (فاحترقت)
أى الجنة (كذلك) أى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم) جميع (الآيات) لتعتبروا

احلف (قوله عز وجل
ابلت) انحرت (قوله
تعالى أخدود) هو شق فى
الارض وجمعه اخاديد
(باب الالف المكسورة)
(قوله تعالى اهدنا) أى
ارشدنا (قوله عز وجل
استوقد) يعنى أوقد (اذ)
وقت ماض (واذا) وقت
مستقبل (ابليس) افعيل

بظواهرها

بظواهرها (لعلكم تتفكرون) فى اسرارها ثم أشار الى انه انما يمثل بالزرع المنبت سبع
سنابل أو بالجنة بربوة ما انفق من الجيد فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى الايمان الانفاق
من الجيد سيما ما يطلب به رضا الله وتثبيت النفس (انفقوا من طيبات) أى جيدات
(ما كسبتم) بتجارة أو صناعة (ومما) أى ومن طيبات ما (أخرجنا لكم من الارض) من
الحبوب والثمار والمعدنيات (و) لو وقع الردىء فى مخرجكم من غير قصد أو اختلط فربما
يرجى فيه القبول ولكن (لا تيمموا) أى لا تقصدوا (الخبيث) وحده (منه تنفقون) أى
تخصونه بالانفاق منه (و) لو كان لكم دين على أحد فاعطاكموه فيه (لستم بآخذيه الا أن
تغمضوا فيه) بالمسامحة عليه (واعلموا) انكم انما تأخذونه عند المسامحة لحاجتكم و(أن الله
غنى) كيف يقبل الردىء وهو ذم والله (حميد) من كل وجه وكيف يقبله الله وانفاقه بأمر
الشيطان اذ (الشيطان يعدكم الفقر) فى الانفاق (و) ان أصررتم على الانفاق (يأمركم
بالفحشاء) أى بغاية القبح وهو قصد الردىء وكذلك يأمركم بسائر أنواع الفحشاء من الرياء
والانفاق فى المعاصى من غير تذكير للفقر فيها بل يوهم فيها تحصيل الجاه الجاذب للاموال
(والله يعدكم) بالانفاق سيما من الجيد (مغفرة منه) للذنوب حتى يسقط البليات من أجلها
فى الدارين (وفضلا) بتعويض الاضعاف أو تعظيم الدرجات ولا يتوهم عليه خلاف الوعد
لانه انما يكون بالضيق (والله واسع) وانما ضيق على من ضيق لانه (عليم) باستعداده ثم أشار
الى انه انما لا يغتر بوعد الشيطان ويوقن بوعد الله من آتاه الله الحكمة ولكنه عز وجل
انما (يؤتى الحكمة) وهى اتقان العلم والعمل (من يشاء) لا كل أحد كيف (ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا) اذ بها انتظام أمر الدارين فتكون مرجحا لاهلها لكمال
قوتيه النظرية والعملية (وما يذكر) غوائل وعد الشيطان وفوائد وعد الله وجوبا حتى
يجانب الاول ويلازم الثانى (الا أولوا الالباب) أى الاسرار ثم أشار الى ان من دواعى
التذكير فى غيرهم النظر الى علم الله فقال (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر) يؤل الى
الانفاق (فان الله يعلمه) فلا حجة للعوام بانهم لم يكن لهم ما يتذكر به من الاطلاع على الاسرار
ويجب على الكل الاكتفاء به (و) بالجملة (ما للظالمين) وهو من لا يكتفى بعلم الله أو ينفق من
الردىء أو يمن أو يؤذى (من انصار) أى حجج تنصرهم ثم أشار الى ان اظهار الصدقات لا ينافى
الاكتفاء بعلم الله اذ يكفى ترك المبالاة بنظر الخلق بل (ان تبدوا) أى تظهروا (الصدقات)
غير مبالين بعلم الخلق (فنعما هى) أى فنعم شيأ هى أى احسن من كل وجه لانه يجمع المستحقين
ويرفع التهمة ويدعو له كل من يسمع من محتاج وغيره ويفيد اتباع الناس اياه (وان تخفوها
مخافة الرياء وسترا لعار الفقراء (و) مع ذلك (تؤتوها الفقراء) أى جميع المستحقين (فهو خير
لكم) لا يتعداكم الى الاتباع لما حصل لكم من الاخلاص الذى عجزتم عنه مع الابداء (و) استركم
عار الفقراء (يكفر عنكم من سيئاتكم و) لا تضركم التهمة اذ (الله بما تعملون خبير) فربما
يزيل عنكم التهمة وان ابقاها فلا تضركم * وعن ابن عباس رضى الله عنهما صدقة السر فى

من أبلس اى يئس ويقال
هو اسم أعجمى فلذلك
لا ينصرف (قوله ارهبون)
خافون وانما حذفت الياء
لانها فى رأس آية ورؤس
الآيات ينوى الوقف
عليها والوقوف على الياء
يستثقل فاستغنوا عنها
بالكسرة (اسرائيل)
يعقوب عليه السلام
(قوله عز وجل اهبطوا

التطوع تفضل علانيتها بسبعين ضعفا وصدقة الفريضة أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا ثم أشار الى انك وان بينت لهم فوائد الصدقتين ودرجاتهما فليس لك ايصالهم اليها اذ (ليس عليك هداهم) ايصالهم الى الله والى ثوابه ودرجات قربه (ولكن الله يهدي) عقيب بيانك لجريان سنته بخلق الاشياء عقيب أسبابها لا على سبيل الوجوب بل على سبيل الاختيار (من يشاء) بخلق الهداية في قلبه (و) هي ان (ما تنفقوا من خير) صدقة أو صلة أو غيرهما (فلانفسكم) بالحقيقة لان المنفق عليه انما يقضي بها حاجته الفانية ويحصل لكم بها الثواب الابدي (و) ليس ما ينفق لطلب الاجر نفقة يعتد بها بل (ما تنفقون) نفقة كاملة (الا) ما تنفقونه (ابتغاء وجه الله) اذ يحصل بها القرب من الله ولا نسبة للاجر الى القرب (و) القرب ليس بمانع من الاجر بل (ما تنفقوا من خير) بابتغاء وجه الله (يوف اليكم) بفوائده من التقرب والثواب الاخروي والدنيوي (و) بالجملة (أنتم لا تظلمون) في المعاملة مع الله سيما اذا كان عطاؤكم (للفقراء) أي المحتاجين الى النفقة ليتقووا على العبادة لانهم (الذين احصروا) أي حبسهم قصد العبادة (في سبيل الله) حتى انهم (لا يستطيعون) من فرط اشتغالهم بالعبادة (ضربا) أي ذهابا (في الارض) لا كتساب أو سؤال وا[ترك]هم اياهما مع قيامهم بالعبادة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء) لا من اتساعهم في المأكل والملابس بل (من التعفف) عن السؤال مع عدم الاكتساب (تعرفهم بسيماهم) وان سألوا على الندور (لا يسئلون الناس الحافا) أي الحاحا بالملازمة (و) لا يختص هؤلاء بالانفاق عليهم بل (ما تنفقوا من خير) ولو على الملحين وعلى من لم يتحقق فقرهم أو لم تشتد حاجتهم (فان الله) يجازيكم عليه بقدر استحقاقكم اذ هو (به عليم) ثم أشار الى أنه كما لا يختص الانفاق بالكامل من المستحقين لا يختص بالكامل من الاوقات والاحوال بل (الذين ينفقون أموالهم بالليل) وان عسر فيه اجتماع المستحقين (والنهار) وان خيف فيه الرياء (سرا) ولو في الليل (وعلانية) ولو في النهار (فلهم أجرهم) أكمل مما يستحقونه لكونه (عند ربهم) الذي يربي صدقتهم فيهما (ولا خوف عليهم) من التشبه بفعل المرائي في النهار مع الجهر ولا من عدم استيعاب المستحقين أو من التهمة في الليل مع السر (ولا هم يحزنون) لما يحصل لهم من النقص الضروري بهذه العوارض ثم أشار الى أن الخوف والحزن لا يندفعان بالانفاق من مال الربا في سبيل الله اذ لا يملكه صاحبه وان حصله بالمبايعة لانه خبط فيها بالتعويض من غير عوض في الواقع فالبيع مقابلة عين أو منفعة بعين أو منفعة فلا بد فيه من تحقق العوضين بجميع أجزائهما حالا أو مآلا ولا تحقق لبعض أجزاء أحد العوضين في الربا لانه بيع نقد بنقد أو مطعوم بمطعوم الى أجل أو بيع أحدهما بجنسه مع زيادة والمقابلة في غير الجنس تقع بمجموع أحد العوضين لمجموع الآخر لا باعتبار الاجزاء وفي الجنس باعتبار الاجزاء فلا يبقى للزائد مقابل لكنه عفي عنه في غير الربويات لقلة الحاجة اليها فلا يعد تضييعا كليا والتفاضل في الربويين المختلفين باعتبار الاجل خارج عن مقابلة

(منها) الهبوط الانحطاط من علو الى سفل بالضم والكسر جميعا (قوله تعالى اهبطوا مصرا) اى انزلوا مصرا (قوله عز وجل ادارأتم) أصله تدارأتم اى تدافعتم واختلفتم في القتل اى ألقى بعضكم على بعض فادغمت التاء في الدال لانهما من مخرج واحد فلما أدغمت سكنت

المجموع لانه لولا الاجل لم يؤخذ الفاضل فهذا خبط فى المقابلة لذلك كان ما آهم الى الخبط
كما قال (الذين يأكلون الربوا لا يقومون) من قبورهم (الا كما يقوم) المصروع (الذى
يتخبطه الشيطان) أى يوقعه فى الخبط وهو ضرب على غير الساق (من المس) أى من مس
الشيطان اياه على ما يزعمون أن اختلاط العقل انما يكون من مسه فيكون نهوضهم
وسقوطهم كالمصروعين لا لاختلال عقلهم بل لان الله أربى فى بطونهم ما أكلوا فأثقلها (ذلك)
القيام المخبط (بأنهم) ضموا الى قبيح المعاملة قبح الكفر حتى (قالوا) أولا انما الربا مثل
البيع فى تحصيل الربح ثم جعلوا المشبه به مشبها للمبالغة فقالوا (انما البيع مثل الربوا)
فجعلوا الربا أصلا يقاس به البيع (و) هو قياس باطل لانهم ردوا به النص اذ (أحل الله
البيع وحرم الربوا) فكانوا محللين لما حرم الله بقياسهم مع ظهور الفرق اذ ليس فى البيع
اعتبار مقابلة مع عدمها فى الواقع بخلاف الربا لكنهم لا يؤاخذون به قبل النص (فمن جاءه
موعظة) أى زجر (من ربه فانتهى) أى تبع نهيه (فله ما سلف) لا يسترد منه ما أخذ لانه
كالمجتهد المخطئ (وأمره الى الله) ان شاء آخذه لظهور الفرق وان شاء عفا عنه لان الفرق
وان ظهر لارباب النظر يجوز أن يخفى على العوام (ومن عاد) الى تحليل الربا بعد النص
(فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) لكفرهم بالنص وردهم اياه بقياسهم الفاسد بعد
ظهور فساده ثم أشار الى أن الربا كما يتضمن الضرر الاخروى ففيه ضرر دنيوى والصدقة كما
تتضمن النفع الاخروى تتضمن النفع الدنيوى أيضا اذ (يمحق الله الربوا) أى يذهب بركته
ويهلك المال الذى يقع فيه (ويربى الصدقات) وانما يمحق الربا لان صاحبه ان استحله
فكافر والا فأثيم (والله لا يحب كل كفار أثيم) وانما يربى الصدقات لانه نتيجة الايمان
والاعمال الصالحة (ان الذين آمنوا) فرجح ايمانهم أمر الله بالانفاق على حبهم للمال (وعملوا
الصالحات) المنتجة محاسن الاخلاق التى من جملتها الجود (وأقاموا الصلوة) التى تنهى عن
الفحشاء والمنكر التى من جملتها الاخلاق الذميمة التى من جملتها الشح (وآتوا الزكوة) التى
هى أجل أسباب فضيلة الجود (لهم أجرهم) الكامل من كل وجه لكونه (عند ربهم) فيكمل
فى الدنيا والآخرة (ولا خوف عليهم) من منع الاجر الدنيوى من الاخروى (ولا هم يحزنون) من
نقص الاجر الاخروى بالدنيوى ثم أشار الى أنه انما يمحق الربا بغضبه على صاحبه لابطاله حكمة
الله فى خلق الاموال فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) ابطال حكمته فانه مقتضى الايمان
به (وذروا ما بقى من الربوا) على الغرماء فانه أقل مقتضى التقوى بل مقتضى الايمان فتتركونه
(ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا) ترك ما بقى كنتم متهاونين بأمره ومن تهاون بأمر ملك حاربه
(فأذنوا) أى اعلموا (بحرب) عظيم (من الله ورسوله) التابع له حربا وصلحا (وان تبتم) من
الارتباء واعتقاد حله (فلكم رؤس) أى أصول (أموالكم لا تظلمون) بطلب الزيادة (ولا
تظلمون) بالنقص والمطل هذا اذا كان المديون موسرا (وان كان ذو عسرة) بالكل
أو البعض (فنظرة) أى فالواجب امهال بقدر ما أعسر (الى ميسرة) بذلك القدر (وأن

فاجتلبت لها ألف الوصل للابتداء وكذلك اداركوا وانا قلتم واطيرنا وما أشبه ذلك (قوله تعالى ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن) اختبره بما تعبده به من السنن قيل وهى عشر خصال خمس منها فى الرأس وهى الفرق فرق الشعر وقص الشارب والسواك والمضمضة والاستنشاق وخمس فى البدن الختان وحلق

تصدقوا) بابراء قدر ما أعسر (خير لكم) لانه ربما لا يحصل البدل فى الحال فيأخذ ما يساويه
فى الآخرة والصدقة تتضاعف الاضعاف المذكورة (ان كنتم تعلمون) بحقائق الاعمال
ثم أشار الى أن الدائن ان لم يتصدق فحقه أن لا يضيق على المديون باستيفاء جميع حقه والى أن
حق المديون أن يوفى حق الدائن لئلا يستوفى منه الباقى بالفانى فقال (واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت) فان استوفى الدائن حقه بالتضييق على المديون
استوفى الله منه حقوقه بالتضييق وان سامحه فالله أولى بالمسامحة والمديون ان لم يوف حق
الدائن مع قدرته على الاداء استوفى الله منه حقه وأما من لا يقدر فيرجى أن يعفو الله عنه
ويرضى خصمه بعوض من عنده فان زعم الدائن أنه بالاستيفاء بالتضييق غير ظالم أو زعم المديون
أن اعطاء الباقى بالفانى ظلم قيل (وهم لا يظلمون) أما الدائن فلان الله باستيفاء حقه منه غير
ظالم وأما المديون فلانه انما استوفى منه الباقى بالفانى لتقصيره فى الاداء ولا سبيل الى تعطيل
الحقوق فى العدل الالهى ثم أشار الى أن استيفاء الحقوق فى الدنيا انما يتيسر بالكتابة سيما
فى الديون المؤجلة لغلبة النسيان بعد طول المدة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى
ايمانكم الداعى الى الايفاء والاستيفاء بلا زيادة و بلا نقص للولى والوصى والوكيل انكم
(اذا تداينتم بدين) وان قل سيما اذا كان (الى أجل مسمى) بالايام والشهور لا الحصاد
وقدوم الحاج (فاكتبوه) استحبابا (وليكتب بينكم) مبالغة فى قطع النزاع بينكم (كاتب)
متوسط لا يميل الى جانب لانه متصف (بالعدل ولا يأب) أى ولا يمتنع (كاتب) من (أن يكتب
كما علمه الله) من شرائط الاقرار والدعوى وليس هذا مما يتسامح فيه بل هو كالواجب
(فليكتب وليملل) المديون (الذى عليه الحق) على الكاتب لانه المقر المشهود عليه (وليتق
الكاتب (الله ربه) الذى رباه بتعليم الكتابة والعبارة أن يغير على المملى بالزيادة عليه
أو بالنقص فى مال صاحبه (ولا يبخس) أى لا ينقص (منه) أى مما عليه (شيأ) من صفات
الدين وشروط الاقرار والدعوى هذا اذا كان المديون رشيدا قويا فى نفسه مستطيعا على
الاملاء (فان كان) المديون (الذى عليه الحق سفيها) ناقص العقل (أو ضعيفا) لمرض
أو هرم يشق عليه الاملاء (أو لا يستطيع أن يمل هو) لجهله باللغة أو بالشرع (فليملل وليه)
أى من يقوم مقامه من قيم أو وكيل أو مترجم فانه وان لم يكن له نيابة الاقرار فله نيابة املاء
الكتابة ثم يراجع الصاحب ان أمكن والا فالولى ملتبسا (بالعدل) لا يميل الى المنوب
ولا الى الدائن ثم أشار الى أن الكتابة وان روعى فيها ما ذكر لا يؤمن معها النزاع فلا بد
لقطعه من الاستشهاد فقال (واستشهدوا) ندبا (شهيدين) لان ولاية الشاهد ضعيفة فلا بد
من تقويتها (من رجالكم) المسلمين اذ لا ولاية للمرأة وان صلحت للتقوية ولا عدالة الكافر
(فان لم يكونا) أى الشاهدان (رجلين فرجل وامرأتان) فانهما يقومان مقام الرجل فى
تقوية ولاية الشاهد الرجل لكنه يختص بالاموال بشرط أن يكون الكل (ممن ترضون
من الشهداء) لاتصافهم بالاسلام والعدالة وعدم العداوة والغفلة والتهمة وانما اشترط

العانة والاستحداد وتقليم
الاظفار ونتف الابط فاتمهن
أى فعمل بهن ولم يدع
منهن شيئا (وقوله تعالى
انى جاعلك للناس اماما) أى
يأتم بك الناس فيتبعونك
ويأخذون عنك وبهذا
سمى الامام اماما لان
الناس يؤمون أفعاله أى
يقصدونها ويتبعونها
ويقال للطريق امام لانه
يؤم أى يقصد ويتبع
(ومنه قوله عز وجل وانهما

مع ذلك فى المرأة التعدد كراهة (أن تضل احداهما) لقصور عقلها (فتذكر) عند التعدد
(احداهما الاخرى) الضالة ثم أشار الى أنه وان ندب الاستشهاد حرم على الشهود الاباء
فقال (ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا) لاقامة الشهادة اذ به يتلف الحق جزما وكان بترك
الاستشهاد محتملا ثم أشار الى أنه لا يتيسر الشهادة للشهداء بعد طول المدة الا بالكتابة فقال
(ولا تسأموا) لا تملوا أيها الشهداء (أن تكتبوه) أى الحق الذى تحملتم الشهادة فيه
(صغيرا) كان (أو كبيرا) وان كان مؤجلا كتبوه (الى أجله ذلكم) أى المذكور من
الكتابة (أقسط) أى أكثر قسطا من الاجر للشهداء (عند الله) لانهم أعانوا المتداينين
بتحمل الشهادة والكتابة (وأقوم) أى أعون (للشهادة) أى لاقامتها اذ بها يتم الاعتماد على
الحفظ (وأدنى) أى أقرب فى (ألا ترتابوا) أى لا تشكوا فى جنس الدين وقدره وأجله
بتشكيك أحد المتداينين (الا أن تكون تجارة حاضرة) أى حالة (تديرونها) أى تكثرون
ادارتها (بينكم) فتصعب عليكم كتابتها مع قلة الحاجة اليها (فليس عليكم جناح) فى (ألا
تكتبوها) وان كان قد يقع فيها النزاع فذلك نادر (و) لكن (اشهدوا) استحبابا (اذا
تبايعتم) شيأ خطيرا وان كان العوضان مقبوضين مبالغة فى قطع النزاع (ولا يضار كاتب)
بمنع جعله (ولا شهيد) بمنع مؤنة مجيئه من مسافة (وان تفعلوا) الضرار (فانه فسوق) أى
خروج عن طاعة الله ضار (بكم واتقوا الله) ان يأخذ باقيكم بفانيكم ويعذبكم بالخروج
عن طاعته وكيف تخرجون عن طاعة الله (ويعلمكم الله) مصالحكم فان لم تعلموا وجه
المصلحة فيه فيكفى فيها كونه من الله (والله بكل شئ عليم) ثم أشار الى أنه انما يكتب اذا
تيسر فان لم يتيسر فالاولى الارتهان فقال (وان كنتم) راكبين (على سفر ولم تجدوا كاتبا)
وان وجدتم الشهود (فرهن) أى فالذى يستوثق به رهن (مقبوضة) يقبضها الراهن هذا
اذا لم يأمن البعض البعض بلا وثيقة (فان أمن بعضكم بعضا) واستغنى عن الارتهان
(فليؤد الذى اؤتمن) دينه الذى جعله الدائن (أمانته وليتق الله ربه) فى منع حقوق عبيده
(ولا تكتموا) أيها الشهود سيما عند عدم الكتابة (الشهادة ومن يكتمها) كانت معصية أعظم
من معاصى اللسان والجوارح المؤثرة فى القلب بواسطتها (فانه آثم قلبه) بلا واسطة لان
الكتمان فعله (والله بما تعملون) بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم (عليم) وان لم يعلم الناس
بعضها ولا يبعد على الله تأثيم القلب اذ (لله ما فى السموات وما فى الارض) والقلب من جملة
ما فيهما وخواطره وان كانت من غير اختيار فله أفعال اختيارية بعضها يتوقف تمامه على
فعل اللسان أو الجوارح وبعضها لا يتوقف كالنفاق وكتمان الشهادة والحسد (وان تبدوا)
أى تظهروا (ما فى أنفسكم) من الافعال الاختيارية باللسان أو الجوارح (أو تخفوه
يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) فى غير الكفر (ويعذب من يشاء) فيما أبدى أو أخفى مما
لا يتوقف تمامه على فعل اللسان والجوارح (و) لا يبعد من الله تعذيب القلب وان كان
مجردا اذ (الله على كل شئ قدير) فيقدر على تعذيبه بما يضاده لقدرته على ايجاد ضده مع

بامام مبين) أى لبطريق
واضح يمرون عليها فى
أسفارهم يعنى القريتين
المهلكتين قوم لوط
وأصحاب الايكة فيرونهما
ويعتبر بهما من خاف
وعيد الله تعالى (والامام
الكتاب أيضا (ومنه قوله
عز وجل يوم ندعوا كل
أناس بامامهم) اى بكتابهم
ويقال بدينهم (والامام
كل ما ائتممت به واهتديت
به (قوله عز وجل اصطفى

تجرده ولما كان الله أن يغفر ويعذب لم يكن بد من اعلام مايعذب عليه وهو التكليف به اذ هو بدونه يكون من تكليف الغافل واعلام الكل بلا واسطة يكاد يكون ملجئا الى الايمان فلابد من واسطة هو الرسول ولابد من ايمانه أولا ليتبعه المرسل اليه لذلك (آمن الرسول بما أنزل اليه) من التكليف (من ربه) بمقتضى ربوبيته (والمؤمنون) آمنوا بذلك المنزل بتبعيته وأصل التكاليف الايمان وأصله الايمان بالمكلف ثم بالوسائط على ترتيبها لذلك (كل آمن بالله) المكلف (وملائكته) الآتين بالتكليف منه الى عباده (وكتبه) المشتملة على تفصيل ذلك التكليف (ورسله) الواصل اليهم التكليف أولا ثم أشار الى أن اختلاف الكتب والرسل فى بعض الفروع لايوجب التفريق لذلك قالوا (لانفرق بين أحد من رسله) بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لاتحاد موجب الايمان وهو ظهور المعجزة بلا معارضة مايكذبها من دعوى المحال وخيانة النفس ثم أشار الى المقصود من التكليف وهو قبوله اعتقادا وانفعالا (وقالوا سمعنا وأطعنا) ولما علموا أنهم لايخلون عن تقصير فيهما وان الرب يغفر لمن يشاء قالوا (غفرانك ربنا) كيف لانستغفرك اذ (اليك) باليوم الآخر (المصير) أى مصيرنا بعد الموت وهذا ايمان باليوم الآخر وقد كان هو الموجب الكلى أولا لكن لما أشبه العلة الغائية أخره فى الوجود تأخيرها ثم أشار الى أن طلبهم الغفران لم يكن لان الله كلفهم بما لاطاقة لهم اذ (لايكلف الله نفسا الا وسعها) بل قصروا بترك مايطيقونه من الطاعات أو فعل مايطيقون بتركه من المعاصى اذ علموا أن كل نفس (لها ما كسبت) من الطاعات (وعليها ما اكتسبت) من المعاصى أورد الاكتساب ههنا لان النفس تشتهيه وتنجذب اليه ففيه لها احتمال بخلاف الخير ولما علموا أن الخطأ والنسيان وان كان غير مقدورين منشؤهما تفريطه وقلة مبالاته قالوا (ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا) أمرك ونهيك (أو أخطأنا) بالتباس المأمور بالمنهى أو بالعكس ولما علموا أن فى المقدور مايصعب على النفس كقتل النفس فى التوبة وقطع موضع النجاسة من الثوب وغيره وصرف ربع المال فى الزكاة قالوا (ربنا ولاتحمل علينا اصرا) أى عبأ ثقيلا يحبس صاحبه فى مكانه (كما حملته على الذين من قبلنا) من الامم السالفة ولما فرغوا من الدعاء فى رفع شدائد التكليف دعوا فى رفع شدائد البليات فقالوا (ربنا ولاتحملنا مالاطاقة لنا به) من بليات الدنيا والآخرة ولما علموا أنها بسبب الذنوب قالوا (واعف عنا) أى امح عنا ذنوبنا فلا ترسل علينا بلية فى الدنيا ولا فى الآخرة (واغفر لنا) أى استر لنا ذنوبنا فلا تفضحنا بها فانها من أشد البلايا ثم قالوا (وارحمنا) أى تفضل علينا بالرحمة مع كوننا مقصرين مذنبين ففى عبادك من هو أشد تقصيرا منا وهم الكفار وقد والينا بالايمان فاذن (أنت مولانا) ولابد للوالى من أثر نتميز به عن الاعداء وأولاه النصر عليهم (فانصرنا) لانا مؤمنون بك (على القوم الكافرين) الذين هم أعداؤك * تم والله الموفق الملهم والحمد لله رب العالمين ملء السموات وملء الارض وملء ماشاء الله من شئ بعد حمدا يوافى نعمه ويكافئ مزيده وصلى الله

اختار (استجاب) أى أجاب (اعتمر) اى زار البيت والمعتمر الزائر قال الشاعر
وراكب جاء من تثليث معتمرا
ومن هذا سميت العمرة لانها زيارة للبيت ويقال اعتمر أى قصد ومنه قول العجاج
لقد سما ابن معمر حين اعتمر
مغزى بعيدا من بعيد وضبر
إى جمع (قوله عز وجل

على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة آل عمران)

سميت بها لان اصطفاء آل عمران وهم عيسى ويحيى ومريم وأمها نزل فيه منها مالم ينزل فى غيره اذ هو بضع وثمانون آية وقد جعل هذا الاصطفاء دليلا على اصطفاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وجعله متبوعا للكل محب لله ومحبوب له وتسمى الزهراء لانها كشفت عما التبس على أهل الكتابين من شأن عيسى عليه السلام والامان لان من تمسك بما فيها أمن من الغلط فى شأنه والكنز لتضمنها الاسرار العيسوية والمجادلة لنزول نيف وثمانين آية منها فى مجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم نصارى نجران اذ وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ستون راكبا منهم وفيهم العاقب والسيد فكلما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهما عليه السلام أسلما قالا أسلمنا قبلك قال كذبتما قد منعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب قالا ان لم يكن ولد الله فمن أبوه فقال عليه السلام ألستم تعلمون أنه لا يكون ولد الا ويشبه أباه قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال ألستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى من ذلك شيأ قالوا لا قال ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى من ذلك شيأ الا ما علم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى ولدها كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فأنزل الله لتصديقه بضعا وثمانين آية من صدر آل عمران وتسمى سورة الاستغفار لما فيها من قوله والمستغفرين بالاسحار وطيبة لجمعها من أصناف الطيبين فى قوله الصابرين والصادقين الى آخره (بسم الله) الجامع للكمالات اللطفية والقهرية اذ لطف بعيسى قوما آمنوا برسالته وقهر به قوما كذبوه أو جعلوه الها أو ولده (الرحمن) بافاضة الحياة وافادة القوام وارسال الرسل وانزال الكتب (الرحيم) بافاضة العلم والتوفيق للايمان بالكل والعمل بالمتأخر (الم الله لا اله الا هو الحى القيوم) أى الاله اللازم الوجود لذاته المنزه عن حلول الحوادث فيه وحلوله فيها والاتحاد بها هو الله اذ الاله من له غاية الكمال والاجلال أن يكون كل عال الها السافل ومن لا يلزمه الوجود لذاته كان ناقصا اذ أصله العدم الذى هو غاية النقص وحلول الحوادث يوجب التغير وليس من غاية كمال الى غاية كمال لان المتساويين لا يعلو أحدهما الآخر فضلا عن غاية العلو عليه فلا تعدد لغاية الكمال فلذلك لم يتعدد الاله ولو كان من نقص لزم أن لا يكون الها قبله ولو كان الى نقص لزم أن لا يبقى الها بعده والحلول ان كان حلول المظروف لزم كونه محاطا وهو نقص ولو كان حلول العرض أو الصورة افتقر الى المحل الحادث وهو انقص من الافتقار الى القديم وفى الاتحاد ان لم يبق أحدهما لزم اتحاد الموجود بالمعدوم وان لم يبقيا لزم فناء القديم

استيسر) أى تيسر وسهل (قوله تعالى انفصام) أى انقطاع (قوله عز وجل اعصار) أى ريح عاصف ترفع ترابا الى السماء كأنه عمود نار (قوله تعالى الحافا) أى الحاحا (قوله عز وجل فأذنوا بحرب من الله) أى اعلموا اذا لك واسمعوا وكونوا على اذن منه ومن قرأ فآذنوا أى فاعلموا غيركم ذلك (قوله تعالى انجيل) افعيل من النجل وهو

والغاية كماله اقتضى صفات الكمال التى أولها الحياة رتبة لتوقف العلم والارادة والقدرة
والسمع والبصر والكلام عليها ولما كان وحده كاملا بالذات كانت كمالات سائر الاشياء
مستفادة منه فكان قيوما وعيسى لم يكن واجب الوجود اذلم يوجد قبل أمه ولا فى غاية
الكمال اذالله أكمل منه ولا منزها عن الحلول فى الحوادث اذ كان فى السموات والارض
ولا عن حلول الحوادث فيه اذ كان آكلا شاربا ولا حيا لذاته لقابليته للموت ولا قيوما
لكل ماعداه اذ كان قبله أشياء والازلى اللطيف المنان هو الله اذلابد للحوادث من مبدا
اذلا وجود لها من ذواتها ويجب أن لايكون لذلك المبدا ابتداء اذلابد من الرجوع الى
من له الوجود والكمالات لذاته ويجب أن لايشارك فى كمالاته لان الكمالات بالذات يجب أن
تكون فى الغاية والاجاز أن يكون فوقه ذات تقتضى كمالات فائقة فيلزم جواز أن يكون كل
عال الها بالنسبة الى السافل ولابد أن يكون لطيفا اذ الكثافة من التركيب المسبوق
بالاجزاء ولابد أن يكون منانا بافاضة الكمال لانه لما لم يكن لغيره بالذات فلو لم يفض لم يحصل له
كمال أصلا فمن بافاضة الحياة التى يتوقف عليها سائر الكمالات بعد ما اتصف بها الذاته وبافاضتها
صار قيوما لها لان الحياة مقومة للاشياء فيفيضها أولى بالتقويم ولم يكن عيسى أزليا لكونه
مولودا ولا لطيفا لظهور الكثافة فى جسمه ولا منانا على الكل لسبق كثير من الاشياء عليه
والاتم ذاته ولطفه ومجده هو الله لاختصاصه بصفات الكمال بحيث لايشارك فيها وافاضة
الحياة هى أصل الالطاف لتوقف الانتفاع بسائرها عليها وانما أفاضها لكونه حيا لذاته
واختصاصه بالقيومية بحيث لم يظهر بها فى غيره وعيسى لم يتم ذاته بالاختصاص بصفات الكمال
ولا لطفه بافاضة الحياة على العموم ولا قيوميته اذلم يكن قائما بذاته مستقلا به العدم وجوب
وجوده والاحد الذى له ملك الكل هو الله اذلا اله الا هو وقد ملك حياة الكل لانها من فيضه
لكونه حيا لذاته بل وجود الكل وسائر صفاتهم مفاضا منه لكونه قيوما للكل وعيسى ليس
باحد لتركيبه ولم يملك حياة الكل ولا وجوده أو غير ذلك مما يناسب المقام ثم أشار الى
أن القيومية اما بظهور آثار الاسماء والصفات الالهية أو بظهور صورها بحسب تفاوت
المظاهر فالمظهر الكامل يقتضى ظهور صورها لذلك (نزل عليك) ياأكمل المظاهر
(الكتاب) الذى هو صورة كلامه المفيدة كمال الحياة وقوام المعاش والمعاد مع التفرقة
بالتنزيل نجما بعد نجم للاشعار بأنه وان كان صورة صفة قديمة فهو حادث لكن ليس
كالحوادث التى هى آثار بل ملتبس (بالحق) مناسب لصفات كماله ولذلك كان معجزا
ولاعجازه كان (مصدقا لما بين يديه) أى معرفا صدق الكتب السالفة (و) انما كان كذلك
لانه (أنزل التوراة والانجيل من قبل) وانما أنزلا دفعة لانهما كانا (هدى للناس) هداية
عامة تحصل بدفعة بخلاف الخاصة فانها انما تحصل بدفعات كشفا بعد كشف (وأنزل
الفرقان) أى اقامة الدلائل ورفع الشبه فى الكتب السالفة وفى هذا الكتاب معا لكنه
أيضا دفعى لاجتماعها فى طور العقل بخلاف المعانى الكشفية التى فوق طور العقل فانها

الاصل والانجيل أصل
العلوم وحكم ويقال
هو من نجلت الشئ اذا
استخرجته وأظهرته
والانجيل مستخرج به
علوم وحكم (قوله عز
وجل اصر) ثقل وعهد
أيضا (قوله تعالى افترى)
اختلق (قوله عز وجل
استكانوا) خضعوا
(اسرافنا) افراطنا (قوله
تعالى انفضوا) تفرقوا

ليست دفعية لانها أمور غير متناهية فمن هنا كان احياء محمد صلى الله عليه وسلم الاحياء
المعنوى أتم من احياء عيسى عليه السلام الاحياء المعنوى وكذلك الحسى لان تكليم الحصى
أعظم من احياء الموتى فلو كان عيسى بذلك الها فمحمد صلى الله عليه وسلم أولى به لكنه أقر
بالعبودية فعيسى أولى بها ولافادة الهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه كان كل
آية منه معجزة فكان الكفر بها أشد من الكفر بالكتب السابقة لذلك قال (ان الذين
كفروا بآيات الله) التى هى آيات من جهات شتى (لهم عذاب شديد) فوق عذاب من كفر
بالتوراة والانجيل لانه ظهر فيها بكمال عزته فالكافر بها مستهين لعزته ولم يبطل بذلك عزته بل
صارت موجبة لقهره كما قال (والله عزيز ذو انتقام) وانما كان هذا الكتاب معجزا مفيدا
للهداية الخاصة مع اقامة الدلائل ورفع الشبه لان الله عز وجل لم يخف عليه وجوه الاعجاز
التى يعجز بها أهل الارض وأهل الظاهر وأهل السماء أهل الكشوف كما قال (ان الله لا يخفى
عليه شئ فى الارض ولا فى السماء) ولذلك جمع فيه العلوم الظاهرة والباطنة التى لا تتناهى
من باب المعاملة والمكاشفة ويدل على عدم خفاء شئ عليه أنه (هو الذى يصوركم فى الارحام
صورا جامعة للاسرار الارضية والسماوية تارة وغير جامعة أخرى (كيف يشاء) وقد جعل
آيات كتابه صورا جامعة لمعانى صفة كلامه فى أرحام الالفاظ وصورا فى أرحام المعانى معانى
أخر وهلم جرا والكمال العيسوى ان بلغ هذا الحد لم يدل على الهيته اذ غايته أنه صورت
الكمالات فى رحمه كما أنه صور جامعا فى رحم أمه وقد شاركه كثير من الانسان فى ذلك فكما
لا يدل التصوير فى الارحام الحسية جامعا على الالهية لم يدل فى الارحام المعنوية على ذلك
بل كمال هذا التصوير انما يدل على أن الله هو الجامع للكمالات لانه (لا اله الا هو) كيف
وليس لغيره جمعيته لانه راعى عزته فى ظهوره فلم يظهر على ما هو عليه فى شئ بل ظهر فى كل
شئ بمقدار استعداده رعاية للحكمة فهو (العزيز الحكيم) ويدل على كمال عزته وحكمته
انه (هو الذى أنزل عليك) يا مظهر العزة والحكمة الالهية (الكتاب) الجامع الذى لا يتأتى
جمعيته مع اختصاره الا أن يجعل بعض ألفاظه محتملا لوجوه كثيرة لكنه لعزته جعلها بحيث
تفضى الى احتمالات توقع فى الضلال لكن جعل للتحفظ عنها ألفاظا لا تحتمل الا وجها
واحدا فكان (منه آيات محكمات) لا تحتمل الا وجها واحدا (هن أم الكتاب) أى الاصل
الذى مرجع معانيه عند الاشكال فيها اليه (وأخر متشابهات) تحتمل وجوها بعضها من
العلوم الخفية وبعضها كفر أو بدعة وتميزان بالرد الى المحكمات وفيه رد على نصارى نجران
اذ تعلقوا بقوله تعالى وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه فدخلوا فى جملة (فأما الذين فى
قلوبهم زيغ) أى ميل الى كفر أو بدعة (فيتبعون ما تشابه منه) أى الوجه الذى تشابه فيه
الحق والباطل (ابتغاء الفتنة) أى طلب الايقاع فى الكفر أو البدعة أو ايهام التناقض
(وابتغاء) حصر (تأويله) فيما يناسب رأيهم الفاسد (وما يعلم تأويله) على سبيل الحصر
(الا الله والراسخون فى العلم) لما رأوا الوجوه الكثيرة فى تأويله ومنها ما يؤدى الى الكفر

وأصل الفض الكبير
(قوله تعالى ادرؤا)
ادفعوا (اناثا) فى قوله ان
يدعون من دونه الا اناثا
أى مواتا مثل اللات
والعزى ومناة واشباهها
من الآلهة المؤنثة ويقرأ
أثنا جمع وثن فقلبت الواو
همزة كما قيل فى اقتت
وقتت ويقرأ أثنا جمع اناث
(قوله عز وجل استهوته
الشياطين) أى هوت به

أو البدعة أو التناقض لم يروا الحصر ولم يردوها الى مايؤدى الى المحذور بل (يقولون آمنا به) على ما أراد من تلك الوجوه أو غيرها ولا محذور فيها اذ (كل) من المحكم والمتشابه (من عند ربنا) العزيز الحكيم فلا يبعد ان يرد البعض الى البعض ولا يمكن رد المحكم الى المتشابه اذ لا يحتمل الا وجها واحدا (وما يذكر) الوجوه الكثيرة مميزة من المحذور (الا أولوا الالباب) أى بواطن العلوم ومع ذلك يخافون من كثرتها الوقوع فى المحذور فيقولون (ربنا لا تزغ قلوبنا) أى لا تملها الى محذور (بعد اذ هديتنا) بأن الهمتنا التأويلات الصحيحة الموافقة للمحكمات (وهب لنا من لدنك رحمة) نطلع بها على ما عندك من تأويلاتها الكثيرة سالمة من المحذور (انك أنت الوهاب) أى المبالغ فى الهبة حتى انك تهب ما عندك من اسرار كتابك بعض خواص عبادك ولا يعسر عليك جمع تأويلاتها فى قلوب عبادك مع انها مجتمعة عندك كما انك تجمع المتفرقات يوم القيامة (ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه) فيمكنك جمعها فى قلوب بعض عبادك مع نفى الريب عنها كيف وقد وعدت بذلك اذ قلت والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ويهدى اليه من ينيب كما وعدت بالحشر (ان الله لا يخلف الميعاد) ولخطر الضلال فى تأويلها منع السلف عن الخوض فيه ولكون الله واهبا لبعض عباده اسرار تأويلاتها الصحيحة رخص الخلف فى الخوض فيه ثم أشار الى أن الهبة المعتبرة هى هبة هذه الاسرار دون الاموال والاولاد بل هى مع الكفر سبب مزيد العذاب والى ان المتمسك بالمتشابه كالمتمسك بقياس أمر الآخرة على أمر الدنيا فى افادة الاموال والاولاد فقال (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان اغنت المؤمنين اذ صرفوا الاموال فى سبيل الله والاولاد الى عبادته (وأولئك) أى الكفار وأموالهم وأولادهم (هم وقود النار) وكيف تنفعهم هنالك ولم تنفع آل فرعون فى الدنيا فلم تمنعهم من الغرق بل كانت سبب مزيد عذابهم فسنة كفرة العصر فيها (كدأب) أى سنة (آل فرعون والذين من قبلهم) وان لم يكن سبب أصل العذاب لكن سبب مزيده لانهم (كذبوا بآياتنا) فصرفوها فى غير مصارفها فاجتمعت عليهم معاصى الكفر ومعاصى صرف النعم فى غير مصارفها (فأخذهم الله بذنوبهم) ان رحمهم بالاموال والاولاد أولا اذ (الله) كما هو الرحمن الرحيم فهو أيضا (شديد العقاب) ولو قالوا انما أخذ الله آل فرعون ومن قبلهم لعدم تدينهم بدينه ونحن متدينون بدين موسى (قل للذين كفروا) بهذا الدين كفركم به ككفر آل فرعون بموسى وقد فعل بقريش لكفرهم به ما رأيتم فسيفعل بكم ما فعل بهم (ستغلبون) كما غلبوا وقد صدق الله وعده بقتل قريظة واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وسيفعل بكم ما فعل بآل فرعون آخرا (و) هو أنكم (تحشرون الى جهنم) ولا تتخلصون بأيام قلائل بل مهدت لكم على الابد كما مهدت لهم (وبئس المهاد) لكم كما انها بئس المهاد لهم اذ كان كفركم بآيات محمد عليه السلام ككفرهم بآيات موسى اذ (قد كان لكم آية) كآياتهم (فى فئتين) أى فرقتين (التقتا) للحرب ولا يتصور السحر بعد الالتقاء اتفاقا كيف

وأذهبته (قوله جل وعلا افتراء عليه) الافتراء العظيم من الكذب يقال لمن عمل عملا فبالغ فيه انه ليفرى الفرى (قوله عز وجل املاق) فقر (قوله عز وجل اداركوا فيها) أى اجتمعوا فيها (قوله عز وجل افتح بيننا) احكم بيننا (قوله عز وجل استرهبوهم) أخافوهم استفعلوهم من الرهبة (الاهتك)

و (فئة) منهما (تقاتل فى سبيل الله) وهى أبعد من السحر (وأخرى كافرة) هى ان تكون ساحرة أقرب من ان تكون مسحورة وتلك الآية ان المشركين كانوا تسعمائة وخمسين رجلا مع مائة وتسعين فرسا (يرونهم) أى المسلمين وكانوا ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وسبعين بعيرا وستة أدرع وثمانية سيوف (مثليهم) أى مثلى المشركين لا بطريق التخييل بل (رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء) من غير احتياج الى اراءة ذلك لكنه أراهم لتكون عبرة (ان فى ذلك) التكثير والتقليل وغلبة القليل مع عدم العدة على الكثير شاكى السلاح (لعبرة لاولى الابصار) لكن يمنع من الابصار الاخذ بالشهوات اذ (زين للناس) فرجح عند نفوسهم على مقتضى العقل من الابصار (حب الشهوات) أى الميل الى أخذها لتحجزها مع الجهل بعواقبها (من النساء) اذ يحصل منهن أتم اللذات (و) النفس تدعى فيهن العاقبة الجيدة من تحصيل (البنين) لقيامهم مقامه من بعده (و) لحبهم بقاء أنفسهم ونسائهم وبنيهم يحبون تحصيل (القناطير) أى الاموال الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض (المقنطرة) أى المضعفة فوق الاضعاف (من الذهب والفضة و) لمحافظة الاموال عن الاعداء يحبون تحصيل (الخيل المسومة) أى بارعة الجمال اذ هى أهيب (و) لا كلها الاموال يحبون تحصيل الاموال النامية من (الانعام) أى الابل والبقر والغنم (و) لغذاء الانفس والخيل والانعام يحبون تحصيل (الحرث) ثم أشار عز وجل الى غلط النفس فى ترجيح ميلها اليها على مقتضى العقل من الابصار بأن (ذلك متاع الحيوة الدنيا) الخسيسة الفانية (والله عنده) للناظر فى آياته (حسن المآب) الذى لا غاية لشرفه وبقائه وكثيرا ما يكون لاصحاب الشهوات شر المآب فيفوته اللذات الى أبد الآباد (قل أؤنبئكم بخير من ذلكم) الذى ملتم اليه فى اللذة الحسية حاصل (للذين اتقوا) الله فنظروا فى آياته ولم ينهمكوا فى شهواتهم (عند ربهم) الذى رباهم بالنظر فى الآيات وعدم الانهماك فى الشهوات (جنات تجرى من تحتها الانهار) فى باب المطعوم والمشروب ولا حاجة لهم الى الاموال والاولاد والخيول والانعام والحرث لكونهم (خالدين فيها و) لهم بدل النساء الدنيا (أزواج مطهرة) عن الخبث فى البدن والخلق مما لا يخلو عنه نساء الدنيا غالبا (و) تحصل لهم مع هذه اللذات الجسمانية لذة روحانية هى (رضوان) عظيم (من الله و) انما رضى الله عنهم اذ (الله بصير بالعباد) الذين يتقونه مع مبالغتهم فى عبادته لانهم (الذين يقولون ربنا اننا آمنا) فان لم يكن لنا عبادة أخرى مقبولة فالايمان وحده سبب جواز المغفرة (فاغفر لنا ذنوبنا) فان لم تغفرها فعذبنا بمصائب الدنيا (وقنا عذاب النار) وليس هذا الانهماكهم فى الشهوات المانعة عن الطاعات الموقعة فى المعاصى لكونهم (الصابرين) على الطاعات وعن المعاصى (و) ليس صبرهم بطريق الرياء لكونهم (الصادقين و) لا يتركون النوافل خوف الرياء لكونهم (القانتين و) لا يقتصرون على الطاعات البدنية ولا يفعلونها لتحصيل الاموال لكونهم (المنفقين) منه فى سبيله (و) لا يعجبون بأعمالهم بل يرون فيها التقصير لكونهم (المستغفرين) سيما (بالاسحار) جمع

فى قراءة من قرأ ويذرك والاهتك أى عبادتك (قوله تعالى انسلخ منها) خرج منها كما ينسلخ الانسان من ثوبه والحية من قشرها أى من جلدها (قوله عز وجل إلا ولا ذمة) الإل على خمسة أوجه إل الله عز وجل والإل عهد والإل حلف والإل جوار قرابة والإل (قوله عز وجل اقترفتموها) اكتسبتموها (قوله اثاقلتم) تثاقلتم الى الارض (قوله عز وجل ارصادا) ترقبا

سحر آخر الليل وهو لكونه وقت عموم الغفلة أقرب الى القبول والاجابة قبل المعاملة مع
الله اما بمنع النفس من الرذائل وحبسها على الفضائل وهو الصبر أو بعمل اللسان وهو
الصدق أو الجوارح وهو الصلاة والصوم والحج أو تفريق المال فى سبيل الخير واما بطلب
وهو الاستغفار و توسيط الواو للدلالة على الاستقلال لكل واحد من هذه الامور
ثم أشار الى انه كيف لا يرضى عن هؤلاء وقد شهدوا توحيده اذ (شهد الله أنه لا اله الا هو)
أى دل دلالة قطعية على انه لا موجود حقيقى سوى ذاته فوجودات الاشياء ظلال
وجوده وصفات كمالها ظلال صفاته وأفعالها آثار ارادته وقدرته (و) ان لم يصلوا اليه
وصلوا الى توحيد الملائكة وأولى العلم اذ شهدت (الملائكة وأولوا العلم) اذ رأوا ذلك
حال اعتقادهم لانه شهد الله بذلك (قائما بالقسط) من غير ميل ولا ريب فى ذلك ظهور الالهية
فيهم اذ (لا اله الا هو) كيف ولم يظهر فى شئ على ما هو عليه فى نفسه لانه (العزيز) بل بحسب
استعداد المحل لانه (الحكيم) واذا لم يكن من حصل له التجلى الشهودى الها تعين ان يقال
(ان الدين عند) تجلى (الله الاسلام) الذى هو الانقياد لله باقرار ربوبيته وعبودية ما سواه
فبطل بذلك الهية عيسى وابنيته وابنية العزير ولو قيل لو شهد أهل العلم بالتوحيد لم يقل
أهل الكتاب بالهية عيسى ولا بثالث ثلاثة أجيب بأنهم لم يتفقوا عليه فلم يكن ذلك مقتضى
علمهم لكنهم اختلفوا الى قائل بثالث ثلاثة وقائل بالحلول وقائل بالاتحاد وقائل بالرسالة
(وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) فى عيسى (الا من بعد ما جاءهم العلم) من الكتاب ومن
دلائل العقل بأن الدين هو التوحيد ولم يكن اختلافهم لشبهة يعتد بها عندهم بل (بغيا)
حصل من مجادلة وقعت (بينهم) فافضت الى الكفر بآيات الله الدالة على التوحيد (ومن
يكفر بآيات الله) بشبهات قابلها الله بتلك الآيات الدالة فحاسبها هل ترجح عليها أم ترجح
الآيات وهو وان طال على الخلق لا يطول على الله (فان الله سريع الحساب) وقد اثبت بآية
لا يقابلها شبهة أصلا (فان حاجوك) بعد اقامة تلك الآيات (فقل) لم يبق بينى وبينكم
مجادلة لانى (أسلمت وجهى لله) أى انقدت لآياته المنزلة على وعليكم (ومن اتبعن) وان لم
يتبع أهل ملتكم ما اتبعه أنبياؤكم فقد اتبع أهل ملتى آياتى وآيات أنبيائكم فليس فينا
من يتبع مجادلتكم الباطلة (وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين) عند تساوى آياتك فى
الظهور للفريقين (ءأسلمتم) لآياتى التى هى أجل من آيات أنبيائكم (فان أسلموا فقد
اهتدوا) هدى لا يعترضه شبهة من شبهاتهم لاتفاق آياتى وآياتهم على تصحيحه (وان تولوا) عن
هداك وأصروا على القول بالهية عيسى أو بكونه ثالث ثلاثة (فانما عليك البلاغ) أى
تبليغ دلائل الاسلام ورفع الشبهة عنه لا الاكراه عليه اذا عاندوك (و) هم وان عموا فى
عنادهم لم يعموا البصرائهم ولو تم تلبيسهم على البعض العماة لم يتم على الله اذ (الله بصير
بالعباد) ثم أشار الى انه كما أمر بتبليغ الدلائل أمر بتبليغ ما يترتب على انكارها لاسيما اذا
أنكرها بغيا سيما اذا أفضى البغى الى قتل الانبياء فقال (ان الذين يكفرون بآيات الله)

يقال أرصدت الشئ اذا
جعلت له عدة والارصاد
فى الشر ويقال رصدت
وأرصدت فى الخير والشر
جميعا (قوله عز اسمه إى
وربى) إى توكيد للاقسام
المعنى نعم وربى قال أبو عمرو
إى وربى تصديق (قوله
عز وجل اقضوا الى ولا
تنظرون) أى امضوا ما فى
أنفسكم ولا تؤخرون
كقوله فاقض ما أنت قاض
أى فامض ما أنت ممض
(قوله عز وجل اطمس)

التى يعلمون انه لا يقدر عليها الا الله (و) لا يقتصرون على الكفر بها بل مع ذلك (يقتلون النبيين) الذين ظهرت على أيديهم وقد آمنوا بمن ظهرت على أيديهم امثالها فهم يقتلونهم مع علمهم انهم يقتلونهم (بغير حق) اذلم يدعوا بها محالا ولم يظهر منهم خيانة نفس تدل على انه سحر مع خروجه عن مقدرة البشر (و) ان زعموا انهم انما قتلوهم لكذبهم فى دعوى النبوة فما لهم (يقتلون الذين يأمرون بالقسط) على انهم (من) جملة عوام (الناس) فعلم ان بغيهم انما هو على القسط الذى أنزله الله فبغيهم عليه بغيهم على الله (فبشرهم) بما تبشر به الكافرين بالله وبجميع أنبيائه (بعذاب أليم) وان زعموا انهم ليسوا امثالهم لتمسكهم بدين عيسى أو موسى وقيامهم بأعماله فقل (أولئك الذين حبطت أعمالهم فى الدنيا) فلا يحقن بها دماؤهم ولا أولادهم ولا أموالهم وان حقن بها من المنافق والمرائى (والآخرة) فلا يخفف بها عنهم العذاب فضلا عن النجاة (و) ان زعموا ان من تمسك بدينه يشفع لهم أو يحتج لهم فقل (مالهم من ناصرين) ثم أشار الى انه كيف لا يحبط أعمالهم وهم لا يقتصرون على الكفر بكتابك بل يكفرون بكتابهم اذلا يرون اعتقاداتهم به ولا وجوب العمل باحكامه فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله) أى يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى التوراة (ليحكم) بما يقطع النزاع (بينهم) فى ان ابراهيم هل كان يهوديا أم لا وهل عندهم الرجم أم لا فيقرون بأنه كتاب الله النازل لقطع النزاع (ثم يتولى فريق منهم و) لا يقتصرون على التولى فى محل النزاع بل (هم معرضون) أى مستمرون عليه اتخذوه عادة (ذلك) الاستمرار على الاعراض لتساهلهم بأمر الدين وتهاونهم به (بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودات) قلائل والاهتمام بأمر الايمان والعمل انما يكون باعتقاد دوامه أو طول مدته (و) ليس ذلك لنص وجدوه فى كتابهم بل (غرهم) فأوقع الخلل (فى دينهم ما كانوا يفترون) من ان الله وعد يعقوب ان لا يعذب أولاده الا تحلة القسم واذا اغتروا بهذا المفترى فى الدنيا (فكيف) يصنعون لفضيحتهم عليه (اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه) لنفضحهم فى الاولين والآخرين (و) لا يقتصر على تلك الفضيحة بل (وفيت كل نفس) جزاء (ما كسبت وهم) وان تمسكوا بهذا المفترى (لا يظلمون) فى توفية الجزاء لظهور كونه مفترى اذ يرفع الاهتمام بأمر الشرائع بالكلية ويوجب التهاون بها ثم أشار الى انهم انما لا ينقادون لحكم الله فى كتابه الذى يعترفون بصدقه لدلالته على انتقال الملك والنبوة منهم اليك وهم يريدون ان تتذلل لهم (قل) لا أخاطبكم فى ذلك فضلا عن التذلل بل أقول (اللهم مالك الملك) أى المتصرف فى الملك الظاهر والباطن وهو النبوة لا تصرف فى اعطائهما وسلبهما لغيرك بل (تؤتى الملك من تشاء) ولو من الاميين (وتنزع الملك ممن تشاء) ولو من أهل الكتاب ولا يبعد منك ذلك لان ايتاء الملك اعزاز ونزعه اذلال (و) أنت (تعز من تشاء وتذل من تشاء) لكنك لا تفعل ذلك على سبيل التحكم اذ (بيدك الخير) الذى هو الحكمة فلا تفعل خلاف مقتضاها وان لم يجب عليك بل (انك على كل شئ قدير) ولا يبعد منك قلب

أى امح أى أذهبه من قولك طمس الطريق اذا عفا ودرس (قوله عز وجل إجرامى) مصدر أجرمت اجراما (قوله تعالى اعتراك بعض آلهتنا بسوء) أى عرض لك بسوء ويقال قصدك بسوء (قوله استعمركم فيها) جعلكم عمارا لها (قوله ارتقبوا انى معكم رقيب) انتظروا انى معكم منتظر (استعصم) أى امتنع (قوله عز وجل استيأسوا)

الاعزاز بالاذلال وبالعكس لانك تقلب بعض اجزاء الليل المظلمة باجزاء النهار المنيرة وبالعكس
اذ (تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل و) لو قيل لاقلب هنالك لان الزمان أمر
متوهم فلاشك انك (تخرج الحى من الميت) أى الحيوان من النطفة (وتخرج الميت
من الحى) أى النطفة من الحيوان واعطاء الملك والنبوة احياء ونزعهما اماتة بل لاقلب
ههنا فان اعطاء الملك والنبوة رزق (و) أنت (ترزق من تشاء بغير حساب) فغاية أمر
النبوة انها فضيلة بلانهاية ثم أشار الى انه لما كان من شأن الله قلب المنير بالمظلم والحى
بالميت وهو بالصاحبة أقرب وجب ترك تلك المصاحبة فقال (لايتخذ المؤمنون) أولو
الانوار الاحياء (الكافرين) أولى الظلمات الاموات (أولياء) سيما (من دون) أى مجاوزين موالاة
(المؤمنين) الذين هم سبب ازدياد النور والحياة والجبر لما نقص بصحبة الكفار (ومن
يفعل ذلك) فى وقت من الاوقات (فليس من) موالاة (الله) مفيض الحياة والانوار (فى شئ
الا) وقت (أن تتقوا منهم تقاة) أى تخافوا منهم محذورا فاظهروا معهم الموالاة لدفعها
(ويحذركم الله) فى موالاتهم بالباطن (نفسه) التى هى أولى بالخوف لانهم انما يؤثرون بتمكينه
ويعجزون بتعجيزه (و) ان أثروا فهو منقطع والخوف من الله لاينقطع اذ (الى الله المصير قل)
كيف لاتخافون منه مع شمول علمه وقدرته (ان تخفوا ما فى صدوركم) من موالاة أعدائه
(أوتبدوه) زاعمين أنكم انما توالونهم بالظاهر خيفة منهم (يعلمه الله) وان أخفيتم علمنا فى
الاخفاء والاظهار وكيف (و) هو (يعلم) جميع (ما فى السموات وما فى الارض والله على كل
شئ قدير) فيقدر على مالايقدر عليه الاعداء وهم انما يقدرون باقداره على أمور معدودة
ويعجزون عنها بتعجيزه ولا يعجز الله بحال فليس تركه المجازاة لعجزه بل لانه أخرها الى يوم
القيامة فيجازيكم بعد اعلامكم (يوم تجد كل نفس) بجميع (ما عملت من خير محضرا) بصور
يناسبها وهيآت فى بدنها أو نفسها أو قلبها أو روحها أو فى صحف الملائكة وكفى بذلك تلذذا
مع انه يجازى عليها بمقتضى فضله وجوده الكامل (و) تجد (ما عملت من سوء) أيضا محضرا
بصور بحيث يتألم بمجرد حضورها حتى انها (تودلو أن بينها وبينه) أى عملها السوء (أمدا
بعيدا) لايصل أحدهما الى الآخر ثم انه عز وجل يجازى عليها بمقتضى قهره وغضبه
(و) لذلك (يحذركم الله نفسه و) لاينافى ذلك رحمته ورأفته لانه انما حذرهم برأفته اذ (الله
رؤف بالعباد) ليرحمهم اذا خافوه فاذا لم يخافوه فكأنما أخرجوا أنفسهم من دائرة رحمته
ورأفته ولو قالوا انما نحبهم لكونهم عباد الله فحبهم محبة الله ولايحذرنا الله على محبته
ومحبة ما نحبه من أجله (قل) انما يفيد كم محبتكم لله اذا أحبكم عليها وهى محبتكم أولياءه
الذين يستعملونكم اعمالا يحبها ويجنبونكم اعمالا يكرهها وأجلهم انا (ان كنتم تحبون
الله) أى تميلون اليه لرؤية الكمال الحقيقى فيه (فاتبعونى) فى الاعمال المحبوبة له الكاشفة
عن جماله وترك الاعمال المكروهة له الحاجبة عنه (يحببكم الله) أى يقربكم من جناب قربه
ويسكنكم فى جوار قدسه ويكشف الحجب عن قلوبكم (ويغفر لكم ذنوبكم) الحاجبة عنه

(قوله
استفعلوا من يئست
اصدع بما تؤمر) افرق
وامضه ولم يقل به لانه
ذهب به الى المصدر أراد
فاصدع بالامر (استفزز)
أى استخف (قوله عز وجل
اصبر نفسك مع الذين
يدعون ربهم) أى احبس
نفسك عليهم ولاترغب عنهم
الى غيرهم (قوله عز وجل
استبرق) هو ثخين الديباج
وهو فارسى معرب (قوله

من

من افراط محبته لكم اذلا يبالى لذنوب المحبوب كيف (والله غفور رحيم) لمن يكمل محبته
له ثم قال (قل) لا تغتروا بغفرانه على مجرد المحبة منكم بل (أطيعوا الله) الذى تدعون محبته
فان المحب لمن يحب يطيع (و) أطيعوا (الرسول) الذى هو محبوبه فان المحب كما يطيع
المحبوب يطيع محبوب المحبوب (فان تولوا) زاعمين انه لا حاجة للمحب الى اطاعتهما فلا يحبهم
الله لانهم كفروا بانكار وجوب اطاعتهما والكفر عداوة منافية للمحبة (فان الله لا يحب
الكافرين) ثم أشار الى انه لا يبعد ان يجعل الله بعض عبيده محبوبا له بحيث يحب من يتبعه
ويطيعه ويبغض من خالفه وعصاه فذلك من سنته فيما مضى (ان الله اصطفى آدم) فأحب
من سجد له من الملائكة وأبغض من لم يسجد له وهو ابليس ومن عصاه وهو قابيل (ونوحا) فنجى
من اتبعه فى السفينة وأغرق من عصاه حتى ابنه كنعان (وآل ابراهيم) اذ جعل فيهم موسى
جاوز بمن اتبعه البحر وأغرق من عصاه (وآل عمران) اذ جعل فيهم عيسى أبرأ من اتبعه من
العمى والبرص وجعل من خالفه خنازير (على العالمين) أى على عالمى زمانهم ثم ان اصطفاء
الله لآل ابراهيم وآل عمران انما كان لكونهم (ذرية) ورثت الاصطفاء (بعضها من
بعض و) لا يبعد اصطفاء الله محمدا صلى الله عليه وسلم لدعوة ابراهيم مع كونه من ذريته وقد
اصطفى آل عمران لدعوة امرأته لذريتها بمجرد القبول والاعاذة من الشيطان اذ (الله
سميع) لمن يدعو (عليم) بمن يستحق اجابة الدعوة (اذ قالت امرأت عمران) حنة بنت فاقوذ
حين حملت بعدما أمسك عنها الولد حتى اسنت فبيناهى تحت ظل شجرة أبصرت طائرا يطعم
فرخا فتحركت وقالت اللهم لك على ان رزقتنى ولدا ان أتصدق به على بيت المقدس (رب انى
نذرت لك ما فى بطنى محررا) أى خالصا لخدمته لا أشغله بشئ من أمورى (فتقبل منى انك أنت
السميع العليم) فقال لها زوجها ما صنعت أرأيت ان كان فى بطنك شئ لا يصلح لذلك (فلما
وضعتها) أى الانثى التى حملتها (قالت) تحزنا وتحسرا أو اعتذارا (رب انى وضعتها أنثى)
وكنت رجوت ان يكون ذكرا وانما تحسرت أو اعتذرت اذ جهلت قدرها (والله أعلم بما
وضعت) أى بعظم شأن ما وضعت لا يحيط به علم غيره (وليس الذكر) الذى طلبت (كالانثى
التى وهبت اذ فضلت كثيرا من كمل الاولياء من الرجال (و) قالت جبرا لما توهمت من
النقصان (انى سميتها مريم) أى العابدة والخادمة ليطابق اسمها فعلها ثم طلبت عصمتها فى ذلك
الفعل وغيره فقالت (وانى أعيذها بك) أى اجيرها بحفظك (وذريتها من الشيطان الرجيم)
أى المطرود لمخالفتك فلا تجعل عليها وعلى ذريتها له سلطانا يكون سببا لطردهما (فتقبلها ربها)
بسبب تحريرها وتسميتها واستعاذتها (بقبول حسن) بجعلها فوق كثير من الاولياء (وأنبتها
نباتا حسنا) بجعل ذريتها من كبار الانبياء (و) من كمال تربيتها انها (كفلها زكريا) حين حملتها حنة
الى المسجد ووضعتها عند الاحبار وكانوا سبعة وعشرين وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها اذ كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال زكريا انا أحق بها عندى خالتها وهى

عز وجل ارتدا على
آثارهما قصصا) أى رجعا
يقصان الاثر الذى جاآ فيه
(قوله إمرا) أى عجبا
ويقال داهية (قوله تعالى
انتبذت من أهلها) أى
اعتزلتهم ناحية ويقال قعد
نبذة ونبذة أى ناحية
(قوله عز وجل الحاد) ميل
عن الحق (قوله عز وجل
اخسئوا فيها) ابعدوا وهو
ابعاد بمكروه (قوله عز

ايشاع بنت فاقوذ فأبوا الا القرعة وانطلقوا الى نهر فالقوا فيها اقلامهم على ان من ثبت قلمه في
الماء وصعد فهو أولى بها فطفا قلم زكريا ورسبت اقلامهم فبنى لها بيتا وجعل له سبعة أبواب يغلق
عليها اذا خرج عنها فصارت في صغرها بحيث (كلما دخل عليها زكريا المحراب) أي الغرفة
التي بنى لها (وجد عندها رزقا) فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (قال
يامريم أنى لك) أي من أين لك (هذا) الرزق الآتي في غير أوانه والابواب مغلقة (قالت هو
من عند الله) ينزلها من الجنة (ان الله يرزق من يشاء بغير حساب) ولا يكون ذلك على العمل
المحصور فهو منه تفضل فكذا تفضل على فهذا اصطفاء لآل عمران ثم بنبوة عيسى عليه
السلام ثم أشار الى ما حصل لزكريا من تربيتها ورؤية كمالها فانه لما رأى رزق مريم قال ان
الذي قدر على ان يأتي بفاكهة في غير أوانها بلا سبب لقادر على ان يهب لي ولدا في غير أوانه
بلا سبب يعتد به أو يصلحني وزوجتي للولادة (هنالك دعا زكريا ربه) ليربيه بابقاء علمه وعمله
ونبوته بعده (قال رب هب لي) مناسبا لحالي (من لدنك) بغير سبب يعتد به (ذرية طيبة) أي
طاهرة عن الاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة (انك سميع) أي مجيب (الدعاء) فأجابه الله
فأرسل اليه الملائكة (فنادته الملائكة) جبريل واشياعه (وهو قائم) في مناجاة الله فلا دخل
للشيطان في ذلك الوقت اذ كان (يصلي) وهو انما يتنزه وقت الغفلة وليست وقت الغفلة
والوسوسة في حق الانبياء عليهم السلام سيما وقد كان (في المحراب) أي في المسجد فكانت
صلاته كاملة (أن الله يبشرك) على ألسنتنا (بيحيى) أي يسمى به لانه يحيا به ذكره وعمله وعلمه
فلا ينقطع بموته شيء من ذلك بل يكمل به أمر عيسى الذي طلب هذا من رؤية كرامة أمه اذ
يكون (مصدقا) بعيسى الذي حصل (بكلمة من الله) بلا واسطة أب فصير معناها الكلمة الله
(و) انما يكمل به أمر عيسى لانه يكون (سيدا) يتبعه قومه وكيف لا (و) هو ان يكون
(حصورا) أي مبالغا في حبس النفس عن الشهوات بحيث لا يهم بمعصية أصلا (و) لغاية
كماله يكون (نبيا) ولا شك في نبوته اذ يكون (من الصالحين) فلا يتوهم منه الدعوى الكاذبة
(قال) زكريا (رب أنى) أي كيف (يكون) أي يحصل (لي غلام وقد بلغني الكبر) أي أدركني
الكبر الكامل المانع من الولادة تسع وتسعون سنة فهل أرد الى الشباب (وامرأتي عاقر)
أي مستمرة على العقر لم تلد في شبابها فكيف بعد ما كبرت وبلغت ثمانا وتسعين سنة (قال)
جبريل (كذلك) يكون لك الولد على الحال التي أنت وزوجتك عليها فلا تلد بعده لان الله
تعالى لا يحتاج الى سبب بل (الله يفعل ما يشاء قال) زكريا (رب اجعل لي آية) أي علامة
أعرف بها الحمل لاستقبله بالبشاشة والشكر واستريح من مشقة الانتظار (قال) الله على
لسان جبريل (آيتك ألا تكلم الناس) أي لا تقدر على مكالمتهم (ثلاثة أيام) مع قدرتك على
تسبيح الله وذكره لا لاستغراقك بالله لانك تشتغل بهم الا انك لا تكلمهم (الا رمزا) اشارة بنحو
يد ورأس (واذكر ربك كثيرا) لتستفيض منه الانوار فتفيضها على ولدك (وسبح) طهر
نفسك من الاخلاق الرديئة وقت ظهور النفس (بالعشي) من العصر الى الغروب

(والابكار)

وجل افك) أسوأ الكذب
افتراه) افتعله واختلقه
(الاربة) الحاجة (قوله عز
وجل اطيرنا) أصله تطيرنا
ومعنى تطيرنا تشاءمنا
(قوله عز وجل اقصد في
مشيك) اعدل ولا تتكبر
ولا تدب دبيبا والقصد ما بين
الاسراف والتقصير (قوله
عز وجل اسوة) ائتمام
واتباع (قوله عز وجل إناه)
بلوغ وقته ويقال أنى يأني

(والابكار) من الفجر الى الضحى ثم أشار الى مزيد اصطفاء مريم فقال (واذ قالت الملائكة
يا مريم) فيه اشارة الى جواز تكليم الملائكة الولى و يفارق النبى فى دعوى النبوة (ان الله
اصطفاك) بالتقريب والمحبة (وطهرك) عن الرذائل لتدوم مناسبتك له الجاذبة لك اليه
(واصطفاك) بالتفضيل (على نساء العالمين) وفيهن وليات (يا مريم اقنتى) أى اعبدى شكرا
(لربك) على اصطفائه (واسجدى) أى كثرى له السجود بتكثير الصلاة لتزدادى قربا
بغاية التذلل له (واركعى مع الراكعين) أى وصلى بالجماعة لينضم انكسارهم لعظمته الى
انكسارك فتزدادى قربا وأشار بتقديم السجود وتأخير الركوع مع الراكعين الى ان
الركوع وان كان أقل افادة للتقريب فهو اذا كان مع الراكعين أكثر افادة له من السجود
حال الانفراد ثم أشار الى ان كرامات مريم صارت آية لنبينا عليه السلام اذ (ذلك من أنباء
الغيب) لا تذكره اليهود لانكارهم فضلها ولا النصارى لدلالته على عبوديتها وهم يزعمون
ربوبيتها (نوحيه اليك) مطابقة لما فى كتابهم مع اخفائهم اياه بل لا تعلم ما يظهرونه اذ لم تسمع من
أحدهم شيأ وهم معترفون بذلك فلم يبق الا الوحى أو تكون لديهم (و) لكن (ما كنت لديهم)
معاينا لفعلهم (اذ يلقون) فى النهر (أقلامهم) ليعلموا (أيهم) تخرج قرعته فهو (يكفل مريم)
كيف (وما كنت لديهم) فى ابتداء شأن هذه القرعة (اذ يختصمون) فى كفالتها فمن أين لك
الاحاطة بجميع أحوالها الا بالوحى ولا يبعد الوحى اليك وقد أوحى الى مريم وليست بنبية
(اذ قالت الملائكة يا مريم) ازالة لغمها من تهمة الولادة بلا أب (ان الله يبشرك) بمولود
يحصل (بكلمة منه) بلا واسطة أب (اسمه) الذى يميزه لقبا (المسيح) وعلما (عيسى)
وصفة (ابن مريم) اذ لا أب له ولو كان له الهية أو ابنية لكان فى اسمائه ما يدل على ذلك
ولا يكون مذللا بنسبته الى الام بل يكون (وجيها فى) أهل (الدنيا) يعظمونه غاية التعظيم
(و) أهل (الآخرة) كيف (و) هو (من المقربين و) يدل على قربه ظهور الارهاصات
عليه قبل النبوة اذ (يكلم الناس) كلام الانبياء وهو (فى المهد و) يستمر عليه الى ان يصير
(كهلا) فلا يتوهم نبيه انه كان فى حال الصبا من الشيطان لانه استمر عليه الى حال كمال
العقل وكيف يتوهم فيه (و) هو (من الصالحين) والشيطان انما يداخل الفساق (قالت)
مخاطبة لله الذى بعث اليها الملائكة كأنها شاهدته (رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر
قال) لها جبريل (كذلك) أى على الحالة التى أنت عليها من عدم مس البشر اذ (الله يخلق
ما يشاء) ولا يحتاج الى سبب بل (اذا قضى أمرا) أى حكم بايجاد شئ (فانما يقول له كن
فيكون) من غير توسيط حادث (و) يرفع عنك التهمة بما يظهر عليه من الكمالات اذ (يعلمه)
بلا واسطة معلم من البشر (الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن (و) يكلمهما فيه
اذ يعلمه (التوراة) المشتملة على الظواهر (والانجيل) المشتمل على البواطن (و) كيف يبقى
التهمة ويجعله (رسولا الى بنى اسرائيل) الذين يعلمون انه يجب ان يكون كاملا وولد الزنا

وآن يئين بمنزلة حان يحين
(قوله عز وجل امتازوا
اليوم أيها المجرمون) اى
اعتزلوا من أهل الجنة
وكونوا فرقة على حدة (قوله
عز وجل اصلوها) أى
ذوقوا حرها يقال صليت
النار وبالنار اذا نالك حرها
ويقال اصلوها أى احترقوا
بها (قوله عز وجل
فاستفتهم) أى سلهم (قوله
عز وجل الياسين) يعنى
الياس وأهل دينه جمعهم

ناقص وتكون له معجزات قاهرة اذ يتحداهم (أنى قد جئتكم بآية) قاهرة تعاون بالضرورة
كونها (من ربكم) لعجزكم عنها وهى (أنى أخلق لكم) أى لاعجازكم صورة (من الطين
كهيئة) أى كصورة (الطير فانفخ فيه) أى فيما اخلق (فيكون) أى يصير (طيرا)
حقيقيا ذا حياة (باذن الله) أى أمره لاباستقلال منى (وأبرئ الاكمه) الممسوح العين
(والابرص) الذى لايقبل الدواء بمجرد الدعاء وافعل ماهو أبلغ من ذلك (و) هو أنى (أحيى
الموتى باذن الله) لاباستقلال منى نفيا لتوهم الالهية فهذه معجزات قاهرة فعلية (و) من
معجزاتى القولية انى (أنبئكم) أى أخبركم (بما تأكلون وما تدخرون) لاولادكم
وللمستقبل فتتركونه (فى بيوتكم ان فى ذلك لآية) أى دلالة (لكم) على صدقى (ان كنتم
مؤمنين) مصدقين بآيات الله فانها لم تقف فيما مضى على ذلك (و) ليست معجزاتى لاضلالكم
حتى تشكوا فيها بل لاهدائكم اذ كنت (مصدقا لما بين يدى من التوراة) المشهورة بالاهداء
(و) لكنى نسخت بعض أحكامها لانى جئتكم (لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم) فيها
لظلمكم كأكل الشحوم والثروب ولحوم الابل والعمل فى السبت (و) ليس ذلك من
الاضلال لانى (جئتكم بآية من ربكم) تدل على وجه تحريمها فى ذلك العصر وتحليلها فى هذا
العصر (فاتقوا الله) فى تحريم ما أحل ولو بعد التحريم (وأطيعون) فى تحليل ما حرم فى ذلك
العصر لدلالة معجزاتى على صدقى ولم يظهر لى من خباثة النفس مايشكك فى تلك المعجزات اذ
أدعوكم الى عبادة الله (ان الله) هو (ربى) ان تجلى فى بهذه الامور فأنا عبده كما انكم عبيده
(و) هو (ربكم فاعبدوه) بمقتضى أمره فى كل عصر (هذا) المذكور من تحليل الشىء فى
عصر وتحريمه فى آخر بمقتضى مصالح الازمنة (صراط مستقيم) بايصال الحكمة غاياتها فى
أقرب المسافات ولو وصلت على خلافه بعدت المسافة ولما رأوه ينسخ بعض أحكام التوراة
كفروا به (فلما أحس عيسى) اى أدرك ادراك المحسوسات (منهم الكفر) عند اظهارهم
اياه بايذائهم له (قال) مع ماله من معجزة الاحياء الذى القدرة عليه بالاستقلال قدرة على الاماتة
بلا آلة مختبرا ايمان المخلصين ولذلك لم يكتف بنصر الله (من) الجمع الذين هم (أنصارى) ولا يعسر
عليهم كثرة المؤذين لانهم يضمون أنفسهم (الى الله) فى نصره الكافى وحده (قال الحواريون)
اى المنسوبون الى الحور وهو البياض لاستنارة قلوبهم (نحن) أنصارك لانا (أنصار الله)
ونصرك نصره لانك داع اليه بأمره وكيف لاننصر الله وقد (آمنا بالله) ومقتضاه نصره
والانقياد لاوامره فانقدنا لاوامره التى بلغتها منه (واشهد) أيها الداعى الى الايمان المبلغ
للاحكام لنقادها (بأنا مسلمون) اى منقادون من كل وجه فى الظاهر والباطن ثم اشهدوا الله
لامره بما أنزل من الايمان به وبأوامره المقتضى لاتباع رسوله فى العمل بمقتضاها فقالوا
(ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول) فأشهدناك على ما نحن عليه اصدقنا فى دعواه (فاكتبنا)
جزاء على اشهادنا اياك (مع الشاهدين) على ايمان الخلائق وكفرهم وأعمالهم الظاهرة
والباطنة بالكشف عن بواطنهم بزيادة انارة قلوبنا فوق انارتها للايمان والانقياد للاحكام

بغير اضافة بالياء والنون
على العدد كأن كل واحد
اسمه الياس وقال بعض
العلماء يجوز أن يكون
الياس والياسين بمعنى
واحد كما يقال ميكال
وميكائيل ويقرأ على آل
ياسين أى على آل محمد صلى
الله عليه وسلم (قوله عز
وجل اشمأزت) معناه
نفرت والمشمئز النافر
(قوله عز وجل اصفح
عنهم) أى أعرض عنهم

او

أومع الشاهدين للحقائق (و) لما قصدوا ايذاء عيسى وخافوا سوء دعوته وقتال حوارييه (مكروا) فوكلوا عليه من يغتاله (ومكر الله) بالقاء شبهه على بعضهم وجعله بحيث لا يصلون اليه أبدا وجعلهم مضرورين باتباعه دائما وهو أشد عليهم من تضررهم به (و) ذلك اذ (الله خير) اى اغلب (الماكرين اذ قال الله يا عيسى) اعلاما له بمكره بالاعداء وتخليصه عن مكرهم (انى متوفيك) اى آخذ بكليتك (و) لا أدع لك شهوة طعام ولا شراب فتحتاج الى مساكنة الارض لانى (رافعك الى) أى الى سمائى (و) انما أرفعك لانى (مطهرك من) جوار (الذين كفروا) لئلا يصل اليك من آثارهم شئ (و) كما أجعلك فوق أهل الارض فأنا (جاعل الذين اتبعوك) من المسلمين والنصارى (فوق الذين كفروا) بك من اليهود يغلبونهم (الى يوم القيامة) فقيل لم يبق لليهود بعد ذلك ملك ودولة (ثم) لا أقتصر فى حقهم على ذلك بل (الى مرجعكم) للتحاكم (فأحكم) لقطع النزاع (بينكم فيما كنتم فيه تختلفون) من الايمان والكفر وغيرهما (فأما الذين كفروا) بك فانهم وان آمنوا بموسى وسائر الانبياء (فأعذبهم عذابا شديدا) كعذاب من كفر بالكل (فى الدنيا) بالقتل والاسر والجزية (والآخرة) بالنار والحيات والعقارب وضرب الزبانية والسلاسل والاغلال وغير ذلك (و) هم وان آمنوا بالانبياء الماضين (مالهم) أحد منهم (من ناصرين) بالشفاعة أو الاحتجاج أو الدفع قهرا (وأما الذين آمنوا) بك وبكل من آمنت بهم (وعملوا الصالحات) وان كان فيها ما نسخ بعض أحكام التوراة (فيوفيهم أجورهم) مثل أجور من عمل بما فى التوراة قبل النسخ ولا يعطى العامل بما نسخ منها شيئا بعد النسخ لانه ظالم (والله لا يحب الظالمين) بمنع النسخ أو بالقول بالهية عيسى أو ابنيته أو بانكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكيف لا يكون منكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ظالما بعد ظهور آياته التى من جملتها (ذلك) المذكور لانا (نتلوه عليك) من غير ان يكون لك اطلاع سابق عليه مع انه (من الآيات) المعجزة بذاتها (و) بجمعها وجوه الحكمة لانها من (الذكر الحكيم) المفيد شرف القائل به لتفوقه بوجوه الحكمة وكيف لا يكون القائل بابنية عيسى ظالما بجعله فوق آدم لتولده بلا أب مع انه دون آدم (ان مثل عيسى) اى شأنه العجيب الموهم ابنيته مطابقا لما (عند الله كمثل آدم) فى الحدوث بلا أب بل دونه لان الله تعالى (خلقه من تراب) محدث بلا أبوين (ثم قال له) أى لتكوينه انسانا بنفخ الروح فيه (كن) انسانا حيا وأمره يفيد قوة التكون (فيكون) هذا هو المثل (الحق) اى الثابت الذى لا يقبل التاويل جاء (من ربك) الذى رباك بالاطلاع على الحقائق (فلا تكن من الممترين) بما ورد فى الانجيل من اطلاق لفظ الاب على الله فانه اطلاق مجازى لانه لما حدث منه كان كأبيه واذا ظهر لك الحق من ربك بالبيان التام (فمن حاجك) اى جادلك (فيه) لاثبات ابنيته بظواهر الانجيل (من بعد ما جاءك من العلم) القطعى الموجب لتأويله (فقل) لم يبق بيننا وبينكم مناظرة ولكن نرفع عنادكم بطريق المباهلة (تعالوا) اى هلموا بالعزم (ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) أى يدع كل

وأصل الصفح أن تنحرف عن الشئ فتوليه صفحة وجهك أى ناحية وجهك وكذلك الاعراض هو أن تولى الشئ عرضك أى جانبك ولا تقبل عليه (قوله اللغو فيه) وهو من اللغا وهو الهجر والكلام الذى لا نفع فيه (قوله عز وجل اعتلوه) أى قودوه بالعنف (قوله تعالى ان نظن الا ظنا) معناه ما نظن الا ظنا

منا ومنكم أعزة أهله وألصقهم بقلبه ممن يخاطر الرجل بنفسه لهم ويحارب دونهم ويدع نفسه
يضا (ثم نبتهل) اى نتضرع الى الله تعالى فى دعاء اللعنة (فنجعل لعنت الله على الكاذبين) منا
ومنكم ليهلكهم الله وينجى الصادقين فلا يبقى العناد الباقى عليكم بعد اتفاق الدلائل
العقلية والنقلية روى أنه عليه السلام قرأ الآية على وفد نجران ودعاهم الى المباهلة فقالوا
حتى ننظر نخلوا فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم ماترى فقال لقد عرفتم نبوته ولقد جاءكم بالفصل
فى أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ونبت صغيرهم فان أبيتم الا الف
دينكم فوادعوا الرجل وانصرفوا فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا
الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة خلفه وعلى خلفها وهو يقول لهم اذا أنا دعوت فأمنوا
فقال لهم أسقفهم يامعشر النصارى انى لأرى وجوها لوسألوا الله عز وجل أن يزيل جبلا
من مكانه لازاله فلا تباهلوا فتهلكوا (ان هذا) اى خلق عيسى بأمر الله لابمجامعته
مريم (لهو القصص الحق و) كيف يجامعها ولا جزءله ينفصل بمجامعته اذ (ما من اله الا الله)
فكما لايتعدد افراده لايتعدد أجزاؤه والا لوجب اتصاف كل جزء منه بالكمالات الموجبة
لالهية ذلك الجزء (و) لو كان له جزء لم يتذلل بمجامعة امرأة أرضية لانه (ان الله لهو العزيز)
ولو اشتهى ذلك لمنعته حكمته لانه (الحكيم) فحكمته تحفظ عليه عزته (فان تولوا) اى
أعرضوا عن القول بعبودية عيسى عليه السلام فهم مفسدون اعتقادهم واعتقاد غيرهم
فى الله فلا يفوتونه (فان الله عليم بالمفسدين) يجازيهم بمقدار افسادهم (قل يا أهل الكتاب)
المطلعين على الاعتقادات الصائبة لاوجه لاعراضكم عن دعوتى الى القول بعبودية عيسى
(تعالوا الى كلمة سواء) أى قول معتدل لايميل الى التعطيل ولا الى الشرك متفق عليها (بيننا
وبينكم) وهى (ألا نعبد الا الله) اى لانرى غيره مستحقا للعبادة فنعبده (ولا نشرك به شيأ)
فى كمال صفاته الذى به الهيته (ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا) اى آلهة صغارا مع علمنا بكونهم فى
الكمال (من دون الله) والالهية انما هى بغاية الكمال (فان تولوا) عن هذه الكلمة السواء
المتفق عليها (فقولوا) خرجتم عن دين الله الذى هو الاسلام ولكن (اشهدوا بأنا مسلمون)
لتكون شهادتكم سبب نجاتنا وهلاككم ولما قالوا الاخلاف فى هذه الكلمة ولكنك تزعم
انك على ملة ابراهيم وتخالف اليهود والنصارى وكان ابراهيم يهوديا أو نصرانيا فقال لهم
عز وجل (يا أهل الكتاب) الذين حقهم أن لاينطقوا الا بما علم لهم (لم تحاجون) أى تجادلون
(فى ابراهيم) انه كان فى أحد الفريقين ولا شك ان اليهودية بعد انزال التوراة والنصرانية بعد
انزال الانجيل (وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده) التوراة بعده بألف سنة والانجيل
بعده بألفى سنة (أ) تجعلونه على شريعة كانت بعده بهذه المدة (فلا تعقلون ها أنتم هؤلاء) اى
تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة لدناءة عقولهم (حاججتم فيما لكم به علم) من أمر محمد
صلى الله عليه وآله وسلم اذ له ذكر فى كتابكم فأمكنكم تغييره لفظا أو معنى (فلم تحاجون فيما
ليس لكم به علم) من امر ابراهيم اذ لاذكر له فى كتابكم فلا يمكنكم فيه التغيير (والله يعلم) فيبينه

لنبيه

لايؤدى الى يقين انما
يخرجنا الى ظن مثله (قوله
عز وجل انشزوا) أى
ارتفعوا عن مواضعكم
حتى توسعوا الغير كم يقال
قعد على نشز من الارض
أى مكان مرتفع ونشز ٣
(قوله استحوذ عليهم
الشيطان) أى غلب عليهم
الشيطان واستحوذ مما
أخرج على الاصل ولم يعل
ومثله استروح واستنوق
الجمل واستصوبت رأيه

٣ (قوله ونشز يعنى بتحريك
الشين مصحح

انبيه (و) ان لم يعلمكم لذلك (أنتم لاتعلمون) وان كنتم منتسبين اليه (ما كان ابراهيم) لو كان
على شريعة التوراة والانجيل (يهوديا ولا نصرانيا) اى معتقدا اعتقادهم اليوم فى عزير
وعيسى (ولكن كان حنيفا) اى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة (مسلما) اى منقادا
للاعتقادات الصحيحة (و) لو كان له شئ من اعتقاداتهم اليوم فلا شك انه (ما كان من
المشركين) بالقول بابنية عزير أو عيسى أو بالهيتهما ثم مازعمتم انكم أولى به لان شريعته كانت
موافقة لشريعة التوراة والانجيل ممنوع بل (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه) قبل
نزول التوراة والانجيل اذلم يتغير عليهم شئ من شريعته (وهذا النبى) الناسخ لما نسخ
التوراة والانجيل من شريعته (والذين آمنوا) به فعملوا بشريعته الموافقة لشريعة
ابراهيم ثم قال (و) لو كنتم موالين له بالعمل بشريعته وكانت منسوخة بهذه الشريعة
لم يفدكم موالاته اذلا يواليكم الله اذ (الله ولى المؤمنين) ثم أشار الى أن اهل الكتاب انما ادعوا
يهودية ابراهيم أونصرانيته لانكم تزعمون انكم على ملته فأرادوا ان يلزموكم اليهودية
أوالنصرانية لانه (ودت) اى أحبت (طائفة من أهل الكتاب) الذين حقهم محبة الاهداء
لو يضلونكم) بالقاء شبهة يهودية ابراهيم أونصرانيته لكنها انما تتم لو صحت يهوديته
أونصرانيته (و) اذا لم تتم ثبت اضلالهم فى هذه الدعوى فهم (مايضلون الا أنفسهم وما
يشعرون) أنه يعود اضلالهم الى أنفسهم اذا عجزوا عن اثبات هذه المقدمة ثم قال انكم
انما تدعون الناس الى اليهودية والنصرانية لظهور الآيات على يدى موسى وعيسى عليهما
السلام (يا أهل الكتاب) المؤمنين بآيات موسى وعيسى (لم تكفرون بآيات الله) الظاهرة
على يدى محمد صلى الله عليه وسلم مع انها اجل من آياتهما (وأنتم تشهدون) آياته وقد سمعتم
آيات موسى وعيسى والمشهود أولى بالترجيح من المسموع ثم أشار الى أن هذه الآيات
لولم تكن أجل فلا تكون أقل الا عن تلبيسكم (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) فتجعلون
تكليم الحصى وشق القمر من السحر دون احياء الموتى وشق البحر (و) قد صدقه كتابكم
لكنكم (تكتمون الحق) اى الثابت فى كتبكم (وأنتم تعلمون) ماهو مراده وان غيرتموه
بتأويلكم الفاسد (و) من تلبيسهم الحق بالباطل أنه (قالت طائفة من أهل الكتاب) اثنا
عشر من يهود خيبر (آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا) من نسخ التوراة (وجه النهار)
اى أوله (واكفروا آخره) فقولوا انظرنا فى كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمدا بالنعت الذى فى
كتابنا (لعلهم) اى أصحاب محمد (يرجعون) عن دينه اذ يتوهمون أنهم بعد ترك العناد انما
رجعوا الانهم علموا حاله (و) من كتمانهم الحق أنهم قالوا (لا تؤمنوا) اى لا تظهروا تصديقكم
بمحمد لكونه فى كتابكم (الالمن تبع دينكم) اى لمن علمتم استقراره على اليهودية (قل)
كانكم تهدون الناس باليهودية لكنها لم تبق هدى بعد مجئ محمد صلى الله عليه وسلم (ان
الهدى هدى الله) وليس هدى الله بعد مجيئه صلى الله عليه وسلم بمقتضى التوراة التى

(قوله تعالى امتحنوهن) أى اختبروهن (قوله عزوجل اسعوا الى ذكر الله) بادروا بالنية والجد ولم يرد العدو والاسراع فى المشى (ائتمروا بينكم بمعروف) أى ليأمر بعضكم بعضا بالمعروف (قوله استغشوا ثيابهم) تغطوا بها (قوله التفت الساق بالساق) آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة ومعنى التفت أى التصقت من قولهم امرأة لفاء اذا

حصرتم هدى الله فيما الاهداه لكنكم تكتمون انه هدى الله بعد مجيئه كما ان التوراة هداه
قبل مجيئه كراهة (ان يؤتى احد) من هدى الله (مثل ما أوتيتم) فضلا عن الفاضل فى التقريب
من الله وافادة الثواب (أو) كراهة اظهار أن (يحاجوكم) اى يغلبوكم بالحجة (عند ربكم)
فانكم تكرهون ظهور ذلك لما فيه من ذهاب رياستكم ورشاكم (قل ان) الاخفاء انما يمنع
الايتاء لو كان الفضل بيدكم لكن (الفضل بيد الله) ولا يمكنكم منعه فانه مع منعكم اياه
(يؤتيه من يشاء) كيف (و) منعكم تضييق عليه ولا يمكن اذ (الله واسع) وان أمكنكم
التضييق فهو (عليم) بدفعه عن نفسه فيزيده اخفاؤكم ثم ان اخفاءكم فضل المؤمنين انما يأتى
لو ساووكم فى الفضل أو نقصوا لكن الله (يختص برحمته من يشاء) فيزيده فضلا عليكم كيف
(و) فضله ليس منحصرا فيما أعطاكم اذ (الله ذو الفضل العظيم) ثم أشار الى أنه لا يبعد منهم
التلبيس وقد ظهرت فيهم الخيانة فى أقل شئ ويبعد من مؤمنهم وقد ظهرت فيهم الامانة فى شئ
عظيم فقال (ومن أهل الكتاب) عبد الله بن سلام أودعه رجل من قريش ألفا ومائتى أوقية من
الذهب فاداه اليه فهو (من ان تامنه بقنطار) مال منضد بعضه على بعض (يؤده اليك) وان لم
تطالبه ويبعد منه التلبيس لان أمانته مع الخلق تدل على امانته مع الله فلا يفترى عليه انه
ماذكر فى كتابه نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومنهم من) فنحاص بن عازوراء استودعه
قرشى دينارا فلم يؤده اليه فهو (ان تامنه بدينار لا يؤده اليك) لكونه فى غاية الخيانة بحيث
يخون فى غير شئ (الا مادمت عليه) اى على رأسه (قائما) بالمطالبة والترافع واقامة البينة
فلا يبعد منه الخيانة مع الله بكتمان ما أمر باظهاره طمعا فى ابقاء الرياسة والرشاء عليه (ذلك)
اى الدليل على خيانتهم مع الله انهم يعتذرون عن الخيانة مع الخلق اذا ظهرت بالافتراء على
الله لان اعتذارهم (بأنهم قالوا ليس علينا فى) مال (الاميين) الذين ليسوا من أهل الكتاب
(سبيل) الى ذم وعقاب فهم يخونون مع الخلق (ويقولون) فى الاعتذار عنه (على الله
الكذب) فيخونونه ايضا (وهم يعلمون) أنه كذب محض ليس لهم فيه نص قطعى ولا ظنى مبينا
ولا دلالة (بلى) النص الالهى أن (من أوفى بعهده) أوفى الله عهده ومن نقض عهده نقض
الله عهده واداء الامانة من وفاء العهد بل من التقوى (و) قد نص على ان من (اتقى فان الله
يحب المتقين) فلو لم يكن عليهم سبيل لكان حقهم ان يستأثروا محبة الله على كل شئ ثم أشار
الى أنهم متى يبالون بعهد الناس ولم يبالوا بعهد الله اذ يستبدلونه وكيف يتقون الله فى أمانات
الخلق ولم يتقوه فى أمانته وهى وجوب تعظيمه اذ يهتكونه بالايمان الكاذبة فقال (ان الذين
يشترون بعهد الله) اى يأخذون بدله بتغييره (وأيمانهم) اى وبأيمانهم الكاذبة يبدلونها
فيأخذون (ثمنا قليلا) اى شيأ حقيرا من الدنيا الحقيرة التى لا نسبة لجمعها الى أدنى مافوتوه
(أولئك لا خلاق) اى لا نصيب ثواب (لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله) بما يرضيهم (ولا ينظر
اليهم يوم القيامة) نظر الرضا (ولا يزكيهم) عما يوجب العقاب (ولهم عذاب أليم) بالنار
والتوبيخ ونظر الغضب والهيآت الظلمانية وذلك لانهم انما أخذوه بعدم رؤيتهم فى ايفاء

التصقت نخذاها ويقال
هو من التفاف ساقى
الرجل عند السياق يعنى
عند سوق روح العبد الى
ربه ويقال التفت الساق
بالساق مثل قولهم شمرت
الحرب عن ساقها اذا
اشتدت (قوله تعالى
انكدرت) انتثرت وانصبت
ومنه قول العجاج
أبصر خربان فضاء فانكدر
(وهو طائر واحده خرب
وهو ذكر الحبارى)

عهده ورعايته تعظيمه نصيبا من ثواب الآخرة ولا من مكالمة الله بما يرضيهم ولا بنظره بالرضا اليهم ولم يزيدوا التزكية عن موجب العذاب وكيف لا يكون كذلك (وان منهم لفريقا) لا يقتصرون على تغيير العهد بمجرد التأويل بل (يلوون) اى يحرفون (ألسنتهم) فيظهرون أكاذيبهم ملتبسة (بالكتاب لتحسبوه) اى لتتوهموا انه (من) ألفاظ (الكتاب وماهو من الكتاب) لفظا ولا تأويلا (و) لا يقتصرون على الايهام بل يصرحون اذ (يقولون هو من عند الله وماهو من عند الله) تنصيصا ولا استنباطا (و) بالجملة لا يبالون بالله اذ (يقولون على الله الكذب) فى كتابه وغيره (وهم يعلمون) أنهم يكذبون ثم انهم كما كذبوا على الله كذبوا على رسله اذ زعموا أن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربا فرد الله تعالى عليهم بأنه (ما كان) يصح من الله الذى لا يعطى مرتبة النبوة الا لمن علم أنه يقوم بحقها أن يجمع هذه الفضائل (لبشر) مع بقاء بشريته التى لابد من بقائها أبدا (أن يؤتيه الله الكتاب) اى علم الاعتقادات والاخلاق (والحكم) اى الشريعة (والنبوة) ليدعو الى الله (ثم يقول للناس) الذين بعثه الله اليهم ليدعوهم الى عبادته وحده (كونوا عبادا لى) فاتخذونى ربا (من دون الله) لان ذلك استنقاص لهم (ولكن) يستكملهم اذ يقول لهم (كونوا ربانيين) اى منسوبين الى الرب بالتخلق بأخلاقه أو بالتحقق بها أو بالفناء فيه والبقاء به (بما كنتم تعلمون الكتاب) الناس فان ثواب تعليمه ينير قلوبكم فيبدل أخلاقه أو ينزل به انوار التجلى الشهودى (وبما كنتم تدرسون) اى تقرؤن فانه يجركم الى الله تعالى وهذا لو كان التعليم والقراءة لله تعالى وحده (ولا يأمركم) أيها المأمورون بالربانية بما هو غاية النقص (أن تتخذوا الملائكة والنبيين) الذين هم وسائط ما بينكم وبين الله (أربابا) استنزالا لكم عن عبادة الله الى عبادتهم على انه رد الى الشرك الذى بعثوا لمحوه (أيأمركم بالكفر) اى بالعود اليه (بعد اذ أنتم مسلمون) اى بعد استقراركم على الاسلام الذى تحملوا فيه المتاعب الكثيرة ثم ذكر انهم كما قالوا على الله ورسله مالم يقولوه كتموا على الله ورسله ما بالغوا فى الامر ببيانه من أمر كل رسول جديد مؤكدا بالايمان به والنصر له فقال (واذ أخذ الله ميثاق النبيين) اى العهد الوثيق من كل نبى صادق أن يقولوا لاممهم عن لسانى (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) اى ان الذى آتيتكم من الكتاب وأسراره فانما آتيتكم لتعرفوا طريق الهداية وتجعلوه أصلا ترجعون اليه اذا أشكل عليكم الامر فاذا جعلتموه أصلا (ثم جاءكم رسول) بالمعجزات (مصدق لما معكم) وان كان ناسخا لبعض أحكامكم بمبادلات الحكمة على اقتضاء الزمان ذلك (لتؤمنن به) لانه اجتمع فيه شاهدان المعجزات والهداية (و) لا تقتصرون على الايمان بل (لتنصرنه) أيضا مبالغة فى تشهير أمره ثم بالغ الله على الانبياء بمراجعة أممهم اذ (قال أأقررتم) اى هل أخذتم اقرار قومكم بقبوله (وأخذتم على ذلكم اصرى) اى عهدى الثقيل (قالوا أقررنا) اى أخذنا اقرارهم مع المبالغة (قال فاشهدوا) عليهم لتلزموهم اذا أنكروا (و) ان لم يحتج الى

(قوله انفطرت) أى انشقت (قوله تعالى انسق القمر) اذا تم وامتلأ فى الليالى البيض ويقال اتسق استوى (قوله ايابهم) رجوعهم (قوله عز وجل ارم) أبو عاد وهو عاد بن ارم ابن سام بن نوح ويقال ارم اسم بلدتهم التى كانوا فيها (قوله اقتحم العقبة) هى عقبة بين الجنة والنار والاقتحام الدخول فى الشئ والمجاوزة له بشدة وصعوبة (وقوله عز وجل فلا اقتحم

شهادتكم سوى المبالغة اذ (أنا معكم من الشاهدين) واذا بالغ الله تعالى هذه المبالغة فى أخذ الانبياء ميثاق أقوامهم على هذا النهج البليغ (فمن تولى بعد ذلك) اى أعرض عن هذا العهد فلم يؤمن بالرسول المذكور ولم ينصره (فأولئك) وان كانوا من أهل الكتاب (هم الفاسقون) اى الخارجون عن دائرة أهله بالحقيقة فلا عبرة بشهادتهم ولا باخبارهم فان قالوا هذا الرسول ليس مصدقا لهم لانهم دعوا الى ربوبية أنفسهم قيل لهم (أ) يطلب الانبياء من الناس اتخاذهم أربابا وهذا دين المشركين (فغير دين الله) الذى هو التوحيد (يبغون) اى يطلبون لاتباعهم (و) ليس هذا مقتضى كمالهم فى التجلى الشهودى اذ (له أسلم من فى السموات) من أهل الفناء والبقاء (والارض) من عوام المؤمنين والكفار (طوعا) ان كان من أهل البقاء أو مؤمنا (وكرها) ان كان من أهل الفناء او كافرا فلا يدعى الالهية إلا له لا لنفسه وكيف (واليه يرجعون) فى التوحيد فلا مساغ لغيره فى دعوى الالهية أصلا ولو قالوا أنتم تطلبون بترك اليهودية والنصرانية غير دين الله (قل) لهم (آمنا بالله) ويهود هذا الزمان ونصاراه أشركوا به (وما أنزل علينا و) ان كان فيه ما ينسخ بعض أحكام التوراة والانجيل فهو موافق (ما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط) فلو اخل نسخنا للتوراة والانجيل لأخل نسخكم لما أنزل على هؤلاء (و) مع ذلك أيضا صدقنا (ما أوتى موسى وعيسى والنبيون) وان اختلفت شرائعهم لكونها (من ربهم) اى الذى ربى كلا بما هو مصلحته وهم وان تفاوتت شرائعهم كمالا ونقصا (لا نفرق بين أحد منهم) بالايمان بالبعض والكفر بالبعض لان التفاوت فيها بتفاوت استعدادات الامم (و) لا نجعل بعضهم أربابا وبعضهم عبيدا بل (نحن له مسلمون) فهذا هو الاسلام الذى هو الانقياد لربوبية الله وأوامره فى كل عصر (ومن يبتغ) اى يطلب (غير الاسلام دينا) فاتخذ البعض أربابا وصدق البعض دون البعض وآمن بالمنسوخ دون الناسخ (فلن يقبل منه) اذ لم ينقد لامر الله فى عصره وان انقاد لما أمر به من قبله (و) لا يحصل ثواب من عمل بالدين المنسوخ قبل نسخه بل (هو فى الآخرة من الخاسرين) للأجر على الناسخ والمنسوخ جميعا وكذا أجر ما صح من الاعتقادات والاعمال والاخلاق لان الكفر محبط للكل وكيف لا يكونون خاسرين فى الآخرة وقد خسروا وجوه الهداية فى الدنيا اذ (كيف يهدى الله قوما كفروا) بالرسول بعد مجيئه (بعد ايمانهم) به قبل مجيئه اذ رأوه فى كتبهم (و) ليس هذا الكفر مجرد نقضهم الميثاق بالايمان بكل رسول يأتيهم مصدقا لما معهم بل مع ذلك (شهدوا أن) هذا (الرسول حق و) هو وان لم يعين زمانه ومكانه وقبيلته وسائر مشخصاته يكفيهم انه (جاءهم البينات) التى آمنوا لمثالها ولما دونها بموسى وعيسى عليهما السلام فظلموا بحقه الثابت ببيناته وتصديقه الكتب السماوية (والله لا يهدى القوم الظالمين) فلا يجازيهم جزاء أهل الهداية وان اهتدوا بالايمان ببعض ما فى كتبهم بل (أولئك جزاؤهم) جزاء الظالمين بالكفر الكلى

العقبة) أى لم يقتحمها ولم يجاوزها ولا تكون مع الماضى بمعنى لم مع المستقبل كقوله
ان تغفر اللهم تغفر جما
وأى عبد لك لا ألما
أى أى عبد لك لم يلم بذنب أخذه من اللمم وهو من الصغائر (قوله عز وجل انبعث أشقاها) انفعل من البعث والانبعاث هو الاسراع فى الطاعة للباعث وأشقاها هو قدار بن سالف عاقر الناقة (قوله

وهو

وهو (أن عليهم لعنة الله) الذى بعث الرسل وأعطاهم البينات و واثق بالايمان بكل رسول
جاءهم بالبينات مصدقا لما معهم ونص على الرسول (والملائكة) الذين جاؤا بالرسالة أو شهدوها
(والناس أجمعين) من المؤمنين الذين آذوهم والكافرين الذين وقعوا فى الكفر بسببهم
يتسلطون عليهم مجتمعين ويبقون فى اللعنة (خالدين فيها) لا ينقص عنهم أصلا لذلك (لا يخفف
عنهم العذاب) وان آمنوا ببعض مافى كتبهم (ولاهم ينظرون) لينتفعوا بثواب ذلك البعض
لو حصل ثوابه (الا الذين تابوا) فانهم لا يبقون فى اللعنة ولو (من بعد ذلك) الكفر بعد الايمان
(وأصلحوا) عقائد من أضلوهم بازالة الشبهات عنهم (فان الله غفور رحيم) لانه لما سقطت
التبعات عن المضلين سقطت عن المضلين أيضا اذ كانوا سبب اسقاطها أيضا (ان الذين كفروا
بعد ايمانهم) فيه اشارة الى أن اضلال الكافر الاصلى ساقط بالتوبة وان مات المضل كافرا
(ثم ازدادوا كفرا) باضلال غيرهم (لن تقبل) فى حق من أضلوهم (توبتهم) اذ لم يزيلوا شبهاتهم
(وأولئك) بترك شبهاتهم (هم الضالون) وفيه اشارة الى أنهم لو لم يمكنهم ازالتها بالموت أو
بالغيبة البعيدة يرجى عفوها وكيف تقبل توبتهم ولا يبقى باضلالهم حسناتهم لو مات
المضلون كفارا (ان الذين كفروا) باضلالهم (وماتوا وهم كفار) اتركهم الشبهات عليهم
(فلن يقبل من أحدهم) فضلا عن جمع منهم (ملء الارض ذهبا) لو تصدق به المضل وأعطى
المضل عوضا عن اضلاله فانه لا ينتفع به (و) كذا (لو) وحده (افتدى به أولئك) لو أعطوا
ثوابه لم ينتفعوا به اذ (لهم عذاب أليم ومالهم من ناصرين) من ثواب يدفعه أو حجة أو شفاعة
ثم أشار الى أن انفاق المال وان لم يقع فداء للكافرين فهو فى نفسه شريف اذ (لن تنالوا البر)
اى بر الله رحمته ورضوانه (حتى تنفقوا) فى سبيله (مما تحبون) اى بعض محبوباتكم من
المال أو الجاه أو النفس (و) ليس المطلوب انفاق النصف أو الثلث أو الربع بل (ما تنفقوا
من شئ) حقير او عظيم (فان الله به عليم) يجازيكم بقدره وانما كان انفاق المحبوب سبب نيل
البر لان ترك المحبوب من أجله من أسباب التقرب اليه لذلك تقرب يعقوب عليه السلام بترك
أحب الطعام اليه اذ كان به عرق النسا فنذر ان شفى لم يأكل أحب الطعام اليه وهو لحم
الابل ولبنه فدل هذا على أنه (كل الطعام) اى الحلال فى دين محمد عليه السلام (كان حلا لبنى
اسرائيل) فى عهد ابراهيم وبنيه عليهم السلام قبل ظلمهم ولم يحرم عليهم بعد ظلمهم (الا ما حرم
اسرائيل) وهو يعقوب عليه السلام (على نفسه) بنذره فكان تحريم يعقوب (من قبل أن
تنزل التوراة) ولم يكن تحريم ابراهيم كما قالت اليهود واعترضوا بذلك على رسول الله صلى الله
عليه وسلم انك تزعم انك على ملة ابراهيم وكان لا يأكل لحوم الابل وألبانها وأنت تأكلها
فقال عليه السلام كان ذلك حلالا لابراهيم فقالوا كل ما تحرمه اليوم كان حراما على نوح
وابراهيم حتى انتهى الينا (قل) ان كذبتمونى (فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) فى
أنها كانت محرمة فى دين ابراهيم وان التوراة لم تنسخ شيأ من أحكامه فاذا لم تأتوا بها اعلم أنكم

تعالى انحر) أى اذبح
ويقال انحر ارفع يدك
بالتكبير الى نحرك

(باب الباء المفتوحة)

(قوله بلاء) على ثلاثة
أوجه نعمة واختبار
ومكروه (وقوله عز وجل
بارئكم) خالقكم (قوله
عز وجل باؤا بغضب من
الله) انصرفوا بذلك ولا
يقال باء الا بشر ويقال باء
بكذا اذا أقر به أيضا
(قوله عز وجل بديع) أى
مبتدع (قوله بث فيها)
أى فرق فيها (قوله باغ)

تفترون على الله بأنه قال بامتناع الفسخ مع انه لا يمنع عقلا (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك) أى ظهور نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم (فأولئك هم الظالمون) بالتحكم على الله ومنعه من رعاية مصالح الازمنة واذا كانت التوراة ناسخة لبعض أحكام ملة ابراهيم (قل صدق الله) فيما ذكر فى هذا الكتاب من جواز النسخ وانه نسخ به ما نسخ التوراة من أحكام ملة ابراهيم (فاتبعوا ملة ابراهيم) وهو مقتضى امتناع الفسخ أيضا كيف وليس فى ملته ما فى يهودية اليوم ونصرانيته من الاعتقادات الفاسدة اذ كان (حنيفا) أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة كيف وفى يهودية اليوم ونصرانيته شرك اثبات الولد أو الهية عيسى (وما كان من المشركين) وكيف تزعمون أنكم على ملة ابراهيم وقد كانت قبلته الكعبة بل قبلة آدم وكيف تنكرون نسخ التوراة أحكام ملة ابراهيم وقد نسخت القبلة بصخرة بيت المقدس (ان أول بيت وضع للناس) أى ان توجههم اليه فى الصلاة تجتمع قلوبهم فى تلك الجهة مع تفرقهم فى العالم (للذى ببكة) أى مكة لان الارض دحيت من تحتها فهى مبدأ الجسم الترابى فتوجهه اليه يوجب توجه الروح الى مبدئه واعتبار المبدئية يقتضى الاولوية ولم تكن للصخرة قبلة ابراهيم ومن قبله اتفاقا ولدحو الارض من تحتها كان (مباركا) لان بركات الارض انما خرجت ببسطها فكانت فى الاصل تحتها فيرجى للمتوجه اليه البركات المعنوية (و) لكون التوجه اليه توجها الى الله كان (هدى للعالمين) كيف وقد كوشف بالتوجه اليه فى الصلاة وبالطواف حوله الحقائق الالهية والكونية كيف و (فيه آيات بينات) رمى الطير أصحاب الفيل بحجارة من سجيل وتعجيل عقوبة من عتا فيه واجابة دعاء من دعا تحت ميزابه واذعان النفوس لتوقيره من غير زاجر ومن أعظمها النازل منزلة الكل (مقام ابراهيم) الحجر الذى قام عليه عند رفعه قواعد البيت كلما علا الجدار ارتفع الحجر فى الهواء ثم لين فغرقت فيه قدماه كأنهما فى طين فبقى أثره الى يوم القيامة (و) من آياته أن (من دخله كان آمنا) من نهب العرب وقتالهم وقد أمن صيده وأشجاره وكيف تنكرون كون الحج من دين ابراهيم وقد نسخته التوراة فنسخ نسخها هذا الكتاب فقال (ولله) أى ويجب للتقرب اليه (على الناس حج البيت) أى قصد زيارته من عرفات لنزوله منزلة بيت الله لو كان له مكان ولكن انما يجب على (من استطاع اليه سبيلا) اى قدر على الذهاب اليه والرجوع الى بيته بوجدان الزاد والراحلة مع نفقة الاهل (ومن كفر) بفرضية الحج فلا يبالى به كما لم يبال بفرضيته وهو أولى بعدم المبالاة لغناه على الاطلاق (فان الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب) الزاعمين انهم يؤمنون بجميع آيات الله (لم تكفرون بآيات الله) فى بيته وآيات التوراة الدالة على وجوب الحج فى ملة ابراهيم وآيات محمد عليهما السلام ولا تقتصرون على الكفر بها بل تحرفونها لفظا أو معنى (والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم) لا تقتصرون على انكار فرضية الحج بل مع ذلك (تصدون) الناس (عن سبيل الله) الذى جعله سبيلا لابراهيم ومحمد عليهما السلام وقومهما فتمنعون عن الحج (من آمن تبغونها) بالقاء

الشبهات

طالب (وقوله غير باغ ولا عاد) أى لا يبغى الميتة أى لا يطلبها وهو يجد غيرها ولا عاد أى لا يعدو شبعه (قوله عزوجل باشروهن) أى جامعوهن والمباشرة الجماع سمى بذلك لمس البشرة البشرة ظاهر الجلد والادمة باطنها (قوله بسطة فى العلم) أى سعة من قولك بسطته اذا كان مجموعا ففتحته ووسعته (وقوله وزاده بسطة فى الخلق) أى طولا وتماما كان أطولهم

الشبهات (عوجا) لايليق المؤمن به على ايمانه (وأنتم شهداء) انهم على الحق بنصوص كتابكم لكنكم تحرفونها (وما الله بغافل عما تعملون) من تحريفها والقاء الشبه على من يأخذ بمقتضاها (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم أن لاتقلدوا أحدا ولو أهل الكتاب لانكم (ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب) بحسن اعتقادكم فيهم لكونهم أهل الكتاب (يردوكم بعد ايمانكم) بالتوحيد والنبوة (كافرين) الكفر الذى كنتم عليه من الشرك وانكار النبوة اذ يرضون بالرد اليه دون البقاء على التوحيد والاقرار بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وكيف تكفرون) بالله اقوالهم (وأنتم تتلى عليكم آيات الله) التى هى أجل من الآيات المتلوة عليهم (و) ان لم تدركوا اعجازها فارجعوا الى رسوله اذ (فيكم رسوله و) من لم يجد رسوله يكفيه الاعتصام به فانه (من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) فى ادراك اعجاز آيات الله ورفع الشبه عنها ثم أشار الى أنه انما يتم ادراك الحجج ورفع الشبه بكمال التقوى المفيدة تزكية النفوس وتصفية القلوب فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) باستفراغ الوسع فى القيام بالواجبات والمستحبات واجتناب المحرمات والمكاره ولا تغفلوا عن الشبهات فانه يخاف معها الموت على الكفر (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) أى وقد رفعت شبهاتكم ثم أنه يقع بالتزكية والتصفية أنواع من الخلل كانحراف المزاج وتلبيس الشيطان (و) لدفعها (اعتصموا بحبل الله جميعا) أى بكتابه فى اعمال التصفية والتزكية وفى المكاشفة ثم الاعتصام بالكتاب انما يتم بالاجتماع على طلب الحق لا بالجدل الباطل الداعى الى الافتراق (و) لذلك قال (لا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم) بتأليف قلوبكم لتجتمعوا على طلب الحق (اذ كنتم أعداء) فقلب عداوتكم بالمحبة (فألف بين قلوبكم) وأزال افتراقكم المشتت لاموركم (فأصبحتم) اى صرتم (بنعمته اخوانا) متحابين فى الله مجتمعين على الخيرات متعاونين على البر والتقوى (وكنتم) بتلك العداوة (على شفا) اى طرف (حفرة من النار) بالقتال والنهب والاسر (فانقذكم منها) قيل كان الاوس والخزرج أخوين وقع بين أولادهما العداوة والحروب مائة وعشرين سنة ثم رفعت بالاسلام (كذلك) اى مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) فى كل مكان لانقاذكم عن الضلال فيه (لعلكم تهتدون) لرشدكم الدينى والدنيوى فيه ثم أشار الى انه كما أنقذكم من النار والضلال بارسال الرسل وانزال الآيات فليكن فيكم من ينقذ اخوانه فقال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) اى الايمان (ويأمرون بالمعروف) اى بكل معروف من واجب ومندوب يقربهم الى الجنة ويبعدهم من النار (وينهون عن المنكر) اى عن كل منكر من حرام ومكروه يقربهم الى النار ويبعدهم من الجنة (وأولئك) الداعون الآمرون الناهون (هم المفلحون) الفائزون بأجور أعمالهم وأعمال من تبعهم (ولا تكونوا كالذين) قربوا أنفسهم واخوانهم من النار لانهم (تفرقوا) بالمجادلة الباطلة (واختلفوا) فى الاعتقادات

طوله مائة ذراع وأقصرهم طوله ستون ذراعا (بكة) اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها اى يزدحمون ويقال بكة مكان البيت ومكة سائر البلد وسميت مكة لاجتذابها الناس من كل أفق يقال امتك الفصيل ما فى ضرع الناقة اذا استقصى فلم يدع منه شيأ (بيت) التدبر بالليل يقال بيت فلان رأيه اذا فكر فيه ليلا ومنه قوله فجاءها

الواجبة (من بعد ما جاءهم البينات) القاطعة التى لابد منها فى باب الاعتقادات (وأولئك)
وان زعموا ان اختلافهم وقع عن اجتهادهم (لهم عذاب عظيم) فوق عذاب المعاصى
الفرعية لانهم اتبعوا الشهوات وتركوا قواطع الادلة التى لامجال للاجتهاد فى مقابلتها (يوم
تبيض وجوه) لاتباعها الادلة القاطعة التى هى الانوار الساطعة (وتسود وجوه) لاتباعها
الشبهات المظلمة ليستدل بذلك على ايمانهم وكفرهم ليجازى كل بمقتضى حاله (فأما الذين
اسودت وجوههم) فيقال لهم (أكفرتم) باتباع الشبهات فى باب الاعتقادات (بعد) موجب
(ايمانكم) من الدلائل القاطعة فانتم وان اخترتم ذلك عن اجتهاد (فذوقوا العذاب بما
كنتم تكفرون) اذ لايغتفر بالاجتهاد لانه أقيمت الادلة القاطعة فى مقابلة شبهها (وأما الذين
ابيضت وجوههم ففى رحمة الله) لاتباعهم الادلة القاطعة التى أقامها الرحيم من
اتبعها رحمة مؤبدة لذلك (هم فيها خالدون تلك) المذكورات واجبة لاعتقاد لانها (آيات
الله) لا لمجرد التخويف بل (نتلوها) من مقام عظمتنا المقتضية كمال الصدق (عليك)
يا أكمل الرسل فلا ينزل عليك ما فيه نقيصة الكذب لمجرد التخويف بل (بالحق) اى الثابت
وكيف يكون لمجرد التخويف وهو ظلم بالتسوية بين المحسن والمسىء وليس من المظالم الجزئية
بل الكلية (وما الله يريد ظلما للعالمين و) هو وان كان متصرفا فى ملكه اذ (لله ما فى السموات
وما فى الارض و) لكن (الى الله ترجع الامور) وهو حكيم يرى مخالفة الحكمة ظلما لما فيه
من وضع الشىء فى غير موضعه فلا يفعل خلاف الحكمة بمقتضى السنة وكيف لاتبيض
وجوهكم ولا تخلدون فى رحمة الله ولا تفلحون وقد (كنتم خير) كل (أمة) كأنها (أخرجت)
أى استثنيت من الناس (للناس) لانتظام أمورها (تأمرون بالمعروف) فتكملونهم
(وتنهون عن المنكر) فتدفعون عنهم النقائص (و) قد كملتم فى أنفسكم اذ (تؤمنون بالله
و) لمجرده كنتم خيرا من أهل الكتاب اذ (لو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم) وان لم يتعد
خيرهم الى غيرهم اذ لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر واعلمهم بخيريته (منهم المؤمنون)
كعبد الله بن سلام (و) لاينافى ذلك كفر الاكثرين به اذ (أكثرهم الفاسقون) فى الفرعيات
فلا يعد فسقهم فى الاعتقادات لغلبة الهوى فى حقهم على مقتضى علمهم لذلك يقصدون
اضراركم لكن (لن يضروكم) لكونكم خير خلق الله فيعينكم الله (الا أذى) باللسان
(وان يقاتلوكم) بالسيف أو المناظرة (يولوكم الادبار ثم لا ينصرون) أى لايكون لهم الكرة
عليكم أبدا وكذلك كان حال قريظة والنضير وبنى قينقاع ويهود خيبر ومكابرتهم مع الله
العزيز ومع أعزة عباده من خيار المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر (ضربت
عليهم الذلة) أى جعلت عليهم كالقبة المضروبة فى الاحاطة (أينما ثقفوا) أى فى أى مكان
وجدوا بحيث لايمكنهم السكون فيه (الا) معتصمين (بحبل من الله) وهو الايمان بالله ورسوله
فى الظاهر (وحبل من الناس) أى وبعقد ذمة أو هدنة أو أمان من الناس (و) هو لايفيدهم
عند الله لانهم (باؤا) أى رجعوا عن الايمان برسوله قبل مجيئه بعد مجيئه فالتبسوا (بغضب من

الله

بأسنا بياتا أى ليلا وكذلك
بيتهم العدو (وقوله تعالى
بهيمة) كل ما كان من
الحيوان غير ما يعقل
ويقال البهيمة ما استبهم
عن الجواب اى استغلق
(قوله تعالى بحيرة) وهى
الناقة اذا نتجت خمسة
أبطن فان كان الخامس
ذكرا نحروه فأكله الرجال
والنساء وان كان الخامس
أنثى بحروا أذنها اى شقوها
وكانت حراما على النساء

الله و) لا يمكنهم العود الى عزتهم لانهم (ضربت عليهم المسكنة) المستلزمة للذلة (ذلك) أى
ضرب الذلة والمسكنة والغضب (بأنهم) استكبروا على الله اذ (كانوا يكفرون بآيات الله
و) زادوا عليه اذ عاندوا امر الله اذ كانوا (يقتلون الانبياء) عالمين بأنه (بغير حق) موجب ظنى
ولا قطعى (ذلك) الكفر وقتل الانبياء (بما عصوا و) ليس كمعاصى الجمهور ولانهم (كانوا
يعتدون) أى يجاوزون التوسط الى الغاية فغضب الله عليهم بجرهم الى الكفر ثم انهم وان
كان فيهم الاعتداء الموجب للغضب (ليسوا سواء) أى مستوين حتى لا يعتد بايمان من آمن
منهم ويحمل على النفاق بل (من أهل الكتاب) الذى شأنه التأثير فاذا لم يعم فلا بد من نوع منه
تأثر به (أمة قائمة) بما فى التوراة على أكمل الوجوه حتى يتدينوا بدين محمد صلى الله عليه وسلم
الناسخ لبعض أحكامها (يتلون آيات الله) المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم (آناء) اى ساعات
(الليل وهم) يصلون صلاة التهجد (يسجدون) فيها وان لم يكن فى دين اليهود فيفيدهم مزيد
تقرب وقت عموم الغفلة فهذا يدل على أنهم (يؤمنون بالله) فينقادون بجميع آياته (واليوم
الآخر) فيجانبون الغفلة ثم لا تقتصر خيراتهم على أنفسهم بل تتعدى الى العموم (و) لذلك
(يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر و) ليست لطلب الرياسة لانهم (يسارعون فى
الخيرات) وطالب الرياسة يتبع هواه فلا يمكنه المسارعة الى الخيرات فى عموم الاوقات
(و) ان صحت لهم المسارعة الى الخيرات فلا يظهر عليهم أثرها وقد ظهر على هؤلاء فعلم أن
(أولئك من الصالحين) وانما ميز بينهم وبين اخوانهم حيث غضب على اخوانهم وجعل
هؤلاء من الصالحين لانهم مسارعون فى الخيرات كيف (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه)
بفعل الاخوان (والله) وان غضب على اخوانهم جعلهم من الصالحين لتقواهم لانه (عليم
بالمتقين) واذا كانت التقوى كافية فى ذلك فالمسارعة الى الخيرات زيادة على الكفاية ولو قيل
كيف غضب على اخوانهم وقد أنعم عليهم بالاموال والاولاد أجيبوا بأنهما ليسا من الانعام
فى حق الكفار فى الآخرة اذ لا يدفعان غضبه عليهم فقيل (ان الذين كفروا لن تغنى عنهم
أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ) وان كان التصدق بالاموال يطفئ غضب الرب فى حق
المؤمنين ويغفرون بموت أولادهم أو استغفارهم (وأولئك) اى الكفار وأموالهم
وأولادهم (أصحاب النار) اى ملازموها يزدادون بها عذابا ولو كانت مفيدة لهم لم يتأت لهم
الانتفاع بها اذ (هم فيها خالدون) ولا يفيدهم التصدق بها التخفيف اذ (مثل ما ينفقون) مع
أن الغالب أنهم ينفقونه (فى) استجلاب فوائد (هذه الحيوة الدنيا) من طلب الثناء أو دفع
البليات فان كان للآخرة فهو حرث أصابه الكفر ومثله فى اهلاك ما أصابه (كمثل ريح
فيها صر) أى برودة شديدة (أصابت حرث قوم) فاهلكته فكذا ريح الكفر اذا أصابت حرث
انفاق قوم (ظلموا أنفسهم فأهلكته) فصار الظلم ريحا لحصوله من هوى النفس ذات برودة
شديدة لكونه ظلم الكفر الذى هو الموت المعنوى فاهلكته (وما ظلمهم الله) باهلاك حرثهم

لحمها ولبنها فاذا ماتت
حلت للنساء والسائبة
البعير يسيب بنذر يكون
على الرجل ان سلمه الله من
مرض أو بلغه منزله أن
يفعل ذلك فلا يحبس عن
رعى ولا ماء ولا يركبها أحد
والوصيلة من الغنم كانوا
اذا ولدت الشاة سبعة أبطن
نظروا فان كان السابع
ذكرا ذبح فأكل منه
الرجال والنساء وان كانت
أنثى تركت فى الغنم وان

بارسال ريح من عنده (ولكن) كانوا (أنفسهم يظلمون) بارسال ريح الظلم الكفرى على حرثهم
الاخروى ثم أشار الى أن الكفر لما كان ريحا مهلكة حرث أعمال أربابه فلا يبعد منه اهلاك
حرث أعمال من صحبهم سيما من أحبهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك
صحبتهم فان لم تتركوها فعليكم ان (لا تتخذوا بطانة) اى محبة باطنة معروفة للاسرار (من
دونكم) أى مجاوزة بطانة المؤمنين وكيف لا يؤثر ريح كفرهم فى حرثكم وهم (لا يألونكم
خبالا) اى لا يقصرون فى افسادعقائدكم لاحباط أعمالكم ولا يبعد منهم لانهم (ودوا ما عنتم)
أى تمنوا ما يهلككم فضلا عن أعمالكم ويدل على هذا التمنى انه (قد بدت البغضاء) أى ظهر
البغض الباطن حتى خرج (من أفواههم) اذ لا يتمالكون أنفسهم من افراط بغضهم وان
قصدوا مراعاتكم (و) هذا يدل على أن (ما تخفى صدورهم أكبر) مما ظهر (قد بينا لكم
الآيات) الدالة على سوء اتخاذكم اياهم بطانة لتمتنعوا منها (ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء)
أى تنبهوا أيها الحمقى المشار اليهم بالاشارة القريبة (تحبونهم ولا يحبونكم) فعدم محبتهم
كاف فى امتناع اتخاذهم بطانة لو لم يظهر بغضهم (و) ليس فيكم ما يوجب بغضهم لكم لانكم
(تؤمنون بالكتاب كله) فلا تنكرون من كتابهم شيأ (واذا لقوكم) بعد ظهور البغضاء من
أفواههم خافوا أن تقطعوا مودتكم فلا يصل اليهم أسراركم لذلك (قالوا آمنا) بكتابكم
ونبيكم سرا ولا نظهره خوفا من قومنا (و) لكنه ايمان نفاق معكم لانهم (اذا خلوا عضوا
عليكم الانامل من الغيظ) أن لا يجدوا الى التشفى منكم سبيلا (قل) زادكم الله غيظا
لزيادة ظهورنا (موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) فكيف لا يعلم عضكم الانامل
فان لم تطلعوا منهم على هذا الغيظ لكونه فى خلوتهم فلا بد أن تطلعوا منهم على أنهم (ان
تمسسكم حسنة) بظهوركم على العدو ونيلكم الغنيمة وخصب معاشكم وتتابع الناس فى
دينكم (تسؤهم وان تصبكم سيئة) باصابة العدو منكم أو اختلاف بينكم أو جدب أو بلية
(يفرحوا بها) واذا امتنعتم من موالاتهم فغاية ما يكون منهم انهم يؤذونكم (وان تصبروا)
على ايذائهم (وتتقوا) الله فى موالاتهم (لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون) من الكيد
(محيط) لا يمكنه ان يصل اليكم (و) اذكراهم فى دفع الله كيد أعدائهم عنهم يوم أحد
(اذ غدوت) أى خرجت بالغدوة (من أهلك) أى حجرة عائشة فتركت الاستراحة فى وقتها
لاهتمامك لقتال العدو بأحد (تبوئ) أى تنزل (المؤمنين) وكانوا زهاء ألف (مقاعد) أى
أماكن (للقتال) فلما بلغوا الشوط اعتزل ابن أبى فى ثلثمائة وقال علام نقتل أنفسنا
وأولادنا لو نعلم قتالا لاتبعنا كم فكان هذا كيدا منه (والله سميع) لقوله (عليم) بكيده الذى
كاد بهلاك بعض المؤمنين (اذ همت) أى قصدت (طائفتان) بنو سلمة وبنو حارثة (منكم ان
تفشلا) أى تجبنا فتتخلفا مع ابن أبى (و) لكن عصمهم الله اذ (الله وليهما) مولاهما فتوكلتا
عليه (وعلى الله) لا على قوة النفس أو المدد (فليتوكل المؤمنون) فلا تخافوا قوة الاعداء
وعدتهم وكثرة عددهم وكيف لا تتوكلون على الله (ولقد نصركم الله) لتوكلكم عليه

كان ذكرا وأنثى قالوا
وصلت أخاها فلم يذبح
لمكانها وكان لحومها
حراما على النساء واللبن
حراما على النساء الا
الانثى حرام على النساء الا
أن يموت منها شئ فيأكله
الرجال والنساء والحامى
الفحل اذا ركب ولد ولده
ويقال اذا أنتج من صلبه
عشرة أبطن قالوا قد حمى
ظهره فلا يركب ولا يمنع
من كلا (قوله تعالى
بغتة) اى فجأة (قوله عز

(ببدر) موضع بين مكة والمدينة أو بئر منه (وأنتم أذلة) لا قوة لكم ولا عدة ولا كثرة اذ كنتم
ثلثمائة وثلاثة عشر مع فرسين وثمانية سيوف وستة أدرع (فاتقوا الله) ان تولوا أعداءه
عن ذلة أو قلة (لعلكم تشكرون) تقويته واعزازه لكم ونصره لكم ودفعه أعداءكم كما فعل
ببدر (اذ تقول للمؤمنين) تقوية لقلوبهم بوعد النصر (ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم)
لتقويتكم ونصركم ودفع أعدائكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) من سمائه لقتال
أعدائه وجعل عدد المدد ثلاثة أضعاف عدد الكفار كما أنهم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين
(بلى) يكفيكم ولكنه يزيدكم (ان تصبروا) على قتالهم (وتتقوا) الفرار عنهم (ويأتوكم
من فورهم) اى ساعتهم (هذا) فلا تنزعجوا بافجائهم (يمددكم ربكم بخمسة آلاف من
الملائكة مسومين) اى معلمين بأنهم ملائكة لا بشر لتزدادوا قوة وأعداؤكم خوفا وجعل
الزيادة ضعف عدد الكفار مع انهم لو كانوا ضعف عدد المسلمين لوجب على المسلمين قتالهم
فكيف اذا انعكس الامر ولا ينافى هذا ما مر من رؤيتهم المسلمين ضعفهم لانه تميز عنهم
الملائكة (وما جعله الله) اى هذا الامداد (الا بشرى) تقوية (لكم و) ما جعله الا (لتطمئن)
اى لتسكن (قلوبكم به) فلا تجزع من رؤية كثرة عدوهم وعددهم وقوتهم (و) لم يكن
اليه حاجة لانه (ما النصر) ولو مع الامداد (الا من عند الله) وحده (العزيز) اى الغالب على
الاسباب بحيث يمكنه التأثير على خلافها (الحكيم) فى استعمالها وقد اقتضت حكمته أن
ينصركم مع قلتكم وذلتكم (ليقطع طرفا من) جملة (الذين كفروا) لاقتضاء كفرهم
تضعيفهم بعد قوتهم (أو يكبتهم) اى يخزيهم (فينقلبوا خائبين) منقطعى الآمال لكن (ليس
لك من الامر) اى أمرهم من القطع أو الكبت (شئ) جزما بل هو فى مشيئة الله فله أن يفعل
أحدهما (أو يتوب عليهم) فيوفقهم للايمان (أو يعذبهم) لاصرارهم بعد رؤية هذه الآية
ولا يبعد (فانهم ظالمون) لاستمرارهم على العناد ثم أشار الى أن ظلمهم وان كان سبب العقاب
فلله أن يزيله أو يديمه كيف (ولله ما فى السموات وما فى الارض) وهو من جملة ما فيهما فهو
(يغفر لمن يشاء) بازالة الظلم (ويعذب من يشاء) بادامته (و) لا يبعد أن يغفر للظالم اذا تاب اذ
(الله غفور رحيم) ومع غفرانه ورحمته له شدة فى حق الظالم بالكفر أو بموالاة الكفار
أو بتضييع سائر الحقوق حتى حق الجمادات (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترك الظلم
ولو على الجمادات (لا تأكلوا الربوا) فتظلموا الاموال بجعلها مقابلة لما لا وجود له فان رجوتم
الرحمة والغفران فى اليسير فلا تأكلوه (أضعافا مضاعفة) اى زيادات مكررة (واتقوا الله)
ان لم تخافوا سطوتها (لعلكم تفلحون) بايفاء حقوقكم وصونكم عن أعدائكم كما صنتم
حقوق الاشياء (واتقوا) فى أكلها أضعافا مضاعفة الافضاء الى الكفر الذى يوجب لكم
(النار التى أعدت للكافرين و) لو لم يكن للاموال حقوق (أطيعوا الله والرسول) فى ترك
الربا (لعلكم ترحمون) بالتفضل عليكم فوق حقوقكم فضلا عن الصيانة التى هى من

وجل بازغا) اى طالعا
(قوله تعالى بينكم) اى
وصالكم والبين من الاضداد
يكون الوصال ويكون
الفراق (قوله عز وجل
بصائر من ربكم) مجازها
حجج بينة واحدتها بصيرة
(قوله عز وجل بوأكم)
أنزلكم (قوله عز وجل
بأس) أى شدة ويقال بؤس
أيضا اى فقر وسوء حال
(بئيس) شديد (بنان)
أصابع واحدها بنانة (قوله

حقوقكم ثم أشار الى أن النار المعدة للكافرين كما يخاف على آكل الربا أضعافا مضاعفة يخاف على كل مصر على المعاصى فقال (وسارعوا الى) أسباب (مغفرة) فانها وان كانت (من ربكم) من غير تأثير للاسباب فيها فسنة جارية بالفعل عندها وهى الاستغفار والندم والعزم على أن لا يعود (و) لا يتم الا بالمسارعة الى أسباب (جنة) هى الاعمال الصالحة لانها تمحو المعاصى اذ يدخل صاحبها فى سعة الرحمة لذلك (عرضها السموات والارض) لو وضع بعضها بجنب بعض فهى من أسباب الصيانة عن الاعداء والبليات بل أسباب المغفرة أيضا أسباب الجنة لان المغفور له لاحق بالمتقين والجنة (أعدت للمتقين) لان المسارع الى أسباب المغفرة ينظر الى الله كنظر المتقين (الذين ينفقون) أموالهم اتقاء محبتها (فى السراء والضراء) أى فيما يجلب مسرة للمؤمن أو يدفع مضرة عنه اتقاء تضييعها تهذيبا للشهوية (والكاظمين) اى الكافين (الغيظ) عن امضائه مع القدرة عليه اتقاء التعدى فيه الى ما وراء حقه (والعافين عن الناس) ما يغيظ اتقاء لا يهيج تهذيبا للغضبية فانهم أعدت لهم الجنة لانهم محسنون آثروا جناب الحق على شهوتهم وغضبهم (والله يحب المحسنين) لانهم لا ينظرون الى ما سواه فضلا عن محبته ويقرب منهم فى النظر الى الله المسارعون الى المغفرة (و) هم (الذين اذا فعلوا فاحشة) اى فعلة بليغة فى القبح متعدية (أو ظلموا أنفسهم) بغير التعدى (ذكروا الله) فاشبهوا المحسنين من وجه لكن رأوا معاصيهم حجبا (فاستغفروا لذنوبهم و) انما استغفروا لعلمهم انه (من يغفر الذنوب) فيرفع حجابها (الا الله و) خافوا استحكام الحجاب بالاصرار لذلك (لم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) انه ذنب بخلاف ما لو لم يعلموا لانهم عوام أو لكونه فى محل الاجتهاد فانه لا يخاف حجابيته عليهم اذا لم يقصروا (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم) اى ستر لذنوبهم ليصيروا كالمحسنين (و) اذا صاروا كالمحسنين فجزاؤهم (جنات) جزاء على مشاهدتهم اياه (تجرى من تحتها الانهار) جزاء على اجرائهم أنهار المعارف فى قلوبهم بمسارعتهم فى رفع الحجب عنها (خالدين فيها) لبقاء احسانهم دائما فهذا أجر المسارعين الى المغفرة وفوقه أجر المسارعين الى الجنة وهم العاملون (و) لذلك قال (نعم أجر العاملين) لذلك اتسع جنتهم الى أن صار عرضها السموات والارض ثم أشار الى أنكم لو أصررتم على المعاصى ولم تبادروا الى الاستغفار فلا يقتصر فى حقكم على ابقاء الحجاب بينكم وبين ربكم الموجب للعذاب الاخروى بل (قد خلت) اى مضت (من قبلكم سنن) من أنواع المؤاخذات والبلايا سيما فى حق المكذبين الذين يتخذون منهم بطانة لينجوا عن أذياتهم فلا تنجون عن شدائد الله التى عليهم للعوق كم بهم (فسيروا فى الارض) التى فيها ديارهم الخربة وآثار اهلاكهم (فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) وقيسوا عليها عاقبة اللاحقين بهم (هذا) من مؤاخذة المذكور (بيان للناس) الذين نسوا مؤاخذتهم فاتخذوهم بطانة للتحفظ عنهم ونسوا ما على اللاحقين بهم من مؤاخذة الله (وهدى) الى التحفظ عنهم بالتوكل على الله (وموعظة) أى تخويف نافع (للمتقين) الذين منهم التحفظ الكلى الذى لا يتم الا بالتحفظ عن

عز وجل بياتا) اى ليلا والبيات الايقاع بالليل (قوله عز وجل براءة) اى خروج من الشئ ومفارقة له (قوله عز وجل بوأنا بنى اسرائيل) أنزلناهم ويقال أخلصنا لهم مبوأ وهو المنزل الملزوم (قوله عز وجل بادئ الرأى) مهموز اى أول الرأى وبادى الرأى غير مهموز اى ظاهر الرأى (قوله عز وجل بعلى) بعل المرأة

الله بل بطانتهم عين الخوف ولا خوف منهم فى الواقع وانما هو من وهنكم (ولا تهنوا) اى
ولا تضعفوا فى أنفسكم لتفتقروا الى اتخاذهم بطانة ومنشأ هذا الضعف الحزن من أذياتهم
(ولا تحزنوا) اذ لا تصل أذياتهم الى اتلافكم بل هم التالفون (وأنتم الاعلون) اى الاغلبون
لكن انما تغلبون (ان كنتم مؤمنين) مخلصين لانه انما وعد النصر للمؤمنين ولا تضعفوا عن
الجهاد بمس القرح فانه (ان يمسسكم قرح) يوم أحد (فقد مس القوم) العدو يوم بدر (قرح
مثله) ولم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى لانكم موعودون بالنصر دونهم (و) المس مرة لا يدل
عليه فى كل مرة اذ (تلك الايام) اى أيام النصر (نداولها) اى نصرفها فنجعلها دولة لطائفة
مرة ولاخرى أخرى فنقسمها (بين الناس) لئلا يجبنوا (وليعلم الله الذين آمنوا) اى وليتميز
الثابتون على الايمان فى علم الله عما سواهم اذ لو دام النصر للمؤمنين لكان ملجئا للناس الى
اعتقاد حقيتهم (ويتخذ منكم شهداء) ولو دام النصر للمؤمنين لقل الشهداء منهم لكن الله
تعالى يريد تكثيرهم لانه يحبهم لكونهم مظلومين (والله لا يحب الظالمين) فيجعل محبته لهم
لو لم يظلموا للمظلومين مع محبته لهم لايمانهم (وليمحص) اى يطهر (الله الذين آمنوا)
بالشهادة عن معاصيهم (ويمحق الكافرين) بالقتال اذ لو دام النصر للمؤمنين لدام صلحهم
معهم فكانوا باقين أضعفتم عن أعمال الجنة (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله) اى ولم
يتميز ما علم الله من (الذين جاهدوا منكم) ممن علم ضعفهم عن الجهاد (ويعلم الصابرين) على
الشدائد حفظا للايمان ممن يجزع فينقلب (و) كيف ضعفتم الآن و(لقد كنتم تمنون
الموت) على الشهادة (من قبل أن تلقوه) أى أسبابه (فقد رأيتموه) اى مقدماته (وأنتم تنظرون)
شدائده وتضعفون ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم وموته ليس من أسباب الضعف
بل هو كالقرح فقال (وما محمد الا رسول) والرسل منهم من مات ومنهم من قتل فلا منافاة بين
الرسالة والقتل والموت اذ (قد خلت من قبله الرسل) بل الضعف عن الجهاد حينئذ مشعر
بالردة (أ) تؤمنون به فى حال حياته (فان مات أو قتل انقلبتم) اى ارتددتم كأنكم انقلبتم (على
أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا) بابطال دينه فانه سيظهره على يدى من
يشكره (وسيجزى الله) بالنصر والغلبة فى الدنيا والثواب والرضوان فى الآخرة
(الشاكرين) نعمة الاسلام بالجهاد فيه روى انه لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه ذهب مصعب بن عمير وكان صاحب رايته
فقتله ابن قمئة وهو يرى انه قتل محمدا صلى الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا صلى الله عليه
وسلم وصرخ ابليس الا ان محمدا صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال المنافقون لو كان نبيا
لما قتل ارجعوا الى اخوانكم وقال بعضهم ليت ابن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان فقال
أنس بن النضر ان كان محمد قد قتل فان رب محمد حى لا يموت وما تصنعون بالحياة بعده
فقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم انى أعتذر اليك مما يقولون وأبرأ منهم وسل سيفه
وقاتل حتى قتل فكان من الشاكرين ثم أشار الى أن قتل محمد صلى الله عليه وسلم أو موته

زوجها وبعل اسم صنم
أيضا قال الله عز وجل
أتدعون بعلا (قوله تعالى
بقية الله خير لكم) اى
ما أبقاه الله لكم من الحلال
ولم يحرمه عليكم فيه مقنع
ورضاه فذلكم خير لكم
(قوله عز وجل بعدت ثمود)
اى هلكت يقال بعد يبعد
اذا هلك وبعد يبعد من
البعد (قوله تعالى بخس)
نقصان يقال بخسه حقه

كما لا يكون سببا للردة لا يكون سببا للهزيمة فقال (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله) وما يأذن الا عند انتهاء الاجل لانه كتب عمر الانسان (كتابا مؤجلا) اى منتهيا الى أجل ولا يغير ما كتب لموت رسول أو قتله (و) ليس مسقطا لثواب دنيوى ولا أخروى بل (من يرد ثواب الدنيا) وهو النصر والغنيمة (نؤته منها) اذ وعدناهما المؤمنين (ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها) وكيف لا وقد شكر نعمة الاسلام (وسنجزى الشاكرين) ثم ان قتل نبى لو كان موجبا للوهن لحصل للعلماء بالله العاملين من القدماء (و) لكن (كأين من نبى) أى كثير من الانبياء قتلوا حين (قاتل معه ربيون) اى المنسوبون الى الرب من العلماء العاملين (كثير) لا يخلو عمن يطلع على موجب الوهن لو خفى على القليل كيف ولم يحصل لهم تردد (فما وهنوا) اى ضعفوا (لما أصابهم فى سبيل الله) من القرح الظاهر مع الباطن بموت الرسول (وما ضعفوا) ولو ضعفوا لاستكانوا (و) لكنهم (ما استكانوا) للاعداء بل صبروا على قتالهم (والله يحب الصابرين) على قتال أعدائه سيما اذا قتل نبيهم لانه أشد (وما كان قولهم) مثل قول المنافقين والضعفاء ولا المعجبين بقولهم بل ما كان (الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا) فأضافوا الذنوب الى أنفسهم طلبوا الاستغفار لها لما علموا أنها سبب الهزيمة والمصائب (و) لم يقتصروا على نسبة الصغائر الى أنفسهم بل قالوا (اسرافنا فى أمرنا) ومع قوتهم على الصبر لم ينسبوه الى أنفسهم (و) لم يعتمدوا عليها بل قالوا (ثبت أقدامنا) فى قتال أعدائك (و) قالوا (انصرنا على القوم الكافرين) لئلا يذهبوا بنصر قتل الانبياء (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من الثناء الحسن والنصر والغنيمة لو رجعوا احياء (وحسن ثواب الآخرة) أتم مما يثيب به القاعدين لانهم محسنون بالنظر الى الله (والله يحب المحسنين) ومحبته سبب كل فضيلة وحسن ثم أشار الى أن علماء العصر من أهل الكتاب ليسوا كقدمائهم حتى يؤخذ بقولهم بل (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) فتسمعوا أقوالهم (يردوكم) الى الشرك (على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين) لدين الاسلام ودين أهل الكتاب حين كان حقا ومحبة الله ورضوانه وثوابه الدنيوى والاخروى فلا تعتقدوا أنهم يوالونكم كما توالونهم (بل الله مولاكم) فاستمعوا له كيف (وهو) اذا استمعتم له (خير الناصرين) ينصركم خيرا من نصرهم لو نصروكم وكيف لا يكون خير الناصرين وهو ينصركم بغير قتال (سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) بعد غلبتهم وذلك أن أبا سفيان لما رجع ندم ببعض الطريق فعزم أن يعود على المسلمين ليستأصلهم فألقى الله الرعب فى قلبه لغضبه عليهم (بما أشركوا بالله ما لم ينزل به) أى بكونه الها أو متصفا بصفاته أو مستحقا للعبادة (سلطانا) أى حجة قاطعة يبنى عليها الاعتقادات (و) لا يكتفى فى حقهم بهذا القدر بل (مأواهم النار) لظلمهم بالشرك (وبئس مثوى الظالمين) النار ثم أجاب عن هزيمة أحد مع وعده خير النصر وذلك انه عليه السلام أقام الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير على جبل عينين وجعله على يساره واحدا خلفه

(قوله بثى اذا نقصه وحزنى) البث أشد الحزن الذى لا يصبر عليه صاحبه حتى يبثه اى يشكوه (قوله والحزن أشد الهم (قوله تعالى بصيرة) اى يقين كقوله أدعو الى الله على بصيرة اى على يقين (وقوله بل الانسان على نفسه بصيرة) اى من الانسان على نفسه عين بصيرة اى جوارحه يشهدن عليه بعمله ويقال الانسان

واستقبل المدينة وقال لهم احموا ظهورنا فان رأيتمونا غنمنا فلا تشاركونا وان رأيتمونا نقتل فلا تنصرونا فأقبل المشركون فرشق الرماة خيولهم بالنبل وضربوهم بالسيف حتى قتلوا منهم اثنين وعشرين فولوا هاربين فقال بعض الرماة انهزم القوم فما مقامنا فأقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا تجاوزوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبت عبد الله بن جبير فى نفر أقل من عشرة فحمل عليهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فقتلوهم وأقبلوا على المسلمين فاختلطوا على غير شعار فجعل بعضهم يقتل بعضا فقتل سبعون من المسلمين وأرجف بأن محمدا قد قتل فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائهم الىّ عباد الله فأنا رسول الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين فلما رجعوا من بكر قوله الجنة قال ناس من أصحابه من أين أصابنا هذا وقد وعدنا النصر فنزل (ولقد صدقكم الله وعده) أن ينصركم (اذ تحسونهم) أى تبطلون حسهم بقتلهم (باذنه) حين رشقهم الرماة وضربوهم (حتى اذا فشلتم) أى ضعفتم عقلا اذ ملتم الى الغنيمة (وتنازعتم فى الامر) فى الاقامه بالمركز (وعصيتم) أمر الرسول عليه السلام أن لا تشركونا فى الغنيمة (من بعد ما أراكم ما تحبون) من النصر انقسمتم قسمين (منكم من يريد الدنيا) أى الغنيمة فترك المركز (ومنكم من يريد الآخرة) فثبت فيه (ثم صرفكم) أى كفكم (عنهم) بالهزيمة (ليبتليكم) يبلاء الهزيمة (ولقد عفا عنكم) اذ لم يستأصلكم بعد مخالفة الرسول عليه السلام (والله ذو فضل على المؤمنين) لذلك تفضل بالعفو (اذ تصعدون) أى تبعدون فى الفرار (ولا تلوون) أى لا تلتفتون بالوقوف (على أحد والرسول يدعوكم) الىّ عباد الله (فى أخراكم) أى ساقتكم (فأثابكم) أى جازاكم الله على فشلكم وعصيانكم (غما) متصلا (بغم) من القتل والجرح وظفر المشركين وارجاف قتل الرسول عليه السلام وانما فعل ذلك لتتمرنوا على الصبر (لكيلا تحزنوا) فيما بعد (على ما فاتكم) من المنافع (ولا ما أصابكم) من المضار (والله خبير بما تعملون ثم) كان عاقبة الامر أيضا النصر اذ (أنزل) الله (عليكم من بعد) ازالة (الغم) الكثير بتحقق سلامة الرسول عليه السلام (أمنة) مع بقاء الحرب (نعاسا) أى نوما (يغشى) أى يغلب (طائفة منكم) هم المخلصون كانت تسقط سيوفهم من أيديهم فيأخذونها مرة بعد أخرى (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم) أى أوقعتهم فى الهموم (أنفسهم) اذ (يظنون بالله غير الحق) أى اخلاف الوعد (ظن) الملة (الجاهلية يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم (هل لنا من الامر) أى من أمر النصر الذى وعدته (من شئ قل ان الامر) أى أمر النصر (كله لله) أى لحزب الله اذ لا عبرة بالوسط بل لا ينافيه الهزيمة فى الاول أيضا والنصر لا يوجب سلامة الكل وهم يعلمون ذلك لكنهم لا يعتقدون نصركم فى الآخر وان رأوا نعاسكم لذلك (يخفون فى أنفسهم) عند قولك ان الامر كله لله (ما لا يبدون لك) وهو انهم (يقولون) فى أنفسهم (لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) فكأنهم يزعمون

الانسان بصير على نفسه والهاء دخلت للمبالغة كما دخلت فى علامة ونسابة ونحو ذلك (قوله تعالى بوار) أى هلاك (قوله عز وجل باخع نفسك) أى قاتل نفسك (قوله تعالى بعثناهم) أى أحييناهم (قوله تعالى الباقيات الصالحات) الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر (قوله تعالى بارزة) أى ظاهرة

أنهم لو اتبعهم المقتولون فلم يخرجوا من ديارهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتلوا (قل
لو كنتم في بيوتكم) وتبعكم المقتولون فلم يخرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يثبتوا
في ديارهم بل (لبرز) أي خرج (الذين كتب عليهم القتل) في مكان كذا ووقت كذا فانه
يوقع في قلوبهم الخروج (الى مضاجعهم) أي مكان قتلهم في زمانه اذ لا يقع خلاف المقدر
المحتوم والحكمة تقتضي هذا التقدير ليصيروا شهداء فيتطهروا (وليبتلى) أي يمتحن
(الله) أي يفعل فعل الممتحن ليستخرج (ما في صدوركم) من الاخلاص والنفاق ليجعله حجة
عليكم (وليمحص) أي وليظهر للخلق (ما في قلوبكم) التي تنقلب من الايمان الى النفاق
(و) لا يبعد على الله اذ (الله عليم بذات الصدور) أي الضمائر الملازمة لها ثم أشار الى أن
الانهزام الذي كان في الوسط لم يكن من الله تعالى ابتداء على خلاف ما وعد من النصر بل
من الشيطان فقال (ان الذين تولوا) أي انهزموا (منكم) مع علمهم بأن الانهزام (يوم التقى
الجمعان) أي جمع المسلمين وجمع المشركين من الكبائر (انما استزلهم الشيطان) أي حملهم
على الزلة بمكر منه مع وعد الله النصر (ببعض ما كسبوا) أي بشؤم بعض اكتسابهم كترك
المركز والميل الى الغنيمة مع النهي عنه فمنعوا التأييد وقوة القلب (ولقد عفا الله عنهم)
لندمهم واخلاص توبتهم في الآخرة كما عفا عنهم في الدنيا اذ لم يستأصلهم (ان الله غفور
حليم) لا يعاجل بعقوبة المذنب ليتوب فيغفر له ثم أشار الى أن استزلال شياطين الانس
كاستزلال شياطين الجن فقال (يا أيها الذين آمنوا) الايمان ينافي الشيطنة لذلك (لا تكونوا
كالذين كفروا) فلحقوا بالشياطين (وقالوا لاخوانهم) استزلالا لهم عن أمر المعاش والمعاد
(اذا ضربوا) أي سافروا (في الارض) لتجارة فأصيبوا بغرق أو قتل (أو كانوا غزا) فأصيبوا
باصطدام أو قتل (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) ولا يفيدهم فانما يقولونه (ليجعل الله
ذلك) القول (حسرة في قلوبهم) أي القائلين والسفر والغزو ليسا من أسباب الموت بل
يوجد بعض أسبابه هنالك كما يوجد البعض الآخر في دار الاقامة والكل عند الله على أنه
لا أثر للاسباب (و) انما (الله) هو الذي (يحيي ويميت) بالحقيقة (والله بما تعملون) أيها
المؤمنون في زعمهم من مشابهتهم في هذا القول (بصير) اذ تنسبون الفعل الى الاسباب
حقيقة ثم أشار الى أن الموت في سبيل الله ليس مما يوجب الحسرة بل مما يوجب الفرح
(و) ذلك لانكم (لئن قتلتم في سبيل الله أو متم) من غير قتال بعد الخروج له (لمغفرة من الله)
لذنوبكم التي لو لم تغفر عظمت عليكم حسرة (ورحمة) لو فاتتكم عظمت حسرة أيضا (خير
مما يجمعون) اذ لا تندفع تلك الحسرة بأموال الدنيا كلها بل ترك الجهاد هو الموجب للحسرة
(و) ذلك لانكم (لئن متم أو قتلتم) لا في سبيله (لالى الله تحشرون) فترون من غضبه عليكم مع
رضاه عمن قتل أو مات في سبيله ما يوجب عليكم أعظم وجوه الحسرة وقدم القتل أولا لانه
أعظم للاجر وأخره ثانيا لانه أمر عارض والموت حتف الانف لابد منه وكيف ينكر الحشر
الى الله لمن مات أو قتل وقد حشر من جاهد في سبيله من غير موت ولا قتل وكيف لا يغفر للميت

والمقتول

أي ترى الارض ظاهرة
ليس فيها مستظل ولا
متفيأ ويقال الارض
الظاهرة البراز (قوله
عز وجل بغيا) يعني
فاجرة (قوله تعالى بال) حال
(قوله عز وجل بهيج) أي
حسن يبهج من يراه أي يسره
والبهجة الحسن والبهجة
السرور أيضا (قوله
عز وجل باد) أي من أهل
البدو كقوله عز وجل
سواء العاكف فيه والباد

(فبما رحمة من الله) أى فبشئ حصل
والمقتول فى سبيله وقد غفر للمجاهد ورحم بدونهما
بالحشر الى الله من التخلق بأخلاقه لا بطريق الاتصاف بصفات الالهية حقيقة بل برحمة
عظيمة من الله مفيدة للاتصاف بما يناسب صفاته التى من جملتها الغفران والحلم (لنت لهم)
أى للذين تولوا عنك وأنت تدعوهم وللقائلين لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزا
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ومن هذه الرحمة جمعتهم (ولو كنت فظا) أى سيئ الخلق (غليظ
القلب) قاسيه (لانفضوا) أى تفرقوا فلم يجتمعوا (من حولك) فلا تتم دعوتك وكمال اللين
فى العفو (فاعف عنهم) كما عفا الله عنهم (واستغفر لهم) لئلا ينقص بها رتبتهم فى الآخرة
(وشاورهم فى الامر) لتتودد اليهم ويثبتوا على رأيهم ولا يعترضوا عليك ولا تبالغ فى المشورة
بل اعزم على أمر (فاذا عزمت) فبعد ذلك اعتراض (فتوكل على الله) فى امضاء ما عزمت (ان
الله يحب المتوكلين) فيصلح شأنهم ويهديهم الى الصواب وكيف يلتفت الى الاعتراض بعد
التوكل على الله مع انه (ان ينصركم الله) وهو ناصر للمتوكل عليه اذا صدق فى توكله (فلا
غالب) عليكم بل تكون الغلبة لكم (وان يخذلكم) ولا يعد خذلانه لمن توكل على رأيه
وقوته (فمن ذا الذى ينصركم) أى يعصمكم من قوتكم ورأيكم (من بعده) أى بعد خذلانه
(وعلى الله) لا على الآراء والقوى (فليتوكل المؤمنون) الذين يعلمون أنه لا تأثير لشئ دونه
ولما كان النصر بالايمان والتوكل على الله ويبعد من الخائن فلا يتصور ممن نباه الله من
الحقائق فقال (وما كان لنبى أن يغل) أى يخون فى غنيمة كما قال المنافقون فى قطيفة حمراء
فقدت يوم بدر اهل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وكما ظن الرماة يوم أحد فقالوا نخشى
أن يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيأ فهو له (و) كيف يكون ذلك فى شأن من
رفع الله قدره وهو موجب للاذلال لان (من يغلل يأت بما غل) حاملا له على ظهره ليفتضح
فى المحشر (يوم القيامة ثم) لا يقتصر على ذلك الاذلال بل يجازى على غله جزاء كاملا اذ (توفى
كل نفس) جزاء (ما كسبت) فلا ينقص من حق من غل لانه حق الخلق (وهم لا يظلمون)
بابطال حقوقهم بالعفو عمن غل عليهم ولو قيل انه عز وجل يرضى خصوم أوليائه
بتعويض من عنده يقال أولياؤه هم الذين اتبعوا رضوانه (أ) يغل وليه (فمن اتبع
رضوان الله) لا يكون (كمن باء) أى كالغال الذى رجع (بسخط من الله و) السخط
على أهل الغلول أشد اذ (مأواهم جهنم) وانما يعوض لأوليائه لان لهم الى ربهم المصير ونعم
المصير وهؤلاء مصيرهم جهنم (وبئس المصير) وانما كان السخط على قوم أشد منه على غيرهم
اذ (هم درجات) أى متفاوتون (عند الله) والغال أدنى درجة والنبى أعلى درجة فكيف
يجعل الله فى أعلى الدرجات من عمل عمل أدناها (والله بصير بما يعملون) ثم أشار الى أنه كيف
يكون الرسول غالا وقد من الله بعثه فكيف يمن ببعث الخائن فقال (لقد من الله على
المؤمنين) وان كان سبب تعذيب الكافرين (اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أى منتسبا
الى جميع أحيائهم قبيل الابن تغلب ليكون رحيما عليهم وهو ينافى الغلول (يتلوا عليهم آياته)

(قوله البيت العتيق) بيت
الله الحرام وسمى عتيقا لانه
لم يملك ويقال سمى عتيقا لانه
أقدم ما فى الارض ويقال
ان الله عز وجل أعتق
زواره من النار اذا توفاهم
على توحيده وما عليه نبيه
صلى الله عليه وسلم (قوله
تعالى برزخ الى يوم يبعثون)
يعنى القبر لانه بين الدنيا
والآخرة وكل شئ بين
شيئين فهو برزخ ومنه
وجعل بينهما برزخا أى

ولا يظهر الا على يدى الكامل فلا يتصور كون الكامل المكمل غالا (ويزكيهم) وتزكية الغير بعد تزكية النفس وهما يزكى عنه الغلول (ويعلمهم الكتاب والحكمة) أى العلم الظاهر والباطن وهو من دلائل كمال النفس المنافى للغلول وكيف لا يكون بعثه منة وقد هداهم الله به فى القوة النظرية والعملية (وان كانوا من قبل) أى وانهم كانوا قبل بعثه (لفى ضلال مبين) ظاهر (أ) تنكرون منة الله فى بعثه اذ تزعمون أنكم قتلتم بسببه (و) ذلك أنكم (لما أصابتكم مصيبة) بأحد فقتل منكم سبعون (قد أصبتم مثليها) يبدر اذ قتلتم من المشركين سبعين وأسرتم سبعين (قلتم أنى) أى من أين لنا (هذا) الواقع ونحن مسلمون ورسول الله فينا (قل هو من عند أنفسكم) اذ أخذتم فداء سبعين من أسراء بدر برأيكم فتركتم قتلهم الذى هو الصواب فقتل منكم سبعون (ان الله على كل شئ قدير) فكما قدر على مجازاة الكفار يوم بدر قدر على مجازاتكم يوم أحد ثم قال (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) ليجازيكم على فراركم يوم الزحف فى الدنيا ليسقط عنكم عذاب الآخرة (وليعلم المؤمنين) أى وليميزهم بين الناس على وفق علمه بهم (وليعلم الذين نافقوا) ان تميزوا اذ (قيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) مباشرة (أو ادفعوا) العدو بتكثير سوادكم (قالوا لو نعلم) أنه يصح أن يسمى (قتالا لاتبعناكم) لكنه ليس الا القاء النفس فى التهلكة (هم) بهذا القول (للكفر) فى الظاهر (يومئذ) قبل هذه المصيبة (أقرب منهم للايمان) فى الظاهر مع أنه لا ايمان لهم فى الباطن أصلا اذ (يقولون بأفواههم) من كلمتى الشهادة (ما ليس فى قلوبهم و) لو لم تظهر امارات الكفر عليهم فى الظاهر فلا يعتد بايمانهم فى الظاهر اذ (الله أعلم بما يكتمون) وهو انما يتبع علمه وقد ظهرت أمارة من امارات الكفر عليهم لانهم (الذين قالوا لاخوانهم) أى من أجل أقاربهم من قتلى أحد (و) قد صدق هذه الامارة فعلهم اذ (قعدوا لو أطاعونا) فى القعود (ما قتلوا) كما لم نقتل (قل) كأنكم تزعمون أنهم لو أطاعوكم دفعتم عنهم الموت (فادرؤا) أى ادفعوا (عن أنفسكم الموت) فانها أقرب اليكم من أنفسهم (ان كنتم صادقين) فى أنكم تقدرون على دفع أسبابه ثم أشار الى أن قتلكم بأحد لو لم يكن من أخذكم الفداء من أسراء بدر ولا من ميلكم الى الغنيمة على خلاف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من فراركم بل من سبب الرسول فلا ينافى المنة ببعثه صلى الله عليه وسلم اذ به صار الشهداء فى حكم الاحياء فقال (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا) تعطلت أرواحهم (بل أحياء) فوق أحياء الدنيا لانهم مقربون (عند ربهم) اذ بذلوا له أرواحهم لا بمعنى بقاء أرواحهم ورجوعها اليه لمشاركة أرواح غيرهم فى ذلك بل بمعنى أنهم (يرزقون) رزق الاحياء لا بطريق التخيل الذى لسائر أهل البرزخ بل بطريق التحقيق كما روى ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل معلقة تحت العرش وهو أجل من رزق أحياء الدنيا اذ لا يخلون عن غم وتعب وهم يرزقون (فرحين بما آتاهم الله) من غير تعب وكسب بل

حاجزا (قوله عز وجل ابغى عليهم) أى ترفع عليهم وعلا وجاوز المقدار (قوله مكنون) تشبه بيض الجارية بالبيض بياضا وملاسة وصفاء لون وهى أحسن منه وانما تشبه الالوان ومكنون مصون (قوله البطشة الكبرى) يوم بدر ويقال يوم القيامة والبطش أخذ بشدة (قوله المعمور) بيت فى السماء الرابعة حيال

(من فضله) الذى لا يغتم فيه بسلبه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم) أى ويطلبون البشارة من الله بشهادة من بقى من اخوانهم فى الدنيا (من خلفهم) فنقصت عليهم لذاتهم اذ لا يخلون عن خوف الآخرة وقد علوا فى حق الشهداء (ألا خوف عليهم) من عقوبة الآخرة بعد الشهادة (ولاهم يحزنون) بما فاتهم من لذات الدنيا بل (يستبشرون بنعمة) عظيمة (من الله) أى من ثوابه (وفضل) من قربه وكيف لا يكون لهم ذلك (وأن الله لا يضيع أجر) عوام (المؤمنين) فكيف يضيع أجر الشهداء وقد اختاروا جناب الله على أنفسهم ثم أشار الى من بالغ فى ترجيح جنابه لقوة ايمانه فقال (الذين استجابوا) دعوة الله ورسوله الى الخروج فى طلب أبى سفيان وقومه مرجحين (لله والرسول) على أنفسهم لانهم أجابوهما (من بعد ما أصابهم القرح) اذ قصد العود اليهم لاستئصالهم حين بلغ الروحاء فقال لقومه لا محمدا قتلتم ولا الكواعب أردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فندب أصحابه للخروج فى طلبه ارهابا له فخرج معه سبعون رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد فمر به معبد الخزاعى وكان يومئذ مشركا فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى أصحابك ثم خرج فلقى أبا سفيان بالروحاء فقال وما وراءك يا معبد فقال محمد قد خرج فى أصحابه اطلبكم فى جمع لم أر مثلهم يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان متخلفا عنه وندموا على صنيعهم قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فانى والله أنهاك عن ذلك فألقى الله الرعب فى قلوبهم فرجعوا (للذين أحسنوا) نظروا الى الله تعالى لا الى نسبتهم الى الشجاعة وقوة الايمان (منهم واتقوا) اعتبار الخلق اليهم (أجر عظيم) لا ينقص عن أجر الشهداء بل لعله يزيد عليه وهؤلاء هم (الذين قال لهم الناس) أى الركب المستقبل لهم (ان الناس) أبا سفيان وأصحابه (قد جمعوا) أنفسهم وقصدهم (لكم) أى لاستئصالكم (فاخشوهم) ولا تتخلصون منهم الا بالرجوع الى دينهم (فزادهم) قولهم (ايمانا) بأن الله هو الناصر القاهر المحيى المميت (وقالوا حسبنا) أى كافينا (الله) من غير عدة لنا ولا عدد وكيف لا يكفينا وقد وكلناه (ونعم الوكيل) هو فأرهب الله عدوهم (فانقلبوا) أى رجعوا من حمراء الاسد (بنعمة من الله) هى الغلبة وكمال الشجاعة وزيادة الايمان والتصلب فى الدين (وفضل) هو ربح تجارتهم فى الطريق (لم يمسسهم سوء) اذ لم يلقوا عدوا (و) انما كان لهم ذلك لانهم (اتبعوا رضوان الله) فارضاهم وتفضل عليهم فوق ما استحقوه (والله ذو فضل عظيم) فلا ينحصر فضله فيما أعطاهم ثم أشار الى أنه لما كان منشأ هذه الفضائل فلا مانع منه سوى الشيطان فقال (انما ذلكم) القائل ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هو (الشيطان) جاء يخوفكم وهو انما (يخوف أولياءه) من دون الله (فلا تخافوهم) وان رأيتم لهم قوة وعدة وعددا (وخافون) أن تواثقوا أعدائى فتروا قوتهم دون قوتى (ان كنتم مؤمنين) بعظم شأنى وعموم قدرتى ونفاذها دون قدرتهم (ولا يحزنك

الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه والمعمور المأهول والبحر المسجور المملوء (قوله تعالى بخسا ولا رهقا) بخسا انقصا ورهقا ما يرهقه أى ما يغشاه من المكروه (قوله تعالى برق البصر) شق وبرق بفتح الراء من البريق اذا شخص يعنى اذا فتح عينيه عند الموت (قوله باسرة) متكرهة (قوله عز وجل بردا ولا

فضلا عن الخوف معاونة المنافقين الكفار لا لحقية دينهم بل لانهم (الذين يسارعون فى
اظهار (الكفر) لصعوبة اخفائه عليهم (انهم) وان كانوا أعداءك من داخل (لن يضروا)
أولياء الله لانهم يحميهم الله فلو أضروهم لاضروا (الله) بتعجيزهم اياه عن حمايتهم ولا يمكنهم
أن يعجزوه (شيأ) بل (يريد الله) أن يضرهم الضرر الكلى وهو (ألا يجعل لهم حظا فى
الآخرة) مع غاية سعة رحمته ولا يبالى لما جعل لهم فى الدنيا من حقن الدماء والاموال
(و) لا يقتصر على حرمانهم بل (لهم) مع ايمانهم الظاهر (عذاب عظيم) أعظم من عذاب
من يظهر كفره ثم أشار الى أنه كما لا يضر المنافقون أولياء الله لا يضر المرتدون دين الله فقال
(ان الذين اشتروا) أى استبدلوا (الكفر بالايمان) عند رؤيتهم هزيمة المسلمين
بأحد (لن يضروا) دين الله الذى يريد مع ايقاع الهزيمة تارة والنصر أخرى اظهاره فلو
أضروه لاضروا (الله) فى ارادته لكن لا يمكن اضراره فى ارادته (شيأ و) انما يضرون
أنفسهم فى الدارين اذ (لهم عذاب أليم) بذهاب أمانهم وظهور دين أعدائهم وشوكتهم فى
الدنيا ورؤية درجات أعدائهم وشدة عذاب أنفسهم فى الآخرة ونقصهم مجبور بما لا ينحصر
الى يوم القيامة ولو قيل كيف يكون للمرتدين العذاب الاليم فى الدارين وقد أملى لهم فقال
عز وجل (ولا يحسبن الذين كفروا) من المرتدين وغيرهم (انما نملى لهم) أى أن املاءنا لهم
(خير لانفسهم) بل هو سبب مزيد عذابهم لانه (انما نملى لهم ليزدادوا اثما) فيزدادوا عذابا
فكأنه نفس العذاب بل زيادة فيه وقد ينجز من عذابهم أنهم بالاثم مهانون (و) ان لم يبالوا له
فى الدنيا لكن يبالون له فى الآخرة اذ (لهم عذاب مهين) فى أسفل دركات النار ثم أشار
الى أن هزيمة المؤمنين ليس من اهانتهم حتى يكون عذابا مهينا لهم بل سبب كمالهم اذ تميزوا
بها عن المنافقين فقال (ما كان الله ليذر) أى ليترك (المؤمنين على ما أنتم عليه) من الالتباس
بالمنافقين بل لا يزال يبتليكم (حتى يميز) المنافق (الخبيث من) المؤمن (الطيب و) لا يميز
الا بهذا الابتلاء لانه (ما كان الله ليطلعكم) على ما فى قلوب الخلق من الايمان والكفر لانه
اطلاع (على الغيب) اذ به يصير الكل مجتبى (ولكن الله يجتبى من رسله من يشاء) باطلاعه
عليه ليدل على اجتبائه ليقتدى به غيره (فآمنوا بالله) الذى يميز بينهما فى الدنيا ليدل على
تمييزه بينهما فى الآخرة (ورسله) الذى اجتباهم للاقتداء بهم فى الاعتقادات والاعمال
(و) ليس ذلك على سبيل العبث بل (ان تؤمنوا) فتصححوا الاعتقادات (وتتقوا) فتصلحوا
الاعمال (فلكم) لا ينتفع غيركم به (أجر عظيم) كفى به مميزا عن المنافقين ولو لم يكن لهم مع فواته
عذاب عظيم ثم أشار الى أن حسبان الكفار املاءهم خيرا كحسبان البخلاء ابقاء اموالهم
خيرا من انفاقها فى سبيل الله فقال (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله) لينفقوا فى
سبيله اذ جعله (من فضله) زائدا على قدر حاجاتهم (هو خيرا لهم) ينتفعون به فى المستقبل
وأولادهم من بعدهم (بل هو) وان انتفع به أولادهم (شر لهم) لا يوازيه خيره لو حصل
لانه (سيطوقون ما بخلوا به) أى يلزمون وبال ما بخلوا به لزوم الطوق بل يصور مالهم بصور

شرابا) بردا أى نوما ويقال
فى مثل منع البرد البرد أى
أصابنى من البرد ما منعنى
من النوم (قوله تعالى
البلد الامين) أى الآمن
يعنى مكة وكان آمنا قبل
مبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يغار عليه
(بريه) خلق مأخوذ من
برأ الله الخلق أى خلقهم
فترك همزها ومنهم من
يجعلها من البرى وهو
التراب لخلق آدم عليه

شجاع يجعل فى أعناقهم (يوم القيامة و) هم وان لم ينفقوه فى سبيل الله فهو راجع اليه اذ
(لله ميراث السموات والارض) أى يصير أملاك أهلها بعد فنائهم الى خالص ملكه كما
يصير مال المورث ملك الوارث وكذلك يرث حياتهم وان لم يقتلوا فى سبيل الله ثم ان له أن
يتلفه عليهم أو على أولادهم لانه مقتضى أفعالهم (والله بما تعملون خبير) وانما رأوا
البخل خيرا لانهم رأوا الانفاق اتلافا بلا عوض لكنه تضعيف كما قال عز وجل من
ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ولما سمعت اليهود ذلك قالوا ان
الله فقير يستقرض منا فقال عز وجل (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن
أغنياء) استهزاء بكلامه بحمله على خلاف مراده لانه أراد أنه ليس باتلاف بل هو تعويض
كتعويض المستقرض فحملوه على الاستقراض للحاجة مع أنه لا دلالة للفظ الاستقراض
عليه لكنه لما كثر وقوعه للحاجة صار كالمدلول الالتزامى له عرفا (سنكتب ما قالوا)
بطريق الاستهزاء بكلامه الهاتك حرمته وحرمة المتكلم بحيث تبطل الهيبة أو تكاد به
وهو فى معنى القتل لذلك عقبه بقوله (وقتلهم الانبياء) مع علمهم أنه (بغير حق) كما أن هذا
التأويل أيضا بغير حق (و) انما نكتب ذلك ليكون حجة لنا فى تعذيبهم اذ (نقول) لهم
(ذوقوا عذاب الحريق) أى أدركوه ادراك اللسان بالذوق للمطعومات بوصول أثرها الى
باطنها فاذا نسبوا ذلك الى الظلم قيل لهم (ذلك بما قدمت أيديكم) من هتككم حرمة الله
وحرمة كلامه وأنبيائه المبلغين له وأى ظلم أشد من ذلك فلا تنسبوا اليه المبالغة فى الظلم بل
ثبت أنكم المبالغون فيه (وأن الله ليس بظلام للعبيد) ولو قالوا ما بالغنا فى الظلم بقتل
الانبياء بغير حق بل انما قتلنا الكذابين أجيبوا بأنكم اعترفتم بكونهم أنبياء لانكم (الذين
قالوا) فى الاعتذار عن ترك الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم (ان الله عهد الينا ألا نؤمن
لرسول) أى لمدعى الرسالة وان جاء بمعجزات قاهرة (حتى يأتينا) بهذه المعجزة المعينة (بقربان
تأكله النار) النازلة من السماء عليه (قل) مقتضى هذا القول بعد تساوى المعجزات
فى الدلالة على صدق من ظهرت على يديه صدق كل من جاء بهذه المعجزات سواء أتى بمعجزات
أخر معها أم لا لكن (قد جاءكم رسل) كثيرون (من قبلى بالبينات) القاهرة (وبالذى قلتم)
فكذبتموهم فلو لم تكذبوهم (فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) فى أنا ما قتلنا الا الكذابين
وأنا انما كذبنا محمدا لعدم اتيانه بهذه المعجزات المعينة (فان كذبوك) بعد ابطال عذرهم
المذكور (فقد كذب رسل من قبلك) من غير عذر فى التكذيب لانهم (جاؤا بالبينات) أى
المعجزات الفعلية (والزبر) معرفة كتب الانبياء السابقين عليهم من غير تعلم بشرى
(والكتاب المنير) أى المزيل شبهات أهل الكتب السابقة ولو قيل ان كان الله مضاعفا
للقرض أضعافا كثيرة فانا لا نجدها مع كثرتها أجيب بأنكم انما لا تجدونها لانها مما لا تنقطع
عن غاية كثرتها والامور الدنيوية منقطعة اذ (كل نفس ذائقة الموت) فلو حصل لكم فيها
بعض الاضعاف فلا يوفى فيها (وانما توفون أجوركم يوم القيامة) على أن الاجور انما تتم بالابعاد

السلام من التراب
(باب الباء المضمومة)
*(قوله برهانكم)
أى حجتكم يقال قد برهن
قوله بينه بحجته (بهت
الذى كفر) وبهت أيضا
انقطع وذهبت حجته (قوله
تعالى بروج مشيدة)
حصون مطولة واحدها
برج وبروج السماء
منازل الشمس والقمر
وهى اثنا عشر برجا (قوله
تعالى بورا) هلكى (قوله
(بكم) خرس (قوله

من النار وادخال الجنة بل ذلك بجميع الاجر (فمن زحزح) أى أبعد (عن النار) التى هى مجمع الآفات والشرور (وأدخل الجنة) الجامعة اللذات والسرور (فقد فاز) بكل هبة سنية ونعمة هنية ثم ان الاضعاف لوتمت فى الدنيا لكانت سبب مزيد الغرور المتضمن ضر الآخرة كيف (وما الحيوة الدنيا) وان خلت عن تلك الاضعاف (الامتاع الغرور) ولدفع الغرور (لتبلون فى أموالكم) باذهابها (وأنفسكم) باماتتها وقتلها (ولتسمعن) عند الابتلاء فى الاموال والانفس (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) وان كان حقهم ان يبينوا ان الابتلاء لدفع الغرور ولكنهم ساووا المشركين اذ تسمعون منهم (ومن الذين أشركوا أذى كثيرا) بأن دينكم لو كان حقا لما ذهبت أموالكم ولا قتلت أنفسكم (وان تصبروا) عند الابتلاء وسماع الاذيات (وتتقوا) ترك الدين عند ذلك (فان ذلك من عزم الامور) أى من الامور التى جزم الله بالامر بها ثم أشار الى ان أذى أهل الكتاب أعظم من أذى المشركين لانهم يغيرون مافى كتابهم وقد منعوا كتمانه فضلا عن التغيير فقال (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه) أى الكتاب (للناس) وان لم يسألوهم (ولا يكتمونه) ان سألوهم (فنبذوه) أى الميثاق (وراء ظهورهم) لا ينظرون اليه البتة بل غيروه (واشتروا به) أى استبدلوا به (ثمنا قليلا) من الرشا الذى هو سبب العذاب الخالد (فبئس ما يشترون) بتغيير كلام الله ونبذ ميثاقه وراء ظهورهم ثم أشار الى انهم لا يرون قبح ذلك بل يفرحون به فقال (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا) من اشتراء الثمن القليل بتغيير كلام الله انه سبب فرح بل هو سبب حزن كيف (و) لا يحبون ظهوره لانه يوجب الذم بل (يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا) من وفاء الميثاق من غير تغيير ولا كتمان فلا تحسبن انه يدوم حمدهم بل يظهر شرهم فيذمون فان لم يظهر (فلا تحسبنهم بمفازة) أى بنجاة (من العذاب و) لا ينتفعون بفرحهم وحمدهم فى الدنيا حين يكون (لهم عذاب أليم و) لا مانع منه اذ (لله ملك السموات والارض) فله تسليط ما يشاء منهما عليهم لتعذيبهم (و) له ان يعذبهم بغير تسليط شئ اذ (الله على كل شئ قدير) ثم استدل على قدرته على الاشياء ابتداء وحكمته فى ترتيب الاشياء على أسبابها وعلى ان للاعمال آثارا توجب الجزاء فقال (ان فى خلق) أى ايجاد (السموات والارض) ابتداء من غير سبب (واختلاف الليل والنهار) مسببين عن حركات الكواكب بتبعية حركات الافلاك وافادتهما الاظلام والاضاءة (لآيات) على القدرة والحكمة وآثار الاعمال (لاولى الالباب) أهل البواطن بالتزكية والتصفية بملازمة الذكر اذهم (الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) فلا يخلو حال من أحوالهم عن ذكر الله المفيد صفاء الظاهر المؤثر فى تصفية الباطن ولم يمنعهم القعود ولا الاضطجاع عن خدمة الله وان منعا خدام الملوك عن خدمتهم (و) يعينهم فى ذلك انهم (يتفكرون) أولا (فى) حكم (خلق السموات) اذ جعلها متحركة تختلف بها أوضاع كواكبها صعودا وهبوطا واستقامة ورجوعا (والارض) اذ جعل فيها عناصر قابلة للكون

والفساد

عز وجل بكيا) جمع باك وأصله بكويا على فعول فأدغمت الواو فى الياء فصارت بكيا (قوله عز وجل بدن) جمع بدنة وهى ما جعل فى الاضحى للنحر والنذر واشباه ذلك فاذا كانت للنحر على كل حال فهى جزور (قوله عز وجل بشرى) وبشارة اخبار بما يسر (قوله بست الجبال بسا) فتتت حتى صارت كالدقيق والسويق المبسوس أى المبلول

والفساد لتكوين المعادن والنباتات والحيوانات والانسان من آثار الاوضاع السماوية
مع ما فيهما من أنواع الحكم فيقولون (ربنا ما خلقت هذا باطلا) اى خاليا عن الحكمة
(سبحانك) من ان تراعى الحكمة فى اجزاء العالم ولا تراعيها فى الانسان فقد خلقت فيه
الصعود والهبوط والاستقامة والرجوع وجعلت لروحه وقلبه ونفسه من أعماله هيئات
مختلفة وآثارا متنوعة وجعلت بيديه ما يستكمل به الحكمة فيستوجب الثواب
أو يقطعها فيستوجب العقاب ونحن مقصرون فى استكمالها (فقنا) بفضلك (عذاب النار
ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته) بابطال انسانيته اذ جعلته شرا من البهائم والنباتات
والجمادات وليس ذلك منك ابتداء بل من ظلمنا (وما للظالمين من أنصار) فلا ينصرهم برد
انسانيتهم تربيتك ولا رحمتك ولا عفوك فضلا عما سواك (ربنا اننا) ليس تقصيرنا من جهلنا
بل علمنا الحكمة من جهتك اذ (سمعنا مناديا) أى داعيا اليها وهو الرسول (ينادى للايمان)
الذى هو رأس الحكمة يأمرنا (أن آمنوا بربكم) الذى يربيكم بتكميل انسانيتكم
بالايمان واعماله (فآمنا) طلبا للتربية به وبالاعمال (ربنا) ولكن صعب علينا الوفاء بمقتضى
الايمان من اتيان الاعمال الصالحة واجتناب المعاصى والمكاره (فاغفر لنا ذنوبنا) فلا
تفضحنا بها (وكفر) أى امح (عنا سيئاتنا) أى المكاره فلا تعاقبنا عليها ولا تجعلها سبب
المعاصى ولا تجعل المعاصى سبب الكفر (وتوفنا مع الابرار) ثم قالوا (ربنا) انا وان لم
نستوجب على الايمان والاعمال شيأ من الثواب اذ يكفى فى الايمان النجاة عن العذاب
الخالد وفى الاعمال كونها شكر النعم السابقة (و) لكن (آتنا ما وعدتنا على) السنة
(رسلك ولا تخزنا) بافساد ايماننا واعمالنا بحيث لا نستحق عليه الموعود من الثواب بل يلحقنا
وعيد العقاب (يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد) أى ميعاد الثواب والعقاب ولما دعوا
الله تعالى عن كمال المعرفة والتزكية استحقوا الاجابة (فاستجاب لهم ربهم) جميع دعواتهم
بكلمة واحدة وهى (أنى لا أضيع عمل عامل منكم) لاستلزام الوفاة على الايمان وتكفير
السيآت واعطاء الموعود وأشار الى انه كيف يضيعه مع انه يلحق الناقص بالكامل حتى
يسوى بين كل عامل (من ذكر أو أنثى) لسريان النور من الكاملين الى الناقصين اذ (بعضكم
من بعض) فى اتمام الاجر وان كان الكامل يعطى من الفضل ما لا يعطى الناقص ثم أعمال
الناقصين ان لم تكن مكفرة بأنفسها فاعمال الكاملين لابد ان تكون مكفرة بأنفسها (فالذين
هاجروا) لتكميل ايمانهم فانهم (و) ان (أخرجوا من ديارهم) فاخراجهم لما كان سبب
ايمانهم واختاروه كانت هجرتهم اختيارية (و) لو لم تكن اختيارية فلا شك انهم (أوذوا فى
سبيلى) فتحملهم الاذى دليل كمال ايمانهم (و) قد زادوا على تحمله اذ (قاتلوا و) لو كان
قتالهم لدفع الاذى فقد وقع عليهم أعظم وجوهه اذ (قتلوا) فهذا كله دليل كمال الايمان
المكفر اعمال صاحبه للسيآت لذلك (لأكفرن عنهم سيآتهم) فتستنير قلوبهم بحيث
يسرى منها النور الى قلوب الناقصين (و) لو لم يكمل هذا النور فلا شك ان نور الاعمال يكمل

*وقال لص من غطفان
وأراد ان يخبز فخاف ان
يعجل عن الخبز قبل الدقيق
وأكله عجينا فقال *
*لا تخبزا خبزا وبسا بسا
(قوله عز وجل بنيان
مرصوص) أى لاصق
بعضه ببعض لا يغادر شئ
منه شيأ (قوله عز وجل
بعثرت) أى القبور بحثرت
وأثيرت فأخرج ما فيها

(باب الباء المكسورة)

(قوله عز وجل بسم الله)
اختصار المعنى أبدأ بسم

فيهم لذلك (لادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار) اذصارت قلوبهم بأعمالهم بساتين
الاحوال والمقامات تجرى من تحتها أنهار المعارف فلابد وأن تجرى منها أنهار الانوار الى
قلوب اتباعهم كيف ولا يكون بقدر الاعمال اذ يكون (ثوابا من عند الله) فيعظم بقدر
عظمته وكيف لا يكون ثوابه نورا (والله عنده حسن الثواب) ولكل حسن نور ولو قال قائل
لو كانت الحكمة فى خلق السموات والارض الدلالات الداعية الى الايمان والتقوى لكان
كل من كفر فى أسوأ الاحوال لابطاله الحكمة وكل من آمن فى أحسنها لاتمامه الحكمة
لكن كثيرا ما نرى الامر بالعكس يقال له (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد) بالتصرف
فيها والاستيلاء عليها فانه ليس من محاسن الاحوال فى حقهم بل هو مكر عليهم اذ هو (متاع
قليل) يرتب عليه الاستقرار بجهنم اذ يتمتعون أيام الحياة (ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد)
وقد أفضى اليه متاعهم فبئس المتاع وما يرى من سوء حال المؤمنين فليس بسوء فى الحقيقة
اذ لم يترتب على معاصيهم (لكن الذين اتقوا ربهم) يصيبهم السوء ليكمل جزاؤهم على صبرهم
اذ (لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله) واذا كان هذا نزلا فلهم
درجات فوق ذلك بمجرد التقوى (وما عند الله خير للابرار) العاملين مع التقوى ومن أعمال
البر الصبر فلهم عليه درجات كثيرة وسببه الابتلاء فليس بسوء بالحقيقة ولو قيل لو كانت
الحكمة الدلالات الداعية الى الايمان الذى يدعون اليه لكان أهل الكتاب أولى به قيل
انما يكون أولى به من رجح جانب الله على جانب هواه لا بالعكس (وان من أهل الكتاب لمن
يؤمن بالله) فيرجح جانبه على هواه (و) لذلك يصدق (ما أنزل اليكم و) ليس ذلك منه كفرا
بكتابه بل يصدق أيضا (ما أنزل اليهم) ويدل على اخلاصهم كونهم (خاشعين لله) وانما
خالفوا سائر أهل الكتاب لانهم يرجحون جانب الرشوة وهؤلاء (لا يشترون بآيات الله ثمنا
قليلا) ولا يضرهم ترك ذلك الثمن اذ (أولئك لهم) بدله (أجرهم) الكامل (عند
ربهم) على الايمان بالله وبالمنزل عليهم وعليكم وبالخشوع وترك الثمن القليل ولا يتأخر
أجرهم الى مدة مديدة يؤثر لاجله الرشا الحالة لان الله يسرع حسابهم لايصال اجورهم
سريعا (ان الله سريع الحساب) ثم قال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الوقوف
على حقائق الاشياء على ما هى عليه ولا يحصل بتقليد العلماء وان سبقوا وبلغوا ما بلغوا
لاختلافهم ولذلك يحتاج الى التفكر والمناظرة والنظر فى شرائط الاستدلال بحيث يرتبط
المدلول بدليله وترك التعصب والتمسك بالشبهات لذلك (اصبروا) فى التفكر (وصابروا)
فى المناظرة (ورابطوا) المدلولات بالدلائل (واتقوا الله) أن تتعصبوا أو تتمسكوا بالشبهات
(لعلكم تفلحون) بالاطلاع على حقائق الاشيا * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة النساء)

سميت بها لان ما نزل منها فى أحكامهن أكثر مما نزل فى غيرها (بسم الله) المتجلى بجمعيته فى

النفس

الله وبدأت باسم الله ٣ حذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه كقوله تعالى واسئل القرية أى واسئل أهل القرية ويجوز أن يسمى الفاعل والمفعول بالمصدر كقولك رجل عدل ورضا فرضا فى موضع مرضى وعدل فى موضع عادل فعلى هذا يجوز أن يكون البر فى موضع البار (قوله عز وجل بطانة من دونكم) أى دخلاء من

٣ قوله فى الهامش فحذف المضاف الخ هكذا فى الاصل الذى بأيدينا ولعله سقط بعد قوله باسم الله (قوله عز وجل البر من اتقى) أى البر بر من اتقى فحذف الخ

النفس الواحدة (الرحمن) بخلق زوجها منها وبث الرجال والنساء منهما لعمارة العالم (الرحيم) بما أمر من التقوى فى رعاية حقوقه وحقوق خلقه (يا أيها الناس) أى يا من نسى التقوى التى هى حق الربوبية والتربية سيما فى الاموال التى رباكم بها سيما اذا قطعتم الارحام (اتقوا ربكم) الذى رباكم بالتمدن وهو الاجتماع مع ابناء الجنس اذ هو (الذى) أوجد فيكم ما يوجب الائتلاف بينكم على أكمل الوجوه اذ جعلكم راجعين الى أصل واحد اذ (خلقكم من نفس واحدة) هى آدم (و) لا ينافيه احتياجكم الى الابوين لانه (خلق منها) من ضلعها الايسر بعد انتزاعها منه فى النوم (زوجها) لذلك كان فيها اعوجاج وضعف وميل الجزء الى كله لذلك غلبت شهوتها وفيه ميل اليها ميل الكل الى جزئه (وبث) أى نشر (منهما رجالا كثيرا ونساء) ثم من الرجال والنساء رجالا آخرين ونساء أخر وهلم جرا الى يوم القيامة ولم يصف النساء بالكثرة لدلالة كثرة الرجال على كثرتهن لامتناع مشاركة رجلين فى امرأة مع جواز اشتراك امرأتين فى رجل واحد ووجه الاتقاء فى ذلك ان من قدر على اخراج أفراد غير محصورة من أمر واحد يقدر على اخراجهما من غير محصورة من فعل واحد منها ما يدل على الكمال والاستقامة ومنها ما يدل على الاعوجاج والنقص ثم أشار الى انه لو لم يتق من جهة التربية لانها جهة اللطف فلا بد ان يتقى من جهة الالهية فقال (واتقوا الله) لكمال حكمته وقدرته وعظمته التى تقررت بقلوبكم اذ هو (الذى تساءلون) أى يسأل (به) بعضكم بعضا وبالارحام فيقول أنشدتك بالله (والارحام) اذ تقررت عظمتها أيضا هذا على قراءة الجر بحذف المعطوف من الاصل والمعطوف عليه من الفرع وعلى قراءة النصب واتقوا الارحام ان تقطعوها وليس التخويف من قطيعتها التخويف من لوم الخلق فقط بل من الله تعالى أيضا (ان الله كان عليكم رقيبا) ينظر هل تقطعون الرحم الذى جعله من الرحمن أم لا ثم اشار الى ان أجل ما يؤمر فيه بتقوى الله على قطيعة الرحم أموال اليتامى الذين لا يخاف من دعاويهم وتشنيعاتهم فقال (وآتوا اليتامى) جمع يتيم صغير مات أبوه من اليتم وهو الانفراد (أموالهم) بابقاء نفقتهم وكسوتهم فى الصغر ورد ما بقى عند البلوغ (ولا تتبدلوا) بأن تعطوا (الخبيث) الردى من أموالكم (بالطيب) الجيد من أموالهم (ولا تأكلوا أموالهم) بضمها (الى أموالكم) للتوسعة (انه كان حوبا) أى ذنبا يوجب ضيقا فى الآخرة (كبيرا) لا يوازى الضيق الدنيوى (وان خفتم ألا تقسطوا) أى ان لا تعدلوا (فى اليتامى) لكثرة عيالكم المحوجة الى أخذ شئ من أموالهم فلا تكثروا النكاح (فانكحوا ما طاب لكم) أى لنفوسكم من جهة الجمال او الحسب أو العقل أو الصلاح (من النساء) مقتسمين على سبيل الحصر فى هذه الاقسام (مثنى وثلاث ورباع) أى ثنتين ثنتين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة ذكر المكرر لئلا يكون كتقسيم الالف على درهمين ولم يذكر أو لئلا يدل على ان الكل مخير فى أحد الاقسام بحيث اذا اختار واحد قسما تعين على الجميع الاخذ به وفهم من الحصر فى الاقسام انه لا يجوز جمع خمسة هذا اذا لم تخافوا

غيركم وبطانة الرجل ودخلاؤه أهل سره ممن يسكن اليه ويثق بمودته (قوله عز وجل بضاعة) أى قطعة من المال يتجر فيها (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع (قوله بدارا) أى مبادرة (قوله عز وجل بيع) جمع بيعة للنصارى (قوله عز وجل بغاء) زنا كقوله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء أى على الزنا (قوله

الجور (فان خفتم ألا تعدلوا) فى حقوق الايتام أو النساء لعدم الفة القناعة (فواحدة) أى فاختار واللنكاح واحدة (أو) للتسرى (ماملكت أيمانكم) لقلة مؤنتهن وليس هذا مشروطا بالخوف بحيث لولاه وجبت الزيادة لان الغرض منع الزيادة عنده لا وجوبها عند عدمه (ذلك) العدد من الازواج للقانع أو الاقتصار على واحدة أو على التسرى (أدنى ألا تعولوا) أى أقرب من ان لا تكثر عيالكم فيمكن معه القناعة بحيث لا يضطر الى الجور فى أموال اليتامى (وآتوا النساء صدقاتهن) أى مهورهن فانهن كالايتام (نحلة) أى عطاء غير مسترد بحيلة تلجئهن الى الرد (فان طبن) أى رضين (لكم) أى لجلب مودتكم بالعفو (عن شئ منه نفسا) لا لحياء عرض لهن منكم أو من غيركم (فكلوه هنيئا) سائغا (مريئا) محمود العاقبة وكانوا يتأثمون من ذلك لما توهموا انه أخذ البضع بلا عوض وقد أسقطنه بعد تملكهن اياه ولا تأثم فى اسقاطهن من قلة عقلهن كالايتام لانهن كالرجال فى التصرفات والتبرعات (و) المال المعطى عن رضا النفس وان كان حلالا للمعطى له (لاتؤتوا السفهاء) من أزواجكم وأولادكم وغيرهما (أموالكم) مخافة ان ينفقوها فى معاصى الله مع انها (التى جعل الله لكم قياما) أى سبب استطاعة على طاعته (و) لكن (ارزقوهم) أى اطعموهم بقدر الحاجة (فيها واكسوهم) بما يليق بهم (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل ان تقولوا ان الذى عندى هو مالكم احفظه عليكم اذا رأيت رشدكم أعطيتكم (و) كيف تعطونهم أموالكم وقد قيل لكم انكم اذا أردتم أداء أموال اليتامى اليهم (ابتلوا) أى اختبروا (اليتامى) بأن تكلوا اليهم مقدمات العقل قبل البلوغ (حتى اذا بلغوا النكاح) أى صاروا بالغين بالاحتلام أو استكمال خمس عشرة سنة (فان آنستم) أى أبصرتم (منهم رشدا) أى صلاحا فى الدين واهتداء الى حفظ المال (فادفعوا اليهم أموالهم) بلا مطل (و) اذا منعتم ان تدفعوا اليهم أموالهم قبل الاختبار مخافة أكلهم اسرافا فبالاولى أن (لاتأكلوها اسرافا و) لا تبادروا بأكلها (بدارا) كراهة (أن يكبروا) فيأخذوا أموالهم (و) أما الاكل بغير اسراف ففيه تفصيل (من كان غنيا فليستعفف) عن أكلها بالكلية (ومن كان فقيرا) يمنعه اشتغاله بمال اليتيم عن الكسب واهماله يفضى الى تلفه عليه (فليأكل بالمعروف) بقدر حاجته وأجرة سعيه ثم اشار الى انه كما لا تتلفونها عليهم لا تتلفونها على أنفسكم بترك الاشهاد فقال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) اذ لا تصدقون فى الدفع اليهم بعد البلوغ وان صدقتم فى دفع قدر النفقة قبله ثم انكم (و) ان حاسبتموهم وأخذتم أقاريرهم لا يكفيكم عند الله بل (كفى بالله حسيبا) ثم أشار الى أن السفهاء وان لم تدفع اليهم أموالهم فلهم نصيب من التركة اذ يستوى فى الارث الكامل والناقص اذ (للرجال نصيب مما ترك الوالدان) وان لم يناسبوا الوالدة اذ ليس بالمناسبة بل بالقرابة (و) لذلك يكون لهم نصيب مما ترك (الاقربون) والقرابة كما توجد فى الكامل توجد فى الناقص (و) لذلك يكون (للنساء نصيب مما ترك الوالدان) وان قصرن عن مناسبة الوالد كيف (و) لا يمنع نقصها ان ترث مما ترك (الاقربون) وليس

عزوجل بدعا من الرسل) أى بدأ اى ما كنت أول من بعث من الرسل قد كان قبلى رسل

(باب التاء المفتوحة)

(قوله عزوجل تلقى آدم من ربه كلمات) أى قبل وأخذ (قوله عزوجل تواب) أى الله يتوب على العباد والتواب من الناس التائب (قوله عزوجل تجزى) أى تقضى وتغنى كقوله لاتجزى نفس عن

لحمل الكل ونكاية العدو وان كان اكتساب المال لذلك لانه انما يتصور فى المال الكثير
وههنا لا عبرة بالكثرة بل (مما قل منه أو كثر) على انه لو كان كذلك الكان بمقدار ما يحتاج اليه فى
ذلك المعنى لكن ليس كذلك بل يؤخذ (نصيبا مفروضا) روى انه أتت امرأة أوس بن
الصامت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته وأخذ ابنى عمه سويد وعرفجة جميع ماله
فقالت مات زوجى وترك مالا حسنا وله ثلاث بنات وأنا امرأته ليس عندى ما اطعمهن
واكسوهن فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله لا يركبن فرسا ولا ينكين
عدوا ولا يحملن كلا فأنزل الله تعالى هذه الآية فقال لهما لا تفرقا شيأ من ماله فان الله جعل
لهن ولم يبين حتى أنظر فانزل الله تعالى يوصيكم الله الى آخره فأرسل اليهما فأعطى الزوجة
الثمن والبنات الثلثين والباقى لهما وانما أجمل أولا لانه أراد اثبات ما نفوه وانما قال نصيبا
مفروضا لئلا يعمل باطلاقه ولم يقل للرجال والنساء نصيب لئلا يتوهم انهن انما يرثن مع
الرجال لا منفردات ثم أشار الى انه وان كان لهما نصيب مفروض فللمريض ان ينقص
منه بالوصية بل يندب له ذلك سيما فى حق الحاضرين سيما أولى القربى فقال (واذا حضر
القسمة) أى وقت قربها (أولوا القربى) الذين لا ارث لهم قدمهم لان اعطاءهم صدقة
وصلة (واليتامى) الضعفاء بفقد الآباء (والمساكين) الضعفاء بفقد ما يكفيهم من المال
(فارزقوهم منه) أى اعطوهم بعضه وحمل على أقل من النصف لئلا يساووا من عظم فرضه
فيكون كأنه قطع نصيبه بالكلية (وقولوا لهم قولا معروفا) مثل استقلال اعطائكم
لهم والدعاء لهم وترك المن عليهم (وليخش الذين) حضروا المريض ان يقولوا له ما يبطل
حقوق الورثة وان كانوا أقرباء فى أنفسهم أجانب للحاضرين وليس للحاضرين أولاد أولهم
أولاد أقوياء فليفرضوا انهم (لو) ماتوا و(تركوا من خلفهم ذرية ضعافا) هل (خافوا
عليهم) الضياع أم لا فليفرضوا مثل ذلك فى ورثة المريض فان لم يتقوا أحدا من الورثة لومة
أوشتمة (فليتقوا الله و) ليس هذا امتناعا عن قول الخير بل (ليقولوا قولا سديدا) لا يبطل
الحقوق فلا يمنع الوصية ولا يأمر بتضييع الوصية الورثة واذا امتنع المريض من
التصرف فى ماله لحق الورثة ولو أقوياء والحاضرون من أمره بالتضييع فالآكلون أولى
بذلك (ان الذين يأكلون) من الحكام أو الاوصياء أو الورثة (أموال اليتامى ظلما) ولو
بوصية الميت على سبيل الاسراف بخلاف أكل الفقير الناظر فى ماله بقدر أجرته (انما
يأكلون) ما ينقلب (فى بطونهم نارا) عقلية أو خيالية يعذبون بها فى قبورهم (وسيصلون)
فى القيامة ظاهرا وباطنا (سعيرا) ولما حذر من الظلم فى أكل أموال اليتامى أشار الى العدل
فى قسمته وقدم ميراث الاولاد لانهم قائمون مقامه من بعده كأنهم عينه فقال (يوصيكم
الله) أى يأمركم ويعهد اليكم باعتبار اسمه الجامع لجمعه وجوه الحكمة البالغة (فى أولادكم)
لمزيد رحمته عليهم (للذكر مثل حظ الانثيين) أى للابن مع البنتين مثل نصيبهما ولابن الابن
مع بنتى الابن مثل نصيبهما وهكذا فى السافلين لانه لو كمل نصيبها مع انها قليلة العقل

نفس شيأ) أى لا تقضى ولا
تغنى عنها شيأ يقال جزى
فلان دينه اذا قضاه
وتجازى فلان دين فلان
أى تقاضاه والمتجازى
المتقاضى (قوله عز وجل
تلبسون) أى تخلطون
(قوله عز وجل تعثوا)
العثو والعيث أشد
الفساد (قوله عز وجل
تعقلون) العاقل الذى
يحبس نفسه ويردها عن
هواها ومن هذا قولهم

كثيرة الشهوة لا تلفته فى الشهوات اسرافا ولانها قد تنفق على نفسها وهو على نفسه
وزوجته ولم يقل للذكر ضعف نصيب الانثى لان الضعف يصدق على المثلين فصاعدا فلا يكون
نصا ولم يقل للانثيين مثل حظ الذكر ولا للانثى نصف حظ الذكر تقديما للذكر ولم يقل للذكر
مثلا نصيب الانثى لان المثل فى المقدار لا يتعدد الا بتعدد الاشخاص ولم يعتبر ههنا هذا اذا
كانوا ذكورا واناثا وان كان ذكرا أخذ الكل لانه ضعف نصيب البنت الواحدة المنفردة
وهو النصف (فان كن نساء) محضة فانهن وان كن (فوق اثنتين) لا يحزن الكل رعاية
للنقص الذاتى (فلهن ثلثا ما ترك) فكما تأخذ الواحدة الثلث مع أخيها تأخذه مع أختها
وليس دون الاخوات فى القرابة وقد جعل الثلثين لاثنتين منهن فالبنتان أولى (وان كانت
واحدة) فلا يكون لها الثلث فيكون نصيبها بلا شريك كنصيبها معه (فلها النصف) أى
نصف ما ترك ولم يكمل لها لانها ناقصة ولذلك لم يجعل لها الثلثان اللذان هما نصيب الابن
معها وذكر بعد ميراث الاولاد ميراث الوالدين لانهم مثلهم فى الجزئية فقال (ولابويه لكل
واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) لانه ان كان ابنا أخذ نصيب الاب لتقدمه فى
العصوبة التى هى أصل الاب فشارك الاب الام فى الثلث الذى لها فى الاصل وان كانت بنتا
قدمت بنصفها وأخذ الاب السدس بالعصوبة وشارك الام فى ثلثها لئلا ينحط الذكر عن
درجة الانثى (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) والباقى للاب للذكر مثل حظ
الانثيين لكن قررلها الثلث تنزيلا لها منزلة البنت مع الابن لا منفردة حطا لها عن درجتها
لقيام البنت مقام الميت فى الجملة هذا اذا انفردت الام عن كثرة الاخوة والاخوات (فان
كان له) معها (اخوة) أو اخوات متعددة (فلامه السدس) لان الواحد منها اذا كان من
جهة الام أخذ السدس فاذا تعددوا شاركوا الام فى ثلثها مع ذلك ولو كانوا من جهة الاب
أو الابوين فهم اولى بالنقص من حقها والفروض المذكورة انما يعطى أصحابها (من بعد
وصية) لا رجوع عنها بل (يوصى بها أودين) لانه يقدم على الوصية فكيف لا يقدم على
الفروض ثم أشار الى أن ترتيب الورثة لم يفوض الى رأيكم لتعطوا من رأيتموه أنفع لكم
فقال (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون) فى أغلب الاحوال (أيهم أقرب لكم نفعا) فاعتبرت
قوة القرابة فصارت (فريضة من الله) بمقتضى علمه بالمراتب وحكمته فى الترتيب (ان
الله كان عليما حكيما) ولما فرغ عن ميراث النسب المتحقق فيه الجزئية شرع فى ميراث
السبب وقدمه على النسب الذى لا جزئية فيه لانها بالواسطة فقال (ولكم نصف ما ترك
أزواجكم) جعل ارث السبب نصف ارث النسب (ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن) جعله شريكا فى نصيب ذى السبب لانه فى الاصل حائز فيكمل
نصيبه بتشريكه وهذا أيضا مع نقصان النصيب (من بعد وصية يوصين بها أودين ولهن
الربع مما تركتم) ليكون للانثى نصف حظ الذكر (ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد
فلهن الثمن مما تركتم) تشريكا للولد فى نصف نصيبهن مع قلته وهذا أيضا مع غاية قلته (من

اعتقل لسان فلان اذا
حبس ومنع من الكلام
(قوله تستنكفون) أى
تصبون (قوله عز وجل
تظاهرون عليهم) أى
تعاونون عليهم (قوله تهوى
أنفسكم) أى تميل ومنه
قوله أفرأيت من اتخذ
الهه هواه أى ما تميل اليه
نفسه وكذلك الهوى فى
المحبة وهو ميل النفس الى
ما تحبه (قوله تشابهت
قلوبهم) أى أشبه بعضها

بعد وصية توصون بها أو دين) ولما فرغ عن ميراث من ورث بنفسه شرع فى ميراث من ورث بالواسطة فقال (وان كان رجل يورث كلالة) اى من غير جهة الاب والفرع (أو امرأة) تورث كذلك صرح بها اشعارا بأنه كما يستوى منه بالنظر الى المأخوذ منه يستوى منه بالنظر الى الآخذ لان جهة الآخذ جهة الانثى فلو رجح الاخ بذكورته رجحت الانثى بمزيد المناسبة (وله أخ) من الام (أو أخت) من الام (فلكل واحد منهما السدس) الذى هو أقل نصيب الام الذى أخذها بواسطتها (فان كانوا) اى اولاد الام (أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث) الذى هو أعظم نصيب الام وأما الاخ والاخت من الاب أو الابوين فسيأتى حكمهما فى آخر السورة ولما قل نصيبهم ههنا قال (من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار) لوارث آخر ولو بوصية الميت لكون المذكور (وصية من الله و) لا يكون الا بمقتضى علمه وحكمته اذ (الله عليم) يعلم الاشياء والحكمة التى فيها فيحكم بمقتضى الحكمة ويعاقب من يترك حكمته ولكن لا يعجل اذ هو (حليم) فلا يخالف بالرأى الفاسد ثم أشار الى ان الاحكام المذكورة لو لم تكن على مقتضى العلم والحكمة لم يجز تغييرها اذ (تلك) الاحكام (حدود الله) وأقل ما فيها ان مراعيها مطيع الله ورسوله ومغيرها عاص لهما (ومن يطع الله ورسوله) فانه وان نقص حظه الدنيوى (يدخله) بدله (جنات تجرى من تحتها الانهار) ولو حصل له حظه لم يبق عليه وهذا باق لكونهم (خالدين فيها) ولو بقى فهو حقير (وذلك الفوز العظيم) الذى لو لم يبق لوجب ايثاره على الحقير الباقى (ومن يعص الله ورسوله و) سيما (يتعد حدوده) فانه وان وجد شهوته وجاهه فى الدنيا (يدخله نارا) تحول بينه وبين ما يشتهيه لا يبقى له ما حصل ويبقى عذابه اذ يصير (خالدا فيها و) لو بقى لا يوازى عذابه شهوته وجاهه اذ (له عذاب مهين) ولما فرغ عن أحكام الموتى حسا شرع فى أحكام الموتى معنى فقال (واللاتى يأتين الفاحشة) اى الخصلة البليغة فى القبح وهى الزنا حال كونهن (من نسائكم) أيها المسلمون (فاستشهدوا عليهن) اى فاطلبوا من القاذفين لهن (أربعة منكم) أى من المسلمين (فان شهدوا فأمسكوهن) أى احبسوهن حبس الميت فى القبور (فى البيوت) ليحبسن عن الزنا (حتى يتوفاهن الموت) أى يستوفى أرواحهن ملائكة الموت (أو يجعل الله لهن سبيلا) وهو رجم المحصنة وجلدها مع تغريب عام فكان الحبس فى أول الاسلام لكثرة الزنا وافضاء الرجم الى الارتداد ثم نسخ (و) الرجلان (اللذان يأتيانها) أى الفاحشة وهى اللواطة (منكم) أيها المسلمون (فآذوهما) بالتعيير والجلد (فان تابا) قبل ايذائهما (وأصلحا) بالقرائن (فأعرضوا عنهما) بالاغماض والستر (ان الله كان توابا رحيما) وقد نسخ أيضا ثم ان الله تعالى وان كان توابا رحيما فلم يلتزم قبول كل توبة بل (انما التوبة) التى يكاد قبولها يجب (على الله) هى الحاصلة (للذين يعملون السوء) فاحشة أو غيرها (بجهالة) بضررها ولو اعتمادا على كرم ربه وعفوه (ثم) لا يصرون عليه بل (يتوبون من قريب) قبل ان يصير رينا على قلوبهم (فأولئك) وان كثرت سيئاتهم وعادوا الى المعاصى والتوبة (يتوب الله عليهم) فى كل مرة لعلمه بأنه أتى بذنب بجهالة دعته الى ترجيح

بعضا فى الكفر والقسوة (قوله تصريف الرياح) أى تحويلها من حال الى حال جنوبا وشمالا ودبورا وصبا وسائر أجناسها (قوله تعالى تهلكة) أى هلاك (قوله تعالى تختانون أنفسكم) تفتعلون من الخيانة (قوله عز وجل تربص أربعة أشهر) أى تمكث أربعة أشهر (قوله تعضلوهن) أى تمنعوهن من التزوج وأصله من عضلت

هواه على عقله واقتضاء حكمته قبول عذر من صدق فى اعتذاره (وكان الله عليما حكيما) ولو لم
يكن عن جهالة أو لم يتب عن قريب فهى جائزة القبول مالم يؤخر الى وقت العجز وهو وقت
حضور الموت (و) ذلك لانه (ليست التوبة) حاصلة (للذين يعملون السيآت) اى المعاصى
الفرعيات ويصرون عليها (حتى اذا حضر أحدهم الموت) المعجز عن العود الى مثلها (قال انى
تبت الآن) فان قبول التوبة حينئذ ممتنع بمقتضى الحكمة لكنه فى المعاصى الفرعية وأما
الاعتقاديات فيجوز التوبة عنها مالم يكاشف عن عالم الآخرة بالغرغرة أو الموت فلا توبة لاهل
الغرغرة (ولا الذين يموتون وهم كفار) لانهم بمجرد الموت يعاينون العذاب اذ (أولئك اعتدنا
لهم عذابا أليما) يصلون اليه بمجرد الموت ويكاشف لهم عنه عند الغرغرة ولو لم يكن معدا لهم
لربما جاز توبتهم بعد الموت أيضا ولما فرغ عن بيان حكم الفواحش التى اعترفوا بها شرع فى
بيان حكم الفواحش التى لم يعترفوا بها وهى انهم كانوا اذا مات أحدهم وله عصبة ألقى ثوبه
على امرأته أو خبائها فيصير أحق بها فى زعمهم فيتزوجها بلا صداق لزعمه أن صداق الميت
صداقه أو يزوجها من غيره ويأخذ صداقها أو يمنعها من التزوج لتفتدى بما ورثت أو
تموت هى فيرثها اذ قال (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء) من ميتكم أنفسها أو
صداقها أو فداءها أو مالها بموتها (كرها) اى حال كونها كارهة كيف وهو تضييق على
الاجنبيات (و) قد منعتم من التضييق على أزواجكم اذ قيل لكم (لا تعضلوهن) اى
لا تمنعوهن عن الحقوق حتى تضيقوا عليهن (لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن) فى المهور
والنفقات ليتخلصن به عنكم (الا أن يأتين بفاحشة) اى زنا أو نشوزا وسوء خلق (مبينة)
لا متوهمة فيحل للزوج أن يسألها الخلع ولكن بعد حسن عشرته لذلك قيل لكم
(وعاشروهن بالمعروف) اى بالانصاف فى الفعل والاجمال فى القول حتى لا تكونوا سبب
الزنا بتركهن أو سبب النشوز وسوء الخلق فلا يحل لكم حينئذ (فان كرهتموهن) فلا تلجؤهن
الى الخلع ولا تعضلوهن بل اصبروا عليهن (فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا) فى الدنيا والآخرة وكانوا اذا أراد أحدهم نكاح جديدة بهت امرأته بزنا أو سوء
خلق أو نشوز حتى يلجئها الى الافتداء ليصرفه فى تزوج الجديدة أو مهرها أو نفقتها اذ قال الله
عز وجل (وان أردتم استبدال زوج) جديدة (مكان زوج) تطلقونها اذ ليس عذرا لجمع او
تعسر (وآتيتم احداهن) اى احدى نسوتكم التى تريدون تطليقها او نكاح جديدة مكانها
(قنطارا) اى مالا كثيرا مركوما بعضه على بعض فى مهرها او نفقتها (فلا تأخذوا منه شيأ)
ليصير مهر الجديدة او نفقتها او مؤن تزوجها بسببها بالبهتان عليها (أ) يحل لكم وأنتم (تأخذونه)
باهتين عليها (بهتانا) لم ينشأ عن ظن (و) لكن أثمتم فيه (اثما مبينا) فكيف يحل لكم شئ اثمتم
فى سبب تحصيله وهو البهتان (وكيف تأخذونه وقد) تقرر اذ (أفضى) اى وصل (بعضكم الى
بعض) فأخذ عوضه (و) قد (أخذن منكم) بقول العاقد زوجتكها على ما أخذ الله للنساء
على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان (ميثاقا) اى عهدا وثيقا (غليظا)

مؤكدا

ولدها فى
المرأة اذا نشب
بطنها او عسر ولادته ويقال
عضل فلان أيمه اذا
منعها من التزوج (قوله
عزوجل تيمموا) أى
تعمدوا (قوله عزوجل
تسأموا) أى تملوا (قوله
عزوجل ترتابوا) تشكوا
(التوراة) معناها الضياء
والنور وقال البصريون
أصلها وورية فوعلة من
ورى الزند وورى لغتان
اذا خرجت

مؤكدا مزيدتأكيد يعسر معه نقضه كالثوب الغليظ يعسر شقه ثم أشار الى أنه انما تحل
امرأة المورث طوعا اذا لم تكن امرأة أحد الاصول فقال (ولا تنكحوا) اى ولا تطؤا بنكاح
اوملك يمين (ما نكح) اى وطئ باحد الوجهين (آباؤكم) اى أحد أصولكم (من النساء) وان
لم يكن أمهاتكم وكذا ان لم ترثوهم لاختلاف الدين فهن محرمات عليكم (الا ما قد سلف)
فانها غير محرمة عليكم بمعنى أنكم لا تؤاخذون بها وان لم تقرر (انه كان فاحشة) اى خصلة
قبيحة جدا لانه يشبه نكاح الامهات (و) لذلك كان (مقتا) اى أشد بغض عند الله وعند
ذوى المروآت حتى سموا ولد الرجل من امرأة أبيه مقيتا كيف (و) قد (ساء سبيلا) اى هتك
حرمة الاب ولما حرمت أزواج الاصول لما فيه من هتك حرمتهم (حرمت) بطريق الاولى
(عليكم أمهاتكم) اى وطء أصولكم لانه استهانة واستهانة الاصول قبيحة (وبناتكم) اى
فروعكم لانهن كالاصول فى الجزئية (وأخواتكم) من أم او أب او منهما لانهن بعض اجزاء
الاصول فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصول (وعماتكم) لانهن فروع اصل الاب فهتكهن
هتك بعض اجزاء أصل الاصل (وخالاتكم) لانهن فروع أصل الام (وبنات الاخ) لانهن
فروع فرع الاصل وجزء الجزء جزء فهتكهن هتك بعض اجزاء الاصل (وبنات الاخت)
لذلك (وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم) لان الرضاع جزء منها وقد صار جزأ من الرضيع فصار
كانه جزؤها فاشبهت أصله (وأخواتكم من الرضاعة) لانها جزء مما أشبهت أصله فاشبهت جزء
أصله وأشار بلفظ الامهات والاخوات الى اعتبار جهات قرابة المرضعة (وأمهات نسائكم) اى
أصول أزواجكم لانهن أصول فروعكم تحقيقا وتقديرا فهن كاجزاء اجزائكم (وربائبكم) اى
فروع أزواجكم لانهن يشبهن البنات اذهن (اللاتى فى حجوركم) كالبنات الا انه انما يتحقق
الشبه اذا كن (من نسائكم اللاتى دخلتم بهن) لانهن حينئذ بنات موطوآتكم كبنات
الصلب (فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم) لان كونهن فى حجوركم حينئذ ككون
الاجنبيات فيها (وحلائل أبنائكم) اى موطوآت فروعكم بنكاح أو ملك يمين لانهم أشبهوا
الاصول فى الجزئية فاشبه أزواجهم بأزواجهم وقيدهم بكونهم (الذين من أصلابكم)
احترازا عن زوجة المتبنى وزوجة ابن المرأة (و) حرم عليكم (أن تجمعوا بين الاختين) فى
الوطء بنكاح أو ملك يمين لما فيه من قطيعة الرحم وفى معناهما كل امرأتين أيتهما فرضت
ذكرا كان بينهما محرمية (الا ما قد سلف) فانه معفو عنه وان لم يقرر (ان الله كان غفورا
رحيما و) حرمت عليكم (المحصنات) اى المزوجات من الغير (من النساء) حرائر او اماء لئلا
تختلط المياه فيضيع النسب (الا ما ملكت أيمانكم) بالسبى على أزواج الكفار فانه يرفع
نكاحهن ويفيد الحل بعد الاستبراء ولولم تعقلوا معانى حرمتهن فلا تستبيحوهن بل الزموا
(كتاب الله) فانه يجب متابعته (عليكم و) لا ضرورة لكم فى استباحتهن أبدا لانه (أحل لكم
ما وراء ذلكم) المذكور لفظا ومعنى وان كان فيهن نوع جزئية للاصول لو اعتبر لسد باب
النكاح وخص من ذلك نكاح المطلقة ثلاثا قبل التحليل ونكاح الملاعنة والمعتدات

ناره ولكن الواو الاولى
قلبت تاء كما قلبت فى تولج
وأصله وولج من ولج
اى دخل والياء قلبت ألفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها
وقال الكوفيون توراة
أصلها تورية على تفعلة
الا ان الياء قلبت ألفا
لتحركها وانفتاح ما قبلها
ويجوز أن يكون تورية
على وزن تفعلة فنقل من
الكسر الى الفتح كما قالوا
جارية وجاراة وناصية
وناصاة

والمشركات وذوات الارحام وليس حلهن بطريق الهبة بل بطريق (أن تبتغوا) اى تطلبوا
(بأموالكم) تصرفونها فى مهورهن تحقيقا وتقديرا او ثمنهن او أجورهن حين جازت
المتعة (محصنين) اى متحفظين عن اللوم والعقاب بنكاح أو متعة حين جازت أو ملك يمين (غير
مسافحين) زانين فانه وان طلب بالمال يحرم لعدم تعيين المدة بخلاف المتعة (فما استمتعتم به
منهن) اى فمن جامعتموهن ممن نكحتموهن نكاح المتعة (فآتوهن أجورهن) فانه انما يلزم فى
الجماع بخلاف المهر فانه يجب نصفه قبل الوطء بالفراق حال الحياة وانما يجب المسمى اذا كان
(فريضة) والالزم أجرة المثل (ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به) من الزيادة على المسمى او
النقصان منه (من بعد الفريضة) فانه يجوز فيه التغيير بالتراضى (ان الله كان عليما حكيما)
فى تزويج المتعة حين الحاجة وبتحريمها بعد انقطاعها لانه يلتبس بالزنا فى نظر العامة
ويفضى الى اختلاط المياه قال الشافعى لا أعلم شيأ أحل ثم حرم ثم أحل ثم حرم غير المتعة ونقل
ابو عبيدة الاجماع على نسخها ثم أشار الى نكاح ما يستباح للضرورة كنكاح المتعة لكنها
ضرورة مستمرة لا تنقطع بكثرة الاسلام فقال (ومن لم يستطع) اى لم يقدر (منكم) أيها
الاحرار بخلاف العبيد أن يحصل (طولا) اى غنى يمكنه به (أن ينكح المحصنات) اى الحرائر
المتعففات بخلاف الزوانى اذ لا عبرة بهن (المؤمنات) اذ لا عبرة بالكوافر (فمن ما ملكت
أيمانكم) اى فله أن ينكح بعض ما ملكه أيمان اخوانكم (من فتياتكم) اى اماءكم حال الرق
(المؤمنات) لا الكتابية لانه لا يحتمل مع عار الرق عار الكفر بل عار الكفر أشد لذلك جوز
بعض أصحابنا نكاح الامة مع القدرة على نكاح الحرة الكتابية ويخاف فيه مخالطة الكفار
وموالاتهم وهو أشد من خوف رق الولد (و) لا يشترط الاطلاع على بواطنهن بل يكتفى بظاهر
ايمانهن وان كن مكرهات كما لا يشترط الاطلاع على بواطن ايمان الحرائر والاحرار بل (الله
أعلم بايمانكم) ويحتمل عار الرق للضرورة اذ (بعضكم من بعض) فى الرجوع الى آدم
والرق عارض لكن لا يبطل حق المالك (فانكحوهن باذن أهلهن) لا استقلالا (وآتوهن)
باذنهن (أجورهن) وان لم يكن تسم (بالمعروف) بلا مطل وضرار اذا كن (محصنات) اى
متعففات ويكفى فى ذلك كونهن فى الظاهر (غير مسافحات) اى زانيات بكل من دعاهن
(ولا متخذات أخدان) اى اخلاء يتخصصن بهم فى الزنا فلو كن احدى هاتين فلكم المناقشة فى
أداء مهورهن ليفتدين نفوسهن (فاذا أحصن) اى ظهر احصانهن وأدى مهورهن (فان
أتين بفاحشة) اى زنا (فعليهن) الآن ما كان عليهن قبل النكاح وقبل أداء المهر وهو (نصف
ما على المحصنات) اى الحرائر (من العذاب) وهو خمسون جلدة لا الرجم ولا استرداد المهر
لانهن من أهل المهانة فلا يفيد فيهن المبالغة فى الزجر ولمهانتهن خص (ذلك) اى اباحة
نكاحهن (لمن خشى) اى خاف (العنت) اى المشقة فى التحفظ من الزنا (منكم) ايها الاحرار
(وأن تصبروا) على تحمل تلك المشقة (خير لكم والله غفور) لما يخطر فى قلوبكم من دواعى
الزنا (رحيم) باعطائكم الاجر على الصبر مع تلك الخواطر (يريد الله) بتحريم ما حرم من النساء

وتحليل

(قوله عز وجل تأويل) اى مصير ومرجع وعاقبة (قوله عز وجل وابتغاء تأويله) اى ما يؤول اليه من معنى وعاقبة ويقال تأول فلان الآية اى نظر الى ما يؤول معناها (قوله عز وجل تخلق من الطين) اى تقدر يقال لمن قدر شيأ وأصلحه قد خلقه وأما الخلق الذى هو احداث فلله عز وجل (قوله تدخرون) تفتعلون من الدخر (قوله

وتحليل ما أحل بالشرائط (ليبين لكم) مقتضى حكمته (و) ليست مما يختلف باختلاف الامم والازمنة فهو يريد بيبانها ان (يهديكم سنن) اى طرق الانبياء (الذين من قبلكم و يتوب عليكم) بالرد الى وجه الحكمة فيما أخطأتموه فيه وكيف يترككم على الخطا (والله عليم) بخطائكم (حكيم) لايرضى بترك الخطا (والله يريد أن يتوب عليكم) يمنعكم أن ترثوا النساء كرها وان تنكحوا مانكح آباؤكم وان تجمعوا بين الاختين ليردكم الى مقتضى الحكمة (و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا) عن مقتضى الحكمة (ميلا عظيما) بالكره وهتك حرمة الاباء وافساد ذات البين ولو قيل انه قد أمركم بالميل فى نكاح بنات العمات والخالات مع انهن فروع أصولكم قيل (يريد الله) باباحتهن (أن يخفف عنكم) بالرخصة فيما بعد فيه الاصل والفرع جميعا لئلا ينسد باب النكاح اذ لو اعتبر لوجب منع الانسان من شهواته (و) لكن (خلق الانسان ضعيفا) ولضعفه قد جوزله الامة ثم أشار الى أن من ميل مبتغى الشهوات التصرف فى الاموال بالطريق الباطل كالزنا فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التحفظ من الباطل فى كل شئ (لاتأكلوا أموالكم) اى لايأكل بعضكم أموال بعض ولو (بينكم) لايخرج عنكم (بالباطل) من طرق التصرفات وكلها باطلة (الا أن تكون تجارة) اى معاوضة محضة كالبيع والاجارة أو غير محضة كالنكاح او أخروية كالصدقة أو دنيوية صدرت (عن تراض) من جانب الآخذ والمأخوذ منه (منكم) أيها الاحرار (ولاتقتلوا) بتضييع المال سيما بصرفه فى الزنا (أنفسكم) أما بتضييع المال فظاهر وأما بالزنا فلانه قتل معنوى للاولاد بابطال نسبهم وقتل لانفسكم اذ لاعقب لكم يقوم مقامكم (ان الله) بهذه التكليفات (كان بكم رحيما) اذ لاتعود الى عبادته (ومن يفعل ذلك) اى يأكل مال الغير (عدوانا) اى بطريق باطل تعدى فيه ما كان الله به (وظلما) بوضعه فى غير موضعه فقد خالف الله فيما أمر من اتمام الحكمة (فسوف نصليه نارا) وان لم يخل بشئ من عبادتنا لكنه أخل بأمرنا ونهينا وان كانا لنفعه (و) لايمنع من ذلك كمال رحمته بل (كان ذلك على الله يسيرا) ثم أشار الى أن رحمته لاتقتضى ترك صاحب الكبائر بل التجاوز عن صاحب الصغائر اذا اجتنب الكبائر فقال (ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) وهى التى رتب عليها الحد أو أوعد عليها صريحا وقد قيل أكبر الكبائر الشرك بالله وأصغر الصغائر حديث النفس ومابينهما أوساط وعن النبى صلى الله عليه وسلم انها سبع الاشراك بالله وقتل النفس التى حرم الله وقذف المحصنة وأكل مال اليتيم والزنا والفرار من الزحف وعقوق الوالدين (نكفر عنكم سيآتكم و) من كمال رحمتنا (ندخلكم) مع اجترائكم علينا بالصغائر (مدخلا كريما) وقيل من عن له أمران وذهبت نفسه اليهما بحيث لايتمالك فكفها من أكبرهما كفر عنه ماارتكب لما استحق من الثواب على اجتناب الاكبر ثم أشار الى أن رؤية الشخص فضل أعماله أو حقارة ذنوبه مما يخل باجتناب الكبائر فقال (ولاتتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض) بسبب ترجيح الحسنات أو حط السيآت كما قال به الرجال انا نرجو أن يفضلنا الله

وما تفعلوا من خير فلن تكفروه) اى فلن تجحدوا ثوابه (قوله تهنوا) اى تضعفوا (قوله عز وجل تحسونهم) اى تستأصلونهم قتلا (قوله عز وجل تعولوا) تجوروا وتميلوا وأما قول من قال ألا تعولوا أن لايكثر عيالكم فغير معروف فى اللغة (وقال) بعض العلماء انما أراد ان لايكثر عيالكم أى ان لاتنفقوا على عيال وليس

على النساء بالحسنات فى الآخرة كما فضلنا بالميراث وقالت النساء انا نرجو أن يكون وزرنا نصف وزر الرجال كما ان لنا نصف ميراثهم بل (للرجال نصيب مما اكتسبوا) من حسناتهم لا ضعفه كالسيآت (وللنساء نصيب مما اكتسبن) من سيآتهن لا نصفه كالحسنات فان ترجيح أحد الجانبين دون الآخر تحكم محض (و) لكن (اسئلوا الله من فضله) أن يضاعف حسناتكم وينقص بل يعفو سيآتكم وليس ذلك بطريق التحكم بل (ان الله كان بكل شئ عليما) فيتفضل على من هو مستعد للتفضل عليه ثم أشار الى أن اعطاء الفضل لا ينافى نصيب الاكتساب فان اكتساب الحسنات والسيآت كاكتساب الاموال يكون لكل مكتسب نصيب منها (و) مع ذلك (لكل) من الاموال (جعلنا) من فضلنا (موالى) ولاة لم يكتسبوه بل حصل لهم (مما ترك الوالدان و) مما ترك (الاقربون و) مما ترك (الذين عقدت أيمانكم) فقلتم دمى دمك وحربى حربك وسلمى سلمك وترثنى وأرثك وتعقل عنى وأعقل عنك (فآتوهم نصيبهم) وهو السدس حفظا لايمانكم لا حفظ عليكم ما وعدتكم من اعطاء الفضل بالسؤال وكان هذا فى أول الاسلام طلبا للتقوية بكثرة المحالفين فلما قوى الاسلام نسخ بقوله عز وجل وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض (ان الله كان على كل شئ شهيدا) ينظر من يفى بحلفه فيفى له بفضله ثم أشار الى أن تفضيل الرجال على النساء ليس لفضلهم فى الآخرة بل لان لهم ولاية على النساء فقال (الرجال قوامون) اى لهم المبالغة فى القيام بمصالح النساء وتأديبهن فلهم ولاية (على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) اى بسبب تفضيل الله بعض خلقه على بعض بكمال العقل ومزيد القوة والكامل بنفسه له حق الولاية على الناقص (و) تأكد ذلك (بما أنفقوا من أموالهم) فى مهورهن ونفقاتهن فصرن كالارقاء الذين لا يملكون وان ملكهم السيد لكن لما لم يتحقق الرق اقتصر على نقص الحظ ولكونهم فى معنى السادات وجبت عليهن طاعتهم كما يجب على العبيد طاعة السادات (فالصالحات) من النساء (قانتات) اى مطيعات للازواج ومن طاعتهن أنهن (حافظات للغيب) اى لما غاب عن أزواجهم من أموالهم وفروجهن مستعينات (بما حفظ الله) اى بحفظه مخافة أن يغلب عليهن نفوسهن وان بلغن من الصلاح ما بلغن (و) من قوامية الرجال ان (اللاتى تخافون) بظهور العلامة (نشوزهن) اى عصيانهن (فعظوهن) اى خوفوهن بالقول كاتق الله واعلمى أن طاعتك لى فرض عليك (و) ان لم ينزعن (اهجروهن فى المضاجع) اى ولوهن ظهوركم أو اعتزلوهن فى فراش آخر (و) ان لم ينزعن بذلك (اضربوهن) ضربا غير مبرح (فان أطعنكم) فى أثناء هذه الافعال (فلا تبغوا عليهن سبيلا) لباقيها ولا للطلاق ولا تغتروا بعلوكم (ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم) أيها الحكام (شقاق بينهما) اى مخالفة مفرقة بينهما واشتبه عليكم أنه من جهته او من جهتها ولا يفعل الزوج الصلح ولا الصفح ولا الفرقة ولا تؤدى المرأة الحق ولا الفدية (فابعثوا حكما من أهله) اى أقاربه اذ هم أعلم ببواطن الاحوال (وحكما من أهلها) لئلا يميل الاول الى جانبه وهذا على سبيل الاستحباب ويجوز هذا من جانب الاجانب (ان يريدا) أى

ينفق على عيال حتى يكون لا عيال فكأنه أراد ذلك أدنى الا تكونوا ممن يعول قوما (قال أبو عمرو وأخبرنا ثعلب عن على بن صالح صاحب المصلى عن الكسائى قال من العرب من يقول عال يعول اذا كثر عياله وأخبرنا أبو عمرو بن الطوسى عن اللحيانى مثله) (قوله عز وجل تغلوا فى دينكم) اى تجاوزوا الحد

الحكمان (اصلاحا يوفق الله) اى يوقع الله الوفاق (بينهما) ويستقلان بذلك ويتوكلان فى
الخلع والطلاق ويجب عليهما أن يخلوا ويستكشفا عن حقيقة الحال فيعرفا ان رغبته فى
الاقامة أو المفارقة (ان الله كان عليما خبيرا) بظواهر الحكمين وبواطنهما ان قصدا افسادا
يجازيهما عليه والايجاز هما على الاصلاح ثم أشار الى أن الفضل الاخروى ليس بهذه
القوامية ولا بسائر الفضائل الدنيوية بل بعبادة الله مع توحيده وبالاحسان الى خلقه فقال
(واعبدوا الله) فان عبادتكم اياه تقربكم اليه (و) شرط تقريبها اليه أن (لا تشركوا به
شيأ) من الشرك الجلى والخفى للنفس وشهواتها وما يتوصل به اليها من المال والجاه هذا مع
الله (و) اما مع الخلق فاحسنوا (بالوالدين احسانا) يفى بحق تربيتهما فانه شكر لهما يدعو الى
شكر الله المقرب اليه مع ما فيه من صلة أقرب الاقارب الموجب لوصلة الله وقطعها القطعه
(وبذى القربى) اى الاقارب ليكون صلة مقربة اليه (واليتامى والمساكين) ترحما عليهم
مستوجبا لرحمته عز وجل (والجار ذى القربى) اى الذى قربت داره (والجار الجنب) اى
الذى بعدت داره لان لهما قربا حسيا فاشبها ذوى القربى (والصاحب) فى الخيرات (بالجنب)
فانه كالجار (وابن السبيل) اى المسافر فانه كاليتيم لانقطاعه عن أهله (وما ملكت أيمانكم)
فانهم كالمساكين اذ لا يملكون شيأ وكيف تكون الفضائل الدنيوية بدون عبادة الله
والاحسان الى خلقه فضائل أخروية مفيدة للتقرب اليه موجبة لرحمته وهى موجبة
للخيلاء والفخر ولا يتم الا بالبخل أو الانفاق رياء (ان الله لا يحب من كان مختالا) اى متكبرا
يأنف عن عبادة الله (فخورا) لا يبالى بخلقه ولا يحسنون الى الخلق لانهم (الذين يبخلون و) لا
يكونون سبب الاحسان أيضا اذ (يأمرون الناس بالبخل و) يبالغون فيه حتى انهم (يكتمون
ما آتاهم الله من فضله) بل يكفرون بكونه من فضله أو ينسبونه الى اكتسابهم (وأعتدنا
للكافرين) المستهينين بنا بنسبة الفضل الى غيرنا (عذابا مهينا والذين) لا يبخلون منهم انما
(ينفقون أموالهم رئاء الناس) فلا يقبل احسانهم لان رياءهم يدل على تفضيلهم الخلق على
الله ورؤيتهم على ثوابه (و) هو دليل انهم (لا يؤمنون بالله) الذى يتقرب اليه (ولا باليوم
الآخر) الذى هو يوم الجزاء (و) كيف يقرب هذا الاحسان من الله وهو مقرب الى
الشيطان (من يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا وماذا) اى أى ضرر من فوات تعظيم
الخلق أو فوات حطام من جهتهم يغلب (عليهم لو آمنوا بالله) فلم يرجوا الخالق عليه (واليوم
الآخر) فلم يرجوا تعظيمهم وحطامهم على ثوابه (وأنفقوا مما رزقهم الله) طلبا لرضاه وأجر
آخرته وأى فائدة لهم فى علم الخلق (وكان الله بهم عليما) وأى ضرر فى فوات تعظيم الخلق وفوات
حطامهم مع ايفاء الله تعالى ثوابهم (ان الله لا يظلم مثقال ذرة) فى محل الغضب بالافراط فى
التعذيب (و) لكنه يفرط فى محل الرضا فانه (ان تك) ذرتهم (حسنة يضاعفها ويؤت) زيادة
على الاضعاف (من لدنه) مما يناسب عظمته (أجرا عظيما) ولو كانوا مرائين من حياء الناس
أو تاركين الايمان بالله ورسوله من ذلك (فكيف) حالهم فى الحياء (اذا جئنا من كل أمة

(قوله وترفعوا عن الحق (قوله عز وجل تستقسموا بالازلام) اى تستفعلوا من قسمت أمرى (قوله تعالى تنقمون منا) اى تكرهون منا وتنكرون (قوله تبوء باثمى واثمك) اى تنصرف بهما اذا قتلتنى وما أحب أن تقتلنى فان قتلتنى أحببت أن تنصرف باثم قتلى واثمك الذى من أجله لم يتقبل قربانك فتكون من أصحاب النار (قوله تصغى اليه) اى

بشهيد) يشهد عليها بين الاولين والآخرين بقبائحهم (وجئنابك) اذا كذبت الامم
الشهداء (على هؤلاء) الشهداء (شهيدا) يزكيهم ويصدقهم (يومئذ يود) من افراط الحياء
(الذين كفروا) حياء من قومهم (و) لم يستحيوا من الله بعد ارساله الرسول يأمرهم
بالحياء منه فلم يستحيوا منه ولا من الرسول اذ (عصوا الرسول) الذى هو أولى بالاحتشام
والحياء منه دون سائر الناس الذين هم كالانعام (لو) صاروا ترابا بحيث (تسوى بهم الارض)
لكان أتم لهم عزة من الهوان الذى يلحقهم من فضائحهم كيف (ولا يكتمون الله حديثا) من
أحاديث أنفسهم فضلا عن ظواهر أفعالهم ثم أشار الى أن مما يستحيا من الله الصلاة حال
الغفلة أو الجنابة أو الحدث فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الحياء من الله ومن
الحياء منه ان (لا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى) لا تعلمون ما تخاطبونه فالحياء من الله يوجب
ترك ذلك (حتى تعلموا ما تقولون) نزلت فيمن تقدم بهم حين لم يحرم الخمر فقرأ أعبد ما تعبدون
(ولا) تقربوا الصلاة ولا موضعها وهو المسجد الذى يبنى لها (جنبا الا عابرى سبيل) مارين
بلا لبث وتأويله بالمسافر يوجب التكرار (حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى أو) راكبين
(على) ظهر (سفر) جنبا (او) محدثين (جاء أحد منكم من الغائط) وفى معناه خروج شئ
من أحد السبيلين (أو لمستم النساء) أو لمسنكم بدليل لامستم فى قراءة أخرى والمراد تلامس
البشرتين اذ هو سبب الخروج (فلم تجدوا ماء) اى ما لم تتمكنوا من استعماله فلا تستحيوا من
الله بل اعتذروا اليه بمزيد التذلل (فتيمموا) اى اقصدوا (صعيدا) اى ترابا ذا غبار وان
فسر بما على وجه الارض يقيد به لقوله منه فى المائدة (طيبا) اى طاهرا (فامسحوا
بوجوهكم وأيديكم) اذ تذليل الرأس افراط وتذليل الرجلين تفريط (ان الله كان عفوا)
اى مجاوزا عنكم ترك الحياء فى الصلاة جنبا أو محدثين (غفورا) اى ساتر القبح جنابتكم
وحدثكم ثم أشار الى ان ترك أهل الكتاب الحياء من الله من وجوه فقال (ألم تر) اى ألم تعلم يقينا
كأنه رأى العين بالنظر (الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) لتدعوهم الى الايمان
المستوجب للحياء من الله ومن الناس كيف لا يستحيون من الله اذ (يشترون الضلالة) اى
يستبدلون الرشا المضلة بهدى الله (ويريدون) من عدم حيائهم من الناس (أن تضلوا
السبيل) من قولهم بعد ما أراه الله اياكم (و) اعلمكم بعد اوتهم اذ (الله أعلم بأعدائكم)
فلا بد أن يعلمكم لئلا يؤثر قولهم فيكم (و) لو لم يعلمكم (كفى بالله وليا) يلى أمركم فلا
يؤثر فيكم تلبيسهم (و) لو جادلوكم أو قاتلوكم (كفى بالله نصيرا) ولا يكفيكم ولاية الغير
ولا نصره لانهم (من الذين هادوا) اى المشهورين بالتقدم فى العلم مع تلبيسهم اذ
(يحرفون الكلم) بصرفه (عن مواضعه) بالتأويل الباطل أو بتغيير اللفظ (ويقولون)
استخفافا بالنبى ليوهموا انه لو كان نبيا لم يستخفوا به (سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك
(و) يقولون أبلغ من ذلك وهو (اسمع) منا (غير مسمع) منك (و) يقولون أبلغ من ذلك وهو
(راعنا) يريدون اسم الفاعل من الرعونة وهو الحماقة ويخيلون انا أردنا ارعنا بسمعك اى

تميل اليه (قوله تبارك اسمه
تبخسوا) تنقصوا (قوله
تلقف) وتلقم وتلهم بمعنى
واحد اى تبتلع ويقال
تلقفه والتقفه اذا أخذه
أخذا سريعا (قوله تجلى
ربه للجبل) اى ظهر وبان
ومنه والنهار اذا تجلى فمعناه
ظهر وبان (قوله تأذن ربك)
اى أعلم ربك وتفعل أتى
بمعنى أفعل كقولهم
وعدنى وتوعدنى (قوله عز
وجل فلما تغشاها) علاها

اصرف سمعك الى كلامنا يقصدون (ليا) اى صرفا للكلام من وجه الى وجه (بألسنتهم) مع استقرارهم على الوجه الفاسد بالقلوب (و) يقصدون بذلك (طعنا فى الدين) اذ يقولون لاصحابه نحن نشتمه ولا يفهم ولو كان نبيا لفهم لكنهم علموا نبوته (و) علموا (لو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع) مناشبها اتنا التزيلها (وانظرنا) بدل راعنا المحتمل للمعنى الفاسد (لكان خيرا لهم وأقوم) فى الدنيا بحقن أموالهم ودمائهم وعلو رتبتهم باحاطة الكتب السماوية وفى الآخرة بضعف الثواب (ولكن لعنهم الله) اى طردهم عن رحمته فمنعهم من التكلم بما يوجبها (بكفرهم) ببعض ما فى كتبهم وان ادعوا الايمان بها (فلا يؤمنون) بما فيها (الا قليلا) وهو ما وافق أهويتهم دون ما خالفها (يا أيها الذين أوتوا الكتاب) لتؤمنوا به نظرا الى معجزات من أتى به (آمنوا بما نزلنا) اى بالغنا فى اعجازه بتنزيله مفرقا فعجز الكل عن الاتيان بمفرقاته مع تضمنه وجها آخر من الاعجاز وهو كونه (مصدقا لما معكم) وان جعلتموه مكذبا له بتحريفه (من قبل أن نطمس وجوها) نمحو تخطيط صورها (فنردها على) هيئة (أدبارها) جزاء على التحريف لبعض الكتاب (أو) نفعل بهم أبلغ من ذلك وهو أن (نلعنهم) اى نطردهم عن الانسانية بالمسخ الكلى جزاء على اعتدائهم بترك الايمان بما هو معجزة فى نفسه مع ايمانهم بما ليس بمعجز (كما لعنا أصحاب السبت) بالمسخ الكلى جزاء على اعتدائهم على السبت الذى هو دون هذا الكتاب المعجز (وكان أمر الله مفعولا) لو اتفقوا على ترك الايمان به ومن لم يفعل به ذلك فى الدنيا مع اصراره على ترك الايمان به فلابد أن يفعل به فى الآخرة بشركه اذ حرف الكلم عن مواضعه ثم نسبه الى الله فكانه جعل نفسه القائلة به الها ونسب خلق المعجزات التى ظهرت على يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى غير الله مع انها لا تتأتى الا ممن له قدرة كاملة وليس الا الاله (ان الله لا يغفر أن يشرك به) كما لا يغفر لملوك الدنيا من أشرك بهم فى ممالكهم (ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) فجاز أن يغفر لكم رشا كم لو آمنتم بمحمد صلى الله عليه وسلم وتحريفكم لو رجعتم الى المنزل وكيف يغفر للمشرك (ومن يشرك بالله فقد افترى) اى قصد (اثما عظيما) تقتضى الحكمة التعذيب عليه بأعظم الوجوه وهو التخليد فى النار ثم أشار الى انهم انما يجترؤن على التحريف وترك الايمان بالكتاب المبالغ فى اعجازه لزعمهم ان سيآتهم مكفرة فقال (ألم تر الى الذين يزكون) اى يطهرون من عند أنفسهم من غير نص الهى (أنفسهم) عن الذنوب اذ يزعمون أن أعمالهم بالليل تكفر بالنهار وبالنهار تكفر بالليل وليس لهم ذلك (بل الله يزكى) بالتنصيص (من يشاء و) قد نص على انهم (لا يظلمون فتيلا) اى مقدار فتيل وهو اسم لما فى شق النواة والقطمير للقشرة التى على النواة والنقير للنقطة التى على ظهر النواة وهو انما يدل على انهم لا يزاد عذابهم على قدر استحقاقهم لكنهم قالوا ما يخالف هذا النص ونسبوه الى الله افتراء على الله (انظر كيف يفترون) اى يتعمدون (على الله الكذب وكفى به) اى بافترائهم على الله (اثما مبينا) لكونهم غير متمكنين من جهة الله ثم أشار الى انهم كما اجترؤا على تحريف كتاب الله اعتمادا على

(قوله تصدية) اى بالنكاح تصفيق وهو أن يضرب احدى يديه على الاخرى فيخرج بينهما صوت (قوله تعالى تفشلوا وتذهب ريحكم) اى تجبنوا وتذهب دولتكم (قوله تعالى تثقفنهم فى الحرب) اى تظفرن بهم (قوله عز وجل تفتنى الا فى الفتنة سقطوا) اى توقعنى ألا فى الاثم وقعوا (قوله عز وجل تزهق أنفسهم) تهلك وتبطل

ما افتروا من كونهم مزكين اجترؤا أيضا على عبادة الاصنام وترجيح دين عبدتهم على دين
الموحدين بذلك أيضا فقال (ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب) الداعى الى التوحيد
وترجيح أهله والكفر بالجبت والطاغوت (يؤمنون بالجبت) اى الاوثان (والطاغوت) اى
الشيطان الداعى الى الطغيان بتعلقه بالاوثان (ويقولون للذين كفروا) اى اشركوا بالله
(هؤلاء أهدى من الذين آمنوا) بالله وحده (سبيلا) نزلت فى حيى بن أخطب وكعب بن
الاشرف خرجا فى جماعة الى مكة يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا أنتم أقرب الى محمد منكم الينا لانكم أهل الكتاب فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا وقال أبو سفيان لكعب انك تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون ولا نعلم فاينا اهدى سبيلا
نحن ام محمد فقال كعب اعرض على دينك قال فنحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء ونقرى
الضيف ونفك العانى ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ومحمد فارق دين آبائه وقطع
الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودينه الحديث فقال كعب أنتم والله أهدى سبيلا مما
عليه محمد (أولئك الذين لعنهم الله) بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه فجرهم الى عبادة
الاصنام وترجيح الشرك على التوحيد (و) لم يدفع عنهم لعنه الله قراءتهم للتوراة لانه (من
يلعن الله فلن تجد له نصيرا) يدفع عنه لعنة الله ألهم نصيب من الدين يأمرونهم بعبادة الجبت
والطاغوت (ام لهم نصيب من الملك) يحفظونه لعبادتهما (فاذا) أى فلو كان لهم ذلك
لافسدوا دينهم ودنياهم لانهم (لايؤتون الناس) كلهم (نقيرا) أى واحدا وهو ما يوازى
نقرة ظهر النواة كما انهم لما كان لهم نصيب من الكتاب لم يعطوا الناس شيأ من الارشاد
مخافة ان يقطع عنهم الرشا أيحاربون الناس على ما آتاهم الله من فضله محاربة الملوك (أم
يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وهو النبوة والرشد فيتمنون زواله مع ان
الفضل الموروث لا يحسد عليه غالبا وفضل محمد صلى الله عليه وسلم موروث (فقد آتينا آل
ابراهيم) الذين هم أسلاف محمد صلى الله عليه وسلم (الكتاب والحكمة) اى العلم الظاهر
والباطن (و) لو زعموا أنهم لا يحسدون ايتاء الكتاب والحكمة بل تملكه علينا المبطل
لرياستنا ورشانا فقد (آتيناهم ملكا عظيما) ليقوموا باصلاح العالم كله وكذلك آتينا محمدا
الكل علم بذلك اليهود كلهم وان اختلفوا (فمنهم من آمن به) فاذعن لعله (ومنهم من) بالغ
فى العناد حتى (صد) الناس (عنه) فكان عنادهم للعلم عناد المنزله موجبا لغضبه المسعر
جهنم عليهم (وكفى بجهنم سعيرا) اى مسعورة عليهم ان لم يعذبوا فى الدنيا وكيف لا وهى لكل
كافر (ان الذين كفروا بآياتنا) بتحريف أو تكذيب للبعض لاستلزامه تكذيب الكل وان
لم يصدوا الغير (سوف نصليهم نارا) ولا صلى الا بتسعيرها وكيف لا تكفيهم وهم يتألمون بها
دائما لانهم (كلما نضجت جلودهم) أى احترقت احتراقا تاما (بدلناهم جلودا غيرها) أى
جعلنا جلودهم المحترقة غير محترقة كأن بدلناها جلودا اخر (ليذوقوا) أى ليحسوا بعد
الاحتراق المانع من الاحساس (العذاب) فيدوم لهم (ان الله كان عزيزا) لا يمتنع عليه

ما يريد

(قوله عز وجـل تزيغ
قلوب فريق منهم) اى تميل
عن الحق (قوله تغيض)
تسيل (قوله عز وجـل
تتلوا) اى تقرأ وتتلو اى
تتبع أيضا (قوله عز وجل
تبلوا) اى تختبر (ترهقهم)
اى تغشاهم ومنه قولهم
غلام مراهق اى قد غشاه
الاحتلام (قوله عز وجل
تغيير) اى تبديل الشئ عن
حاله والابدال جعل الشئ
مكان شئ (قوله تخرصون)
تحدسون وتحزرون

ماير يدمن جعله المحترق غير محترق وغيره (حكيما) فى هذا التبديل اذلا يتم تخليد العذاب الموعود على الكفر الذى لاينزجرون عنه بالعذاب المنقطع وعد الابدمن ايقانه على انه لوجاز كون الوعيد تخويفا لجاز كون الوعد ترغيبا (و) ليس كذلك بل (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم) بمقتضى الوعد الذى لامدخل للخلاف فيه وفاقا (جنات تجرى من تحتها الانهار) كما يجرى من تحت نارهم انهار الدم (خالدين فيها أبدا) خلودهم بتجديد الجلود وهذا وان كان كافيا فى المقابلة يتفضل عليهم فيكون (لهم فيها أزواج مطهرة) اتماما للتلذذ بالجنات والانهار (وندخلهم ظلا ظليلا) لاتنسخه الشمس لئلا تنقص الحرارة شيأ من لذاتهم كما لاينقص الاحتراق شيأ من آلامهم ثم أشار الى ان مما يوجب ادخال الجنات والازواج المطهرة والظل الظليل رد الامانات واقامة العدل فقال (ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها) اذفيه ادخال السرور فى قلوبهم وايصال محبوبهم اليهم واطفاء حرارة قلوبهم (واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل) لانه وان كان فيه ادخال الغم فى قلوب الظلمة وقطع محبوبهم عنهم وايقاد نار غضبهم ففيه ادخال السرور على قلوب المظلومين وايصال محبوبهم اليهم واطفاء نار الفتنة التى بينهم وبين الظلمة (ان الله نعما يعظكم) اى يخوفكم عن ضد ذلك (به) اى بهذا الامر المتضمن للنهى عن الضد (ان الله كان سميعا) لاقوال الحكم فى الامانات والاحكام (بصيرا) بافعال الحكم فيهما فان سمع ورأى خيرا جازاكم عليه خير الجزاء وان سمع ورأى شرا جازاكم عليه حقا لنفسه وراء حق الخلق وكما أمر الحكام بالعدل أمر الرعية بقبوله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم قبول العدل (أطيعوا الله) الذى أسس قواعد العدل (وأطيعوا الرسول) الذى بينها (وأولى الأمر) وهم الحكام وان كانوا (منكم) لايظهر لهم مزيد فضل عليكم اقيامهم بالعدل (فان تنازعتم) انتم وأولوا الامر (فى شئ) من الاحكام (فردوه الى) كتاب (الله و) الى سنة (الرسول) لاالى ماتهوون ولاالى مايهواه الحكام (ان كنتم تؤمنون بالله) الواضع لقواعد العدل (واليوم الآخر) الذى يجازى فيه الموافق والمخالف لتلك القواعد (ذلك خير) لكم ولحكامكم (و) ان رأيتموه شرا فى الحال فذلك (أحسن تأويلا) عاقبة لكم ولهم ثم أشار الى ان اطاعة الله واطاعة الرسول وأولى الامر انما تتم بالتحاكم اليهم لاالى من يدعو الى الطغيان فانه من علامات الكفر فقال (ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) ومقتضى ذلك الانقياد لقواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك بالتحاكم اليك (يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت) اى الداعى الى الطغيان بالحكم على خلاف قواعد المنزل اليك والمنزل على من قبلك (وقد أمروا) فى جميع تلك الكتب (أن يكفروا به) لانه تحاكم على خلاف ما أنزل الله فى كتبه فيعصونه (و) يطيعون الشيطان اذ (يريد الشيطان) من الجن والانس (أن يضلهم ضلالا بعيدا) عن أديان جميع الرسل المنسوخ والناسخ جميعا نزلت فى منافق خاصم يهوديا فدعاه الى النبى صلى الله عليه وسلم لعلمه انه لايرتشى ولايجور والمنافق

(قوله عز وجل تلفتنا) اى تصرفنا والالتفات الانصراف عما كنت مقبلا عليه (تزدرى أعينكم) يقال ازدرى به وازدراه اذا قصر به وزرى عليه اذا عاب عليه فعله (قوله تتبيب) تخسير اى نقصان ومعنى قوله (فما تزيدوننى غير تخسير) اى كلما دعوتكم الى هدى ازددتم تكذيبا فزادت

الى كعب بن الاشرف من شياطين اليهود لعلمه انه يرتشى ثم انهما تحاكما الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فحكم لليهودى فلم يرض المنافق فدعاه الى عمر فقال له اليهودى قضى لى محمد فلم
يرض بقضائه فقال للمنافق أهكذا قال نعم قال مكانكما حتى أخرج اليكما فأخذ سيفه فضرب
عنق المنافق وقال هكذا اقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فقال جبريل ان عمر فرق بين
الحق والباطل فسمى الفاروق (و) يدل على بعد اضلالهم انهم (اذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل
الله) فى الكتب التى تدعون الايمان بها (والى الرسول) القائم بها (رأيت المنافقين يصدون)
أى يمنعون خصومهم فيبعدونهم (عنك صدودا) بليغا ليتمكنوا مما يريدونه بالرشوة ولو دفعوا
عن أنفسهم ضررها فى التحاكم اليك (فكيف) يدفعون ما يصيبهم فى التحاكم الى غيرك بل
غايتهم انهم (اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك وعدم الرضا بحكمك
كقتل عمر المنافق تكلفوا اعتذارا كاذبا (ثم جاؤك يحلفون بالله) كذبا (ان اردنا) أى ما أردنا
بذلك التحاكم (الا احسانا) من الخصم الى صاحبنا (وتوفيقا) بالصلح بيننا وبينه (اولئك)
بعداء عن هذه الارادة وان ذكروها اللك بل فى قلوبهم أن يميل من يتحاكمون اليه الى جانبهم
بالرشوة وهم (الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) من النفاق والميل الى الباطل فهم وان ظهر اسلامهم
وأظهروا اعذارهم بحلفهم (فأعرض عنهم) اذ طلبوا القصاص (وعظهم) اى خوفهم من
أن يجرى عليهم أحكام الكفر (وقل لهم) ما يؤثر (فى أنفسهم قولا بليغا) فى التأثير ليصيروا
مجروحين بعد ما صار صاحبهم مقتولا وكيف لا يكون ترك الرضا بحكمه دليل النفاق وهو
مشعر بعدم وجوب طاعته (و) لكن (ما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله) فطاعته
واجبة وانكار وجوبها كفر ثم أشار الى انه لغاية عظم هذا الكفر لا ينبغى لهم أن يعتمدوا
على استغفارهم بل لا بد لهم من طلب الاستغفار من الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا (و) لا
ينبغى لهم أن ييأسوا وان بلغ ذنبهم ما بلغ بل يجب ان يعتقدوا (لو انهم اذ ظلموا أنفسهم) هذا
الظلم العظيم غاية العظم (جاؤك) لطلب الاستغفار منك مع استغفارهم (فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول) فكان استغفاره عليه السلام شفاعة لقبول استغفارهم (لوجدوا) أى لعلموا (الله
توابا) أى قابلا لتوبتهم (رحيما) أى متفضلا عليهم بالرحمة وراء قبول التوبة لكنهم لا يبالون
باستغفارك ويستمرون على عدم رضاهم بحكمك (فلا) ايمان لهم فى الحال (وربك لا يؤمنون)
فى الاستقبال (حتى يحكموك) أى يجعلوك الحاكم لا غيرك (فيما شجر) أى اختلط (بينهم)
لتصفى قلوبهم (ثم لا يجدوا فى أنفسهم) اى باطنهم (حرجا) أى ضيقا (مما قضيت) اى من كراهتهم
حكمك (ويسلموا) اى يذعنوا لحكمك (تسليما) تاما فالنفاق انما يرتفع بالكلية حينئذ ولا
تبقى منه بقية فى قلوبهم بجرهم الى استكماله فيما بعد لرسوخه فى قلوبهم غاية الرسوخ ثم أشار
الى ان التسليم الكلى انما يكون بالاذعان لامر قتل النفس أو لامر الخروج من الديار
(و) لكن (لو أنا كتبنا عليهم) جازمين (ان اقتلوا أنفسكم أو) أمرناهم مما يقرب منه وهو ان
(اخرجوا من دياركم ما فعلوه) بل نافق من لا ينافق اليوم (الا قليل منهم) لكمال اخلاصهم

واذ

قوله عز وجل
خسارتكم (قوله عز وجل
تركنوا الى الذين ظلموا)
اى تطمئنوا اليهم وتسكنوا
الى قولهم ومنه قوله عز
وجل لقد كدت تركن
اليهم (قوله عز وجل
تعبرون) اى تفسرون
الرؤيا (تأويل الاحاديث)
تفسير الرؤيا (قوله عز وجل
تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله) اى رغبت عنها والترك
على ضربين أحدهما

واذعانهم ولذلك لا تأمرهم الا بما يسهل عليهم ومع ذلك يخرجون لمخالفة أهويتهم (ولو انهم فعلوا ما يوعظون به) أي يخوفون بالامر به عن تركه (لكان خيرا لهم) من حصول أهويتهم لانه سبب فوات الباقي الشريف بالفاني الخسيس (وأشد تثبيتا) لدينهم ودنياهم اذ يخاف من متابعة الهوى الجرة الى الكفر والحاكم اذا مال الى الرشوة ربما يكون الخصم أكثر اعطاء لها (و) لا نقتصر في حقهم على حظ الباقي من ثواب سائر الاعمال بل (اذا لآتيناهم من لدنا) مما يناسب عظمتنا (أجرا عظيما) في الدنيا والآخرة على اذعانهم لاحكامنا (ولهديناهم صراطا مستقيما) يكون سببا لعظم الاجر من وجوه كثيرة ثم أشار الى انه يحصل لهم مع الاجر مراتب القرب فقال (ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم) بالتقرب منه (من النبيين) الذين أنبأهم الله أكمل الاعتقادات والاحكام وأمرهم بانبائها الخلق كلا بمقدار استعداده وهذا لمن جاوز حد الكمال الى التكميل (والصديقين) الذين كملت مطابقة علومهم لتلك الاعتقادات والاحكام لمشاهدتهم لها في مشكاة النبوة عن قرب وكملت مطابقة أعمالهم الظاهرة والباطنة لها وهذا لمن كان في أعلى مراتب الكمال ولم يبلغ حد التكميل (والشهداء) الذين شاهدوا الحقائق عن بعد وهذا لمن كان في أوسط درجات الكمال (والصالحين) الذين صلحت اعتقاداتهم وأعمالهم لافادة النجاة وهذا لعامة أهل الطاعة (وحسن أولئك رفيقا) في قطع منازل مزيد القرب من الله (ذلك) الرفق هو (الفضل من الله) بعد انقطاع أسباب العمل (وكفى بالله عليما) بمقداره هذا الفضل لا يعلمه غيره لانه أمر غير متناه فلا يصل اليه علم الخلائق المتناهي ثم أشار الى ان اجل الطاعات الموجبة مرافقة المذكورين الجهاد الذي هو قتل النفس والخروج عن الديار الى مكان الاعداء وقدم التحرز عن القاء النفس في التهلكة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم جهاد الاعداء وقدموا وقاية ابدانكم (خذوا حذركم) أي ما تحترزون به المطاعن من الدروع والتروس والاسلحة (فانفروا) أي اخرجوا (ثبات) أي متفرقين سرية بعد سرية اظهارا للجراءة (أو انفروا جميعا) ايقاعا للمهابة بتكثير السواد ومبالغة في التحرز عن الخطر (وان منكم) يا جماعة المبالغين في التحرز (لمن) والله (ليبطئن) اي ليتأخرن عن الخروج مع الجماعة أيضا زيادة عن حد التحرز لنفاقه (فان أصابتكم مصيبة) قتل أو هزيمة (قال) معجبا برأيه (قد أنعم الله علي) بهذا الرأي اذ لم يصبني ما أصابهم (اذ لم أكن معهم شهيدا) اي حاضرا للحرب (ولئن أصابكم فضل) فتح وغنيمة (من الله ليقولن) تحسرا على رأيه بحيث لا يعارضه فرح ما حصل لاخوانه لانه لا يعتد بمودتهم بل يرى (كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز) بالغنيمة واسم الشجاعة (فوزا عظيما) فهؤلاء انما يقاتلون في سبيل الغنيمة ويرونها كل الفوز فاذا فقد وها رأوه في حياتهم الدنيوية (فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون) أي يبيعون (الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل) فيتحقق بيعه (أو يغلب) فانه وان لم يؤد المبيع الى الله تعالى لكنه لما قصده صار كالمؤدي (فسوف

مفارقة ما يكون الانسان فيه والآخر ترك الشئ رغبة عنه من غير دخول كان فيه (قوله تعالى تبتئس) اى تفتعل من البؤس وهو الفقر والشدة اى لا يلحقك بؤس بالذي فعلوا (قوله تالله) بمعنى والله قلبت الواو تاء مع اسم الله دون سائر أسمائه (قوله عز وجل تفتؤا تذكر

نؤتيه) على قصده بذل مهجته فى سبيل الله (أجرا عظيما) لانسبة لاجور الدنيا وحياتها ولالاجور أكثر الاعمال اليها ثم أشار الى ان الله عزوجل لولم يعدكم الاجر العظيم لوجب عليكم القتال فقال (ومالكم لاتقاتلون فى سبيل الله) وهو بنفسه سبب التقرب اليه وهو أجل من جميع الاجور (و) فى استخلاص (المستضعفين) الذين هم كانفسكم وهم المسلمون الذين بقوا بمكة لضعفهم عن الهجرة (من الرجال) الضعفاء بالمرض أو الهرم (والنساء والولدان الذين يقولون) من ايذاء أهل مكة واذلالهم اياهم (ربنا أخرجنا من هذه القرية) وان كانت أشرف البقاع (الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا) يحفظ علينا ديننا (واجعل لنا من لدنك نصيرا) يدفع عنا اذيات اعدائنا (الذين آمنوا) لاقتضاء ايمانهم سلوك سبيل الله وحفظه والترحم على أهله (يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت) أى الشيطان الآمر بغاية الطغيان كايذاء المستضعفين من المؤمنين وقتال اقويائهم بمحبة الشيطان (فقاتلوا) يا احباء الله (أولياء الشيطان) الذين يعادون الله لعداوته ولا تبالوا بكيده وان بالغ فى الكيد لاوليائه (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) لانسبة له الى كيد الله بكم ثم أشار الى انهم لم يكونوا يبالون لهم زمان ضعف حالهم فلما قويت حالهم ضعفوا فقال (ألم ترالى الذين قيل لهم) عند استئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال قبل الهجرة وهم بمكة (كفوا أيديكم) عن القتال فانكم لم تؤمروا به لضعفكم (واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة) فانهما جهاد أكبر (فلما كتب عليهم القتال) حين قوى حالهم (اذا فريق منهم) لرؤيته ضعفهم الآن ولم يروه قبل ذلك (يخشون الناس) فى القتال (كخشية الله) فى تركه فيترددون بينهما (أو أشد خشية) فيرجحون تركه (وقالوا) معترضين على الله (ربنا لم كتبت علينا القتال) مع انا ضعفاء وان رأيت قوتنا تزداد يوما فيوما (لولا أخرتنا الى أجل قريب) يكمل فيه قوتنا (قل) لكم قوة كافية ولكنكم تخافون فوات متاع الدنيا مع انه لا ينبغى لكم ان تبالوا له عند أمر الله بالقتال اذ (متاع الدنيا قليل) مع انه يحصل بدله الحياة الاخروية (والآخرة خير لمن اتقى) الله فيرجح خشيته على خشية الناس (ولا تظلمون) اى لا تنقصون من أجوركم ولا من أعماركم ومتاعكم (فتيلا) اى مقدار شق النواة ولا يتوقف موتكم عند الاجل على القتال بل (أينما تكونوا) أى فى أى مكان تكونوا عند الاجل (يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج) اى حصون (مشيدة) مرفوعة مستحكمة لايصل اليها القاتل الانسانى لكنها لاتمنع القاتل الالهى وان أنكرتموه اذ لاتنسبون اليه الشر وانما تنسبون اليه الخير (و) ذلك لانهم (ان تصبهم حسنة) كخصب (يقولوا هذه من عند الله) اى من قبله (وان تصبهم سيئة) كقحط (يقولوا هذه من عندك) بشؤمك قالت اليهود منذ دخل محمد المدينة نقصت ثمارها وغلت أسعارها (قل كل) من الحسنة والسيئة (من عند الله) ايجادا اذ الاله واحد فيجب أن يتحد فاعل الخير والشر وقد علوا ذلك (فمال هؤلاء القوم) الذين يزعمون انهم

يؤمنون

يوسف) اى لاتزال تذكر يوسف وجواب القسم لا المضمرة التى تأويلها تالله لاتفتأ (قوله تحسسوا) وتجسسوا بمعنى واحد اى تبحثوا وتخبروا (قوله تثريب) اى تعيير وتوبيخ (قوله تغيض الارحام) اى تنقص عن مقدار الحمل الذى يسلم معه الولد يقال غاض الماء اذا نقص وغيض اذا نقص منه (قوله تهوى اليهم) اى تقصدهم

يؤمنون بوحدة الصانع (لا يكادون يفقهون حديثا) ينطقونه فلا يعلمون ما فيه من نقص
الاقرار بوحدة الصانع ولو زعموا انا ننظر الى الاسباب نقول (ما أصابك من حسنة فمن الله)
ابتداء اذ الطاعات لا تكافئ نعمة الوجود فكيف تقتضى الزيادة (وما أصابك من سيئة فمن)
شؤم معاصى (نفسك) لا من شؤم معاصى الغير اذ هو خلاف مقتضى العدل الالهى ولو أثر
شؤم أحد فى غيره فمن أين يتصور لك الشؤم (و) قد (أرسلناك) نافعا (للناس) اذ جعلناك
(رسولا) داعيا فى العموم الى الخيرات فأنت منشأ كل خير ورحمة (و) ان أنكروا رسالتك
وزعموا ان السيئة من شؤم افترائك على الله (كفى بالله شهيدا) بصدقك اذ صدقك باظهار
المعجزات على يديك واذا ثبت رسالتك فاليمن فى طاعتك والشؤم فى مخالفتك لان (من يطع
الرسول فقد أطاع الله) واطاعة الله والرسول لليمن (ومن تولى) كان له من الشؤمية ما لا يقدر
على دفعها فأنت وان أرسلت لعموم الرحمة (فما أرسلناك عليهم حفيظا) عن المعاصى المستلزمة
للشؤم (ويقولون) اى المنافقون لدفع شؤمهم من هذا الوجه الحاصل منا (طاعة) وهم انما
يقولونه اذا كانوا عندك (فاذا برزوا) اى خرجوا (من عندك بيت) اى فعلت على اخفاء
منك (طائفة منهم غير الذى تقول و) لا يقتصر على مخالفة القول بالقول أو باضمار الخلاف
بل (الله يكتب) اى يثبت (ما يبيتون) ليؤثر شؤمها فيهم واذا نسب الله اليهم الشؤم
ونسبوه اليك (فاعرض عنهم) فلا تبال لنسبتهم (وتوكل) فى دفعها (على الله) لئلا تنهتك بها
فى قلوب الخلائق (وكفى بالله وكيلا) فى دفعها وان بالغوا فى اشاعتها (أ) ينكرون نبوتك
وينسبون اليك الافتراء على الله المستلزم للشؤم (فلا يتدبرون القرآن) ليعرفوا اعجازه
الذى لا دخل للسحر فيه من موافقته للعلوم واشتماله على فوائد منها وكمال حججه وبلاغته
العليا وموافقة أحكامه للحكمة واخباره الماضية لكتب الاولين والمستقبلة للواقع
(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) من مخالفة العلوم الكثيرة ومخالفة
فوائده لها والتناقض فيها وبلوغ بعض حججه حد التمام دون البعض وموافقة بعض
أحكامه للحكمة دون البعض وبعض أخباره الماضية لكتب الاولين دون البعض وبعض
أخباره المستقبل للواقع دون البعض (و) لو وجدوا فيه اختلافا لافشوه لما علم من عاداتهم
انهم (اذا جاءهم) من سرايا الرسول (أمر من الامن أو الخوف) تحدثوا به حتى (أذاعوا به)
اى أفشوه وكان مفسدة لهم (ولو ردوه الى) رأى (الرسول والى) كبار الصحابة (أولى الامر
منهم لعلمه) اى التدبر فيه (الذين يستنبطونه) اى يستخرجونه استخراج النبط وهو الماء
من البئر فلو وجدوا فى القرآن ما يوهم الاختلاف لوجب عليهم استفسار الرسول والعلماء
الذين هم أولو الامر ليعلمه (منهم) المجتهدون فى استنباط وجوه التوفيق (ولولا فضل الله عليكم
ورحمته) بارسال الرسول وخلق أولى الامر المستنبطين للتدابير ووجوه التوفيق (لاتبعتم
الشيطان) من عجزكم مع الكفرة المختالين وحيرتكم فى مواضع توهم الاختلاف (الا قليلا)
فيتحملون اذية الكفار ويفوضون فى مواضع التوهم الامر الى الله ولم يأخذوا بالاوهام

وتهوى اليهم تحبهم
وتهواهم (قوله تسرحون)
اى ترسلون الابل غداة
الى الرعى وتريحون تردونها
عشيا الى مراحها (قوله
عزوجل تميد) تحرك
وتميل (قوله تبارك اسمه
وألقى فى الارض رواسى
أن تميد بكم) اى لئلا تميد
بكم (قوله تخوف)
اى تنقص (قوله عزوجل

الناسدة واذا عجزوا عن معارضة القرآن بما يلزمهم من كثرة الاختلاف ولم يظهر عجزهم عن القتال مع ان فى تركه متابعة الاكثرين للشيطان (فقاتل فى سبيل الله) وان لم يساعدك احد اذ (لا تكلف الا نفسك و) لكن (حرض المؤمنين) اى رغبهم فاحملهم على القتال (عسى الله أن) يعجزهم كما عجزهم بالقرآن بان (يكف) اى يمنع عن التأثير (بأس) اى شدة (الذين كفروا) مع بقاء شدتهم فى أنفسها (و) لو بقى لها أثر فى أنفسها لم يبق لها مع بأس الله اذ (الله أشد بأسا) اى صولة (و) لا يبعد أن يشتد بأسه عليهم وهم قد استحقوا اشدة العذاب وهو (أشد تنكيلا) اى تعذيبا ثم أشار الى ان التحريض على القتال شفاعة فى تكثير الكبائر ورفع الدرجات فقال (من يشفع شفاعة حسنة) كحمل المؤمنين على قتال الكفار (يكن له نصيب منها) اذ يحصل له مثل أجر المجاهد (ومن يشفع شفاعة سيئة) كحمل الكفار على قتال المؤمنين (يكن له كفل منها) اى يحصل له مثل وزر من عمل بها (وكان الله) غالبا (على كل شئ مقيتا) اى معطيا قوة كل واحد من العامل والحامل على العمل من الاجر أو الوزر من غير أن ينقص من اجر صاحبه أو وزره شيأ ثم أشار الى انه كما يكون للشفيع نصيب من شفاعته يكون للمحيي نصيب من تحيته لانه يتوصل بها الى المودة كالشفيع لنفسه فقال (واذا حييتم) اى اذا سلم عليكم فدعى لسلامة حياتكم وصفاتكم التى بها كمال الحياة (بتحية) فقيل السلام عليكم (فحيوا بأحسن منها) بان تقولوا وعليكم السلام ورحمة الله ولو قالها المسلم زيد وبركاته (أو ردوها) فقولوا مثل ما قال أداء لحقه فانه محسوب عليكم لو لم تردوه ولو زدتم حوسب فى أجوركم (ان الله كان) ناظرا (على كل شئ حسيبا) معطيا للجزاء بحسب الحقوق والزيادات اذ يقتضيه كمال جوده لكمال ذاته وصفاته لانه (الله) الجامع للكمالات بحيث لا يشاركه فيها اذ (لا اله الا هو) وكماله يقتضى تكميل الاشياء بظهوره فيها ولا يتم الا بظهور جمعيته ولا يظهر الا يوم القيامة لغاية سعته دون الدنيا الضيقة لكن القيامة مرتبة على الدنيا والبرزخ فوالله (ليجمعنكم) فى الدنيا والبرزخ (الى يوم القيامة) المقتضى ظهور جمعيته لذلك (لا ريب فيه و) هو وان لم ينته الى حد الايجاب لكن أوجبه اخبار الله عنه لانه (من أصدق من الله حديثا) لانه عبارة كلامه الازلى الذى لا دخل للكذب فيه لانه نقص والغير وان دلت الدلائل على صدقه فكذبه ممكن اذا لم ينظر اليها ولما كان الامر الاخروى مرتبا على الدنيا لم يخل عن مظهر كامل كالرسول والولى وا كمل مظاهره أكمل الرسل وأكمل الامم فى المظهرية أمته فحقكم ان تكونوا اعلم ما فى العالم وشهداء الله فى أرض الله (فما) ذا عرض (لكم) اذ افترقتم (فى) حق (المنافقين فئتين و) كان حقكم الاجماع على نفاقهم اذ (الله أركسهم) اى ردهم الى الكفر منكوسين (بما كسبوا) من لحوقهم بالكفار وهم الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو لاجتواء المدينة فلم يزالوا يرتحلون مرحلة بعد أخرى حتى لحقوا المشركين (أتريدون) بالقول بيقائهم على الاسلام (أن تهدوا من أضل الله و) لو فرض انكم تقدرون على خلاف مراده لم يكن لكم سبيل الى هدايتهم لانه

تنقيها أطلاله) اى ترجع من جانب الى جانب (قوله تقف ماليس لك به علم) اى تتبع مالا تعلم ولا يعنيك (قوله تبذير) اى تفريق ومنه قولهم بذرت الارض اى فرقت البذر فيها اى الحب والتبذير فى النفقة هو الاسراف فيها وتفريقها فى غير ما أحل الله قوله عز وجل ان المبذرين كانوا

(من يضلل الله) مع كمال جوده (فلن تجد له سبيلا) الى الهداية والالاوجده الله فهداه
بمقتضى كمال جوده وكيف يكون لهم اليها سبيل وقد أرادوا عموم الضلالة لانهم (ودوا
لو تكفرون) اى احبوا كفركم (كما كفروا) اى مثل كفرهم بعد الايمان (فتكونون
سواء) لاتعارضون ولاتقاتلون واذا كانوا يودون كفركم (فلا تتخذوا منهم أولياء) لئلا
يفضى الى كفركم وان أظهروا لكم الايمان طلبا لموالاتكم (حتى يهاجروا) من دار الكفر
(فى سبيل الله) لافى سبيل الشيطان لقتال المسلمين (فان تولوا) عن الهجرة فهم وان أظهروا
لكم الاسلام مع قدرتهم على الهجرة فافعلوا بهم ماتفعلون بالكفار لانه زال عنهم حكم النفاق
بلحوق دار الكفر (فخذوهم) اى اسروهم (واقتلوهم حيث وجدتموهم) فى دار الكفر
أو خارجين عنها الا للهجرة الى دار الاسلام (ولاتتخذوا منهم وليا) وان أظهروا لكم موالاتهم
(ولا نصيرا) وان زعموا انهم يدفعون عنكم الكفار ثم استثنى عن اسر المرتدين وقتلهم
بقوله (الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد بهدنة أو امان لئلا يفضى الى
قتال من وصلوا اليهم فيفضى الى نقض الميثاق كخزاعة واسلم وادع عليه السلام هلال بن عويمر
الاسلمى خروجه الى مكة على ان لايعينه ولايعين عليه ومن لجأ اليه فله من الجوار مثل ماله
(او) يصلون الى قوم لاعهد لهم ولكن (جاؤكم) تاركين للقتال مع قوتهم عليه لانه (حصرت)
اى ضاقت (صدورهم) لرؤيتهم عجزهم عن (أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم) من أجلكم
وهم بنو مدلج فمنع من قتال من وصل اليهم لانه يفضى الى قتالهم المظهر لقوتهم الخفية
(و) ذلك لكونهم أقوياء فى أنفسهم بحيث (لو شاء الله لسلطهم عليكم) ولو قاتلتموهم (فلقاتلوكم
فان اعتزلوكم) بعد لحوق المرتدين بهم وتقويتهم لهم (فلم يقاتلوكم) وان ظهرت لهم بعض القوة
(و) لم يعينوا مقاتلا بل (القوا اليكم السلم) الانقياد الذى كانوا عليه قبل ظهور القوة لهم
(فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فى الاسر والقتل اذ لاضرر منهم فى الاسلام لافى الحال ولا
فى الاستقبال وقتالهم يظهر كمال قوتهم بخلاف المتوقع منهم الضرر فى الاستقبال المشار اليهم
بقوله (ستجدون) أقواما (آخرين) هم أسد وغطفان وبنو عبد الدار (يريدون) باظهار الاسلام
لكم (أن يأمنوكم) على أنفسهم (و) باظهار الكفران (يأمنوا قومهم) وليس اظهارهم الكفر
لمحض التقية بل انما يظهرون الاسلام لذلك لانهم (كلما ردوا الى الفتنة) اى الارتداد
(أركسوا فيها) اى ردوا منكوسين كان الرجل منهم يقول له قومه بماذا أسلمت فيقول
آمنت بهذا القرد وبهذا العقرب والخنفساء (فان لم يعتزلوكم) اى لم يتركوا الطعن فيكم
فهم (و) ان (يلقوا اليكم السلم) اى الانقياد فزعموا انا على دينكم (ويكفوا أيديهم)
عنكم فلم يقاتلوكم (فخذوهم) اى أسروهم (واقتلوهم حيث ثقفتموهم) اى وجدتموهم
فى داركم أو دارهم (وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا) اى حجة واضحة من جهة
طعنهم فلا يعبأ بدعواهم الاسلام ولا بالقاء الصلح ولا بكف الايدى لان الطعن ضرر ناجز

اخوان الشياطين الاخوة
اذا كانت فى غير الولادة
كانت المشاكلة والاجتماع
فى الفعل كقولك هذا
الثوب اخو هذا اى يشبهه
ومنه قوله عز وجل
وما نريهم من آية الاهى
أكبر من اختها اى
من التى تشبهها وتؤاخيها
(قوله تعالى تخرق الارض)
اى تقطعها اى تبلغ آخرها
(قوله تهجد) اى اسهر
وهجدتم (قوله تبيعا) اى

وانقيادهم لمحض العجز فيتوقع منهم الضرر فى المستقبل اذا تقووا ثم أشار الى ان المؤمن
لايجوز قتله الا بظهور راجحة عليه من الطعن أو اللحوق بدار الحرب مع القدرة على الهجرة
فقال (و) لولا ذلك (ما كان) يصح (لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا) قتلا (خطأ) وهو عدم الايضاء
القصد الى الفعل أو الشخص أو لا يقصد به زهوق الروح غالبا أو لا يقصد به محظور كرمى
مسلم فى صف الكفار مع الجهل باسلامه أو يفعل غير المكلف (ومن قتل مؤمنا خطأ)
باحد هذه الوجوه فهو وان عفى عنه لكنه لايخلو عن تقصير فى حق الله ولا يهدر دم المؤمن
بالكلية (فتحرير رقبة مؤمنة) اى فالواجب عليه لحق الله اعتاق نفس محكوم عليها
بالاسلام ولو صغيرة ليعتق الله عنه بكل جزء منها جزأ منه من النار (و) لحق ورثته (دية مسلمة)
اى مؤداة (الى أهله) اى ورثته يقسمونها اقتسام الميراث تجب على كل عاقلة القاتل وهم
عصبة غير الاصول والفروع لانه لما عفى عن القاتل فلا وجه للاخذ منه وأصوله وفروعه
اجزاؤه فالاخذ منهم أخذ منه ولا وجه لاهدار دم المؤمن فيؤخذ من عاقلته الذين يرثونه
باقوى الجهات وهى العصبة لان الغرم بالغنم فان لم يكن له عاقلة أو كانوا فقراء فعلى بيت المال
فان لم يكن ففى مال القاتل (الا أن يصدقوا) اى أن يعفو الورثة هذا اذا كانت الورثة
مسلمين (فان كان) المقتول خطأ (من قوم عدو لكم) اى محاربين (وهو مؤمن فتحرير
رقبة مؤمنة) لحق الله وهو وان لم يكن مهدر الدم ديته ساقطة اذ لا حق للحربى (وان كان)
المؤمن المقتول خطأ (من قوم) من الكفار (بينكم وبينهم ميثاق) اى عهد من هدنة أو أمان
(فدية مسلمة الى أهله) اذ هم كالمسلمين فى الحقوق بل يقدم حقهم على حق الله لذلك أخر قوله
(وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد) رقبة ولا ما يتوصل به اليها (فصيام شهرين متتابعين)
بحيث لو صام تسعة وخمسين وتعمد بافطار يوم استأنف الجميع لان الخطأ انما نشأ من كدورة
النفس وهذا القدر يزيلها ويفيد التزكية فكانت (توبة من الله) ماحية لاثر خطئه
بالكلية (وكان الله عليما) بمقدار كدورة هذا الخطأ العظيم (حكيما) فى دواء ازالتها واذا
كان للخطأ هذه الكدورة مع العفو عنه فأين كدورة العمد (ومن يقتل مؤمنا متعمدا)
بفعل يقتل غالبا قاصده والشخص (فجزاؤه) ليس ماذكر ولا شئ آخر من شدائد الدنيا بل
(جهنم) لا مدة يسيرة بل طويلة بحيث يقال مجازا انه كان (خالدا فيها) كيف (و) قد (غضب
الله عليه) اذ قتل وليه عمدا (و) أثر غضبه اللعنة لذلك (لعنه) أى أبعده عن الرحمة فلا يكاد
يصل اليها الا بعد مدة طويلة جدا (و) لم يقتصر فى حقه على جميع ذلك بل (أعد له) وراء
ذلك (عذابا عظيما) فوق عذاب سائر الكبائر سوى الشرك وللاحتراز عن قتل المسلم عمدا
لايقتل كل من توهم فيه الكفر كما قال (يا أيها الذين آمنوا) ليس مقتضى ايمانكم من قتل
توهمتم كفره بمجرد كونه فى دار الكفر من غير لحوق بهم بعد الايمان ولا طعن فى الدين لذلك
(اذا ضربتم) أى ذهبتم (فى سبيل الله) الى أرض العدو للغزو (فتبينوا) حال من تقاتلونه
فمن تحققتم كفره فقاتلوه ومن توهمتم ايمانه فاتركوه (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام)

تابعا مطالبا (قوله عز وجل
تزاور) تمايل ولذلك قيل
للكذب زور لانه أميل عن
الحق (قوله عز وجل تقرضهم)
تخلفهم وتجاوزهم (قوله
تعالى تذروه الرياح) تطيره
وتفرقه (قوله تخذت) بمعنى
اتخذت (قوله عز وجل تنفد)
اى تفنى (قوله تؤزهم أزا)
اى تزعجهم ازعاجا (قوله عز
وجل تجهر بالقول) اى ترفع

أى الانقياد لدعوتكم فقال لا اله الا الله وسلم عليكم فحياكم بتحية الاسلام (لست مؤمنا) فى
الباطن وانما قلته باللسان لطلب الامان (تبتغون) أى تطلبون بقتاله (عرض الحيوة الدنيا)
أى ماله الذى هو سريع النفاد مع انه لا اضطرار لكم اليه (فعند الله) لكم (مغانم كثيرة)
تغنيكم عن قتل أمثاله مع عدم اطلاعكم على البواطن ولو جوز قتله لكنتم جائزى القتل أول
ما دخلتم فى الاسلام اذ (كذلك كنتم) لا يعلم مواطأة قلوبكم لالسنتكم (من قبل) أى قبل
ظهور علامات اخلاصكم (فمن الله عليكم) بحقن دمائكم وأموالكم فافعلوا بالداخلين فى
الاسلام مثل ما فعل الله بكم (فتبينوا) حاله بالتوقف الى ظهور علامة الكفر عليه
بالرجوع اليهم أو الطعن فى دينكم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) هل تعملونه للاسلام
أو لاجل المال روى أن سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم غزت أهل فدك فهربوا فبقى
مرداس ثقة باسلامه فلما رأى الخيل الجأ غنمه بعاقول من الجبل وصعد ولما تلاحقوا
وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليكم فقتله
أسامة بن زيد واستاق غنمه فنزلت وفيه دليل على أن المجتهد يخطئ وان خطأه معفو عنه ثم
أشار الى أن وجوب الاحتياط لا ينتهى الى ترجيح ترك الجهاد فقال (لا يستوى القاعدون)
عن الجهاد (من المؤمنين غير أولى الضرر) العمى والعرج والفقر فانهم اذا قصدوا الجهاد
على تقدير السلامة ساووا المجاهدين بالنية ولا يعتد بزيادة أجر العمل لهم لعظم أمر النية
(والمجاهدون فى سبيل الله) لا فى سبيل الشيطان ولا رياء ولا طمعا فى الغنائم (بأموالهم) التى
ينفقونها على أنفسهم فى الجهاد أو على مجاهد آخر (وأنفسهم) وان أنفق عليهم غيرهم
اذا لم يكن عندهم مال وليس نفى التسوية لتفضيل القاعدين لاحتياطهم بل لانه (فضل الله
المجاهدين) لانهم رجحوا جانبه (بأموالهم وأنفسهم) التى هى أعز عليهم من كل شئ (على
القاعدين) غير أولى الضرر (درجة) فى القرب ممن رجحوا جانبه (و) لكن (كلا وعد الله
الحسنى) أى الجنة (و) لكن ليسوا فيها بالتسوية اذ (فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا
عظيما) فوق أجر الايمان وسائر الاعمال حال كونه (درجات منه) من منازل الجنة أشير اليها
بقوله عز وجل ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة الى قوله كتب لهم (ومغفرة)
لذنوبهم كلها غير حقوق المسلمين (ورحمة) فوق الاجر ودرجاته بل درجة القرب المستحقة
بالجهاد كيف (وكان الله غفورا رحيما) لمن لم يجاهد فى سبيله بماله ونفسه فكيف لا يغفر
للمجاهد بهما ولا يرحمه ولما أوهم ما فهم مما تقدم من تساوى القاعدين أولى الضرر
والمجاهدين أن من قعد عن الجهاد لكونه فى دار الكفر محسوب منهم وان عجز عن اظهار دينه
فان لم يحسب فلا أقل من أن يحسب من القاعدين غير أولى الضرر الموعود لهم الحسنى أزيل
ذلك الوهم بأنهم بترك الهجرة من مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع امكان الخروج عنه
صاروا ظالمين مستحقين لتوبيخ الملائكة بل لعذاب جهنم فقال (ان الذين توفاهم الملائكة
ظالمى أنفسهم) بترك الهجرة عن مكان لا يمكنهم فيه اظهار دينهم مع القدرة عليها (قالوا

صوتك (تردى) تهلك (قوله عز وجل تنديا) تفترا (قوله تعالى تظمأ) أى تعطش (قوله عز وجل تضحى) أى تبرز للشمس فتجد الحر (قوله تعالى تبهتهم) أى تفجأهم (قوله تعالى تقطعوا أمرهم بينهم) أى اختلفوا فى الاعتقاد والمذاهب (قوله تبارك تذهل) أى تسلو وتنسى (قوله عز وجل تنفث) أى تنظيف

فيم كنتم) أى فى أى شئ من أمر دينكم كنتم (قالوا كنا) عاجزين عن اظهار الدين اذ كنا
(مستضعفين فى الارض) أى أرض الاعداء (قالوا) لم يلجئكم الاعداء الى مساكنة ديارهم
(ألم تكن أرض الله) التى يمكن فيها اظهار دينه (واسعة فتهاجروا) من مكان الاستضعاف
المسكون (فيها) فاذا اختاروا مكان الاستضعاف (فأولئك مأواهم جهنم) لانهم الذين
ضعفوا أنفسهم (وساءت مصيرا) بدل المصير الى دار الهجرة فهى واجبة على كل من لايمكنه
اظهار الدين بمكان الى مكان يمكنه فيه (الا المستضعفين من الرجال) لعمى أو عرج أو مرض
أو فقر (والنساء والولدان) فانهم معذورون فى تركها لانهم (لايستطيعون حيلة) فى الخروج
(ولا يهتدون سبيلا) أى لايعرفون طريق دار الهجرة (فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم) فيه
اشعار بأن ترك الهجرة أمر خطير حتى ان المضطر حقه أن يترصد الفرصة و يعلق بها قلبه وان
الصبى اذا قدر فلا محيص له عنه وان قوامهم يجب عليهم أن يهاجروا بهم ثم أكد الاطماع
لئلا ييأسوا فقال (وكان الله عفوا غفورا) ثم أشار الى أنه ليس فى حكم الاستضعاف
خوف الادراك فى الطريق أو الوصول الى مكان العدو أو ضيق الرزق فى المهاجر اليه أو
بطلان الاجر بالموت فى الطريق فقال (ومن يهاجر فى سبيل الله) فيه اشارة الى أن المهاجر فى
سبيل الشيطان ليس بموعود بهذه الاشياء (يجد فى الارض مراغما) أى طريقا يراغم فيه أنوف
أعدائه القاصدين ادراكه لانه ليس واحدا بل (كثيرا وسعة) من الرزق (ومن يخرج من
بيته) بخلاف من نوى الهجرة ولم يخرج (مهاجرا) أى مقدرا للهجرة (الى الله) أى الى مكان
أمر الله به (و) أولاه مكان (رسوله ثم يدركه الموت) فى الطريق فلا يخاف فوات أجره وغفران
ذنبه (فقد وقع) أى ثبت (أجره) الكامل لانه نوى مع الشروع فى العمل ولا تقصير منه فى
عدم اتمامه فكأنه وجب (على الله و) غفر ذنبه ورحم غفران الواصل الى دار الهجرة ورحمته
اذ (كان الله غفورا رحيما) قيل لما سمع حبيب بن ضمرة الآية السابقة وهو شيخ كبير
مريض قال ما أنا ممن استثنى الله لانى أجد حيلة ولى من المال مايبلغنى المدينة وأبعد منها
والله لا أبيت الليلة بمكة أخرجونى فخرجوا به يحملونه على السرير حتى أتوا به الى التنعيم
فأدركه الموت فصفق بيمينه على شماله فقال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع به
رسولك ثم مات فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو وافى المدينة لكان أتم وأوفى
أجرا وقال المشركون ما أدرك ما طلب فأنزل الله هذه الآية ثم أشار الى أن من السعة فى حق
المهاجرين بل فى حق كل مسافر قصر الصلاة فقال (واذا ضربتم) أى سرتم ممدين السير (فى
الارض) وهو الذهاب مرحلتين (فليس عليكم جناح) أى اثم فى (أن تقصروا) أى تنقصوا
شيأ (من) ركعات (الصلوة) ركعتين من الرباعية (ان خفتم) من اتمامها (أن يفتنكم) أى
يقاتلكم (الذين كفروا) لانهم وان راعوا حرمة حرم مكة والاشهر الحرم لايراعون حرمة
الصلاة لعداوتكم (ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا) فأصل القصر كان مشروطا

من الوسخ وجاء فى التفسير
أنه أخذ من الشارب
والاظفار ونتف الابطين
وحلق العانة (قوله تعالى
تنبت بالدهن) تأويلها
كأنها تنبت ومعها الدهن
لأنها تتغذى بالدهن وقرئت
تنبت بالدهن أى ماتنبته
كأنه والله أعلم يخرج
ثمرها ومعه الدهن وقال
قوم الباء زائدة انما يعنى
تنبت الدهن أى ما تعصرون

بهذا الخوف ثم أسقط هذا الشرط واعتبر مشقة السفر لما روى مسلم عن يعلى بن أمية قلت
لعمر بن الخطاب ليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة ان خفتم أن يفتنكم الذين
كفروا فقد أمن الناس فقال عجبت مما عجبت فسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فقال صدقة تصدق الله بها فاقبلوا صدقته أى رخصته ثم ذكر سائر تخفيفات الصلاة لخوف
العدو فقال (واذا كنت) أيها الكامل الذى يتوهم فيه انه لا يأخذ بالتخفيفات (فيهم) أى فى
جمع العدو (فأقمت لهم) أى لأصحابك الذين يحتاجون الى التخفيفات (الصلوة) بالجماعة التى
لوفور أجرها يتحمل مشاقها ولا يخاف من النقائص معها (فلتقم) فى الركعة الاولى (طائفة
منهم معك) وتكون الاخرى تجاه العدو (وليأخذوا أسلحتهم) التى لا تشغلهم عن الصلاة
ولا تؤذى الجار لانه أقرب الى الاحتياط (فاذا سجدوا) سجدتى الركعة الاولى فارقوك
وأتموا صلاتهم وتقوم الى الثانية منتظرا فاذا فرغوا (فليكونوا) يحرسونكم (من ورائكم
و) اذا حرست الاولى (لتأت طائفة أخرى) وهم الذين (لم يصلوا) الركعة الاولى معك
(فليصلوا) ركعتهم الاولى (معك) وأنت فى الثانية فاذا جلست منتظرا قاموا الى ثانيتهم
وأتموها ثم جلسوا ليسلموا معك (وليأخذوا) سيما فى الثانية (حذرهم) أى تيقظهم لان
العدو يتوهمون فى الاولى كون المسلمين قائمين فى الحرب فاذا قاموا الى الثانية ظهر لهم انهم
فى الصلاة وجعله كالآلة فأمر بأخذه وعطف عليه (وأسلحتهم ود) أى تمنى (الذين كفروا
لو) ينالون منكم غرة اذ (تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم) أى حوائجكم التى بها بلاغكم
(فيميلون) أى يشدون (عليكم ميلة واحدة) فيقتلونكم روى ان المشركين لما رأوا المسلمين
يصلون الظهر ندموا أن لا أكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلاة هى
أحب اليهم من آبائهم وأمهاتهم أى العصر فاذا قاموا اليها فشدوا عليهم فنزل جبريل عليه
السلام بالآية (ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر) يثقل معه حمل السلاح
(أو كنتم مرضى) يثقل عليكم حمله (أن تضعوا أسلحتكم و) لكن (خذوا حذركم) لئلا
يهجم عليكم العدو وان كان المتوكل على الله لا يبالى بهم (ان الله أعد للكافرين عذابا
مهينا) فلا يمدان بهم بنصر أعدائهم عليهم من غير حمل سلاح (فاذا قضيتم) أى أتممتم
(الصلوة) اى صلاة الخوف (فاذكروا الله) جبر النقائصها استحبابا والاولى على هيئة الصلاة
(قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم) أى سكنت قلوبكم بالامن ولو فى أثناء هذه
الصلاة (فأقيموا الصلوة) كاملة وانما أبحنا فيها النقص مع الخوف رعاية لاوقاتها (ان الصلوة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) أى واجبة فى أوقاتها لا يجوز اخراجها عنها وان لزمها
نقائص فى رعايتها (ولا تهنوا) أى ولا تضعفوا من شغلكم بالصلاة (فى ابتغاء القوم) أى طلب
القوم الكفار بالقتال مخافة كثرة الافعال اذ رخص لكم فيها فلا عذر من جهتها فلو اعتذرتم
فانما هو من جهة تألمكم لكن (ان تكونوا تألمون) فلا ينبغى أن يوهنكم كما لم يوهنهم (فانهم
يألمون) لا دون تألمكم بل (كما تألمون) على أنه لا تخفف لالمهم (و) ألمكم تخفف اذ (ترجون

فيكون دهنا (قوله تعالى
تترى) وتترا فعلى وفعلا
من المواترة وهى المتابعة
من لم يصرفها جعل ألفها
للتأنيث ومن صرفها
جعلها ملحقة بفعلل
وأصل تترى وترى فابدلت
التاء من الواو كما ابدلت فى
تراث وتجاه ويجوز فى
قول الفراء أن تقول فى
الرفع تترو فى الخفض تتر
وفى النصب تترا الالف
بدل من التنوين (قوله

من الله) من القرب منه واستحقاق الدرجات من جناته واظهار دينه (ما لا يرجون وكان الله عليما) بأنكم لا تضعفون معهم ان صبرتم (حكيما) في أمركم بترك الوهن معهم ثم أمر بترك الوهن في الانتصاف من الظالم للمظلوم فقال (انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس) بطريق التسوية بينهم ولم نكلفك الاطلاع على الواقع بل (بما أراك الله و) لو لم تفعل فلا تعكس (لا تكن للخائنين) أى للذب عنهم (خصيما) مع البراء (و) ان هممت به (استغفر الله) لان همك بالمعصية معصية (ان الله كان غفورا رحيما) روى ان طعمة بن أبيرق سرق درع جاره قتادة بن النعمان وكانت في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهى الى داره ثم خبأها عند زيد بن السمين اليهودي فالتمست الدرع من طعمة فحلف بالله ماله بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق الى منزل اليهودي فاخذوها منه فقال دفعها الى طعمة فجاء قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه أن يجادل عنه فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي فأنزل الله هذه الآية ثم قال (ولا تجادل) اعتمادا على غفران الله ورحمته (عن الذين يختانون) اى يتعمدون الخيانة فيظلمون (أنفسهم) لتستر عليهم لان الله لا يريد سترهم (ان الله لا يحب من كان خوانا) أى مبالغا في الخيانة بالتعمد (أثيما) بالحلف الكاذب ورمى البرىء (يستخفون) أى يستترون بهما (من الناس) الذين لا نسبة لهم الى عظمة الله (ولا يستخفون من الله) فلا يستحيون منه مع جلالة قدره (و) لا يمكنهم الاستتار منه اذ (هو معهم) يعلم (اذ يبيتون) أى يزورون (ما لا يرضى من القول) الحلف الكاذب ورمى البرىء وشهادة الزور (وكان الله بما يعملون محيطا) فيمكنه أن يفضحكم بظواهركم وبواطنكم بين الخلائق الذين كنتم تستخفون من أقل القليل منهم (ها أنتم هؤلاء) أى تنبهوا أيها المشار اليهم بالاشارة القريبة بان ستركم عليهم لا يمنع من فضيحة الله اياهم لان غايتكم انكم (جادلتم عنهم) للستر عليهم فانما يكون ساترا (في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم) ليدفع فضيحته بمقتضى علمه المحيط الذى يظهر به (يوم القيامة) بين الاولين والآخرين أيكون هنالك من يستر عليهم (أم من يكون عليهم وكيلا) يدفع عنهم ثم أشار الى أن المعاصي لا تستتر بالمجادلة بل بالاستغفار فقال (ومن يعمل سوءا) أى معصية يسوء بها غيره (أو يظلم نفسه) فيخصها (ثم يستغفر الله) أى يطلب سترهما من الله (يجد الله غفورا) أى مبالغا في الستر (رحيما) بالمحو ثم أشار الى أن المجادلة لو سترت فلا تستر اذا رمى بها بريئا عنها فقال (ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه) فيجوز ان يستره الله عليه ولو بالمجادلة (وكان الله عليما حكيما) وأما (من يكسب خطيئة) أى سهوا (أو اثما) عمدا (ثم يرم به بريئا) فلا يليق بعدل الله سبحانه وتعالى ستره (فقد احتمل بهتانا) على صاحبه (واثما) صارت خطيئته به عمدا فلا بد في مقتضى العدل الالهي ان يكون (مبينا) لحاله ولو في القيامة (ولولا فضل الله عليك) بالهداية الكاملة (ورحمته) بالعصمة التامة (لهمت طائفة منهم أن يضلوك) أى اضللت اذ قصدت قصدا كليا طائفة عظيمة ممن يدعى محبتك أن يضلوك برمي البرى والمجادلة عن

تعالى تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالدعاء (قوله تعالى تنكصون) أى ترجعون القهقرى يعنى الى خلف وقوله تهجرون من الهجر وهو الهذيان وتهجرون أيضا من الهجرة وهو الترك والاعراض وتهجرون بتشديد الجيم تعرضون اعراضا بعد اعراض وتهجرون من الهجر وهو الافحاش فى المنطق (تلقونه) أى

الخائنين (ومايضلون) بهذا الهم (الا أنفسهم) باعتقادانهم يتمكنون من اضلالك مع ماعليك
من الفضل والرحمة وكيف يضلونك بمثل هذه الكبائر (ومايضرونك من) تحصيل (شئ) لك
من الصغائر كيف (و) قد (أنزل الله عليك) لارشاد الخلق الى يوم القيامة (الكتاب
والحكمة) أى العلم الظاهر والاسرار الباطنة (وعلمك) من المغيبات (مالم تكن تعلم
بالاكتساب ولابالمجاهدة (و) ذلك لانه (كان فضل الله عليك عظيما) اذجعل رسالتك ونبوتك
وولايتك فوق ما لغيرك فكيف يتمكنون من اغوائك بمثل هذه الامور الشنيعة ثم أشار الى
أن منشأ اجتماعهم على هم اضلالك انما كان بنجواهم فقال (لاخير فى كثير من نجواهم) بل
فى شئ منها (الا) فى نجوى (من أمر) بخفية عن الحاضرين (بصدقة) ليعطيها اسرا يستربه عار
المتصدق عليه (أو معروف) لئلا يأنف المأمور عن قبوله لو جهر به (أو اصلاح بين الناس)
بما لوظهر أولا ربما لم يتم قيل فى الحصر الخير اما نفع جسمانى وهو فى الامر بالصدقة أو روحانى
وهو فى الامر بالمعروف واما دفع وهو فى الاصلاح ويمكن أن يقال الخير اما نفع متعد من
المأمور وهو الصدقة أو لازم له وهو المعروف أو دفع ضرر متعد أو لازم له وهو الاصلاح
(و) انما يتم خيريتها لو ابتغى بها رضا الله تعالى فان (من يفعل ذلك ابتغاء) أى طلب (مرضات
الله) أى وجوه رضوانه (فسوف نؤتيه أجرا عظيما) يساوى أجر الفاعل أو يفوقه وكيف
لا يعظم وهو يقابل عذاب مشاقة الله التى أوعد على مادونها بغاية الشدة وهى مشاقة
الرسول بل مخالفة المؤمنين فقال (ومن يشاقق الرسول) أى يصير فى شق ويجعله فى آخر (من
بعد ماتبين له الهدى) فى شق الرسول دون ما اختاره (و) كذا من (يتبع غير سبيل المؤمنين)
الذين أجمعوا عليه (نوله) اى نجعله واليا مرجحا (ماتولى) من المشاقة ومتابعة غير سبيلهم
فتزينه عليه تزين الكفر على الكفرة ليكون دليلا على شدة العقوبة فى الآخرة (ونصله جهنم)
تطبيقا للدليل مع المدلول (وساءت مصيرا) وان توهم المزين له انه يحسن مصيره وفى الآية
دليل على حرمة مخالفة الاجماع لانه عز وجل رتب الوعيد الشديد على مشاقة الرسول
ومخالفة الاجماع فهو اما لحرمة أحدهما وهو باطل اذ يقبح ان يقال من شرب الخمر وأكل
الخبز استوجب الحد اذ لادخل لاكل الخبز فيه أو لحرمة الجمع بينهما وهو أيضا باطل لان مشاقة
الرسول حرام وان لم يضم اليها غيرها أو لحرمة كل واحد منهما وهو المطلوب ثم أشار الى أن
وعيد مشاقة الرسول جازم دون مخالفة الاجماع لان مشاقة الرسول دليل تكذيبه وهو
مستلزم للشرك بالله اذ خالق المعجزات لا يكون الا كامل القدرة ولا يكون الا الاله فاذا نفاها
عن الله فقد أثبت له شريكا (ان الله لايغفر أن يشرك به و) مخالفة الاجماع يجوز أن تكون
مغفورة لانه (يغفر مادون ذلك لمن يشاء) اذ لا تنتهى الى الشرك وكيف يغفر أن يشرك به
(و) هو أعظم وجوه الضلال فان (من يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا) فترك جزائه يستلزم
التسوية بينه وبين الهداية الكاملة وكيف لا يكون ضلالا بعيدا مع انهم (ان يدعون) أى
مايعبدون (من دونه الا اناثا) اما لفظا كصور الاسماء الالهية أو الملائكة أو الجنة أو

تقبلونه وقرئت تلقونه
من الولق وهو استمرار
اللسان بالكذب (قوله
عز وجل تبارك) تفاعل
من البركة وهى الزيادة
والنماء والكثرة والاتساع
أى البركة تكتسب
وتنال بذكرك ويقال
تبارك تقدس والقدس
الطهارة ويقال تبارك
تعاظم الذى بيده الملك
(قوله تعالى تغيظا وزفيرا)
التغيظ الصوت الذى

مشايخهم وهى مؤنثة لفظا واما معنى لان معبوداتهم منفعلة عن الله تعالى لحدوثها ثم ان الملائكة وأرواح مشايخهم لا تتعلق بتلك الصور ولا يظهر بها الاسماء الالهية ظهورا كاملا (و) انما تتعلق بها الشياطين وتظهر فيهم (ان يدعون الا شيطانا) يتكلم بالسدنة معهم ويتراءى لهم ولا يتقرب بعبادته الى الله لكونه (مريدا) أى خارجا عن طاعته بحيث (لعنه الله) أى أبعده عن رحمته فاراد ابعاد من أبعد بسببه (وقال) حين أبعد (لاتخذن من عبادك) الذين أبعدتنى بسببهم (نصيبا مفروضا) أى مقدارا من عباداتهم بأن يعبدوا غيرك أو يراءوا فيها أو يعجبوا بها أو يتلفوها فى المظالم أو يحبطوها بالكفر بعدها (ولأضلنهم) بايهام ان فى عبادة الاصنام عبادة الله لانها مظاهره فما يعبد فيها غيره (ولأمنينهم) بنيل الاجر منك على عبادة الاصنام أو بانكار البعث والجزاء أو بانه يحصل لهم أحسن وجوه الجزاء أو بطول بقائهم فى الدنيا ليؤثروها على الآخرة وبالحث على المعاصى وتسويف التوبة عليه (ولآمرنهم) على خلاف أمرك اضلالا لهم بانه أمرك وايقاعا لهم فى أمنية الثواب عليه (فليبتكن) أى فليشققن (آذان الانعام) أى البحائر والسوائب ليحرموها بعدما أحللتها لهم (ولآمرنهم) بتغيير مقتضى العقل الذى فطر الله عليه الخلق وبتغيير ظاهر الخلقة بالوسم والوصل والخصى وتشبيه الرجال بالنساء والنساء بالرجال (فليغيرن خلق الله) بأحد هذه الوجوه التى فيها اموال الاتى (ومن يتخذ الشيطان وليا) يأتى بما يدعو اليه (من دون الله) أى مجاوزا ولايته بترك ما يدعو اليه (فقد خسر خسرانا مبينا) اذ لم يجد ما وعده ولا ما وعده الشيطان لان غاية أمر الشيطان انه (يعدهم) وعدا ليس بيده (و) لكنه (يمنيهم) انهم ينالونه من الله وانما ينالونه لو صدق (و) لكن (ما يعدهم الشيطان الا غرورا) ايهام نفع مما ليس فيه سوى الضرر اذ (أولئك) البعداء عن وعد الله (مأواهم جهنم) بوعيده (و) وعيده وان كان قد يتخلف فى حق غيرهم فهم (لا يجدون عنها محيصا) أى معدلا (و) كيف لا يكون خسرانهم مبينا وقد خسروا الجنة الموعودة للمؤمنين العاملين للصالحات اذ (الذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات) وكفى بفواتها خسرانا لو لم تجر من تحتها الانهار لكنها (تجرى من تحتها الانهار) أيضا ولو لم تأبد ولكنها تأبد اذ يكونون (خالدين فيها أبدا) وليس كوعد الشيطان الذى هو غرور بل (وعد الله حقا) وكيف لا يكون وعد الله حقا (ومن أصدق من الله قيلا) لانه دال على المعنى النفسى الذى لا يتصور فيه نقيصة الكذب واذا صدق وعد الله صح انه (ليس) الامر (بأمانيكم) أيها المشركون انه لا جنة ولا نار فان كانتا كنا أحسن حالا (ولا أمانى أهل الكتاب) انه لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وانه لن تمسنا النار الا أياما معدودة اذ ليس فى كتبهم ذلك بل الذى فيها (من يعمل سوأ يجز به) وقد حرفوا كتاب الله وغيروا نعت رسوله وكذبوا بآياته (ولا يجد له من دون الله) من الانبياء والاولياء (وليا) يرفع درجته فيرفع عنه السوء (ولا نصيرا) يدفع عنه السوء (ومن يعمل من الصالحات) وان لم يستوعبها (من ذكر أو أنثى) أى كامل أو ناقص (وهو مؤمن) بجميع

يمهم به المغتاظ والزفير
صوت من الصدر (قوله
عز وجل تبرنا) أى أهلكنا
(قوله عز وجل تبسم
ضاحكا) التبسم أول
الضحك وهو الذى لا صوت
له (قوله تعالى تقاسموا
بالله لنبيتنه) أى حلفوا
بالله انهلكنه ليلا (قوله
تعالى تأجرنى) أى تكون
أجيرا لى (قوله عز وجل
تذودان) أى تكفان
غنمهما وأكثر ما يستعمل

الكتب والرسل (فأولئك) لعلو رتبتهم بالايمان الصحيح وبعض الاعمال الصالحة (يدخلون الجنة) المناسبة لعلوهم وان لم يكونوا هودا أو نصارى (ولا يظلمون) أى لا ينقصون (نقيرا) أى مقدار نقرة ظهر النواة فضلا عن ابطال الاجر بالكلية ولو قالوا كيف لا ينقص اجركم عن أجرنا ودينناسابق وكذا نبينا ارد عليهم بانه لا فضل للسبق بل للحسن (ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله) فانقاد لجميع أوامره وآياته (وهو محسن) أى ناظر الى الله لا الى دين سبق اليه آباؤه (و) لو اعتبرتم سبق دينكم فدين ابراهيم أسبق والمسلم قد (اتبع ملة ابراهيم حنيفا) أى مائلا عن الاعتقادات الفاسدة الباطلة التى لكم (و) قد اشتهر بالفضل اذ (اتخذ الله ابراهيم خليلا) لانه تخللت صفاته بصفاته أى ناسبها مناسبة تامة بقدر الطاقة البشرية والدين المحمدى اشتمل على ملته وزيادات شريفة (و) لا بأس بنسخها بعض الاحكام اذ (لله مافى السموات ومافى الارض) فله أن يتصرف فيهما بما يشاء (و) لكنه راعى مصالح أهل كل عصر وان لم يدركوها اذ (كان الله بكل شئ محيطا ويستفتونك فى النساء) كيف نورثهن مع ان قريشا لم تورث الا من شهد القتال وحاز الغنيمة وقد ورثوا من ملة ابراهيم فكيف تخالفها (قل الله يفتيكم فيهن) فى صحف ابراهيم وموسى وعيسى (و) يفتيكم أيضا (ما يتلى عليكم فى الكتاب) من الله (فى يتامى النساء اللاتى) هن أحوج الى المال من الرجال وان كنتم (لا تؤتونهن) بالنظر الى حاجتهن ولا الى (ما كتب لهن و) لا تراعون فى ذلك مصالحهم اذ (ترغبون) فى (أن تنكحوهن) لتأكلوا أموالهن (و) يفتيكم أيضا فى (المستضعفين من الولدان) الذين هم أحوج الى المال لعجزهم عن الاكتساب اذ تمنعونهم حقوقهم لعدم شهودهم القتال (و) يفتيكم ان عليكم (أن تقوموا لليتامى) من النساء والولدان (بالقسط) فلا تجعلوا حظهم دون حظ الكبار (وما تفعلوا من خير) سيما فى حق الضعفاء من حفظ أموالهم والقيام بتدبيرهم (فان الله كان به عليما) يفعل بكم خيرا كما فعلتم بهم (وان) خافت (امرأة) مخالفتكم أمر الله بايفاء حقوقها بان (خافت من بعلها) أى زوجها (نشوزا) أى تجافيا عنها ومنعا لحقوقها (أو اعراضا) أى تطليقا (فلا جناح) أى لا اثم (عليهما) وان أعانته على مخالفة أمر الله (أن يصلحا) بما يجمع (بينهما صلحا) بحط شئ من المهر أو النفقة أو هبة شئ من مالها أو قسمها وكيف يكون عليهما جناح (والصلح خير) من الفرقة التى يلتزمها تحرزا من حقوقها ومن الخصومة وسوء العشرة (و) انما صار خيرا مع كرهها ومخالفته لامر الله لانه (أحضرت الانفس الشح) فلا تكاد المرأة تسمح بالنشوز والاعراض ولا الرجل فى امساكها مع القيام بحقوقها (و) هذا وان رخص لكم فيه لكن (ان تحسنوا) العشرة (وتتقوا) مخالفة أمر الله (فان الله كان بما تعملون) من تحمل المشاق من أجله (خبيرا) فيعظم أجركم (و) انما رخص فى الصلح بعدما أمر بالقسط لما علم انكم (لن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء) بحيث لا يقع ميل الى احداهن يدعو الى منع حقوق الاخرى (ولو حرصتم) أى بالغتم لان الميل يقع بلا اختيار فى القلب لكنكم مختارون فى تنفيذه (فلا تميلوا

فى الغنم والابل وربما استعمل فى غيرهما ويقال ستذودكم عن الجهل علينا أى نكفكم ونمنعكم (قوله تعالى تصطلون) أى تسخنون (قوله تعالى تنوء بالعصبة) أى تنهض بها وهو من المقلوب معناه ما ان العصبة لتنوء بمفاتحه أى ينهضون بها يقال ناء بحمله اذا نهض منه متثاقلا وقال الفراء ليس هذا من المقلوب انما معناه ما ان

عن امراة (كل الميل) فتتركوا المستطاع من القسط (فتذروها) أى تتركوها (كالمعلقة) بين السماء والارض لاتكون فى احدى الجهتين لاذات بعل ولامطلقة (وان تصلحوا) نفوسكم بمنعها اماتميل اليها (و) لاأقل من أن (تتقوا) نقص شئ من حقوقها مع عدم الميل (فان الله كان غفورا) بميلكم (رحيما) بانابتكم (وان يتفرقا) أى اختارا الفرقة (يغن الله كلا) من الزوج والزوجة بامرأة أخرى وزوج آخر (من سعته) أى سعة جوده (وكان الله واسعا) فى الجود وانما يقبض عمن يقبض لانه كان (حكيما و) كيف لايكون واسعا اذ (لله مافى السموات ومافى الارض) فله أن يعطى ماشاء منهما لمن شاء من عبيده (و) لكن بمقتضى الحكمة (لقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم) فعلموا اسعة رحمتنا المجرئة لهم على المعاصى (واياكم) وان كنتم أمة مرحومة (أن اتقوا الله) فان الحكمة لاتتم الابتقواه (و) ليس المراد ان حكمة الله لاتتم بدون تقواكم فانكم (ان تكفروا فان لله مافى السموات ومافى الارض) يتم حكمته فيهما (وكان الله غنيا) فى اتمام حكمته عن تقواكم (حميدا) أتمم حكمته بتقواكم أم لا (و) انما أمركم بالتقوى مع غناه فى اتمام حكمته عنكم لانه أراد افاضة الكمالات عليكم من كل جانب اذ (لله مافى السموات ومافى الارض) ينفع من شاء بماشاء منهما او يضر من شاء بماشاء منهما فاذا أمر عباده بامر ففعلوه سخرهما لهم فانتفعوا بكل شئ فيهما ولم يضرهم شئ منهما اذ يصير وكيلهم (وكفى بالله وكيلا) ولكون أمره اياكم بعبادته مع غناه عنها وعنكم لافاضة الكمالات عليكم عن استعدادكم لها بالعبادة فاذا تركتموها (ان يشأ يذهبكم) أى لايظهر فيكم كمالاته التى خلقكم لظهورها فيكم (أيها الناس) الذين نسوا سر خلقهم (ويأت بآخرين) لانه وان كان غنيا عن اظهار كمالاته فانه لغاية كماله شأنه التكميل (و) لامانع له من هذه المشيئة اذ (كان الله على ذلك قديرا) ولايمنعكم عن عبادته اشتغالكم بطلب الدنيا لشدة حاجتكم اليها فان (من كان يريد ثواب الدنيا) فانه يحصل له من عبادة الله كثواب الآخرة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة و) غاية طلب العابد الدعاء والاولى الاكتفاء بعلمه اذ (كان الله سميعا) لدعاء من يطيعه (بصيرا) بحال من يكتفى بعلمه ثم أشار الى أنهما انما يحصلان للمستقيم على أمر الله اذ يقيم له جميع حوائجه فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم المبالغة فى القيام بالقسط (كونوا قوامين بالقسط) أى العدل والاستقامة اذ به انتظام أمر الدارين الموجب لثوابهما ومن أشده القيام بالشهادة على وجهها كونوا (شهداء) مقيمين للشهادة مؤدين لها (لله ولو) كانت (على أنفسكم) فاقروا بالحق عليها (أو الوالدين) أى الاصول (والاقربين) أى الاولاد والاخوة وغيرهم (ان يكن) من تشهدون عليه (غنيا) تخافون منعه ما كان يعطيكم أو اضراره بكم (أو فقيرا) تترحمون عليه بترك الشهادة عليه أو تخافون من الشهادة عليه أن يلجئكم الى ان تعطوه مايكفيه (فالله أولى بهما) من المشهود عليه فاذا نظر اليه جعل الشهادة صلاحا لهما وكذا

مفاتحه لتنوء بالعصبة أى تميلهم بثقلها فلما انفتحت التاء دخلت الباء كما قالوا هو يذهب بالبؤس ويذهب البؤس واختصاره تنوء بالعصبة أى تجعل العصبة تنوء أى تنهض متثاقلة كقولك قم بنا أى اجعلنا نقوم (قوله تعالى لاتفرح) أى لاتأشر ان الله لايحب الفرحين أى الاشرين وأما الفرح بمعنى السرور فليس بمكروه (وقوله تعالى

اذا نظرتم اليه بجعلها صلاحا لكم (فلا تتبعوا الهوى) ارادة (أن تعدلوا) عن أمر الله الذى هو مصلح أموركم وأمور المشهود عليهم لو نظرتم ونظروا اليه (وان تلووا) أى تحرفوا السنتكم عن الشهادة على وجهها (أو تعرضوا) عنها بكتمها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا يبعد أن يوقع بكم المكروه ويبطل عليكم المطلوب مع ما يجازيكم عليه فى الآخرة ثم أشار الى أن اقامة العدل والشهادة لله تكميل للايمان بالله والرسول والكتاب فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ترجيح جانب من آمنتم به والتعظيم لرسوله والعمل بمقتضى كتابه (آمنوا بالله) أى كملوا ايمانكم به باقامة العدل الذى فيه ترجيح جانبه (ورسوله) الذى بعثه باقامة العدل (والكتاب الذى نزل) لتقرير قواعد العدل واحدة بعد أخرى (على رسوله) لتأسيسها على أكمل الوجوه وأحسنها (والكتاب الذى أنزل من قبل) لتقرير قواعد عدل زمانه فكماله انما يكون برعاية مصالح كل زمان ثم أشار الى أن ترك العدل والشهادة لله يشبه الكفر بجميع ما يجب الايمان به فيشبه الضلال البعيد فقال (ومن يكفر بالله) الآمر بالعدل (وملائكته) الآتية به من عند الله (وكتبه) الموضوعة لتقرير قواعده (ورسله) المبينين لها (واليوم الآخر) الموضوع للجزاء على اقامته وتركه (فقد ضل ضلالا بعيدا) أما الكفر بالله فظاهر وأما بالملائكة فلأنهم المقربون اليه وأما بالكتب فلأنها الهادية اليه وأما بالرسل فلأنهم الداعون اليه وأما باليوم الآخر فلأن فيه نفع اقامته وضرر تركه فاذا أنكر لزم انكار النفع الحقيقى والضرر الحقيقى فهو الضلال البعيد ثم الكفر بالملائكة كفر بمظاهر باطنه وبالكتب كفر بمظاهر صفة كلامه وبالرسل كفر بأتم مظاهره وباليوم الآخر كفر بدوام ربوبيته وعدله ثم الكفر بالملائكة يدعو الى الايمان بالشياطين وبكتب الله الى الايمان بكتب الكفرة وبالرسل الى تقليد الآباء وباليوم الآخر الى الاجتراء على القبائح وكل ذلك ضلال بعيد ثم أشار الى أن الكفر لما كان ضلالا بعيدا لم يفد الايمان السابق عليه ولو مكررا لا هداية ولا مغفرة فقال (ان الذين آمنوا) بموسى (ثم كفروا) بعبادة العجل (ثم آمنوا) عند عوده (ثم كفروا) بعيسى (ثم ازدادوا كفرا) بمحمد صلى الله عليه وسلم (لم يكن الله ليغفر لهم) فيفيدهم أدنى فوائد الايمان لايمانهم السابق ولو مكررا (ولا ليهديهم سبيلا) الى التحقيق ولا ينفع وان بقوا على الايمان بموسى اذ الكفر اللاحق ناسخ للايمان السابق ولا ينفع تكراره سيما اذا عورض بمزيد الكفر وكيف ينفع السابق ولا ينفع المقارن سيما فى حق المنافقين (بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما) ويدل على مقارنة ايمانهم للكفر ترجيحهم جانب الكفرة فى المحبة اذهم (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أى مجاوزين موالاة المؤمنين فان زعموا انهم انما يوالونهم تقية من اذلالهم يقال لهم (أيبتغون) أى يطلبون (عندهم العزة) مع انها ليست عندهم (فان العزة لله جميعا) وهم أعداؤه فلا يعطيهم منها شيأ فلو كانت لهم وجب على المؤمنين الصبر على الذلة بمقتضى الايمان كيف (وقد نزل عليكم فى الكتاب) الذى تدعون الايمان به (أن) أى أن الشأن (اذا سمعتم

تخلقون افكا) أى تختلقون
كذبا (قوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع)
أى ترتفع وتتنحى عن
الفرش (قوله تعالى
تبرجن) أى تبرزن محاسنكن
تظهرنها (قوله تناوش)
أى تناول تهمز ولا تهمز
والتناؤش بالهمز التأخر
أيضا قال الشاعر
تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى
وقد حدثت بعد الامور أمور

آيات الله) من ذلك الكتاب أو غيره (يكفر بها و) لاسيما اذا كانت (يستهزأ بها فلا تقعدوا
معهم) أى مع الكافرين سيما المستهزئين فضلا عن موالاتهم (حتى يخوضوا فى حديث غيره)
لان قعودكم معهم يدل على رضاكم بالكفر بها والاستهزاء (انكم اذا) أى اذا رضيتم بكفرهم
واستهزائهم (مثلهم) فاجتماعكم بهم ههنا سبب اجتماعكم فى جهنم (ان الله جامع المنافقين
والكافرين فى جهنم جميعا) وكيف لا يجتمعون بهم وأقل أحوالهم انهم ان لم يرجحوا الكفر
على الايمان يترددون فى الترجيح بينهما اذهم (الذين يتربصون) أى ينتظرون وقوع أمر
من الغنيمة أو الهزيمة (بكم فان كان لكم فتح) ولا يكون مع ضعفكم الا (من الله) ولا دخل
لعونتهم فيه (قالوا) لكم (ألم نكن معكم) فلنا دخل فى فتحكم فليكن لنا شركة فى غنيمتكم
(وان كان للكافرين نصيب) من الفتح لئلا يلجئهم دوام الفتح للمؤمنين الى الايمان (قالوا)
لهم (ألم نستحوذ) أى ألم نستول (عليكم) فامكنا قتلكم (و) لكنا لم نقتلكم ومنعنا المؤمنين
أن يقتلوكم ألم (نمنعكم من المؤمنين) فهذا دليل على أن التردد فى قلوبهم لا يزول بهذه الدلائل
(فالله يحكم بينكم) بازالة ترددهم (يوم القيامة و) ليس باعطاء الحجة لهم لانه (لن يجعل الله
للكافرين على المؤمنين سبيلا) بالحجة فى الدنيا ولا فى الآخرة ثم قال (ان المنافقين) من ترددهم
فى ترجيح أحد الجانبين على الآخر مع وضوح دلائل ترجيح الايمان وفقد دليل على ترجيح
الكفر (يخادعون الله) أى يريدون مخادعته بان يدعوا لانفسهم أرجح الجانبين اذا رأوا
رجحان أحدهما عنده (وهو خادعهم) بالحقيقة اذ لا يريهم الارجح مع وضوح دلائله (و) من
مخادعته لهم انه لا يمكنهم من اتمام الصلاة حتى انهم (اذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى)
لا يهتمون لاتمامها بل لا يريدون الصلاة بالحقيقة وانما (يراؤن الناس و) لذلك (لا يذكرون
الله) فيها ليتقربوا اليه (الا قليلا) ليسمعوا الناس فيوهموهم انهم يتقربون اليه ولو أكثروا
ذكره لم يتأت لهم الاخلاص لانه بترجيح جانب الايمان وليسوا مرجحين أحد الجانبين لكونهم
(مذبذبين) أى مضطربين اضطرابا تاما (بين ذلك) أى ترجيح أحدهما بحيث (لا) يميلون (الى
هؤلاء ولا الى هؤلاء) وهذا من خداع الله بهم اذ لم يهدهم أحد السبيلين (و) مع ذلك لا ظلم من
جهته اذ لا استعداد لهم فيكون لهم سبيل الى الهداية فان (من يضلل الله فلن تجد له سبيلا)
فهذا دليل التردد وما سبق دليل ترجيحهم لجانب الكفر على الايمان (يا أيها الذين آمنوا)
أقل ما يقتضيه ايمانكم ترجيحه على الكفر وترك التردد فانى يكون لكم ترجيح الكفر
(لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين) اذ يصير دليلا على ترجيح جانب الكفر
(أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا) أى حجة ظاهرة على كفركم تبيح أموالكم
ودماءكم ولا يفيدكم التردد تخفيف العذاب فضلا عن النجاة (ان المنافقين فى الدرك الاسفل من
النار) ولا تخفيف فيها ولا نجاة لاهلها (و) لا يفيدهم الجهل برجحان أحد الجانبين لظهور
حجج الايمان مع انه لا حجة فى جانب الكفر أصلا فلذلك (لن تجد لهم نصيرا) من الحجج وغيرها
(الا الذين تابوا) عن النفاق (و) هى انما تتم اذا (أصلحوا) ما أفسدوا من اعتقادات المسلمين

(قوله عزوجل تسوروا
المحراب) أى نزلوا من
ارتفاع ولا يكون التسور
الا من فوق (قوله عزوجل
توارت بالحجاب) أى استترت
بالليل يعنى الشمس أضمرها
ولم يجر لها ذكر والعرب
تفعل ذلك اذا كان فى
الكلام ما يدل عليه (قوله
عزوجل تقشعر) أى
تقبض (قوله تعالى تقلبهم
فى البلاد) أى تصرفهم
فيها التجارة أى فلا يغررك

واحوالهم

وأحوالهم (و) هو انما يتأتى اذا (اعتصموا بالله) بترك موالاة الكفار (و) هو انما يتيسر
اذا (أخلصوا دينهم لله) فلم يبق لهم فيه تردد (فأولئك) لعلو رتبتهم بهذه الامور لا يكونون
فى درك من النار فضلا عن الاسفل بل (مع المؤمنين) المستمرين على الايمان بلا نفاق
فى الجنان (وسوف يؤت الله المؤمنين) المستمرين على الايمان (أجرا عظيما) فوق أجر من تاب
عن النفاق ويحتمل أن يقال وسوف يؤت الله المؤمنين بعد ادخال الجنان أجرا عظيما يشارك
فيه التائبون عن النفاق ثم أشار الى أنه انما استثنى التائبين من المنافقين مع كونهم مخادعين
لله مستحقين لعذاب أشد من عذاب الكفار لان الله تعالى لا يعذب أحدا ليشفى به غيظا أو
يدفع به ضررا أو يجر نفعا بل انما يعذب من يعذبه لانه حصل له مرض من جهله بالمنعم وعدم
شكره له فاذا اشكر المنعم وآمن به زال سببه (ما يفعل الله) من جر نفع له أو دفع ضر عنه
(بعذابكم) الذى كان يعذبكم به لعدم شكركم وايمانكم (ان شكرتم وآمنتم) كيف
(و) مقتضى جوده الانعام على من عرف قدر النعمة وأقر بالمنعم اذ (كان الله شاكرا) أى
مجازيا على الشكر بالمزيد (عليما) باستعداده للانعام عليه فلا يبعد عليه أن يلحق التائب من
الكفر والنفاق بالمستمر على الايمان والاعمال الصالحة وانما يعذب من لا يشكره لانه
كالشاكى عنه ولا يحب الشكاية عن مخلوق فكيف عن نفسه فانه (لا يحب الله الجهر) أى
الظهور (بالسوء) أى القبيح من الغير سيما اذا أظهره (من القول) وهو الشكاية (الا)
قول (من ظلم) بذلك السوء فتظلم به فانه يحبه حتى انه يجيب دعاءه (وكان الله سميعا) لدعائه
(عليما) بما يستحقه الظالم لو لم يدع المظلوم ثم أشار الى أنه وان أحب الشكاية فهو أشد حبا
للاحسان الى المسىء والعفو عنه فقال (ان تبدوا خيرا) أى تظهروا احسانا الى المسىء
قدمه لانه أعلى (أو تخفوه) أى الخير وهو الاحسان الى المسىء ووسطه لانه أوسط (أو تعفوا
عن سوء) وهو أدنى لكنه مع دناءته يفيد المناسبة مع الله الموجبة لشدة محبته من حيث العفو
مع القدرة (فان الله كان عفوا قديرا) ثم أشار الى أن الكفر بالله أشد من ترك شكره
ومن الشكاية عنه فالتعذيب عليه أولى (ان الذين يكفرون بالله) المنعم فضلا عن الاعتراف
بنعمه والشكاية عنه (ورسله) الذين هم أعظم وجوه نعمه مع ان فيه شكاية عن الله بانه لم يهد
طريقا الى معرفته وعبادته (ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله) بانهم كذبوا على الله فهم
أهل الشكاية وانما أعطاهم الله المعجزات امتحانا للخلق مع انهم لم يجعل عليه دليلا فهو
مشكو عنه بتصديقهم بالمعجزات (ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض) فيشكون عن الله
بتسويته بين الصادق والكاذب فى اظهار المعجزات على يديه (ويريدون أن يتخذوا بين ذلك
سبيلا) كأنهم يزعمون أن تصديق الكل افراط وتكذيب الكل تفريط وخير الامور
أوساطها وهو انما يتصور حيث يكون وسط به طرفان وههنا لما ساووا فى المعجزات والدعوة
الى الحق والقيام بالخيرات فى أنفسهم كان الكفر بواحد كفرا بالكل بل بالله اذ يعتقدون
فيه انه صدق الكاذب بخلق المعجزات (أولئك هم الكافرون حقا) يستهينون بالله بتصديق

تصرفهم وأمنهم وخروجهم
من بلد الى بلد وان الله
تعالى محيط بهم (قوله تعالى
التقاء) وقوله لتنذر
تلاق) أى يوم يلتقى
يوم التلاق أى يوم يلتقى
فيه أهل الارض وأهل
السماء ويوم التناد يوم
يتنادى فيه أهل الجنة
والنار وينادى أصحاب
الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم والتناد بتشديد
الدال من ند البعير اذا
مضى على وجهه ويوم

الكاذبين وبالرسل بانه لا يتميز صادقهم عن كاذبهم فهو أزيد من الشكاية (و) لذلك (أعتدنا للكافرين عذابا مهينا) ثم أشار الى أن الايمان بواحد من الرسل يكون ايمانا بالكل والايمان بهم ايمانا بالله فلكل واحد من الايمانين أجر فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم) وان كان الايمان بواحد ايمانا بالكل لان الكفر بواحد كفر بالكل (أولئك سوف يؤتيهم أجورهم) متعددة (و) يزيدهم المغفرة والرحمة اذ (كان الله غفورا رحيما) وان زعموا ان ايمانهم بالبعض وكفرهم بالبعض لظهور الفرق اذ سمعوا الله يكلم موسى فكأنهم رأوا نزول كتابه من السماء ولم يروا ذلك فى هذا الكتاب من هنا (يسئلك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا) يرون نزوله (من السماء) ولا حاجة لهم الى طلب ذلك بعد رؤية اعجازه المؤكد بالتفرق لكن عادتهم انهم لا يرون آية الا سألوا أكبر منها (فقد سألوا موسى) حين سمعوا الله يكلمه فنزل منزلة رؤيتهم نزوله من السماء (أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله) المتكلم (جهرة) أى رؤية ظاهرة فانا لا نؤمن بسماع كلامه ولا بنزول الكتاب المشتمل عليه (فأخذتهم الصاعقة) أى النار النازلة من السماء (بظلمهم) بانهم لا يرون آية الا يطلبون أكبر منها حتى يروا آية ملجئة الى الايمان بحيث لا يفيد الايمان معها فلا يكادون يؤمنون ايمانا يفيدهم أصلا ولا يبعد منهم الكفر بعد رؤية الآيات فانهم رأوا آيات موسى (ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات) أى الدلائل القاطعة على نفى الشرك ثم تابوا عنه (فعفونا عن ذلك) ثم انهم لم ينقادوا لاوامر موسى (و) ان رأوا أنا (آتينا موسى سلطانا مبينا) أى استيلاء ظاهرا على اهلاك من خالفه (و) بالغوا فى عدم الانقياد لها حتى (رفعنا فوقهم الطور) ليتحملوا التكليف (بميثاقهم) أى بما كلفهم بعهد وثيق (و) مع ذلك لم يأتوا بأسهل الاوامر اذ (قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا) فدخلوه يزحفون على استاههم فأخذتهم الصاعقة (و) لم يأتوا بأسهل منه اذ (قلنا لهم لا تعدوا فى السبت و) هو مع كونه أهون الامور (أخذنا منهم) فيه (ميثاقا غليظا) فاعتدوا فيه فمسخوا قردة والذى فعلنا بهم (فبما نقضهم ميثاقهم) بالمخالفة (وكفرهم) مع ذلك (بآيات الله) الظاهرة على أيدى بعض الانبياء (وقتلهم) مع ذلك (الانبياء) مع علمهم انه (بغير حق و) لكن ستر عنهم حتى ان سبب (قولهم قلوبنا غلف) أى محجوبة لا يظهر لها الآيات ولم يكن ذلك لعدم ظهورها (بل طبع الله عليها بكفرهم) فمنعها التدبر فيها (فلا يؤمنون) بما يزعمون الايمان به (الا قليلا) أى ايمانا ضعيفا لاجترائهم على تحريفه وكتمانه (و) لو لم يكن كثرة عدم ايمانهم بالتوراة موجبة طبع فلا شك انه طبع على قلوبهم (بكفرهم) بالانجيل بالكلية (و) لا يقتصرون عليه بل هو مع (قولهم) الذى يجترؤن به (على مريم) بعد ظهور كراماتها وارهاصات ولدها ومعجزاته يبهتونها به (بهتانا عظيما) وهم لا ينكرون هذا الكفر بل يفتخرون بهذا الكفر (وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله) فيفتخرون بقتله وبالاستهزاء برسالته (و) لا يصح لهم ذلك الفخر لانهم (ما قتلوه و) لا متمسك لهم فيما اشتهر من صلبهم اياه لانهم (ما صلبوه

التغابن يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار وأصل الغبن النقص فى المعاملة والمبايعة والمقاسمة (قوله عزوجل تباب) أى خسران (قوله تعالى تأفكنا عن آلهتنا) أى تصرفنا عنها (قوله تعالى تعسا لهم) أى عثارا لهم وسقوطا ويقال التعس أن يخر على وجهه والنكس أن يخر على رأسه (قوله تعالى تزيلوا) أى تميزوا

ولكن

ولكن) قتلوا وصلبوا من ألقى عليه شبهه اذ (شبه لهم) وذلك لان رهطا من اليهود سبوه فدعا
عليهم فمسخهم الله قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فقال للحواريين ان الله يرفعني
فرفعه فدخل ططانوس اليهودي بيتا هو فيه فلم يجده فألقى الله عليه شبهه فلما خرج ظن انه
عيسى فأخذوه وصلب وذلك من معجزات عيسى لاضلال أعدائه ويدل على هذا الشبه اختلافهم
اذ قال بعضهم ان كان هذا عيسى فأين صاحبنا وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن
صاحبنا وقال قوم من النصارى صلب الناسوت ورفع اللاهوت الى السماء لما سمعوا قوله
(و) لم يرتفع الشبه بدليل قطعي في جانب بل (ان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به) أي
بما قالوا (من علم) أي متمسك (الا اتباع الظن و) لم يكن لهم في اختلافهم قدر مشترك اتفقوا
عليه من انهم قتلوه لانهم (ما قتلوه يقينا بل) اليقين انما هو في أنه (رفعه الله اليه) لما سمع منه
(و) لا يبعد رفعه على الله اذ (كان الله عزيزا) لا يغلب على ما يريده وقد اقتضت الحكمة
رفعه فلا بد أن يرفعه لكونه (حكيما) وهي حفظه لتقويه دين محمد صلى الله عليه وسلم حين
انتهائه الى غاية الضعف بظهور الدجال فيقتله ثم أشار الى أن من كان يفتخر بقتله سيتذلل له
قبل موته فقال (وان) أي وما أحد (من أهل الكتاب الا) والله (ليؤمنن به) أي بعيسى
اذ يكاشف بصدقه (قبل موته و) لا يفيده هذا الايمان الارفع العداوة المانعة من قبول
الشهادة لذلك (يوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم) أي فيشهد بظلم (من الذين هادوا) قبل
من كفر به فتوارثوا الظلم عنهم وهو الذي من أجله (حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) اي لمن
قبلهم ونسخ تحريمها على من آمن به منهم (و) يشهد أيضا (بصدهم عن سبيل الله كثيرا)
بكفرهم به وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبمن قتلوهم من الانبياء (و) يشهد على (أخذهم الربوا
وقد نهوا عنه و) على (أكلهم أموال الناس بالباطل) من طرق المعاملة والرشوة فيعذب
بهذه الامور اسلافهم الذين لم يدركوه (وأعتدنا للكافرين) به (منهم) وراء العذاب على هذه
الامور (عذابا أليما) سيما اذا ضموا اليه الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وان زعموا انهم
انما كفروا به لرسوخهم في العلم فليس الكفر من رسوخهم بل من عنادهم (لكن
الراسخون في العلم منهم) أي من أهل الكتاب الذين جروا على مقتضى رسوخهم (والمؤمنون)
من الاميين اللاحقين بهم في الرسوخ بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم (يؤمنون بما أنزل
اليك وما أنزل من قبلك) لاطلاعهم على كمالات المنزل عليك وانه مصدق ما أنزل من قبلك
فلا بد من الايمان به أيضا (و) لاسيما (المقيمين الصلوة) فانهم يكاشفون باسرار اعجاز هذا
الكتاب وغرائب نكته كيف (و) هم (المؤتون الزكوة) أي لتزكية أنفسهم كيف (و) هم
(المؤمنون بالله واليوم الآخر) عن مشاهدة قلبية (أولئك) وان زعم هؤلاء انهم انما
آمنوا بالكل من عدم رسوخهم فلا يجدون أجر المجتهدين (سنؤتيهم أجرا عظيما) فوق
ما يتوهم هؤلاء لانفسهم وقد تحقق لهم العذاب فوق ما يتوهمون لا ولئك اذ أجرهم بدفعه
وعلهم لم يرفعه عنهم ثم أشار الى أن الراسخين انما آمنوا بما أنزل اليك لانهم أحاطوا علما بالمنزل

قوله تعالى تفئ) ترجع
(قوله تبارك اسمه تلمزوا)
(قوله تعالى ولا تلمزوا
تعيبوا وقوله تعالى ولا تلمزوا
أنفسكم لا تعيبوا اخوانكم
المسلمين ولا تنابزوا بالالقاب
لا تداعوا بها والانباز
الالقاب واحدها نبز قال
أبو عمر نزب أيضا (قوله عز
وجل تجسسوا) أي تحسسوا
وتبحثوا عن الاخبار ومنه
سمي الجاسوس (قوله
تبارك اسمه تمور السماء

على الانبياء السابقين فوجدوه مثله فقال (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من
بعده) فى تنزيه الحق وتوحيده (و) كما (أوحينا الى ابراهيم) فى التخلق بالصفات الالهية
(واسمعيل) فى التحقق بما يناسبها (واسحق) فى لحوق الاشباه به فى الظهور فى كل شئ بصورته
(ويعقوب) فى التدبير بمقتضى الشرع والتصوف لتحصيل الكمالات (والاسباط)
كيوسف فى تنوير القوة الخيالية للمكشوفات الصورية (وعيسى) فى التأثير بالله فى الاشياء
(وأيوب) فى استخراج أسرار الاشياء (ويونس) فى استنارة النفس بنور الحق (وهرون) فى
الامامة (وسليمان) فى الظهور بالرحمتين (و) لا يبعد ذلك اذ (آتينا داود زبورا) جمعنا فيه
هذه الامور من الحكمة وفصل الخطاب فيكفيهم مطالعته (و) قد طالعوا كتبا آتيناها
(رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك و) ربما يحصل لهم بالالهام بلا
مطالعة ولا يبعد ذلك اذ (كلم الله موسى تكليما) وقد طالعوا كتابه أيضا على أنه لا حاجة الى
هذه الاحاطة فى الايمان بل يكفيهم كونه صالحا للتبشير والانذار فيكون كما آتينا (رسلا
مبشرين ومنذرين) ويتم بالزام الحجة لانه انما أرسل (لئلا يكون للناس) الذين نسوا مقتضى
الربوبية والعبودية عند معاقبتهم وتفويت الثواب عليهم (على الله) الذى لا الزام لاحد
عليه لكن الجهال يحتجون عليه بالغفلة فأراد أن لا يكون لهم (حجة بعد) ارسال (الرسل)
المزيلين للغفلة (وكان الله عزيزا) أى غالبا على دفعهم بوجوه كثيرة ولكن لكونه (حكيما)
دفعهم بأوضح الطرق فى الالزام وان قالوا نحن الراسخون ولا نرى ما أوحى اليك كالذى أوحى
الى من قبلك أجيبوا بانهم يرون ذلك ولا يشهدون للعناد (لكن الله يشهد) باعجازه (بما أنزل
اليك) فان اعجازه يدل على انه (أنزله بعلمه) المحيط الذى لا يصل اليه علوم الخلائق (والملائكة
يشهدون) عند من يكاشفون له (و) لو لم تسمعوا اشهادتهم لانكم محجوبون (كفى بالله شهيدا)
باعجازه لهم حتى لم يأتوا بمثله على ألسنة غيرك (ان الذين كفروا) مع اطلاعهم على اعجازه من
رسوخهم (و) لم يقتصروا على الكفر بأنفسهم بل (صدوا) الخلائق عن الايمان به وهو صد
لانفسهم وغيرهم (عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا) أعظم من ضلال الجهال الذين لا خبر
لهم بتلك الكتب لانه يمكن لهم حصول هداية يعقبها مغفرة وهؤلاء لا يرجى لهم (ان الذين
كفروا) والكفر لا يغفر (وظلموا) الخلائق باضلالهم وظلم الغير لا يغفر (لم يكن الله ليغفر
لهم) كيف والمغفرة فرع الهداية (ولا) كان الله (ليهديهم طريقا) من طرق الآخرة
(الا طريق جهنم) لا طريق الخروج عنها فيبقون (خالدين فيها أبدا وكان ذلك) فى حق الراسخين
المعاندين مع الله (على الله يسيرا) أيسر من أن يفعل بالمعتذرين بجهلهم اذ لا عذر لهم (يا أيها
الناس) الذين نسوا أن الواجب النظر الى الدلائل لا تقليد الراسخين اذا عاندوا (قد جاءكم
الرسول) بمعجزات آمن بما دونها الراسخون بأنبيائهم وعاندوه ولا وجه لعنادهم لانه جاء
(بالحق) أى بالدين الصواب الذى يجب قبوله بدون المعجزات وقد علم بها أنه (من ربكم
فآمنوا) واقصدوا (خيرا لكم) من تقليد المعاندين (و) ان كانوا راسخين لا تخافوا التلبيس

منه

موروا) أى تدور بما فيها
وقيل تمور تكفأ أى تذهب
وتجىء (قوله تعالى وتسير
الجبال سيرا) أى تسير
كما يسير السحاب (قوله
تعالى تأثيم) أى اثم (قوله
تعالى تماروا بالنذر) أى
شكوا فى الانذار (قوله عز
وجل تطغوا فى الميزان)
أى تجاوزوا القدر والعدل
(قوله تعالى يحرثون)
الحرث اصلاح الارض
والقاء البذر فيها (قوله
تعالى تفكهون) أى

منه في اظهار المعجزات على يدي الكاذب لانه اما لتحصيل خير من جر نفع أو دفع ضرر
لاستحالة ذلك في حقه فانكم (ان تكفروا) فهو غني عن الكل فلو فرضت له حاجة الى شئ
فلا يحتاج اليكم (فان لله ما في السموات والارض و) اما للجهل بقبحه واما للعبث لكم ما
لا يتصوران في حق الله تعالى اذ (كان الله عليما حكيما) فتعين ان اظهارها لتحصيل الخير
لكم لا غير ان آمنتم وتحصيل الضرر لكم ان كفرتم اذ لا يتصور العكس من الحكيم وكيف
تقلدون هؤلاء لرسوخهم وقد أدى بهم رسوخهم الى الغلو الذي حقكم ان تنهوهم عنه لأن
تقلدوهم فيه فقولوا لهم (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) بتعظيم عيسى فوق حده (و) لو
بالغتم في تعظيمه (لا تقولوا على الله الا الحق) فلا تثبتوا لله شريكا أو ولدا (انما المسيح) اسمه
(عيسى) لا لاله (ابن مريم) لا ابن الله وبالنظر الى معجزاته هو (رسول الله و) الى ولادته من
غير أب (كلمة) لا جزؤه (ألقاها) أي وصل صورتها (الى مريم) هذا من جهة تكوين جسده
(و) من جهة تكوين روحه غايته انه (روح) وصل منه لا من سائر العقول والسموات فلو
قلتم انه الله أو ابنه كنتم كافرين بالله (فآمنوا بالله و) ليس هذا منعا من الايمان به فآمنوا
بكونه من (رسله و) لكن (لا تقولوا) الاقانيم أي الجواهر (ثلاثة) أقنوم الاب وهو الذات
وأقنوم الكلمة وهو العلم وأقنوم الحياة وهو الروح القدس ولو قلتم بها (انتهوا) عن القول
بحلول بعضها في عيسى أو اتحاده به واقصدوا (خيرا لكم) وهو أنه المتصف بالكمالات ظهر
ظهور الصورة بالمرآة في عيسى ولا تقولوا بالحلول المخل بالالهية لجعله الاله تابعا للغير وهو
ينافي وجوب الوجود ولا بالاتحاد لانه اذا اتحد بالمخلوق لا تبقى الالهية ويتكثر بتكثير
المتحد به (انما الله اله واحد) ولا بالابنية المستلزمة للتشبه بالحيوانات (سبحانه أن
يكون له ولد) ولو فرض لم يكن من جملة ما في السموات وما في الارض اذ (له ما في السموات
وما في الارض) ملكا ولا يتصور كون الولد ملكا للوالد ثم هو مشعر بالحاجة (و) لا
حاجة لله اذ (كفى بالله وكيلا) في القيام بجميع الشؤن ولو قالوا نحن لا نغلو في ديننا
ولكنكم تنقصون حق عيسى اذ تجعلونه عبد الله مع انه كان يفعل أفعال الله من الاحياء
والابراء أجيبوا بان هذا لو كان نقصا لكان عيسى مستنكفا منه لكن (لن يستنكف)
أي لن يأنف ولن يتعظم (المسيح) من (أن يكون عبد الله ولا) من هو أقوى منه في
فعل الخوارق وهم (الملائكة المقربون) من أن يكونوا مع غاية علو رتبتهم عبيد الله
كيف (و) قد علموا انه (من يستنكف) من ملك أو جن أو انس (عن عبادته) أي امتثال
أوامره ونواهيه (ويستكبر) عن عبوديته (فسيحشرهم) أي المستنكفين وغيرهم
(اليه جميعا) ليرى كل ما يفعل به وبمخالفه من الاعزاز والاذلال فيزداد المعز سرورا بعزته
وذلة مخالفه ويزداد المذل حزنا بذلته وعزة مخالفه (فأما الذين آمنوا) فلم يستكبروا عن
عبوديته (وعملوا الصالحات) فلم يستنكفوا عن عبادته (فيوفيهم أجورهم) على ما تحملوا
الذلة فيه لينقلب عزة (ويزيدهم) على أجورهم شيأ عظيما (من فضله) المضاف الى عظمته

تعجبون ويقال تفكهون
وتفكنون أيضا بالنون
لغة عكل أي تندمون (قوله
تعالى تجعلون رزقكم
أنكم تكذبون) أي
تجعلون شكركم التكذيب
ويقال المعنى تجعلون شكر
رزقكم التكذيب فحذف
الشكر وأقيم الرزق مقامه
كقوله واسئل القرية أي
أهل القرية (قوله تعالى
تشتكي) أي تشكو (قوله
تعالى تحاوركما) محاورتكما
أي مراجعة القول (قوله

مبالغة فى اعزازهم (وأما الذين استنكفوا) عن عبادته (واستكبروا) عن عبوديته (فيعذبهم عذابا أليما) يذلهم به أشد من التذلل بالعبادة والعبودية (ولا يجدون لهم من دون الله وليا) يعزهم (ولا نصيرا) يدفع عنهم ذلتهم فهؤلاء علموا ان فى الاستنكاف كمال الذلة التى يهربون عنها وفى الانقياد كمال العزة التى يطلبونها وأنتم ترون كمال العزة فى الاستنكاف وكمال الذلة فى الانقياد مع انكم تدعون انكم راسخون وأدى بكم رسوخكم الى القول بأن التعزز عزة والتذلل ذلة مع انهما انما يكونان من اعزاز الله واذلاله ثم أشار الى انه انما يأخذ العوام بقول الراسخين فيما لم يظهر لهم برهان قطعى على خلاف قولهم (يا أيها الناس) أى الذين نسوا البرهان القطعى من عقولكم (قد جاءكم برهان من ربكم) الذى ربى بالدلائل النقلية مقتضى عقولكم فأيدها (و) ليس من المقدمات الخفية لكن لما خفيت عليكم لعدم التفاتكم اليها (انزلنا اليكم) من مقام عظمتنا (نورا مبينا) من المقدمات البديهية لا عما يشبهها من الكواذب حتى ظهر لكم بذلك كفر الراسخين من غلوهم حتى صار واوحل غضبه لمكابرتهم مع القطعيات فى حق الله (فأما الذين آمنوا بالله) فلم ينقصوا شيأ من حقه باثبات الشريك أو الولد (واعتصموا به) أى ببرهانه ونوره (فسيدخلهم فى رحمة منه) مع تركه الراسخين من هؤلاء فى غضبه (و) لو نجاهم لان غلطهم من اجتهادهم فيدخل هؤلاء فى (فضل) منه يتفضلون به على الراسخين منهم فى زعمهم كيف وقد ضلوا اضلالا (و) هؤلاء (يهديهم) هداية توصلهم (اليه) أى الى مقام قربه اذ يسلكهم بتمسكهم بالبرهان والنور المبين (صراطا مستقيما) مع اضلاله الراسخين فى زعمهم من غلوهم ومن هداية الله لمن تبع برهانه ونوره الاطلاع على احكام المواريث التى حار فيها عقول الخلائق فهم (يستفتونك) فى المواريث سيما ميراث الكلالة (قل الله) لا من تزعمون رسوخهم (يفتيكم) أيها الحيارى فى الميراث سيما (فى الكلالة) وهو من لا ولد له ولا والد له وله اخوة أو اخوات أو كلاهما فيقول (ان) مات (امرؤ هلك) أى تحقق موته (ليس له ولد) ولا والد ولكن لم يذكره لظهور حجبيته للاخوة لانه أقرب حائز والولد قد لا يكون حائزا كالبنت ولا حجب له ظاهرا لان الاخوة ليست مدلية بهم والام لا حيازة لها (وله أخت) من الابوين ثم من الاب (فلها نصف ما ترك) تنزيلا للفرع أصله منزلة فرعه عند عدمه (وهو) أى المرء (يرثها) أى الاخت حائزا (ان) هلكت ولم (يكن لها ولد) لانه فرع أصلها فنزل منزلة فرعها الحائز عند عدمه لانه ذكر والاصل فيه الحيازة وان كانت لها بنات أخذ الباقى وان كان لها ابن حجب بالكلية (فان كانتا) أى الوارثتان من أولاد الابوين أو الاب أختين (اثنتين فلهما الثلثان مما ترك) اذ لا حيازة لهما وكذا ما فوق الاثنتين اذ لا مزيد لهن على بنات الصلب (وان كانوا) أى الوارثون من أولاد الابوين أو الاب (اخوة) ذكر ليعلم ان الوراثة للاخوة لا للذكورية ولم يقل واخوات ليعلم ان التفضيل ليس من جهة الاخوة بل من جهة اجتماعهم (رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين) كاجتماعهم فى أولاد الصلب (يبين الله

لكم)

تعالى تفصموا) توسعوا (قوله تعالى تحرير رقبة) أى عتق رقبة يقال حررت المملوك تحرير أى أعتقته فعتق والرقبة ترجمة عن الانسان (قوله تعالى تبوؤا الدار) أى لزموها واتخذوها مسكنا أى تمكنوا فى الايمان واستقر فى قلوبهم (قوله تعالى تعاسرتم) أى تضايقتم (تفاوت) أى اضطراب واختلاف وأصله من الفوت وهو أن يفوت شئ شيأ

لكم) هذه الامور وان كانت دنيوية كراهة (أن تضلوا) فيها فكيف يترك بيان الامور الاخروية التي الضلال فيها أشد (والله بكل شيء عليم) فلا يبين الا بمقتضى ما أحاط به علمه الكامل فلا يؤخذ في مقابلة بيانه بيان غيره وان زعم انه راسخ تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وآله أجمعين

(سورة المائدة)

سميت بها لان قصتها أعجب ماذكر فيها لاشتمالها على آيات كثيرة ولطف عظيم على من آمن وعنف شديد على من كفر فهو أعظم دواعي قبول التكاليف المفيدة عقدة المحبة من الاتصال الايماني بين الله وبين عبده (بسم الله) الجامع بين اللطف والعنف في أحكامه التي كلف عباده بها بمقتضى أسمائه وصفاته (الرحمن) بجعلها مناط مصالح العباد في معاشهم ومعادهم (الرحيم) بجعلها عاقدة محبة من اتصال ايماني بينه وبينهم (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الذي هو الاتصال المعنوي لكم بالله تقويته باحكامه التي تقويه تقوية العقود الحسية للاتصال الحسي (أوفوا بالعقود) أي كملوا القيام بالاحكام التي تقوى الاتصال الايماني بالانقياد لها سيما لما لا يعقل الجمهور معناها كتحليل الانعام بذبحها (أحلت لكم بهيمة الانعام) أي ما لا يعقل من الحيوان فأشار الى سر تحليلها بأن نفوسها لما أبهم عليها عواقب الامور فتبديلها بالنفوس الانسانية انعام عليها (الا ما يتلى عليكم) تحريمه أو اعتبار قول من يحرمه أي الرسول عليه السلام وانما أحل لكم غير المستثنى مطلقا حال كونكم (غير محلي الصيد) أي غير صائدين أو ذابحين للصيد أو دالين عليه أو معين بصادله فكل ذلك تحليل للصيد (و) انما استثنى هذا من غير المستثنى للكل اذ (أنتم حرم) وانما بتم انقياد كم اذا انقدتم لها من غير تعقل المعنى فقلتم (ان الله يحكم ما يريد) وان كان لا يريد شيأ الا وفيه الحكمة البالغة كما يأتي في مواضع الاستثناء (يا أيها الذين آمنوا) لما اقتضى ايمانكم تحريم الصيد عليكم لقصدكم شعائر الله فاقتضاؤه تحريم قتل الناس فيها بطريق الاولى (لا تحلوا شعائر الله) أي الاماكن التي هي أعلام النسك فلا تقتلوا فيها (ولا الشهر الحرام) لانه من الازمنة كالشعائر من الامكنة (و) كيف تستحلون هتك حرمة الشعائر مع انه حرم هتك حرمة الهدى اليها بل حرمة ما ظن كونه هديا اليها (لا) تحلوا (الهدى ولا القلائد) أي التي قلدت بها النعل أو لحاء الشجر ليعلم كونها هدايا (و) كيف تستحلون القتل فيها وقد حرم قتل من قصدها ولم يصل اليها (لا) تحلوا قتل (آمين) أي قاصدين (البيت الحرام) للزيارة وان لم يكن فيها هتك حرمته ولكن لكونهم (يبتغون فضلا) أي ثوابا (من ربهم ورضوانا) فحقكم ان تعينوهم لا ان تقتلوهم (و) انما قلنا ان تحريم الصيد لحرمة البيت لانه أبيح لكم بعد الاحرام (اذا حللتم فاصطادوا) لا يرتفع تحريم قتلهم لكونهم أهل الحرب لكم (لا يجرمنكم شنآن) أي لا يحملنكم على الجريمة شدة عداوة (قوم) وان كانت ناشئة من (أن صدوكم عن المسجد الحرام) على (أن تعتدوا)

فيقع الخلل (قوله تعالى تميز من الغيظ) أي تنشق غيظا على الكفار (قوله عز وجل تعيها أذن واعية) أي تحفظها أذن حافظة من قولك وعيت العلم اذا حفظته (قوله تعالى ترجون لله وقارا) أي تخافون لله عظمة (قوله تعالى تبارا) أي هلاكا (قوله عز اسمه تحروا رشدا) أي توخوا وتعمدوا والتوخي القصد للشيء (قوله تعالى تبدل

عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم بالصيد (و) لكن (تعاونوا على البر والتقوى) اذا قصدوهما (ولا تعاونوا) لقتالهم (على الاثم) بصدهم (و) ان كان بطريق (العدوان) المماثل لعداوتهم (واتقوا الله) فى ايذاء قاصدى فضله ورضوانه وان آذوكم على ذلك (ان الله شديد العقاب) لو اعتديتم عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم حين قصدوا طلب فضله ورضوانه والجمهور على انه انسخت بقوله عز وجل انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وبالاجماع على حل قتال الكفار فى الاشهر الحرم والسر فيه انه فعل بهم ذلك أولا لعلهم يتركون العناد فلما لم يتركوه بالكلية أمر المسلمين بمكافأتهم ولما وصف الله سبحانه وتعالى ذاته بأنه شديد العقاب عقبه بذكر ما استثنى من المحرمات اشارة الى انها تستحق عليها تلك الشدة فقال (حرمت عليكم الميتة) أى ما فارقه الروح بغير سبب خارجى لانها تنجست بمفارقته من غير مطهر من ذكر اسم الله تحقيقا أو تقديرا كاسلام الذابح (والدم) لانه متعلق الروح بلا واسطة فأشبه النجس بالذات لا يؤثر فيه المطهر (ولحم الخنزير) لانه نجس فى حياته بصفاته الذميمة وهى وان زالت بالموت فهو منجس ولم يقبل التطهير لانه لما كان نجسا حال الحياة والموت أشبه النجس بالذات فكأنه زيد تنجيسه بالموت وانما ذكر اللحم اشارة الى انه وان لم يكن موصوفا فى الحياة بالصفات المنجسة لروحه كان متنجسا بنجاسة روحه ثم بزوال الروح (وما أهل لغير الله به) فانه وان ذكر معه اسم الله فقد عارض المطهر فيه المنجس مع نجاسته بالموت وان لم يذكر فقد زيد فى تنجيسه (والمنخنقة) أى التى ماتت بالخنق فانها وان ذكر اسم الله فى خنقها عارضه سريان خباثة الخانق اليها مع تنجسها بالموت (والموقوذة) أى المضروبة بخشب فانه وان ذكر الضارب فيها اسم الله فهو أشد خباثة من الخانق وكيف لا تؤثر خباثتها (و) قد حرمت (المتردية) أى التى ألقت بنفسها من علو ولو باغراء انسان ذكر اسم الله عليها فخباثة اغرائه سارية فيها كيف (و) قد حرمت (النطيحة) وان أرسل انسان الناطح بذكر اسم الله لانه لما لم يكن بطريق الصيد المشروع لم تخل من خباثة (وما أكل السبع) فانه وان أشبه الصيد لكنه لما أكله قصد بذلك نفسه فسرت خباثته فيها (الا ما ذكيتم) من هذه المذكورات بحيث ينسب موتها الى الذبح دون غيره فانه يتحقق فيه المطهر ولا يؤثر فيه السابق لان اللاحق ينسخه بل هو واقع قبل تأثير السابق اذ لا يتم التأثير الا بالموت (و) حرم بلا استثناء (ما ذبح على النصب) وان لم يسمع فيه اهلال غير الله وزعم صاحبه انه ذبح لله فلا يسمع منه (و) حرم (أن تستقسموا) أى تأخذوا القسمة من الجزور ونحوه (بالازلام) أى الاقداح فانه وان خلا عن الخباثة المذكورة لكن (ذلكم فسق) خروج عن الاخذ بالطريق المشروع لما فيه من جهل الثمن والمثمن (اليوم) لظهور الاسرار الالهية فى دينكم (يئس الذين كفروا من) تغيير (دينكم) والطعن عليه الا بطريق العناد (فلا تخشوهم) ان يعاندوكم (واخشونى) فى خشيتكم اياهم مع نهيى عن خشيتهم وكيف تخشونهم مع انى (اليوم أكملت لكم دينكم) باظهار هذه الاسرار

(واتممت

قوله
اليه) أى انقطع اليه (قوله
عز وجل تصدى) أى تعرض
يقال تصدى له أى تعرض
له (قوله تعالى تلهى) اى
تشاغل يقال تلهيت عن
الشئ ولهيت عنه اذا
شغلت عنه وتركته (قوله
عز وجل ترهقها قترة) أى
تغشاها غبرة (قوله تعالى
تنفس) اى الصبح انتشر
وتتابع ضوءه (قوله تعالى
تسنيم) يقال هو أرفع
شراب أهل الجنة ويقال
تسنيم عين تجرى من

(وأتممت عليكم نعمتي) بتطييب المأكولات لتطييب الاعمال (ورضيت لكم الاسلام دينا)
بتكميل اعماله بتطييب مايستعان به عليها لكن تحريم المذكورات انما هو حال السعة
(فمن اضطر) أي تناول محرما لوقوعه (في مخمصة) أي مجاعة (غير متجانف) أي معترض (لاثم)
بالاكل فوق الضرورة أو بعصيان بالسفر فانه لا يؤاخذ به (فان الله غفور) لمتناوله الحرام
(رحيم) باعطاء الرخصة فيه (يسئلونك) اذا حرمت هذه الاشياء (ماذا أحل لهم) من بهيمة
الانعام فانه لم يبق لنا منها شئ (قل أحل لكم الطيبات) التي طهرت بالذبح الشرعي (و) أحل
لكم مقتول (ما علمتم من الجوارح) أي جوارح السباع والطير (مكلبين) أي مغرين لها
لا اذا اقتلت بأنفسها (تعلمونهن) ان تستشلي اذا أشليت وتنزجر اذا زجرت وتجتنب عند
الدعوة ولا تنفر عند الارادة فتصير كانها وكلاؤكم لتعلمهن (مما علمكم الله) ويدل على توكيلهن
امساكهن عليكم (فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه) تحقيقا أو تقديرا
فانه ينزل منزلة ذكرهن له (واتقوا الله) ان تأكلوا ما فقد فيه شرط من هذه الشرائط
استعجالا اليها (ان الله سريع الحساب) أي المجازاة على كل ما جل ودق وكيف تسارعون
الى محرماته وقد وسع لكم في المباحات لانه (اليوم أحل لكم الطيبات) من الذبائح والصيد
(و) ما أشبه الطيبات اذ (طعام الذين أوتوا الكتاب) أي ذبائحهم وصيدهم (حل لكم)
وان لم يعتقد بذكرهم اسم الله لكنهم لما ذكروه أشبه ما يعتد بذكره (و) انما أبيح لكم بمجرد
هذا الشبه اذ (طعامكم حل لهم) فلو استخبثتم طعامهم ربما عاندوا فاستخبثوا طعامكم
ولا عبرة باستخباث المشركين طعامنا اذ ليس لهم ما يوجب الشبه بالطيب ولا بد منه فانه أقل
ما يفيد الحل (و) لما اعتبر هذا الشبه في باب الطعام اعتبر في باب النكاح فأحل لكم
(المحصنات) أي الحرائر (من المؤمنات) بلا شرط بخلاف الاماء (والمحصنات) أي الحرائر
فلا يصح نكاح الامة الكتابية بحال اذ لا يحتمل عار الكفر مع عار الرق على انه يؤدي الى
استرقاق الكافر ولد المسلم (من الذين أوتوا الكتاب) ممن آمن أول آبائهم بذلك الكتاب
(من قبلكم) ويحتمل كفرهن لانه انما يحتمل كفر غيرهم لانهم يدعون الى النار وهؤلاء
لما اعترفوا بأصل النبوة ولا شبهة لهم في نفي أمر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فضلا عن حجة
ضعفت دعوتهم اليها فلم يعتد بها على ان الرجل مستول على المرأة فلا تؤثر فيه تأثير
الرجل فلذلك لم يصح تزويج المسلمة بالكتابي على أن فيه اذلالا للمسلمة فلا تحتمل وتذليل
الكتابية لا ينفي مهرها بل انما تفرغ الذمة (اذا آتيتموهن أجورهن) أي مهورهن بل
شغل الذمة بحق الآدمي أشد من شغلها بحق الله ولو بالزنا وليس هذا بطريق الاجارة فلا
تحل الا اذا كنتم (محصنين) أي عاقدين النكاح (غير مسافحين) أي زانين من غير تخصيص
فان اعطاء الاجر لا يفيد الحل (و) ليس هذا العدم التخصيص لقطعه النسب بل (لا متخذي
أخدان) أيضا لتوقف النسب على العقد ولا تحصل بمجرد التخصيص (و) هؤلاء وان أشبهوا
المؤمنين في حل الطعام والنكاح لا يشبهونهم في قبول الاعمال لان (من يكفر بالايمان) أي

فوقهم تسنمهم في منازلهم
تنزل عليهم من عال يقال
تسنم الفحل الناقة اذا
علاها (قوله تعالى تخلت)
تفعلت من الخلوة (قوله
ترائب) جمع تريبة وهو
معلق الحلي على الصدر
(قوله عز وجل تزكى) أي
تطهر من الذنوب بالعمل
الصالح (قوله تعالى تردى)
تفعل من الردى وهو
الهلاك ويقال تردى سقط
على رأسه في النار من
قولهم تردى فلان من

ينكر وجوب الايمان بشئ مما يجب الايمان به (فقد حبط عمله و) لا يفيد اعتباره عند أهل ملتهم اذ (هو فى الآخرة من الخاسرين) ولما فرغ عن تطييب الطعام والنكاح أشار الى تطييب البدن عن آثارهما من الاحداث فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان تناسب أو ار بكم فى الطهارة فكما تنزه عن الحدوث فلا بد لكم من التنزه عن الحدث لكنه مما يعسر التحفظ عليه فى جميع الاوقات فلا بد منه (اذا قمتم) متوجهين (الى الصلوة) التى هى العبادة البدنية يتيسر فيها التحفظ عليها بخلاف الزكاة والحج والصوم فان كنتم محدثين صحيحين مقيمين بدليل وان كنتم جنبا الى آخره (فاغسلوا) والغسل امرار الماء (وجوهكم) والوجه ما بين منابت شعر الرأس غالبا الى منتهى الذقن طولا ومن الاذن الى الاذن عرضا فيجب غسل جميعه وظاهر اللحية النازلة لدخوله فى المواجهة المفهومة منه ويجب غسل منبت الخفيف من لحية الرجل ومنبت لحية غيره مطلقا ويفهم منه النية عرفا أى لاستباحة الصلاة كما اذا قيل اذا رأيت الامير فقم أى لتعظيمه على انه عبادة لا تحصل بدون النية ولا يصلح مفتاحا للصلاة بدونها لان الحدث أمر معنوى لا يحصل التطهير عنه بدون قصده وانما وجب غسله لان فيه أكثر الحواس الظاهرة التى ينتفع بالمحسوسات بواسطتها فلا بد من تطهيره عند ظهور آثار حدثت عنها ولسبق الاحساس على العمل قدم ما فيه أكثر الحواس الظاهرة أى غير السمع ثم أمر بتطهير الآلة الفاعلية للافعال التى منها تلك الآثار فقال (وأيديكم) وهى من رؤس الاصابع الى الكتف أسقط ما وراء المرافق اذ جعلها غاية بقوله (الى المرافق) فبقيت داخلة وذلك لان العمل بالاصابع يحتاج الى تحريك الكف التى لا تصل غالبا الا بتحريك المرافق ثم أمر بمسح الرأس فقال (وامسحوا برؤسكم) والمسح الاصابة والباء للالصاق أى ألصقوا المسح بالرأس فيكفى فيه أقل ما ينطلق عليه اسم الالصاق وايجاب مسح جميع الوجه فى التيمم لكونه بدلا من غسل جميعه وانما أمر بمسحه لانه جامع للحواس الباطنة فأشبه جامع الحواس الظاهرة وأخره عن غسل اليدين لانه مخزن الصور المدركة بالحواس الظاهرة من أعماله وغيرها ولم يأمر بغسله لانه يضر بصاحب الشعر ولا بد منه فى الزينة سيما للمرأة فخفف بالمسح ثم أوجب غسل آلة السعى لمشابهة آلة العمل فقال (وأرجلكم) أى اغسلوها وهو على قراءة النصب وهى قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائى ويعقوب ظاهر وحمل قراءة الجر على الجوار للسنة الشائعة وعمل الصحابة والتحديد بقوله (الى الكعبين) اذ المسح غير محدود وفائدته التنبيه على منع الاسراف فى غسلها غسلا يشبه المسح ولما كانت حركتها توجب حركة جميع البدن اقتصر على أدنى الغايات لئلا تبطل فائدة تخصيص الاعضاء وفى الفصل بين المغسولات بالممسوح ايماء الى وجوب الترتيب والسر فيه ما أشرنا اليه (وان كنتم جنبا) بخروج منى أو التقاء ختانين صحيحين مقيمين (فاطهروا) أى بالغوا فى تطهير البدن لانه يتلذذ به الجميع تلذذا أغرقه فى غير الله فأثر فيه بالحدث (وان كنتم) جنبا (مرضى) تخافون من استعمال الماء بطء البرء أو شينا

(قوله رأس الجبل اذا سقط (قوله تعالى تلظى) تلهب وأصله تتلظى فأسقط احدى التاءين استثقالا الهماف صدر الكلمة ومثله فانت عنه تلهى وتنزل الملائكة وما أشبهه (تنهر) أى تزجر (قوله تعالى تبت يدا أبى لهب وتب) أى خسرت يدا أبى لهب وقد خسر هو

* (باب التاء المضمومة) *

(قوله تعالى تغمضوا فيه) أى تغمضوا عن عيب فيه أى لستم بآخذى الخبيث

فاحشا على عضو ظاهر (أو) جنبا ادا كبين (على) ظهر (سفر أو) محدثين مرضى أو مسافرين
بأن (جاء أحد منكم من الغائط) أى رجع من مكان البراز وفى معناه كل خارج من أحد
السبيلين أو ثقبة تحت المعدة مع سد المعتاد (أولامستم النساء) أى لمستموهن أو لمسنكم
فانه أقيم مقام خروج الخارج لانه سببه (فلم تجدوا ماء) فى السفر وفى معناه تعذر استعماله
بعذر فى السفر أو مرض أو برد فى الحضر (فتيمموا) أى اقصدوا (صعيدا طيبا) أى ترابا
طاهرا (فامسحوا بوجوهكم وأيديكم) بايصال شئ (منه) اليهما تذليلا للعضوين الشريفين
وتذليل الرأس افراط وتذليل الرجل تفريط وانما رخص الله لكم فى التيمم لانه (ما يريد
الله ليجعل عليكم من حرج) أى ضيق فى تحصيل الماء ولا ان يترككم فى الحدث مانعا عن
الصلاة (ولكن يريد ليطهركم) ليجعلكم فى حكم الطاهرين بالتذلل بالتراب فانه لما رفع
التكبر فكأنما رفع الحدث الذى ينشأ عن امثاله (وليتم نعمته عليكم) بتمكينكم من عبادته
بكل حال حتى حال الحدث (لعلكم تشكرون) هذه النعمة فتستتر بدون النعم الاخروية
(واذكروا) مع هذه النعمة (نعمة الله عليكم) بتطييب المأكول والمنكوح والبدن عن
الحدث لتزدادوا شكرا فتزدادوا نعما (و) هو انما يتم بالاعمال الظاهرة والباطنة التى
ضمنها (ميثاقه) أى عهده الوثيق (الذى واثقكم به) أى أكد عليكم بقبوله (اذ قلتم)
لرسوله صلى الله عليه وسلم النازل منزلته (سمعنا وأطعنا) حين بايعتموه على السمع والطاعة
فى العسر واليسر والمنشط والمكره (واتقوا الله) ان تنقضوا شيأ من عهوده ولو بالقلب
(ان الله عليم بذات الصدور) أى بالضمائر المخصوصة به ثم أشار الى أن الوفاء بالميثاق انما
يكون بالاستقامة فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم الاستقامة (كونوا قوامين)
أى مبالغين فى الاستقامة باذلين جهدكم فيها (لله) وهى انما تتم بالنظر فى حقوق الله وحقوق
خلقه فكونوا (شهداء بالقسط) أى العدل لا تتركوه لمحبة أحد ولا لعداوة أحد وأشار الى
ان رعايته فى حق الاعداء أشد فقال (ولا يجرمنكم شنآن) أى لا يحملنكم شدة عداوة (قوم
على ألا تعدلوا) فى حقهم فانا لا نأمركم به من حيث ما فيه من توفية حقوق الاعداء بل
من حيث ما فيه توفية حقوق أنفسكم فى الاستقامة (اعدلوا هو أقرب للتقوى) أى لحفظ
الانفس ان تجاوز حد استقامتها (و) ان لم تتقوا الاعداء فى حقوقهم (اتقوا الله)
ان تبطلوا حقوقه أو حقوق عباده ولو بطريق توهمون فيه العدل (ان الله خبير بما
تعملون) ثم انه ان لم يحصل لكم فائدة فى الاستقامة ولا فى العدل سيما فى حق الاعداء كفاكم
ما وعده الله من المغفرة والاجر العظيم عليهما اذ قد وعده على ما دونهما فانه (وعد الله الذين
آمنوا وعملوا الصالحات) وان لم يبلغوا حد الاستقامة وكمال العدل المغفرة والاجر العظيم
ووعده صدق فلا شك انه يحصل (لهم مغفرة وأجر عظيم) ولو لم تعتقدوا وجوب الاستقامة
والعدل ولو فى حق الاعداء اذ تقيسونهم على أهل الحرب كنتم فى حكم أهل الحرب

من الاموال ممن اسلكم قبله
حق الاعلى اغماض
ومسامحة فلا تؤدوا فى حق
الله عز وجل ما لا ترضون
مثله من غرمائكم ويقال
تغمضوا فيه أى تترخصوا
فيه ومنه قول الناس للبائع
اغمض وغمض أى لا تستقص
وكن كأنك لم تبصر (قوله
تعالى تولج الليل فى النهار)
أى تدخل هذا فى هذا فما
زاد فى واحد نقص من
الآخر مثله (قوله عز وجل

لكفركم بآيات الله وتكذيبكم بها (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم) وهي
أشد من مقاساة شدائد الاستقامة والعدل ومما حصل من ايذائكم للاعداء ثم أشار
الى ان الله تعالى لولم يعدكم المغفرة والاجر العظيم على الاستقامة والعدل والمعاقبة على
تركهما الزمكم القيام بهما شكراله على حفظه اياكم عن اعدائكم فقال (يا أيها الذين آمنوا)
مقتضى ايمانكم ملازمة شكره على ذكر نعمه (اذكروا نعمت الله عليكم) في حفظه اياكم
عن اعدائكم (اذهم قوم أن يبسطوا اليكم أيديهم) ليقتلوكم عند اشتغالكم بصلاة العصر
بعدما رأوكم تصلون الظهر فندموا على ان لاأكبوا عليكم (فكف أيديهم عنكم) اذ أنزل
عليكم صلاة الخوف (واتقوا الله) عند رؤية رخصه أن تتركوا اشيا من الاستقامة المأمورة
ترخصا من عند أنفسكم فأقل ما فيه خوف تسليط الاعداء (وعلى الله فليتوكل المؤمنون)
اذا خافوا في الاستقامة أو العدل أحدا فانه الكافي لمن توكل عليه وهو مستقيم على مقتضى
الايمان (ولقد أخذ الله ميثاق بني اسرائيل) أشد مما أخذ عليكم اذ امرهم ان يسيروا الى
أريحا من أرض الشام لقتال الكنعانيين واخراجهم (و) لغاية شدته (بعثنا منهم اثني عشر
نقيبا) يتوكلون عنهم بالوفاء اذ كان لايمكن الوفاء به الا بالتوكل الكامل على الله (و) لذلك
(قال الله) لهم (اني معكم) فلا يغلبونكم وان بلغوا من العظمة والقوة ما بلغوا لو كانتم
على "وأنتم مؤمنون مستقيمون فانه يحصل لكم النصر عليهم مع ما أعدكم على الايمان
والطاعات (لئن أقمتم الصلوة) الجامعة عبادة الظاهر والباطن من جميع اجزاء الانسان
(وآتيتم الزكوة) المطهرة من حب ماسوى الله (و) أقمتم جميع الاوامر والنواهي في كل عصر
بمقتضاه اذ (آمنتم برسلي و) دللتم على كمال الايمان بهم اذ (عزرتموهم) بالسمع والطاعة في
العسر واليسر والمنشط والمكره (و) أكملتم سمعكم وطاعتكم في الاموال والانفس اذ (أقرضتم
الله) أموالكم وأنفسكم (قرضا حسنا) لاتطلبون فيه ربحا دنيويا من رياء وسمعة (لاكفرن)
أي لامحون (عنكم سيآتكم) أي معاصيكم وهذا دون وعد المغفرة الكلية على مجرد الايمان
والاعمال الصالحة (ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار) وهذا دون وعد الاجر
العظيم على مجردهما (فمن كفر) بوعد الله النصر المستلزم للكفر به وبرسله (بعد ذلك) أي
بعد قول الله اني معكم (منكم) أيها الذين لم يزالوا يرون آيات الله المتوالية ففاته الموعود
فليس بعجب (فقد ضل سواء السبيل) الموصل اليه والى كل مطلب عال ضلالا يوجب
ملازمة الجحيم فسار موسى بهم فلما دنا من أرضهم بعث النقباء يتجسسون ونهاهم ان يحدثوا
قومهم فرأوا اجساما عظاما فهابوهم وحدثوا قومهم الا يوشع بن نون وكالب بن يوفنا فنقضوا
الميثاق (فبما) أي فبشئ عظيم صدر منهم من (نقضهم ميثاقهم) المؤكد الموعود عليه
النصر والمغفرة والاجر العظيم (لعناهم) أي أبعدناهم عن رحمتنا فضلا عن وصول الموعود
من أثرها ابقاءهم في التيه (و) يدل على لعننا اياهم انا (جعلنا قلوبهم قاسية) لاتلين للجهاد
برؤية الآيات والآفات الدالة على غضب الله عليهم وبقيت تلك القساوة واللعنة في ذريتهم

لذلك

يخرج الحي من الميت أي
ويخرج الميت من الحي) أي
يخرج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن وقيل
بعض الحيوان من النطفة
والبيضة وهما ميتتان من
الحي وترزق من تشاء بغير
حساب أي بغير تقدير
وتضييق (قوله تعالى تقاة)
وتقية يعني واحد (قوله عز
وجل تبوئ المؤمنين
مقاعد للقتال) أي تتخذ
لهم مصاف ومعسكرا

لذلك (يحرفون الكلم) أى كلام الله فى التوراة بصرف الفاظه أو معانيه (عن مواضعه)
بمقتضى كمال الحكمة بحيث يعرف الماهر التغيير بمجرد النظر (و) انما اجترؤا على ذلك لانهم
(نسوا) وان حفظوا الفاظها وفهموا معانيها (حظا) كاملا (مما ذكروا به) من زواجر
التوراة (ولا تزال تطلع على خائنة) أى خصلة منسوبة الى الخيانة وراء التحريف تتجدد
(منهم) يتفق عليها جميعهم (الا قليلا منهم) وهم المؤمنون واذا كثر الخائنون منهم وقل
امناؤهم فلو نسبت الخيانة اليهم ونفيتها عن القليلين لا يبعد منهم ان يعكسوا (فاعف
عنهم) ما غيروا من نعتك (واصفح) عما غيروا من أحكام الله تكن محسنا الى من أساء اليك
والى الله (ان الله يحب المحسنين) سيما الى المسيئين ولو الى الله ورسوله ونسخ بآية السيف
بعد ما علم انهم لا يتركون اساءتهم بالاحسان وخيف ضررهم ثم أشار الى ان نقض الميثاق
قد أثر فى النصارى أكثر مما أثر فى اليهود فيخاف مزيد تأثيره فيكم فقال (ومن الذين قالوا
انا نصارى) وان لم ينصروا عيسى بعد أخذ الميثاق به عنهم (أخذنا ميثاقهم) ان يحفظوا
دينه مع كثرة متشابهات كتابه وزجرناهم بأنواع المواعظ (فنسوا حظا مما ذكروا به)
فاختلفوا نسطورية ويعقوبية وملكانية فكفر بعضهم بعضا (فأغرينا بينهم العداوة)
فى الظاهر (والبغضاء) فى الباطن فحصل لهم مع لعنة الله لعن بعضهم بعضا وقست قلوبهم
فلا تلين للاتفاق (الى يوم القيامة) يتعذبون بالقتل والاسر ونهب الاموال فهذا أثر بغضهم
فى الدنيا (و) لا يقتصر عليه بل (سوف ينبئهم الله) فى الآخرة وكفى به لو لم يعذبهم (بما كانوا
يصنعون) من القاء الشبهات والقتال على الباطل فلو نقضتم الميثاق يخاف عليكم أن
يصيبكم فى الدنيا مثل ما أصاب أحد الفريقين وفى الآخرة ملازمة النار ولو زعموا ان
أحدا من الفرق لا يقدر على ازالة شبهة الفرقة الاخرى يقال لهم (يا أهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا) لاقامة الحجج وازالة الشبه مما خفى عليكم أو ظهر لكم ولكنكم تخفونه لئلا تلزموا به
فأتاكم (يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب) مما يقيم حجة أو يرفع شبهة (و) مقصوده
بذلك اظهار الحق لا كشف فضائحكم لذلك (يعفوا عن كثير) ولو لم يكن ما يبينه من
مخفياتكم لوجب قبوله لانه (قد جاءكم من الله نور) من الادلة القطعية والعقلية (وكتاب
مبين) لتلك الادلة تأييدا لها باعجازه وليس من اضلال الشيطان اذ (يهدى به الله من اتبع
رضوانه) أى طاب الاعتقادات والاعمال والاخلاق والاحوال التى فيها رضاه لكمالها فى
أنفسها (سبل السلام) أى سلامتها عن شوائب الكفر والبدعة (ويخرجهم من الظلمات)
اى ظلمات الشبه (الى النور) اى نور الدلائل القطعية (باذنه) اى بتوفيقه (ويهديهم الى
صراط مستقيم) فلا تميل فى تلك الابواب الى افراط ولا تفريط ثم أشار الى افراط بعض
النصارى فى حق عيسى وتفريطهم فى حق الله فقال (لقد كفر الذين قالوا) ان ناسوت عيسى
اتحد بلاهوت الله فكأنهم قالوا (ان الله هو المسيح) مع ان المسيح هو (ابن مريم) والله
ليس بابن مريم (قل) لو كان عيسى متحدا بالله لكان واجب الوجود لذاته لكنه ممكن وكل

(قوله عز وجل تصعدون) الاصعاد الابتداء فى السفر والانحدار الرجوع (قوله عز وجل تبسل نفس) أى ترتهن وتسلم للهلكة (قوله تعالى تشمت بى الاعداء) أى تسرهم والشماتة السرور بمكاره الاعداء (قوله تعالى ترهبون) أى تخيفون (قوله تعالى تفيضون فيه) أى تندفعون فيه بكثرة (قوله تعالى تحصنون) أى تحرزون

ممكن داخل تحت قدرة الله تعالى (فمن يملك) أى يقدر ان يدفع (من) مرادات (الله شيأ
ان أراد أن يهلك المسيح) من جهة كونه (ابن مريم و) هو يساوى فيها (امه ومن فى
الارض) وهو يقدر على اهلا كهم (جميعا) فضلا عن آحادهم وكذلك من جهة روحه لان
غايتها انها سماوية (ولله ملك السموات والارض وما بينهما) فكل ذلك محل تصرفه بالايجاد
والافناء فالله تعالى قادر على افنائهما كما هو قادر على ايجادهما ولكنه (يخلق ما يشاء) مما له
ضد فيفنيه به ومما لا ضد له فلا يفنيه عادة لجريان سنته انه لا يفعل شيأ بلا سبب (و) لكن
ذلك لا ينافى قدرته اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى انهم كما أفرطوا فى حق عيسى افرط
البعض الآخر منهم فى حقه باثبات ابنيته واليهود فى حق عزير باثبات ابنيته وافرطوا فى حق
أنفسهم والكل فرطوا فى حق الله تعالى فقال (وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله) لانا
اتباع ابنيه عزير وعيسى بالحقيقة والتابع فى حكم المتبوع (و) ان لم نكن ابناءه فلا أقل
من انا (أحباؤه) لانا احباء ابنيه المحبوبين له ومحبوب المحبوب محبوب به سيما اذا كان ابنا
محبوب المحب (قل) ان الابن والمحبوب لا يعذبه الوالد والمحب (فلم يعذبكم) بالاسر والقتل
والمسخ والنار وان زعمتم أياما معدودة وليس من الابتلاء اذ المحبوب لا يبتلى فهو (بذنوبكم)
على ان تابع الابن لا يكون فى حكمه كيف وابنية الله خروج من البشرية ولستم بخارجين
منها (بل انتم بشر) غاية ما يمكنكم من الانتقال عنها الانتقال الى الملكية وهى أيضا جهة
الخلقية فانتم (ممن خلق) وابنية الله خروج من الخلقية بالكلية والمخلوق محل مشيئته فلا
يتعين فى حقكم الغفران الذى يتعين فى حق الابن بل (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
و) كيف تخرجون عن مشيئته مع دخولكم فى ملكه اذ (لله ملك السموات والارض
وما بينهما و) لا يعسر عليه تنفيذ مشيئته لبعدكم كما يعسر على بعض الملوك اذ (اليه المصير)
اى مصير الكل ثم أشار الى انه لا عذر لهم فى عجزهم عن رد متشابهات كتابهم الى محكمه من
اختلافهم فى كيفية الرد فقال (يا أهل الكتاب) العاجزين عن رد متشابهاته الى محكمه (قد
جاءكم رسولنا) لردها ولا تعذرون فى اختلافكم فى كيفية الرد لانه (يبين لكم) كيفيته
وانما يرجى قبول عذركم لو بقيتم (على فترة من الرسل) لكن الله تعالى أزال عذركم بارساله
كراهة (أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير) فى أخذ أحد الطرفين وترك الآخر فان اعتذرتم
الآن لم يقبل منكم (فقد جاءكم بشير ونذير) بل لو لم يرسل اليكم كان له ازالة عذركم اذ لا يتعين
لازالته ارسال الرسل (والله على كل شئ قدير) لكنه لما كان قالع العذر من أصله باوضح
الطرق اختاره ثم أشار الى تفريطهم فى أمر الله الوارد على لسان موسى وتفريطهم فى حقه
مع حثه اياهم على شكر الله ليسارعوا الى امتثال أمره فقال (واذ قال موسى لقومه يا قوم)
ما لكم تفرطون فى أمر الله ولم يفرط فى حقكم (اذكروا نعمة الله عليكم) فوق نعمه على من
سواكم (اذ جعل فيكم أنبياء) هم أكمل الخلائق ومكملوهم (وجعلكم) اى بعضكم الذين
يجعلون الباقين فى حكم الملوك فكأنه جعل جميعكم (ملوكا) ينفذون أحكامهم (وآتاكم)

(قوله تعالى تفندون) أى
تجهلون ويقال تعجزون فى
الرأى وأصل الفند الخرف
يقال أفند الرجل اذا خرف
وتغير عقله ولم يحصل كلامه
ثم قيل فند الرجل اذا
جهل والاصل ذلك (قوله
تعالى تسيمون) أى ترعون
ابلكم (قوله عز وجل تبذر
تبذيرا) أى تسرف اسرافا
(قوله عز وجل تخافت بها)
أى تخفها (قوله عز وجل
تمار فيهم) تجادل فيهم

من الفضائل والعلوم (مالم يؤت أحدا من العالمين) من أهل عصركم فمقتضى هذه النعم
المبادرة الى امتثال أوامر المنعم شكرا له ليزيدكم نعمه (يا قوم) أدعوكم الى ما تستزيدون به
النعم (ادخلوا الارض) اى ارض اريحا (المقدسة) بسكنى من مضى من الانبياء وقد
تلوثت الآن بسكنى الاعداء من جبابرة الكنعانيين فاراد تطهيرها باخراجهم واسكانكم
لانها (التى كتب الله) اى قدر وصيرورتها (لكم) لو قاتلتم من فيها (و) قد امركم بذلك أمرا
جازما (لا ترتدوا) اى لا ترجعوا عن أمره فترجعوا عن منزلة قربه (على أدباركم) اى
ظهوركم فيلحقكم غضبه (فتنقلبوا) اى فترجعوا (خاسرين) لا يبقى لكم ملك ولا علم ولا عمل
(قالوا يا موسى) نادوه باسمه استهانة له (ان فيها قوما جبارين) اى متغالبين ليس لنا مقاومتهم
(وانا) وان وعدنا الله النصر (لن ندخلها) وان حصل لنا فيها ما حصل من المزيد (حتى يخرجوا
منها) لرعب يقع فى قلوبهم من غير قتال منا (فان يخرجوا منها) بذلك الرعب (فانا داخلون)
لانا الى نتغلبهم بعد ذلك (قال رجلان) يوشع بن نون وكالب بن يوفنا (من الذين يخافون)
الخسران على مخالفة أمر الله وترك الامر بالمعروف ولذلك (أنعم الله) بالنبوة المستدعية
لسائر النعم (عليهما ادخلوا) متحزبين (عليهم الباب) فانه مخوف لهم (فاذا دخلتموه) بامر الله
بعد وعده النصر لكم (فانكم) مع غاية ضعفكم (غالبون) عليهم مع غاية قوتهم (وعلى الله)
لا على قوة أنفسكم (فتوكلوا ان كنتم مؤمنين) بكمال قدرته ووعده النصر (قالوا يا موسى
انا) وان وعدتنا النصر وأمرتنا بالتوكل على الله وجزمت تغليبنا عليهم (لن ندخلها أبدا
ما داموا فيها) فان كان لربك قدرة على تضعيفهم وتقويتنا ولك اعتماد على تقويته اياك
(فاذهب أنت وربك فقاتلا) فانكما تكفيان على قتالهم ولا حاجة لربك بنا فلا ندخل قريتهم ولا
نقرب منها بل (انا ههنا) اى فى مكان بعيد عنهم (قاعدون قال رب انى لا أملك) أحدا
ألزمه قتالهم (الا نفسى وأخى) اى ومن يؤاخينى ويوافقنى كهرون ويوشع وكالب ويجادلنى
غيرهم (فافرق) اى فاحكم بما يميز بين المحق والمبطل لتفرق (بيننا وبين القوم الفاسقين)
اى الخارجين عن أمرك (قال) فرقى أن أضلهم ظاهرا كما ضلوا باطنا وأخرجهم عما آتيناهم
من فوائد علمهم وفضائلهم وملكهم كما خرجوا عن أمرى حتى أخرجهم عن أرضهم الموعودة
لهم (فانها محرمة عليهم أربعين سنة) أربع عشرات لكمل اعداد الافراد المكررة تكرارا يبلغ
عدده العشرة لاشتماله على واحد واثنين وثلاثة وأربعة ضالين خارجين عن ملككم وعن الملك
الموعود لهم اذ (يتيهون) اى يترددون (فى الارض) التى اختاروا القعود فيها غير أرضهم
وأرض عدوهم وهى ستة فراسخ يسيرون فيها من الصباح الى المساء فاذا هم بحيث ارتحلوا منه
لا لذة ولا فرح لهم وان كان الغمام من الشمس يظلهم وعمود من النور يضىء بالليل لهم
ومعاشهم من المن والسلوى وماؤهم من الحجر الذى يحملونه واذا رأيتهم فى التيه لا يلتذون
بشىء مما ذكر (فلا تأس) اى تحزن (على القوم الفاسقين) الخارجين عن أمرنا وأمرك فلا
تشفع لهم وكان معهم موسى وهرون ويوشع وكالب غير انهم لا يتعذبون بل يتلذذون وكفى به

(قوله ترهقنى) تغشنى
(قوله تصنع على عينى) اى
تربى وتغذى برأى منى
(قوله لا اكالك لى غيرى) (قوله
تخبت له قلوبهم) اى تخضع
وتطمئن والخبت الخاضع
المطمئن الى ما دعى اليه
والخبت المطمئن من
الارض (قوله تسعرون)
تخدعون (قوله عز وجل
تلهيهم تجارة) اى تشغلهم
يقال ألهانى عنه اشغلنى
عنه (قوله تقنعوا) اى
تخافوا (قوله تعالى تكن
صدورهم) اى تخفى

فارقاومات فيه هرون ثم موسى والنقباء غير يوشع وكالب ثم دخل يوشع اريحا بعد موته بثلاثة أشهر ولا يبعد وقوع تارك أمر الله فى التيه مع انه وقع ممتثل أمره لا عن التقوى وهو القاتل من ابنى آدم فقتل أخاه ظلما ثم صار اضل من الغراب فى دفنه (واتل عليهم نبأ ابنى آدم) هابيل وقابيل ملتبسا (بالحق) اى الواقع فى كتب الاولين من غير نظر فيها ولا سماع من أهلها (اذقربا قربانا) ما يتقرب به الى الله تعالى ليدل قبوله بنزول نار تأكله على استحقاق توأمة قابيل التى أراد آدم تزويجها من هابيل اذ أوحى الله اليه أن زوج كل واحد منهما توأمة الآخر فسخط قابيل اذ كانت توأمته اسمها اقليما أجمل فقال آدم قربا قربانا فمن أيكما تقبل تزوجها منه (فتقبل من أحدهما) وهو هابيل قرب جملا سمينا (ولم يتقبل من الآخر) وهو قابيل قرب اردأ قمح (قال لاقتلنك) على قبول قربانك الذى تتوسل به الى تزوج توأمتى (قال) عدم قبول قربانك كان من قبلك اذ لم تتق الله فلم ترض بحكمه ولم تخلص النية (انما يتقبل الله من المتقين) والله (لئن بسطت) اى مددت (الى يدك لتقتلنى) ظلما (ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك) دفعا (انى) وان لم أكن فى الدفع ظالما (أخاف الله) ان يكره منى هدم بنيانه الجامع ليظهر فيه من حيث كونه (رب العالمين) ولولم أخف الله لم أكن لاقتلك دفعا (انى أريد أن تبوء) اى ان ترجع الى الله ملتبسا (باثمى) اذ يحمل عليك لظلمك لى وليس لك حسنة (واثمك) الذى لا يحمله أحد وان قتلك دفعا (فتكون) بالاثمين (من أصحاب النار) آخذا منهما مكانى ومكانك (و) ليس ذلك لارادتى شقاوتك بل لوقوعه من ظلمك اذ (ذلك جزاء الظالمين) فلم يتأثر بهذه الكلمات (فطوعت) اى زينت (له نفسه) الامارة بالسوء (قتل أخيه) الذى حقه ان يحفظه من كل من قصده بالسوء بالتحمل على نفسه (فقتله) عند عقبة حراء أو بموضع المسجد الاعظم بالبصرة (فاصبح من الخاسرين) دينا اذ صار كافرا حاملا للدماء الى يوم القيامة ودنيا اذ صار مطرودا مبغضا للخلائق فحمله فى جراب على ظهره أربعين يوما حتى أروح ولا يدرى ما يصنع به من افراط حيرته (فبعث) أى أرسل (الله غرابا) فجاء (يبحث) اى يحفر بمنقاره ورجله متعمقا (فى الارض ليريه) اى الغراب القاتل أخاه (كيف يوارى) اى يستر (سوءة) اى جسد (أخيه) الميت فانه يستقبح ان يرى (قال ياويلتى) اى ياهلكتى احضرى اذ صرت أضل من الغراب (أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب) الذى هو أخس الحيوانات فى القدرة على تحصيل معرفة المواراة مع انى أحوج اليه (فأوارى سوءة أخى) فعلم انه صار أجهل من الحيوانات العجم (فاصبح من النادمين) بكونه ادنى منها وأضل (من أجل ذلك) المصير منه الى أدنى من الحيوانات العجم وأضل منها وخسران الدارين والذهاب بالاثمين (كتبنا على بنى اسرائيل) الذين لا يبالون لزاجر ومرغب لم يبلغ الغاية (أنه من قتل نفسا بغير) قتل (نفس أو) بغير (فساد) يسرى ضرره (فى الارض) كقطع الطريق وزنا المحصن والشرك (فكأنما قتل الناس جميعا) اى أثم اثم من قتل الجميع كقابيل

صدورهم (قوله عز ذكره تقلبون) اى ترجعون (قوله عز وجل تصعر خدك للناس) اى تعرض بوجهك عنهم فى ناحية من الكبر والصعر ميل فى العنق والصعر داء يأخذ البعير فى رأسه فيقلب رأسه فى جانب فيشبه الرجل الذى يتكبر على الناس به (قوله جل اسمه ترجى) اى تؤخر (قوله عز وجل تؤوى اليك) اى تضم (قوله تشطط) اى تجور وتسرف وتشطط اى تبعد من

وان لم يسن القتل (ومن أحياها) اى عفا عنها القتل (فكأنما أحيا الناس جميعا) اى تصدق عليهم بالحياة لو أمكنه ولم يكن هذا المكتوب مما تركناه عندنا ولم نوصله اليهم بل (و) الله (لقد جاءتهم) به (رسلنا) لا بمجرد الدعوى بل (بالبينات ثم) اى بعد مجيئهم (ان كثيرا منهم بعد ذلك) الزجر المسموع من رسلنا (فى الارض) بالفساد والقتل (لمسرفون) فحصل لهم اثم قتل الناس جميعا مرارا غير متناهية ولا اثم فى قتلهم لانهم أهل الفساد الذين استثناهم الله لانه (انما جزاء الذين) يقطعون الطريق كأنهم (يحاربون الله ورسوله) لانهما يأمران باصلاح الارض (و) هؤلاء (يسعون فى الارض فسادا أن يقتلوا) من غير قطع ولا صلب ان افردوا القتل (أو يصلبوا) بعد القتل وقيل أحياء ان قتلوا وأخذوا المال (أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف) اى من جانبين مختلفين ان أخذوا المال ولم يقتلوا (أو ينفوا من الارض) بحيث لا يستقرون بمكان ان اقتصروا على التخويف فأو للتقسيم (ذلك) الجزاء ليس بجزائهم بالحقيقة بل هو غايته انه (لهم خزى) اى هوان وفضيحة (فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) هو جزاؤهم بالحقيقة لكنه لما سقط بحدود الدنيا اذا اقيمت سمى بجزائهم وحصر فيه وجعل جزاء جميعهم (الا الذين تابوا) من قطع الطريق (من قبل ان تقدروا عليهم) فان ذلك يسقط حدودهم والعذاب الاخروى أيضا وان ترددتم فى ذلك لعظم جرمهم (فاعلموا ان الله غفور رحيم) لكن لا يسقط حق الخلق فيقتلون قصاصا ويغرمون المال هذا اذا كانوا مسلمين وأما المشركون فاذا آمنوا وتابوا عن القطع قبل القدرة عليهم سقط عنهم الجميع فاذا كان هذا جزاء قاطع طريق الدنيا فقاطع طريق الآخرة وجزاؤه اقطع لانه المحارب الحقيقى لله ورسوله من كل وجه بل من عصى الله فى خاصة نفسه ففيه نوع محاربة الله ورسوله (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اتقاء محاربته ولو بمعاص تخصكم (اتقوا الله) أن تضيعوا حقا من حقوقه فانه قاطع لمحبته موجب لمحاربته ولا يتم الا بوسيلة محبته (و) لذلك (ابتغوا اليه الوسيلة) من الاعتقادات الصحيحة والاخلاق الفاضلة والاعمال الصالحة ولا تتم الا بمجاهدة النفس (و) لذلك (جاهدوا) أنفسكم مستقرة (فى سبيله) لا بطريق الرهبانية (لعلكم تفلحون) اى راجين فلاحكم ولا فلاح بالمال ولا يصلح للوسيلة الى الله تعالى حتى انه لا يفيد النجاة (ان الذين كفروا لو أن لهم ما فى الارض) من الاموال وغيرها (جميعا ومثله) مضموما (معه) جاؤا به (ليفتدوا به) فيتخلصوا (من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم و) لا يفيدهم تخفيفا بل (لهم عذاب أليم) كان لهم من قبل الفداء ولم يكن فداؤهم لنيل الفلاح بل غايته أنهم (يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها) بهذا السبب ولا بغيره (و) ليس لهم سبب من الاسباب يدفعه حينا من الاحيان بل (لهم عذاب مقيم) اى دائم (و) ليس هذا الهوان المال بحيث يهون العذاب على قاطع الطريق لاجله فانه يقطع فيه أشرف أعضاء السارق اذ (السارق) وان كان دون قاطع الطريق فى القوة (والسارقة) وان كانت أضعف منه يستحقان قطع الكف (فاقطعوا أيديهما)

قوله م شطت الدار اى بعدت (قوله تمارونه) اى تجادلونه وتمرونه تجحدونه وتستخرجون غضبه من مريت الناقة اذا حلبتها واستخرجت لبنها (قوله عز وجل تخسروا الميزان) اى تنقصوا الوزن وقرئت لا تخسروا الميزان بفتح التاء ومعناه لا تخسروا الثواب الموزون يوم القيامة (قوله عز وجل تمنون) من امنى وهو الماء الغليظ الذى يكون منه الولد وقوله يمنى اى يقدر

اى الكف من يديهما أطلق عليها اليد لقيامها بمنافعها وجمعها لان اليمين اقويتهما اقامة
مقام اليدين وانما امر بقطعها (جزاء بما كسبا) بقطع الآلة الكاسبة (نكالا) اى عقوبة
(من الله) على فعل السرقة المنهى عنه من جهته لا فى مقابلة اتلاف المال فانه غير السرقة
فلذلك لا يسقط بعفو المالك بخلاف العفو عن المال ولا يبالى فيه لعزة السارق (والله عزيز)
لا يبالى مع عزته الموجبة لامتثال أمره عزة من دونه وكيف يخالف أمره وهو (حكيم) يختل
أمر نظام العالم بمخالفة أمره اذ فيه نفع عام للخلائق ولا يفيد فى مقابلة ضرر السارق على
ان له فيه نفعا لانه يكون سببا للتوبة (فمن تاب) اى رجع الى الله ولو (من بعد ظلمه) مثل هذا
الظلم العظيم (وأصلح) بالخروج عن التبعات (فان الله يتوب عليه) اى يرجع عليه بالتوفيق
للخيرات (ان الله غفور رحيم) ولا يستبعد من الله تعالى ذلك اذ له التصرف الكامل فى الكل
(ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض) يتصرف فيهما بالاصلاح والخذلان لانه لارادة
ظهوره بالجلال والجمال على وجه الكمال (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) لا مانع له من
الظهور بالجمال بعد الظهور بالجلال وبالعكس اذ (الله على كل شئ قدير) ثم أشار الى ان
المذكور فى حق السعاة بالفساد فى الارض وفى معناهم الزناة وفى حق السراق حدود الله
وحق الرسول ان يقيمها من غير مبالاة بكفر من يسارع الى الكفر بها فقال (يا أيها
الرسول) الذى شأنه القيام بامر المرسل من غير مبالاة أحد (لا يحزنك الذين يسارعون) الى
الوقوع (فى الكفر) بما نقيم من الحدود (من) المنافقين (الذين قالوا آمنا بافواههم)
وليست متعلق الايمان (ولم تؤمن قلوبهم) وهى متعلق الايمان فغايتهم انهم يكفرون
باللسان أيضا فلا تبال مع سبق كفرهم (ومن) عوام (الذين هادوا) روى ان شريفين محصنين
زنيا فكرهوا رجمهما فارسلوهما مع رهط الى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهما وقالوا ان أمركم بالجلد والتحميم اى تسخيم الوجه بالفحم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا
فجعل عليه السلام عبد الله بن صوريا حكما بينه وبينهم وقال له أنشدك الله الذى لا اله الا هو
الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وأنجاكم وأغرق آل فرعون والذى أنزل عليكم
كتابه وحلاله وحرامه فهل تجد فيه الرجم على من أحصن قال نعم فوثبوا عليه فقال خفت ان
كذبته ان ينزل علينا العذاب فامر عليه السلام برجمهما فرجما عند باب المسجد وكيف
يحزنك قولهم وغايتهم انهم (سماعون للكذب) اى للحكم الكذب ممن يقرب منك فان
ترددوا فى قولهم لظهور العداوة بينك وبينهم فهم (سماعون لقوم آخرين) اى لقول
قوم آخرين لا يتوهمون فيهم عداوتك لانهم (لم يأتوك) فلا يعلمون انهم من شدة عداوتهم
لك (يحرفون الكلم) اى كلم التوراة فى الاحكام (من بعد مواضعه) كما فعلوا
فى نعوتك (يقولون) لمن أرسلوه اليك من عوامهم (ان أوتيتم هذا) الذى نقول لكم
(فخذوه) أى فاقبلوه (وان لم تؤتوه فاحذروا) من قبوله وقد ظهر كذبهم من قول عبد الله بن
صوريا فكان حقهم الرجوع عنه بعد ظهوره لكن أراد الله فتنتهم بالتعذيب الابدى (ومن

يرد

(قوله عز وجل ويخلق) ...
(قوله عز وجل تورون) اى تستخرجون النار بقدحكم من الزنود
(قوله عز وجل تدهن) تنافق والادهان النفاق وترك المناصحة والصدق
(قوله عز وجل تراث) اى ميراث

* (باب التاء المكسورة) *

(قوله عز وجل تلقاء اصحاب النار) اى تجاه اهل النار ونحو اهل النار وكذلك تلقاء مدين تجاه مدين
وقوله من تلقاء نفسى اى من عند نفسى (قوله عز وجل تبيان) أى تفعال من البيان

يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ) فى دفعها وهى انما تندفع بطهارة القلب فى الدنيا ولكن (اولئك) البعداء فى الضلال بعد ظهور كذبهم (الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) فكيف تندفع عنهم فتنة الله بالتعذيب الابدى بل (لهم فى الدنيا خزى) أى هوان بأخذ الجزية صاغرين لاستكبارهم على الله (ولهم فى الآخرة عذاب عظيم) وكيف لا يعظم عذابهم وهم (سماعون للكذب) بعد ظهور كذبه مع انهم قد علموا من المخبرين انهم (أكالون للسحت) على تحريف الكتاب (فان جاؤك) أى السماعون للكذب من أكلهم السحت (فاحكم بينهم) ان شئت لانهم اتخذوك حكما (أو أعرض عنهم) لانهم يسارعون الى الكفر بحكمك (وان تعرض عنهم فلن يضروك شيأ) بنسبة الجهل اليك (وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط) بالعدل الذى فى كتابهم وكتابك لانما سمعوا من الكذب من أكلة السحت ولا تتقى تهمتهم لك لان الله تعالى يدفعها عنك (ان الله يحب المقسطين) وهذا التخيير فى أهل الحرب وأما أهل الذمة فيجب الحكم لالتزامهم احكامنا (وكيف يحكمونك) أى كيف يجعلونك الحاكم فى حد الزانى المحصن (وعندهم) لا عندك (التوراة فيها) لا فى غيرها فى زعمهم (حكم الله) بالعدل (ثم) كيف (يتولون) عن حكمك (من بعد ذلك) الانقياد لك المشعر بتجويزهم النسخ (و) اذا لم ينقادوا لحكم التوراة ولا لحكمك علم انه (ما اولئك بالمؤمنين) بالتوراة ولا بك لان عدم انقيادهم لم يكن مع الاقرار بحكمهما بل مع الانكار لما فى التوراة أيضا ولا وجه له لانه انما ينكر الشئ اما لانه لم ينزل من الله أو لانه لا دليل فيه أو لوجود الشبهة أو لمخالفة جمهور العقلاء أو لاختصاصه بطائفة دون اخرى ولم يكن فى التوراة شئ من ذلك (انا أنزلنا التوراة فيها هدى) ذكر الدلائل (ونور) رفع الشبه (يحكم بها النبيون) الذين هم أعقل الناس (الذين أسلموا) أى انقادوا لحكم التوراة لا الذين نسخوا بعض أحكامها (للذين هادوا) لا لمن يأتى بعدهم (و) لم يختص به الانبياء بل يحكم به (الربانيون) اى الاولياء (والاحبار) اى العلماء ولم يكن حكمهم بما حرفوه بل (بما استحفظوا) اى أمروا بحفظه عن التحريف لكونه (من كتاب الله) وكيف يحرفونه (وكانوا) مانعين من التحريف اذ كانوا (عليه شهداء) فان انكرتم ما اتفق عليه هؤلاء من خشية الناس (فلا تخشوا الناس واخشون و) ليس خشية الناس الا من فوات الرشا (لا تشتروا) اى لا تستبدلوا (بآياتى ثمنا قليلا) لتحكموا بالمحرف على انه حكم الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) وحكم بالمحرف على انه الذى أنزله الله (فاولئك هم الكافرون) وقد حكموا بخلاف ما أنزل الله اذ أخذوا بقتل واحد من بنى النضير على بنى قريظة دية اثنين وهى كقتل اثنين بواحد وفقؤا عينين من بنى قريظة لعين من بنى النضير (و) قد (كتبنا عليهم فيها) اى فى التوراة (ان النفس بالنفس) فديتها دية الواحدة (والعين بالعين) ولا يتأتى فى الانف (و) لذلك أخذوا (الانف بالانف و) مع اتيانه فى الاذن والسن أخذوا (الاذن بالاذن والسن بالسن و) لم يوسعوا الجروح على المفضول بل قالوا (الجروح

قال ابو محمد ليس فى الكلام مصدر على وزن تفعال مكسور التاء الاحرفان وهما تبيان وتلقاء فانهما مصدران جاآ بكسر التاء واما الاسماء التى ليست بمصادر على هذا الوزن نحو تمثال وتجفاف وتبراك اسم موضع فهى مكسورة التاء وسائر المصادر مما يجئ على هذا المثال فهو مفتوح التاء نحو تمشاء وترماء وما أشبه ذلك

قوله قال ابو محمد الى قوله وما أشبه ذلك كتب عليه فى النسخة التى بايدينا ليس من الاصل اه مصحح

قصاص) على ان الفضل غير منضبط بالنسب بل فضل الفاضل معفو عنه كأنه متصدق به
(فمن تصدق به) فعفا عن الجانى (فهو كفارة له) اى لذنوب المجنى عليه كما يمحى ذنوب الجانى
فى حق نفسه فهذا ما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله) بل أخذ الزائد من المفضول للفاضل
(فأولئك) وان راعوا الفضل (هم الظالمون) لانهم حكموا بخلاف حكم الله العدل (وقفينا)
اى اتبعنا هؤلاء الظالمين غالبا (على آثارهم) لرفع تلك الآثار الظالمة (بعيسى) لا على أنه الله
يحكم بخلاف حكم الله بل على انه موصوف بوصف (ابن مريم) وهو وان نسخ بعض أحكام
التوراة كان (مصدقا لما بين يديه) اى للحكم السابق عليه (من التوراة) بانه حكم الله فى ذلك
العصر (و) انما لم يحكم بما فيها لانا (آتيناه الانجيل) وهو مثل التوراة من حيث ما (فيه
هدى ونور و) لم يكن نسخه تكذيبها بل كان (مصدقا لما بين يديه) اى للحكم الذى نزل
قبله من حيث انه كان حكما قبله (من التوراة) حين لم تنسخ ولم يبق حكما حين نسخ (و) كان
(هدى) الى مصالح أهل كل زمان علم به ان المصلحة كانت فى زمن موسى الحكم بما
فى التوراة وفى زمن عيسى الحكم بما فى الانجيل هذا باعتبار المعاش (و) كان اختلاف
الحكم (موعظة) نافعة (للمتقين) بان أمر الدنيا ينعكس فى الآخرة بمقتضى اختلاف الزمان
كما اختلفت الاحكام فى الدنيا باختلاف الازمنة (و) لم يكن الحكم بالانجيل مخصوصا بعيسى
بل (ليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه) لا بما فى التوراة وان تساويا فى الهدى ولكنه لم
يبق هدى بعد النسخ حتى صار الحاكم بها كالحاكم بخلاف ما أنزل الله (ومن لم يحكم بما أنزل الله)
على رسوله فانهم وان حكموا بما أنزل الله على من قبله (فأولئك هم الفاسقون) اى الخارجون
عن حكم الله اذ لا عبرة بالمنسوخ ثم أشار الى ان الانجيل وان نسخ التوراة فهو منسوخ بكتابك
كالتوراة فى بعض الاحكام التى لم تنسخ فى الانجيل فقال (وأنزلنا) من مقام عظمتنا (اليك)
يا أكمل الرسل (الكتاب) الكامل الذى لا يستحق غيره ان يسمى كتابا (بالحق) اى بالحكم
الثابت الذى لا ينسخ بكتاب بعده الى يوم القيامة لاشتماله على مصالح زمانك ومصالح الازمنة
الآتية الى يوم القيامة ولكن لم يبطل مصالحه مصالح التوراة والانجيل فيما تقدم بل كان
(مصدقا لما بين يديه من) مصالح (الكتاب) السابق عليه (و) لم يعلم صدق هذا الكتاب من
موافقة تلك الكتب حتى يدل نسخه اياها على كذبه بل كان هذا (مهيمنا عليه) اى شاهدا على
صدقه لاعجازه دونها واذا كان حكمه ثابتا الى يوم القيامة ولم يبق مصالح الكتابين مصالح
فى هذا العصر (فاحكم بينهم بما أنزل الله) اليك (ولا تتبع) ما فى كتبهم اذ صارت بعد النسخ
أحكامها (أهواءهم) تصرفك (عما جاءك من الحق) الذى لا ينسخ وانما صارت الآن
أهواءهم اذ (لكل) من أهل عصر (جعلنا منكم شرعة) اى طريقة موصلة الى الله
(ومنهاجا) اى طريقا واضحا الى مصالحهم (و) ليس هذا بطريق البداء بل بطريق
الابتلاء فانه (لو شاء الله لجعلكم) يا أهل الاعصار (أمة واحدة) متفقة على ملة (ولكن)
جعلكم أمما مختلفة (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تتركون ما ألفتم منها لما

(قوله عز وجل تسع آيات
بينات) خروج يده بيضاء
من غير سوء أى من غير
برص والعصا والسنون
ونقص من الثمرات
والطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم
(قوله عز وجل والتين
والزيتون) هما جبلان
بالشأم ينبتان التين
والزيتون يقال لهما
طور سينا وطور زيتا
بالسريانية ويروى عن

أحدث بعدها أم لا ولم يفعل ذلك بطريق التحكم بل راعى فيها مصالح الازمنة (فاستبقوا)
اى فابتدروا الشرائع (الخيرات) بلا تردد من جهة ترك المألوفات ولا عسر فى ترك المألوفات
من حيث اختصاصها بالايصال الى الله دون المتجددة بل (الى الله مرجعكم جميعا) لايصال
الشرائع كلها اليه مادامت باقية وأنتم وان جهلتم فوائد تلك الشرائع الآن فاذا رجعتم
الى الله (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) اى بفوائد كل شريعة فى عصرها (و) ليجعل
بعضها أكمل من بعض حتى يكون غاية الكمال لك ايأمرك (أن احكم بينهم بما انزل الله)
اليك وان خالف ما ألفوه (و) ليقول لك (لاتتبع أهواءهم) اذلم يبق لها كمال بعد
ظهور شرعك (و) لغلبة الاهواء الفاسدة التى لاتوافق ما انزل اليك ولا بما انزل اليهم
(احذرهم أن يفتنوك) بالاطماع فى ايمانهم المطمع فى ايمان اتباعهم فيصرفوك
(عن بعض ما أنزل الله اليك) فى كتابك وكتابهم فى الحكم لاجلهم على خصمائهم على خلاف المنزل
روى ان بعض أحبارهم قالوا اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه فأتوه
فقالوا يا محمد قد عرفت أنا احبار اليهود وان اتبعناك اتبعك اليهود وان بيننا وبين قومنا
خصومة نتحاكم اليك فتقضى لنا عليهم فنصدقك فانزل الله عز وجل هذه الآية (فان تولوا)
عن الايمان لتوليك عن فتنتهم (فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم) بالاهلاك الكلى (ببعض
ذنوبهم) وهو أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك ولاهلاكهم دينهم بتحريف كتابهم
(وان كثيرا من الناس) وان لم يحرفوا كتابهم (لفاسقون) أى خارجون عن حكمه كتفضيلهم
بنى النضير على بنى قريظة فى باب القتل وهؤلاء فى طلب الحكم منك مثلهم (أ) يفتنونك
عن بعض ما انزل الله (فحكم الجاهلية يبغون) منك كأنهم يرونه أحسن الاحكام
(ومن أحسن من الله حكما) وان خالف اهواء المحكوم عليه لكنه أحسن (لقوم
يوقنون) أى ينظرون بنظر اليقين الى العواقب (يا أيها الذين آمنوا) اذا كان تودد
أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد افتتانه عن بعض ما انزل الله مع
غاية كماله فكيف حال من يتودد اليهم من المؤمنين (لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء)
كيف وهى بالموافقة من كل وجه فلا تكون مع مخالفة الدين الموجبة أشد العداوة لذلك
(بعضهم أولياء بعض) للموافقة من جميع الوجوه (ومن يتولهم منكم فانه) وان
زعم انه مخالف لهم فى الدين فهو بدلالة الحال (منهم) لدلالتها على كمال الموافقة ولا يكون
توليهم للاستهداء بما يسمع منهم لانهم ظالمون بالتحريف فلو لم يحرفوا فالموالون لهم
ظالمون بموالاتهم بعد النهى عنها فليسوا بقابلين للهداية (ان الله لايهدى القوم الظالمين)
واذا بطل عذر الاستهداء فى موالاتهم ظهر المقصود من موالاتهم وهو السلامة
من شرهم عند غلبتهم (فترى الذين فى قلوبهم مرض) أى شك فى وعد الله لاظهار دينه
(يسارعون فيهم) أى فى مودتهم دفعا لشرهم عند غلبتهم من غير نظر فيما يلحقهم من الضرر
فى دين الله والفضيحة بالنفاق (يقولون) فى عذرهم (نخشى أن تصيبنا دائرة) من الفلك

مجاهد انه قال تذكم
الذى تأكلون وتدخرون
الذى تعصرون

(باب الثاء المثلثة)

(قوله عز وجل ثواب) أجر
على العمل (قوله عز
وجل ثقفتموهم) أى
ظفرتم بهم (قوله عز وجل
ثقلت فى السموات
والارض) يعنى الساعة
اى خفى علمها عن اهل
السموات والارض واذا
خفى الشئ ثقل (قوله
عز وجل ثبطهم) أى
حبسهم يقال ثبطه عن

فتكون الدولة لهم فنحن نتحفظ عن شرهم ولا يتفكرون فى ان الدائرة ربما تصيب من
يوالونهم من أهل الكتاب (فعسى الله) أى قرب رجاء (أن يأتى بالفتح) أى النصر
للمؤمنين على أهل الكتاب (أو أمر من عنده) أو يأتيهم بآفة سماوية تهلكهم (فيصبحوا)
أى المنافقون (على ما أسروا فى أنفسهم) من الشك فى ظهور الاسلام (نادمين)
لافتضاحهم بالنفاق مع الفريقين (و) ذلك لانه (يقول الذين آمنوا) لليهود عند تباعد
المنافقين عنهم (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لمعكم) وقد تباعدوا عنكم
فيظهر انهم لم يكونوا مع المؤمنين ولا مع اليهود فيتحقق انه (حبطت أعمالهم) من ترددهم
فى دين الاسلام ودين اليهود جميعا (فأصبحوا خاسرين) فى الدنيا اذ ظهر نفاقهم عند الكل
وفى الآخرة اذ لم يبق لهم ثواب لا على تقدير صحة دين الاسلام ولا على تقدير صحة دين اليهود
ثم أشار الى انه عز وجل كما لا يهلك هذا الدين بدائرة لا يهلك بارتداد ظاهر فضلا عن النفاق
فقال (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) لم يكن ارتداده سبب هلاك هذا الدين
(فسوف يأتى الله) لاظهاره (بقوم) من أهل الكمال بحيث (يحبهم) قيل معنى محبة الله
ثناؤه ورضاه وتوفيقه وانعامه (ويحبونه) اذ يرون كمالاتهم منه ومعنى محبة العبد ايثار
جنابه على ما سواه والمسارعة الى طاعته وطلب مرضاته وفيه اشارة الى أن من ارتد فانما
ارتد لبغض الله اياه لمحبته لما سواه (أذلة على المؤمنين) الذين يتذللون لله من افراط محبتهم له
فيحبون محبيه ويتذللون لهم (أعزة على الكافرين) المستكبرين على الله كسرا لتكبرهم
الذى هو سبب عداوتهم لله ويبالغون فى كسره عليهم اذ (يجاهدون فى سبيل الله) فيضربون
رقابهم ويأسرون أهليهم وأولادهم وينهبون أموالهم (ولا يخافون لومة لائم) فى الجهاد
بأنه القاء النفس فى التهلكة أو قطع رحم الآباء والاولاد والاقارب والمرتدون يتذللون
عند الفريقين ويجبنون عن الجهاد ويخافون لوم الكفرة (ذلك) المذكور من حب
الله اياهم وحبهم لله وذلتهم للمؤمنين وعزتهم على الكافرين وجهادهم فى سبيل الله وعدم
مبالاتهم للوم اللوام (فضل الله) الذى فضل به أولياءه اما المحبتان فظاهر وكذا العزة على
الكفار والجهاد وأما الذلة على المؤمنين فلانه تواضع موجب للرفع وأما عدم خوف
الملامة فلما فيه من تحقيق المودة مع الله (يؤتيه من يشاء) ممن يريد به مزيد اكرام من
سعة جوده كيف (والله واسع) جوده لكنه لا يجود بهذه الفضائل على كل أحد لانه
(عليم) وقد علم ان هؤلاء أحق بالمزيد ولما نهى عن موالاة اليهود والنصارى أشار الى من
يتعين للموالاة فقال (انما وليكم الله) المفيض عليكم كل خير (ورسوله) الذى هو واسطة
الفيض (والذين آمنوا) المعينون فى موالاة الله ورسوله بأفعالهم لانهم (الذين يقيمون
الصلوة) التى هى أجمع العبادات البدنية (ويؤتون الزكوة) القاطعة محبة المال الجالب
للشهوات (وهم راكعون) أى متذللون غير معجبين فان رؤيتهم تؤثر فيمن يواليهم بالعون
فى موالاة الله ورسوله (و) لا ينبغى لمن يواليهم ان يخاف شر الغير فان (من يتول الله) المفيض

للقوة

الامر اذ حبسه عنه (قوله تعالى ثمود) فعول من الثمد وهو الماء القليل ومن جعله اسم قبيلة أو أرض لم يصرفه ومن جعله اسم حى أو اب صرفه لانه مذكر (قوله عز وجل الثرى) أى التراب الندى وهو الذى الذى تحت الظاهر من وجه الارض (ثانى عطفه) أى عادلا جانبه والعطف الجانب يعنى معرضا متكبرا (قوله عز وجل ثاويا) أى مقيما (قوله تعالى ثلاث عورات)

للقوة والنصر (ورسوله) المستفيض منه لهما (والذين آمنوا) الموعود لهم بهما كان
من حزب الله وهو وان صار مغلوبا حينا فعاقبة الغلبة له (فان حزب الله هم الغالبون)
فى العاقبة ثم أشار الى أن موالاة غيرهم ان كانت لجر نفع فضررها أعظم وان كانت لدفع
ضرر فالضرر الحاصل به الابقى بالمدفوع فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم
حفظ تعظيم دينكم ولا تحفظ فى موالاة غير من ذكر (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم)
الذى هو رأس مال كمالاتكم الذى به انتظام معاشكم ومعادكم وهو مناط سعاداتكم الابدية
وسبب قربكم من ربكم ومواصلته (هزوا) أى شيأ مستخفا (و) بالغوا فى الاستخفاف
به حتى لعبوا بعقول أهله (لعبا) وذلك مما يخاف سريانه الى من يواليهم لكونه (من الذين
أوتوا الكتاب من قبلكم) مع ان الواجب ان لا يبالى بهم لان وجوده منهم (و) من
(الكفار) بالسوية من حيث انه لا يستند الى دليل ومع ذلك يخاف سريانه الى من يواليهم
من العوام فلا تتخذوهم (أولياء و) ان اعتقدتم انكم لا تتأثرون بهم (اتقوا الله) ان
يؤثر فيكم بموالاتهم التى نهى عنها (ان كنتم مؤمنين) بأن مخالفته موجبة لتأثير ما يضر
(و) ان كان مما لا ينبغى ان يؤثر فى العقلاء كما أنكم (اذا ناديتم الى الصلوة) التى هى أكمل
القربات نداء راعيتم فيه المعانى الشريفة من تعظيم الله باعتبار ذاته وأسمائه وصفاته
وأفعاله ومن ذكر توحيده باعتبار ذاته وباعتبار عدم مغايرة أسمائه وصفاته ومن تعظيم
رسوله باعتبار قيامه بمصالح المعاش والمعاد ومن الصلاة من حيث هى وصلة ما بين العبد
وبين الله ومن حيث افادتها معالى الدرجات ومن تعظيم مقصده وهو الفلاح فى الظاهر
والباطن وما هو غاية مقصده من القرب من الله باعتبار عظمة ظاهره وباطنه ومن الوصول
الى توحيده الحقيقى (اتخذوها هزوا ولعبا) يقولون من أين لك صياح كصياح العير (ذلك)
الاستهزاء بمثل هذه الامور (بأنهم قوم لا يعقلون) فكيف يبالى له وان كان من أهل الكتاب
(قل يا أهل الكتاب) العالمين بالنقائص والكمالات التى يستحق على تحققها وفقدها الاستهزاء
(هل تنقمون) أى تصيبون بالاستهزاء (منا) لنقص فينا او كمال فيكم قد فاتنا (الا أن آمنا
بالله) وهو رأس الكمالات (وما أنزل الينا) وهو أصل الاعتقادات والاعمال والاخلاق
والاحوال والمقامات (وما أنزل من قبل) وهو يشهد لما أنزل علينا فجعلتم هذه الامور
نقائص موجبة للاستهزاء (وأن أكثركم فاسقون) أى خارجون عن جميع ما ذكر لدعوة
الولد والاتحاد بعيسى أو كونه ثالث ثلاثة وكفركم بما أنزل الينا وتحريفكم لما أنزل اليكم
فجعلتم هذه الامور كمالات يستهزئ من اتصف بها عمن فاتته وهذا الانتقام بالحقيقة مقلوب
عليكم (قل هل أنبئكم بشر من ذلك) الانتقام الذى لنا أن ننتقم به منكم ان انتقمتم به منا
(مثوبة) أى انتقاما لنا منكم ثابتا (عند الله) غير قابل للقلب علينا مثوبة (من لعنه الله)
أى أبعده من رحمته منكم (و) لم يقتصر عليه بل (غضب) مع ذلك (عليه) فأعد له العذاب
الشديد الخالد (و) لم يقتصر عليه بل عذبهم فى الدنيا أيضا بالمسخ اذ (جعل منهم القردة

أى ثلاثة أوقات من أوقات
العورة (قوله عز وجل
ثاقب) أى مضئ (قوله
تعالى ثجاجا) أى متدفقا
ويقال ثجاجا سيالا ومنه
قول النبى صلى الله عليه
وسلم أحب الاعمال الى الله
عز وجل العج والثج فالعج
التلبية والثج اسالة الدماء
من الذبح والنحر

(باب الثاء المضمومة)

(قوله عز وجل ثبات) أى
جماعات فى تفرقة أى حلقة
حلقة كل جماعة منها ثبة

والخنازير) وهم أصحاب السبت والمائدة (و) جعل منهم (عبد الطاغوت) أى عباد العجل فنحن ان كنا شرا بما ذكرتم فلا شك ان (أولئك) البعداء فى مراتب الشر (شر مكانا) أى منزلة منا كيف (و) هم (أضل عن سواء السبيل) الموصل الى الخير (و) من علامات كمال شرهم وضلالهم انهم (اذا جاؤكم قالوا آمنا) اظهار اللايمان أول النهار وللكفر آخره للتشكيك على المسلمين (وقد دخلوا بالكفر) من قصد التشكيك على المسلمين (وهم قد خرجوا به) مستمرين عليه فان كان هذا الدين باطلا عندهم فمالهم تلبسوا به وان كان حقا فمالهم يلبسون على المسلمين وهذا الشر والضلال مما يدل عليه ظاهرهم (والله أعلم بما كانوا يكتمون) مما يوجب تجاوزهم نهاية الشر والضلال (و) من دلائل الشر والضلال فيهم أنك (ترى كثيرا منهم يسارعون) من غير مبالاة من الله ولا من الناس مستغرقين (فى الاثم) أى المعصية المخصوصة بأنفسهم (و) لا يقتصرون عليه بل يسارعون فى (العدوان) أى الظلم أيضا لاجل أنفسهم (و) لاجل غيرهم من (أكلهم السحت) أى الرشوة (لبئس ما كانوا يعملون) من الجمع بين الكفر والتلبيس على المؤمنين وبين المعاصى المخصوصة والمظالم من أجل أنفسهم ومن أجل من أكلوا منهم الرشوة ولا يختص هذا بجهالهم وحكامهم وابناء الدنيا منهم بل يشاركهم فيها زهادهم وعلماؤهم فان لم يفعلوا بأنفسهم فهلا ينهونهم مع قدرتهم عليه (لولا) أى هلا (ينهاهم الربانيون) أى الرهبان (والاحبار) أى العلماء (عن) افعالهم الظاهرة مثل (قولهم الاثم) كدعوة الولد والقول بالاتحاد أو بثالث ثلاثة واظهار الايمان بطريق المكر وتحريف الكتاب والاستهزاء بالدين (وأكلهم السحت) أى الرشوة المفسدة أمر العالم كله (لبئس ما كانوا يصنعون) من تركهم نهيهم وتعلمهم لغير دين الله (و) لم يقتصروا فى ذلك على السكوت بل قال فنحاص بن عازوراء بحضور جماعة رضوا بقوله فكأنه (قالت اليهود) كلهم ما لا يصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا (يد الله مغلولة) وأرادوا مقبوضة حين قبض الله عنهم الرزق قال الله عز وجل فى الرد عليهم (غلت أيديهم) حقيقة فى الآخرة ومجازا فى الدنيا لاتصافهم بغاية البخل (ولعنوا) أى ابعدوا عن الرحمة فلا يوفقون للتوبة (بما قالوا) من الكلمة الشنيعة التى لا تصح فى حق الله حقيقة ولا مجازا اذ لا تبخل من جنابه أصلا (بل يداه) أى اسماؤه المتقابلة فى الفيض (مبسوطتان) بأنواع العطايا المختلفة والتقابل بين أسمائه حصل التقابل بين الحوادث حتى صار عطاء قوم حزنا لآخرين وهو لا يبالى بهم بل (ينفق كيف يشاء) فيصير الخير فى حق قوم شرا فى حق آخرين (و) لذلك (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) من جوامع الخيرات (طغيانا) أى عدوانا على الناس (وكفرا) فى أنفسهم بعد كفرهم وطغيانهم بالتحريف وأخذ الرشوة أولا (و) لا يختص هذا بكتابك بل (ألقينا بينهم) باختلافهم فى كتابهم (العداوة) فى الظاهر (والبغضاء) فى الباطن ولم يرتفعا بكتابك الآتى لرفعهما بل استمرا مع الزيادة (الى يوم القيامة) لكن لم يؤثرا فيكم مع الزيادة وقد أثر فيما بينهم بدونها اذ (كلما أوقدوا نارا) فى قلوب الخلق من

(قوله عز وجل ثعبان) أى حية عظيمة الجسم (قوله عز وجل ثمر) جمع ثمار ويقال الثمر بضم الثاء المال والثمر بفتح الثاء جمع ثمرة من اثمار المأكول (قوله عز وجل ثبورا) أى هلاكا وقوله عز وجل دعوا هنالك ثبورا أى صاحوا واهلاكاه (قوله تعالى ثقفوا) أخذوا وظفروا بهم (قوله عز وجل ثلة) أى جماعة (قوله عز وجل ثوب)

الغضب (للحرب أطفأها الله) بأخلاقك (و) لا ينقطعون برؤية اطفاء الله نارهم بل لا يزالون
(يسعون فى الارض فسادا) بالقاء الشبه (و) لكن لا يؤثر سعيهم اذ (الله لا يحب المفسدين)
ولذلك ضيق عليهم فضيق الرزق عليهم ليس من بخل الله بل من كفرهم ومسارعتهم الى الكبائر
(ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) مباشرة الكبائر (لكفرنا عنهم سيآتهم) أى صغائرهم
فلا يبقى لهم معصية تكون سببا لقبض الرزق عليهم (ولأدخلناهم) فى غاية السعة كانهم الآن
فى (جنات النعيم) وسندخلهم فيها بلا عذاب وهذا بمجرد الايمان وترك الكبائر (ولو أنهم)
مع ذلك (أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم) فعملوا بجميع مافيها مما لم ينسخ
(لأكلوا) من ثمار بساتينهم ما ينتثر عليهم (من فوقهم و) ما يلتقطون (من تحت أرجلهم)
من غاية كثرتها ومن الرزق المعنوى الهبات السماوية من فوقهم وأجور الاعمال الصالحة
من تحت أرجلهم هذا لو اتفقوا على اقامتها لكنهم لا يتفقون بل غايتهم أنه وجد (منهم أمة)
أى طائفة (مقتصدة) غير غالية ولا مقصرة وهم الذين آمنوا بمحمد (و) لو كثرت هذه
الطائفة أيضا لحصل ذلك أيضا لكن (كثير منهم ساء ما يعملون) فضلا عن مجرد الايمان
واجتناب الكبائر فضلا عن اقامة الكتب الالهية ولكثرة مساوى الاكثرين مع عجز الامة
المقتصدة عن ارشادهم احتيج الى ارسال الرسول اليهم (يا أيها الرسول) الذى أرسل لبيان
المساوى لتجتنب (بلغ ما أنزل اليك من ربك) مما يفصل مساويهم (وان لم تفعل) ما تؤمر به
من تبليغ الجميع ستر البعض مساويهم (فما بلغت رسالته) أى شيأ مما أرسلت به (و) لا
تخفهم فى تبليغ مساويهم اذ (الله يعصمك من) اساءة (الناس) اليك بل لا يهديهم طريق
الاساءة اليك (ان الله لا يهدى القوم الكافرين) طريق الاساءة اليك ثم أمره بتبليغ ما هو أشد
عليهم من بين مساويهم فقال (قل يا أهل الكتاب) الزاعمين انهم الكاملون فى أمر الدين
المكملون فيه الناس (لستم على شئ) فضلا عن الكمال والتكميل ولا يحصل لان لكم (حتى
تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم) من سائر الكتب السماوية فتعملوا
بكل ما فيها وتكملوا الناس بها ولكنكم كافرون بأكثر ما أنزل اليكم فلستم على شئ
مما أقمتم فضلا عما لم تقيموه (و) ستتركون اقامة ما كانوا يقيمونه من التوراة بسبب هذا
القول فانه والله (ليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك) فضلا عن مثل هذا القول
(طغيانا) على كتابهم بالتحريف (وكفرا) بما فيه من نعوتك واذا بالغت فى تبليغ ما أنزل
اليك فرأيت مزيد طغيانهم وكفرهم (فلا تأس) أى فلا تحزن (على القوم الكافرين) لغاية
خبثهم فى ذواتهم وانما تحزن على ما كان قابلا لازالة الخبث عنه وليس ارسالك لازالة
ما لا يمكن ازالته بل انما امتنع لسوء اختيارهم مع انه ممكن فى ذاته كما قال (ان الذين آمنوا)
باللسان (والذين هادوا) وان كان لهم ماذكر من الفضائح (والصابئون) كذلك وان كانوا
أضل منهم (والنصارى) وان قيل فيهم ان الله هو المسيح أو انه ثالث ثلاثة (من آمن بالله)
منهم بقلبه (واليوم الآخر) الداعى للايمان بالله (و) دل عليه بان (عمل صالحا) بمقتضى

أى جورى الكفار

(باب الثياب المكورة)

(قوله تعالى ثيابك فطهر) فيه خمسة أقوال قال الفراء معناه وعملك فأصلح وقال غيره معناه قلبك فطهر فكنى بالثياب عن القلب وقال ابن عباس معناه لا تكن غادرا فان الغادر دنس الثياب وقال ابن سيرين معناه اغسل ثيابك بالماء وقال غيره وثيابك فقصر فان تقصير الثياب طهر لها

الكتب الالهية (فلا خوف عليهم) من كفرهم ومساويهم السابقة (ولاهم يحزنون) على مافاتهم من الاعمال الصالحة حال الكفر فانه يبدل الله سيئاتهم حسنات ويدل على قابليتهم لازالة الخبث عنهم اعطاؤهم الميثاق بذلك (لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل) بازالته (و) يدل على امتناعهم من سوء اختيارهم أنا (أرسلنا اليهم رسلا) كثيرين كل واحد منهم أعقل أهل زمانه وأولى باتباع قوله فمن غاية خبثهم لم يقبلوا قول أحد منهم لانهم كانوا يدعون الى ترجيح أمر العقل والشرع على الهوى الغالب عليهم بل (كلما جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم) مع ان وضع الرسالة الدعوة الى مخالفته لترجيح العقل والشرع عليه (فريقا كذبوا) مع ظهور دلائل صدقهم (وفريقا يقتلون) بعد التكذيب سد الدعوتهم الى مايخالف أهويتهم (و) انما اجترؤا على ذلك لانهم (حسبوا ألا تكون) فى تكذيبهم وقتلهم (فتنة) أى ابتلاء بتعذيب مع أنهم قد رأوا آثار المكذبين قبلهم وسمعوا اخبارهم (فعموا وصموا) من غاية خبثهم (ثم) أى بعد هذا العمى والصمم (تاب الله عليهم) بالتوفيق للايمان بعيسى فابصرهم آياته الفعلية واسمعهم آياته القولية (ثم) أى بعد هذا الابصار والاسماع والتوفيق للايمان بعيسى (عموا) عن رؤية المعجزات الفعلية لمحمد صلى الله عليه وسلم (وصموا) عن المعجزات القولية لاجميعهم اذ آمن النجاشى وأصحابه بل (كثير منهم و) هم وان لبسوا على العامة بانصافهم مع عيسى لايمكنهم التلبيس على الله اذ (الله بصير بما يعملون) ثم أشار الى أن عماهم وصممهم كان قبل مجىء محمد صلى الله عليه وسلم بما قالوا فى عيسى عليه السلام (لقد كفر الذين قالوا ان الله) اتحد لاهوته بناسوت عيسى فكأنهم قالوا (هو المسيح) وان قالوا انه من حيث ناسوته (ابن مريم) فعموا عما فى عيسى من امارات الحدث (و) صموا من مقالاته اذ (قال المسيح يابنى اسرائيل) أى ياأولاد المسمى بالعابد لله (اعبدوا الله) ولم يقل اعبدونى ثم صرح بقوله (ربى) قاطع المادة توهم الاتحاد ولو بقيت الربوبية مع الاتحاد فلابد من الفرق بين الربوبيتين لكنه نفى الفرق بقوله (وربكم) ولو صح هذا الاتحاد فى حق عيسى لصح فى حق غيره وقت اتحاده به وهو شرك وقد قال عيسى عليه السلام (انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة) ولايحرم على من قال بأمر جائز وان حرم فلايجعل مأواه النار فقد قال (ومأواه النار) كيف والشرك أعظم وجوه الظلم وقد ثبت بقول عيسى الذى قالوا به فيه (وماللظالمين من أنصار) فلاينصرهم عيسى ولاغيره ولاحجة ولاشبهة يعتمد بها ثم أشار الى من شركه أظهر فقال (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) والباقيان عيسى ومريم أو أحد الاقانيم أو الجواهر الثلاثة الحياة والعلم وروح القدس (ومامن اله) فى نص الانجيل والتوراة وجميع الكتب السماوية ودلائل العقل والكشف (الااله واحد) لايتعدد أفرادا ولاأجزاء (وان لم ينتهوا عما يقولون) بعد ظهور الدلائل القطعية متمسكين بمتشابهات الانجيل (ليمسن الذين كفروا منهم) بالدلائل القطعية (عذاب أليم) وان تمسكوا بالمتشابهات مثل عذاب من لايتمسك بشىء (أ)

(باب الجيم المفتوحة)

(قوله عز وجل جهرة)
أى علانية (قوله جنفا)
أى ميلا وعدولا عن الحق
ويقال جنف على أى مال
على (قوله الجارذى القربى)
أى ذى القرابة والجار
الجنب أى الغريب
والصاحب بالجنب أى
الرفيق فى السفر وابن
السبيل الضيف (قوله عز
وجل الجوارح) أى
الكواسب يعنى الصوائد
(قوله عز وجل جرحتم) أى
كسبتم (قوله عز وجل

يكفرون

يكفرون بالقطعيات (فلايتوبون) عن التمسك بالمتشابهات بردها (الى) مراد (الله) اذا
عجزوا عن ردها الى المحكمات (ويستغفرونه) التمسك بالمتشابهات فى مقابلة القطعيات وهم
(و) ان ألفوها حتى صارت هيئة راسخة لقلوبهم فلا يبعد من الله سترها بمحوها عن
القلوب اذ (الله غفور) بل (رحيم) تبديل ظلمتها بنور الصواب ثم أشار الى بطلان التمسك
بمعجزاته وكرامات أمه على الهيتهما بل غايتهما الدلالة على نبوته وولايتها فقال (ما المسيح)
المعلوم حدوثه من كونه (ابن مريم) بالخوارق الظاهرة على يديه (الا رسول قد خلت) أى
مضت (من قبله الرسل) أولو الخوارق القاهرة (وأمه) بخوارقها (صديقة) ولو استدل
بخوارقهما على الهيتهما عورض بأنهما (كانا يأكلان الطعام) عن احتياجهما اليه
(أنظر كيف نبين لهم الآيات) على توحيد الله وبطلان الاتحاد والهية عيسى وأمه وبطلان
شبهاتهم (ثم انظر أنى يؤفكون) أى يصرفون الى الاصرار على التمسك بالشبهات الظاهرة
البطلان (قل أتعبدون) المسيح وأمه مع انهما عندكم (من) جملة من هو من (دون الله) ولا
الهية للادنى ولو جعلتموها لمن يملك ضرا أو نفعا فهما من جملة (ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا)
بل غايتهما شفاعة من عبدهما أو شكاية من لم يعبدهما (والله هو السميع) لشفاعتهما
أو شكايتهما (العليم) بمن يستحق الاجابة من الشفاعة والشكاية ولو جعلتموهن مالكى
النفع والضر فهو غلو (قل يا أهل الكتاب) الذى هو ميزان العدل (لا تغلوا) فى تعظيم عيسى
وأمه فتدخلوا (فى دينكم) اعتقادا (غير الحق) بلا دليل عليه مع تظاهر الادلة على خلافه
(ولا تتبعوا) تقليدا (أهواء قوم) تمسكوا بخوارقهما على الهيتهما فان نظروا الى سبقهم
فغايتهم انهم (قد ضلوا من قبل و) الى كثرة اتباعهم فغايتهم انهم (أضلوا كثيرا و) الى
تمسكهم بمتشابهات الانجيل فغايتهم انهم (ضلوا عن سواء السبيل) اذ لم يردوها الى المحكمات
وكيف لا يترك الغلو وقد أوجب ما دونه اللعن (لعن الذين كفروا) وان كانوا (من
بنى اسرائيل على لسان) من هو دون محمد صلى الله عليه وسلم (داود) قال فى حق أهل ايلة
لما اصطادوا فى السبت اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة (وعيسى ابن مريم) قال
فى حق أصحاب المائدة اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ولم يكن كفرهم مثل
غلوهم ولا مبدؤه مثل مبدئهم من ترك القطعيات للمتشابهات بل كان (ذلك) الكفر
(بما عصوا) بصيد السمك فى السبت والتكبر على الفقراء المشاركين فى أكل المائدة
(و) انما افضى عصيانهم الى الكفر لانهم (كانوا يعتدون) وهو أنهم (كانوا لا يتناهون)
اذا نهوا (عن منكر فعلوه) فلم يؤاخذوا به فلا يزالون يفعلونه مع النهى (لبئس ما كانوا
يفعلون) من تكرير المنكر مع النهى وليس كالغلو لشبهة واهية مع الدلائل القاطعة
على خلافه ثم الانتهاء انما يتم بموالاة الناهى وهم انما يتولون من هو أشد غلوا (ترى
كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) وقد غلوا فى تعظيم الاصنام فهذا التولى ادعى الى الغلو
من عصيانهم الى الكفر (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) فعصيان الاولين سبب سخط الله

جبارين) أى أقوياء عظام
الاجسام والجبار القهار
والجبار المسلط كقوله عز
وجل وما أنت عليهم بجبار
أى بمسلط والجبار المتكبر
كقوله ولم يجعلنى جبارا
شقيا والجبار القتال
كقوله واذا بطشتم بطشتم
جبارين أى قتالين
والجبار الطويل من النخل
(قوله تعالى جن عليه
الليل) أى غطى عليه وأظلم
(قوله تعالى جاعل الليل
سكنا) أى يسكن فيه الناس
سكون الراحة والشمس

وهذا كانه عين (أن سخط الله عليهم) ومسخهم عذاب دنيوى منقطع (وفى العذاب هم خالدون) كيف وقد والوا أعداء من زعموا الايمان بهم ليعادوا من يؤمن بهم (ولو كانوا يؤمنون بالله) الذى يشرك به اعداؤه (والنبى) أى عيسى الذى يكذبه الأعداء (وما أنزل اليه) فيرجحون ما ألفوا عليه آباءهم (ما اتخذوهم أولياء) ليعادوا بهم أولياءهم فهم وان ادعوا الايمان بهم ليسوا بمؤمنين (ولكن كثيرا منهم فاسقون) أى خارجون عما ادعوه ويشاركهم اليهود فى هذه الموالاة لعداوة المؤمنين (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا) لايمانهم بعيسى ومحمد عليهما السلام (اليهود و) لتوحيدهم واقرارهم بنبوة الانبياء (الذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا) النصارى لايمانهم بعيسى وانما يعادونهم لايمانهم بمحمد ولذلك يوالون الكفار سيما (الذين قالوا) لعوامهم تقية (انا نصارى) مع تصديقهم واقرارهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيما بينهم وهم النجاشى وأصحابه رضى الله عنهم فانهم على صرف المودة معهم (ذلك) الصفاء فى المودة (بأن منهم قسيسين) يعلمون كمال أمر محمد عليه السلام من كتبهم (ورهبانا) لايريدون لانفسهم مالا ولا جاها (و) قد ارتاضوا بحيث حسنت اخلاقهم وأقلها (أنهم لايستكبرون) على آحاد الناس فكيف على أرباب المعجزات والعلم بكمال الشئ مع عدم الصارف عن الميل اليه من العناد والاستكبار موجب لكمال الميل اليه وهو المودة (و) بكمال قسيسيتهم ورهبانيتهم ومودتهم للكمالات (اذا سمعوا ما أنزل) من الحضرة الجامعة الالهية (الى الرسول) الجامع من الكلام الجامع بحار العلوم الحقيقية مع التبشير والانذار بالوجوه الكثيرة الجامعة (ترى أعينهم تفيض) أى تنصب (من الدمع) الحاصل من اجتماع حرارة الحب والخوف مع برد اليقين (مما عرفوا من الحق) من كتابهم فوجدوه أكمل منه وأفضل (يقولون) من عدم استكبارهم (ربنا آمنا) بك وبما أنزلت وبما تجليت فيه بذاتك وأسمائك وصفاتك وأفعالك على أكمل الوجوه (فاكتبنا مع الشاهدين) لتجلياتك فيه من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (ومالنا لانؤمن بالله) الذى ظهر فى العالم والانسان (وما جاءنا) أى تجلياتك فيه وأسمائك (من) المجالى الكاملة كأنها عين (الحق و) لانطمع فى الرشا والجاه المانعين عنه بل (نطمع) بما يوجب الايمان من (أن يدخلنا ربنا) الذى ربانا بالقسيسية والرهبانية منازل قربه (مع القوم الصالحين) التابعين للقطعيات دون الشبهات الواهية كمتشابهات الكتب السماوية (فأثابهم الله بما قالوا) فضلا عن مساعيهم الباطنة فى تدبر كتابه وأعمالهم المرتبة عليه (جنات) من كليات فوائد هذا الكتاب (تجرى من تحتها الانهار) من جزئيات تلك الفوائد (خالدين فيها) لاتعرض لهم فيها شبهة تزعجهم عنها لاختصاصها بأهل الجاب (وذلك جزاء المحسنين) الذين يقرؤن كتاب الله كأنهم يسمعون من الله ثم يجازون بالجنة الحسية بعد الموت (والذين كفروا) أى ستروا عظمة هذا الكتاب (وكذبوا بآياتنا) منه ومن سائر المعجزات (أولئك) وان بلغوا حد القسيسية

والرهبانية

والقمر حسبانا أى جعلهما يجريان بحساب معلوم (قوله تعالى جاثمين) عنده جاثمين بعضهم على بعض وجاثمين أيضا باركين على الركب للناس والطير والجثوم بمنزلة البروك للبعير (قوله عز وجل جنحوا للسلم) أى مالوا الى الصلح (قوله تعالى جهزهم بجهازهم) كال لكل واحد ما يصيبه والجهاز ما أصلح حال الانسان (جاسوا) أى عاثوا وقتلوا وكذلك حاسوا وهاسوا وداسوا (قوله تعالى جنيا)

والرهبانية (أصحاب الجحيم) لايزالون فى حرارة الشبهات الى ان يموتوا فيصيروا الى الجحيم الاخروى ثم أشار الى أن من أسباب كفرهم وتكذيبهم ان يعسر على أنفسهم تحليل شئ حرم فى كتابهم فنسخ تحريمه حتى انهم لو اسلموا لايزال تحريمه من أنفسهم فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم ان لاتغيروا شيأ من أحكام دينكم وان كان مغيرا لما تقدم من الاديان (لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم) أى الاشياء التى ليس فيها حق الغير وهى من جنس ما أحل الله لكم ولو بالنسخ فان تحريمها كفر بآيات الله وتكذيب بها (ولا تعتدوا) بمجاوزة الحلال الى الحرام فاحذروا الشبهات فانه وان لم يكن تكذيبا وكفرا فهو خروج عن محبة الله (ان الله لايحب المعتدين) من الاعتداء الذى يكرهه الله كراهة تناول مانسخ تحريمه نظرا الى حرمته السابقة فلا تكرهوا ذلك بل (كلوا مما رزقكم الله) ليتم اعتقادكم بكونه (حلالا طيبا) لايشوبه حرمة (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) ان تعارضوا فى أحكامه ولو بكراهة من أنفسكم ويمكن ان يقال لما مدح الترهب نهى عن الافراط فيه بتحريم اللذائذ من المباحات الشرعية وأشار الى انه اعتداء على النفس والاهل بمنع الحقوق وانه كما لايجوز الاعتداء فى الترهب لايجوز فى الترفه فلا يفرط فى أكل المباحات وان كان حلالا بلا شبهة وأمر بتقوى الله فى وضع قواعد تخالف قواعد الشرع بل غاية مايجوز أخذ معان من علم الشريعة مؤكدة لمقتضاه ثم أشار الى ان تحريم الحلال باليمين ليس بكفر بل (لايؤاخذكم الله باللغو) أى بفعل شئ وقع بلا قصد (فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) أى بفعل شئ علقتم به الايمان تعليقا وثيقا عن قصد منكم ومع ذلك مؤاخذته ليست بجازمة بحيث لايمكن دفعها (فكفارته) أى فالخصلة الماحية لاثمه (اطعام عشرة مساكين) تمليك كل مسكين مدا وعند أبى حنيفة نصف صاع لانه بمنزلة الامساك عن الطعام عشرة أيام العدد الكامل الكاسرة للنفس المجترئة على الله تعالى (من أوسط ماتطعمون أهليكم) لامن أجود ماتطعمونهم فضلا عما تخصونه بأنفسكم ولامن اردا ماتطعمونهم فضلا عن الذى تعطونه السائل (أو كسوتهم) يعطى كل مسكين ثوبا واحدا ازارا أو رداء أو قميصا أو سراويل أو عمامة أو كساء أو نحو ذلك اذ يجزى بستر العورة ستر المعصية (أو تحرير رقبة) اذ فيه فك رقبة عن الاثم وشرط الشافعى فيها الايمان قياسا على كفارة القتل (فمن لم يجد) شيأ منها (فصيام ثلاثة أيام) لانه لما كان ضيرا بنفسه اكتفى فيه بأقل الجمع (ذلك) وان قل (كفارة أيمانكم) التى اجترأتم بها على الله تعالى (اذا حلفتم) أى نقضتم اليمين ويجوز عند ارادته (واحفظوا أيمانكم) عن الحنث اذا لم يكن ماحلفتم عليه خيرا لئلا يذهب تعظيم اسم الله عن قلوبكم (كذلك) أى مثل هذا البيان الكامل (يبين الله لكم آياته) أى اعلام شرائعه (لعلكم تشكرون) نعمه بصرفها الى ماخلقت له ومن جملتها صرف اللسان الذى خلق لذكر الله وتعظيمه الى ذلك فاذا فات صرف بعض ماملكه

أى غضا ويقال جنيا أى مجتنيا طريا (قوله عزوجل جان) أى جنس من الحيات وجان واحد الجن أيضا (قوله عزوجل جلابيب) ملاحف واحدها جلباب (قوله عزوجل الجواب) أى الحياض يجبى فيها الماء أى يجمع واحدها جابية (قوله عزوجل الجوارى فى البحر كالاعلام) أى السفن فى البحر كالجبال الواحدة جارية ومنه قوله عزوجل انا لما طغى الماء حملناكم فى

الى بعض ما يجبره ليقوم مقام الشكر باللسان اذ به يتم تعظيمه فاذا لم يجد كسر هوى النفس من أجله فهو أيضا من تعظيمه فافهم ثم أشار الى سائر ما يهتك حرمة الله وحرمة مظاهره الكاملة مما يكثر فيه الحلف والى ما نسخ تحليله بتحريمه أو اشتبه بالحلال فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظ تعظيم الله وتعظيم أنفسكم وحفظ حرماته (انما الخمر) وان حل فى بعض الملل مقدار ما لا يسكر منها (والميسر) أى القمار وان أشبه المسابقة والمناضلة (والانصاب) أى الاصنام المنصوبة للعبادة وان أشبهت المحاريب التى جعلت علامة للقبلة (والازلام) أى القداح وان أشبهت القرعة (رجس) أى خبيث لان الخمر تضيع العقل وما دون السكر داع الى ما يسكر له فأقيم مقامه فى الشرع الكامل والميسر يضيع المال والانصاب تضيع عزة الانسان بتذلله لما هو أدنى منه والازلام تضيع العلم للجهل بالثمن والمثمن فاستطابتها (من عمل الشيطان) أى تزيينه فان زين لكم (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) أى رجاء أن تنالوا الطيبات الحقيقية وانما زينها الشيطان لخبثها وان كان فى بعضها منافع فهو لا يريد ذلك بل (انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة) المشاتمة والمضاربة والمقاتلة فى الخمر والميسر عند السكر وضياع المال وربما يقامر الرجل بأهله وولده فاذا أخذه الخصم وقعت العداوة بينهما أبدا (و) لا أقل أن يوقع بينكم (البغضاء) القاطعة للتعاون الذى لا بد للانسان منه فى معيشته (فى الخمر والميسر ويصدكم) أى يبعدكم (عن ذكر الله) اذ يغلب السرور والطرب على النفوس والاستغراق فى الملاذ الجسمانية فيلهى عن ذكر الله والميسر ان كان صاحبه غالبا انشرحت نفسه ومنعه حب الغلبة والقهر عن ذكر الله وان كان مغلوبا مما حصل من الانقباض والاحتيال الى أن يصير غالبا لا يخطر بباله ذكر الله (وعن الصلوة) الجامعة لاذكاره بجميع الاعضاء واذا كان فيهما هذه المفاسد الدينية والدنيوية (فهل أنتم منتهون) عنهما أم مصرون على ما أنتم عليه (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) فى نهيهما وان كان غير معقول (واحذروا) مخالفتهما وان كانت جامعة للمنافع خالية عن المضار (فان توليتم) أى أعرضتم عن اطاعتهما وعن حذر المخالفة فلا يتولى الرسول عقابكم حتى لا تبالوا له (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) أى ما كان غير تبليغكم الذى لا يعتريه شبهة وانما يتولاه من أرسله ولما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله كيف بحال اخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون مال الميسر فنزل (ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات) المأمور بها فى عصرهم (جناح) أى حرج (فيما طعموا) مما حرم بعد أكلهم (اذا ما اتقوا) ما حرم عليهم قبل أكلهم (وآمنوا) بأن الله أن يحرم ما يشاء ويحلل ما يشاء (وعملوا الصالحات) بعد أكله فلم يتركوا ذكر الله والصلاة ولم يقع بينهم العداوة والبغضاء (ثم اتقوا) تضييع الاعمال بالرياء والعجب (وآمنوا) أى أتوا بمقتضاه من الاخلاص وذكر المنة (ثم اتقوا) عن نسبة تلك الاعمال الى أنفسهم (وأحسنوا) بنسبتها الى الله تعالى فلم يشأ لهم من

الجارية يعنى سفينة نوح عليه السلام (جاثية) باركة على الركب وثلاث جاسية المخاصم والمجادل ومنه قول على بن أبى طالب رضوان الله عليه أنا أول من يجثو للخصومة (قوله عزوجل الجوار المنشئات) يعنى السفن اللواتى انشئن أى ابتدئ بهن فى البحر والمنشئات اللواتى ابتدئت

ما كولهم شئ من المفاسد فلا حرج لهم فى ما كولهم بل صاروا محبوبين لكونهم محسنين (والله يحب المحسنين) ولما فرغ عن ذكر ما تقرر تحليله بعد التحريم أو تحريمه بعد التحليل ذكر ما يحرم تارة لعارض ويحل أخرى لزواله فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم تحريم ما حرم ولو لعارض سيما اذا اشتد فيه الابتلاء (ليبلونكم الله بشئ من الصيد وأنتم محرمون وذلك عام الحديبية كانت الوحوش تغشاهم فى رحالهم (تناله ايديكم) لتأخذوه (ورماحكم) لتطعنوه وانما ابتلاكم بهذه الحيثية (ليعلم الله من يخافه بالغيب) أى ليتميز عندكم من علم الله أنه يخافه مع غيبته لقوة ايمانه ممن لا يخافه واذا جعل الله هذا مميزا بين الخائف وغيره (فمن اعتدى) بالصيد (بعد ذلك) التمييز (فله عذاب أليم) يضيب مثله من لا يخافه ثم أشار الى مبدا الابتلاء ومنتهاه فقال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم التذلل سيما حال الاحرام (لا تقتلوا الصيد) لانه تجبر (وأنتم حرم) فى غاية التذلل (ومن قتله منكم) أيها المحرمون (متعمدا) أى ذاكر الاحرامه (فجزاء مثل ما قتل من النعم) أى فعليه بطريق الجزاء اعطاء مثل ما قتله من الصيد حال كون المثل من النعم باعتبار الهيئة عند الشافعى والقيمة عند أبى حنيفة (يحكم به) أى بمماثلته مجتهدان (ذوا عدل منكم) أيها المسلمون حال كونه (هديا بالغ الكعبة) أى واصلا الى الحرم (أو) عليه (كفارة طعام مساكين) يشترى بقيمة مثل النعم يعطى كل مسكين مدا (أو) عليه (عدل) أى مثل عدد أمداد (ذلك) الطعام (صياما ليذوق) هاتك حرمة الله (وبال) أى سوء عاقبة (أمره) من هتك حرمة الله بعد اعلامه (عفا الله عما سلف) من قتل الصيد قبل الاعلام (ومن عاد) الى القتل بعد الجزاء (فينتقم الله منه) بطلب الجزاء فى الدنيا والمعاقبة فى الآخرة وكيف يترك ذلك (والله عزيز) ومقتضى عزته الانتقام من هاتك حرمته فهو لا محالة (ذو انتقام) وكيف يترك الانتقام ممن اعتدى من غير ضرورة اذ وسع فى المأكولات اذ (أحل لكم صيد البحر) اذ ليس فيه التجبر المنافى للتذلل الاحرامى (و) أحل لكم (طعامه) وهو ما قذفه البحر أو نضب عنه وانما لم يكن فيه تجبر اذ جعل (متاعا لكم) أيها المحرمون (وللسيارة) اى ولمن يسير من مكان الى مكان (وحرم عليكم صيد البر) وان لم تصطادوه اذا صيد لكم لان فيه مزيد التجبر (ما دمتم حرما) فلو تركه الصائد عنده الى تحللكم يحل لكم (واتقوا الله) فى تحليل ما حرم وتحريم ما أحل بالتلبيس اذ هو (الذى اليه تحشرون) ولا يمكن التلبيس عليه وانما حرم الصيد على المحرم لانه قصد الكعبة التى حرم صيد حرمها فجعل كالواصل اليه وانما حرم صيد حرمها لانه (جعل الله الكعبة) مثال بيت الملك لا يتعرض لما فيه اوفى حرمه والله تعالى لما تنزه عن المكان والزائرون لا بد لهم من مكان يختص بالزيارة فجعل لهم الكعبة (البيت الحرام) لله اذ جعله (قياما) أى مقام زيارة الله والتوجه اليه فى عبادته (للناس) المتفرقين فى العالم ليحصل لهم الاجتماع الموجب للتألف الذى يحتاجون اليه فى تمدنهم الذى به كمال معاشهم ومعادهم لاحتياجهم الى المعاونة فيهما فسرت الحرمة

(قوله عز وجل وجنى الجنتين) أى ما يجتنى منهما (قوله جد ربنا) أى عظمة ربنا يقال جد فلان فى الناس اذا عظم فى عيونهم وجل فى صدورهم ومنه قول أنس كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا أى عظم (قوله جابوا الصخر) أى خرقوا الصخر واتخذوا فيه بيوتا ويقال جابوا قطعوا الصخر فابتنوا بيوتا (جما) مجتمعا كثيرا

الى مكان القاصد كيف (و) قد سرت الى زمان القصد اذ جعل (الشهر الحرام) قياما للناس أى زمان قصدهم للزيارة تحرم فيه القتال ليحصل فيه التالف (و) جعل (الهدى) أيضا قياما أى سبب قصد الزيارة اذ يأمنون بسوقه الى البيت على أنفسهم (والقلائد) فانهم اذا قلدوا أنفسهم لحا شجر عند الاحرام أمنوا (ذلك) لتجتمعوا كل سنة عند بيته وتتوجهوا اليه كل يوم مرات فتجتمعوا فى التوجه اليه (لتعلموا أن الله) يريد ربط الكل بعضه ببعض كما ربط أمر العالم الكبير وهو لا يتأتى الا بالعلم بكل جزئى منه فهو يدل على أنه (يعلم ما فى السموات وما فى الارض و) قد راعى فى ذلك مصالح معاشكم ومعادكم ولا يتأتى الا بعلم ما غاب لتعلموا (أن الله بكل شئ عليم) وقد كثر الحرمات بحرمة بيت واحد وشدد فى أمر الجزاء لتعلموا شدة عقابه لكنكم ذاهلون عن ذلك (اعلموا أن الله شديد العقاب) سيما اذا قصدتم ابطال حكمته فى الربط والتمدن لانه يشبه تفريق المملكة على الملك (و) لا تغتروا بعدم معاقبته لبعض المفرقين فى الحال بل اعلموا (ان الله غفور رحيم) فأخر العقاب ليتوبوا فيغفر لهم ويرحمهم ولا تغتروا بمغفرته ورحمته بعد ارسال الرسل بالانذار ولم يكذبوا بعدم حصول المنذر به فى الحال اذ ليس بيدهم ولم يجعل عليهم تحصيله بل (ما على الرسول الا البلاغ) بل هى بيد الله أخره لكثرة معاصيهم (و) لا يخفى عليه اذ (الله يعلم ما تبدون وما تكتمون) وكيف يترك مقتضى علمه وفيه تسوية بين الخبيث والطيب (قل) انه وان كان غفورا رحيما فانه (لا يستوى) عنده (الخبيث والطيب) بل لابد أن يترجح الطيب (ولو أعجبك كثرة الخبيث) بحيث يوهمك ترجيحه عند الله فلا يترجح عنده ما ليس براجح فى نفس الامر (فاتقوا الله) أن تغتروا بكثرة الخبيث أو بمغفرته ورحمته (يا أولى الالباب) أى المطلعين على الحقائق فانهما تأبى التسوية فان حصلت المغفرة والرحمة لاربابها فلا فلاح لهم فاتركوا هذه الجهة (لعلكم تفلحون) بمنازل القرب الذى للطيبين عند الله ولما سمعوا ذلك وقد خفى خبث بعض الاشياء وطيبه فأكثروا السؤال عن الاشياء قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اعتبار ما اعتبره الله لظهوره لا ما لم يعتبره لخفائه لكنه اذا ظهر صار معتبرا (لا تسئلوا عن أشياء) خفى وجه خبثها أو طيبها (ان تبد) أى تظهر (لكم) فتؤمروا باجتنابها (تسؤكم) للحرج فيه (و) السؤال وقت الوحى موجب لاظهاره (ان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) ولم يمنعكم عن السؤال عنها ليؤاخذكم على غفلة بل لانه (عفا الله عنها و) لا يستبعد من الله اذ (الله غفور) للخبث الظاهر (حليم) لمن أراد مؤاخذته به لا يعاجله بها وقد وجدت الحكمة فى عفوه اذ الحرج فيه ربما يفضى الى أعظم وجوه الخبث (قد سألها قوم من قبلكم ثم) لما أوقعهم فى الحرج (أصبحوا بها كافرين) لذلك قال عليه السلام ان أعظم المسلمين جرما من سأل عن شئ لم يحرم فحرم من أجل مسئلته وذلك لانه صار سببا لكفر البعض

ولما

ومنه جة الماء اجتماعه

(باب الجيم المضمومة)

(قوله جل وعز جناح) اثم (قوله تعالى جنب) غريب وجنب بعيد وجنب الذى أصابته جنابة يقال جنب الرجل وأجنب واجتنب وتجنب من الجنابة (جرف) أى ما يجرفه السيول من الاودية (قوله جل وعز جهد) وسع وطاقة وجهد مشقة ومبالغة (قوله الجودى) اسم جبل (قوله جب) اسم ركية لم تطو فاذا طويت فهى بئر (جفاء)

ولما كان التحريم بالسؤال بهذه المثابة فكيف حال التحريم بالاستقلال (ما جعل الله
من شئ محرما بتحريم أهل الجاهلية (من بحيرة) وهى الناقة التى نتجت خمسة أبطن آخرها
ذكر و بحروا أى شقوا أذنها فيخلى سبيلها لا تركب ولا تحلب وقاسوه على عتق الانسان
مع ظهور الفرق لما فى عتق الانسان من تمليك التصرفات ولا تصرف للحيوانات العجم (ولا
سائبة) وهى الناقة المخلاة بنذر اذ لا ينعقد نذر ما ليس بعبادة (ولا وصيلة) وهى الشاة التى
قالوا فيها انها اذا ولدت أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فلأصنامهم وان ولدتهما وصلت
الانثى أخاها فلا يذبح لاجلها (ولا حام) وهى التى اذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن
لم يمنع من ماء ولا مرعى و يحرم ظهره لانه حماه والاول كالعتق بلا نذر والثانى كالعتق
بالنذر والثالث مشبه بما يشبه العتق والرابع ملك النفس بلا تمليك ولا معنى للتمليك
فى الحيوانات العجم فهذه الامور غير معقولة ظاهرا او باطنا فلا يفعلها الحكيم (ولكن
الذين كفروا يفترون على الله الكذب) بتحريمها (وأكثرهم لا يعقلون) معنى التحليل
والتحريم فضلا عما لاجله التحريم والتحليل وانما يقلدون قدماءهم (واذا قيل لهم) اتركوا
تقليد القدماء المفترين على الله الكذب (تعالوا الى ما أنزل الله) من كتابه (و) ان لم تجدوا
فيه تعالوا (الى الرسول قالوا) لافراط جهلهم وانهماكهم فى التقليد لا حاجة بنا الى كتاب
الله ولا الى رسوله بل (حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) يقلدون آباءهم (ولو كان آباؤهم
لا يعلمون شيأ) من التحريم والتحليل وما لاجله بأنفسهم (ولا يهتدون) لبيان من يبين
لهم من الانبياء والعلماء (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم اصلاح أنفسكم
واخوانكم ما أمكن (عليكم) أى الزموا أن تصلحوا (أنفسكم) باتباع الدلائل من كتاب
الله وسنة رسوله والعقليات المؤيدة بها ودعوة الاخوان الى ذلك باقامة الحجج ودفع الشبه
وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما أمكن من القول والفعل لا تقتصروا فى ذلك اذ
(لا يضركم من ضل) فقال حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو أخذ بشبهة أو عاند فى قول أو فعل
(اذا اهتديتم) بدعوتهم الى ما أنزل الله والى الرسول واقامة الحجج لهم ودفع الشبه عنهم
وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بما أمكن من القول والفعل ولا تقصروا فى ذلك
اذ (الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون) من التقصير أو الايفاء قولا وفعلا
فى حق أنفسكم أو غيركم وكيف يقصر فى اقامة حجج الدين ودفع الشبه عنه ولا يقصر فى اقامة
الحجج على الاموال (يا أيها الذين آمنوا) مقتضى ايمانكم حفظ أموال اخوانكم عند
أوصيائهم بالشهود وحفظ الشهود من موافقتهم للاوصياء بشهود أخر (شهادة بينكم)
أى شهادة ما يجرى بينكم وبين الاوصياء ويقطع النزاع بينكم (اذا حضر) أى قرب
(أحدكم الموت) فأوصى الى أحد أن يشهد (حين الوصية) فيه اشارة الى أن الشهادة على
قول الموصى وحده أو الوصى وحده غير تامة (اثنان ذوا) أى صاحبا (عدل) لا عدول
الكفار فى اعتقادهم بل (منكم) أيها المسلمون (أو آخران من غيركم) من أهل الذمة

قوله فى تفسير الحام وهى التى الخ كذا فى الاصلين بأيدينا والصواب وهو الفحل ينتج من صلبه عشرة الخ اه مصحح

مار مى به الوادى الى جنباته من الغثاء و يقال أجفأت القدر بزبدها اذا ألقت زبدها عنها (قوله جرز) وجرز أرض غليظة يابسة لا نبت فيها و يقال الارض الجرز التى تحرق ما فيها من النبات وتبطله يقال جرزت الارض اذا ذهب نباتها فكأنها قد أكلته كما يقال رجل جروز اذا كان يأتى على كل ما كول لا يبقى شيأ وسيف جراز يقطع كل شئ وقع

وكان هذا فى أول الاسلام لقلة المسلمين ثم نسخ كتحريم الشهر الحرام وقتال آمين البيت الحرام والصفح عن أهل التحريف ولا يلايم الاحوال كالاول بل يختص بالسفر كما قال (ان أنتم ضربتم) أى سافرتم وامتد سفركم (فى الارض) بحيث بعدتم عن بلاد المسلمين (فأصابتكم مصيبة) أى مرض (الموت) نخفتم على الاموال والودائع والديون فاذا كان الشاهدان من أهل الذمة (تحبسونهما) أى تقفونهما عند المنبر (من بعد الصلوة) التى تعظمونها وهى العصر (فيقسمان بالله) لابشئ آخر يعظمونه (ان ارتبتم) أى شككتم فى شهادتهما لعدم اسلامهما فهو ولان فى القسم (لانشترى به) أى بقسمنا (ثمنا) للمشهود عليه (ولو كان ذاقربى و) كما لا نشهد بالزور (لانكتم شهادة الله) التى أعلمناها وأمرنا باقامتها (انا اذا) أى اذا شهدنا بالزور أو كتمنا شهادة الله (لمن الآثمين) أى المعدودين من المستقرين فى الاثم (فان عثر) أى اطلع (على أنهما) أى الشاهدين (استحقا) أى استوجبا (اثما) بتزوير أو كتمان (فآخران) أى فيشهد آخران على الاثم (يقومان مقامهما) لكونهما من أهل الذمة وفيه اشارة الى اعتبار شاهد مع يمين المدعى لانه يقوم مقام الشاهد معه وسيصرح به فى آخر الآية يشهدان (من) جهة الورثة (الذين استحق) أى جنى (عليهم) وان قرئ على بناء الفاعل فذاعله القسم فتقبل شهادتهما الانهما (الاوليان) اذ لم يظهر استحقاقهما الاثم لكن لكونهما من أهل الذمة (فيقسمان بالله لشهادتنا) من جهة الورثة (أحق من شهادتهما) من جهة الموصى (وما اعتدينا) أى وما تجاوزنا الحق أدنى تجاوز تصير به شهادتنا أحق من شهادة من أفرط فى التجاوز (انا اذا لمن الظالمين) أى من المبطلين حق الموصى بالكلية (ذلك) الاقسام بعد الصلاة المعظمة عندهم وان لم يرفع الريبة بالكلية عنهم لعدم اسلامهم لكنه (أدنى) أى أقرب (أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الواجب امالان يخافوا من الله أو يخافوا الفضيحة من شهادة الآخرين مع يمينهما (أو يخافوا) الفضيحة من (أن ترد أيمان) على المدعى مع شاهد (بعد أيمانهم) منهم (واتقوا الله) أن يفضحكم أو يعذبكم ان شهدتم لا على وجهها أو تكتموا شهادة الله (واسمعوا) أمره بالتقوى وأداء الشهادة على وجهها ونهيه عن كتمانها والا كنتم فاسقين (والله لا يهدى القوم الفاسقين) الى حجة تدفع عنهم الفضيحة أو العقوبة * روى أن تميم بن أوس الدارى وعدى بن بداء وكانا نصرانيين خرجا للتجارة الى الشام ومعهما بديل بن أبى مريم مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فكتب مامعه فى صحيفة وطرحها فى متاعه ولم يخبرهما بها ثم أوصى اليهما أن يدفعا متاعه الى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال فضة منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة وطالبوهما بالاناء فجحدا فترافعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة العصر عند المنبر وخلا سبيلهما قال تميم فلما أسلمت تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر وأديت اليهم خمسمائة درهم وأخبرتهم أن عند

عليه ويهلكه وكذلك السنة الجروز (قوله عز وجل جثيا) أى على الركب لا يستطيعون القيام مما هم فيه واحدهم جاث (قوله عز وجل جذاذا) أى فتاتا ومنه قيل للسويق الجذيذ يعنى مستأصلين مهلكين وهو جمع لا واحد له مثل الحصاد مصدر ويقال جذ الله دابرهم أى استأصلهم (قوله جدد) أى خطوط وطرائق واحدها جدة

صاحبي مثلها فأتوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم البينة فلم يجدوا فأمرهم أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فنزلت فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي رفاعة السهميان فحلفا فنزعت خمسمائة درهم من عدي بشهادة واحد ويمين المدعي ولو هدى الفاسقين اليوم الى ما يدفع تهمتهم فلا يهديهم (يوم يجمع الله الرسل) لالزام الكفرة (فيقول ماذا أجبتم) أي ماذا أجابكم من أرسلتم اليهم (قالوا) لتحيرهم من هيبته (لا علم لنا) وان علمنا ظاهر ما قالوا الا نعلم ما في قلوبهم لانه غيب وأنت مخصوص باحاطة المغيبات (انك أنت علام الغيوب) ولم يكن تحير الرسل لغضب الله عليهم بل مع تلطفه بهم (اذ قال الله) يوم جمعه للرسل (يا عيسى ابن مريم) ناداه باسم أمه لان النسبة اليها تشعر بالرحمة (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ أيدتك) أي قويتك (بروح القدس) أي بجعل روحك طاهرة عن العلائق الظلمانية بحيث يعلم أنه ليس بواسطة البشر فيشهد ببراءتك وبراءة أمك ومن ذلك التأييد تقوية نفسك الناطقة لذلك (تكلم الناس في المهد وكهلا) أي في أضعف الاحوال وأقواها بكلام واحد لا تفاوت فيه وقد تكلمت ببراءة أمك (و) اذكر نعمتي من ذلك التأييد أيضا (اذ علمتك الكتاب) أي ظاهر العلم الذي يكتب (والحكمة) أي باطنه الذي لا يكتب بل يخص به أهله (و) كلاهما فيك اذ علمتك (التوراة) الشاملة على الظواهر (والانجيل) المطلع على البواطن (و) اذكر ما أثرت بذلك التأييد (اذ تخلق) أي تقدر (من الطين) صورة (كهيئة) أي كصورة (الطير) لا مع النهي عن التصوير بل (باذني فتنفخ فيها) أي في تلك الهيئة (فتكون) فتصير (طيرا) لحصول الروح من نفختك فيها (باذني و) كما أثرت بافاضة الروح أثرت بافاضة الصحة اذ (تبرئ الاكمه والابرص) وهو مع كونه دون الاحياء كان (باذني) فكون الاحياء باذني بطريق الاولى ثم أشار الى تأثيره في اعادة المعدوم فقال (واذ تخرج الموتى) من القبور احياء (باذني) فهذا ما فعل به من جر المنافع ثم أشار الى ما دفع عنه من المضار فقال (واذ كففت) أي منعت (بني اسرائيل عنك) أي اليهود حين هموا بقتلك لا لذنبك بل (اذ جئتهم بالبينات) التي توجب انقيادهم لك لتعاليها عن قوى البشر فلا يتوهم فيها السحر (فقال الذين كفروا منهم) أي مضوا على كفرهم من بني اسرائيل (ان هذا الا سحر مبين) أي ظاهر لا يلتبس بالمعجزات فهذه كلها نعم لازمة ثم أشار الى المتعدية فقال (و) اذكر نعمتي التي عليك بالتكميل (اذ أوحيت) بطريق الالهام (الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي) عن دعوته ليحصل لك رتبة التكميل وثواب رشدهم (قالوا آمنا) وأكدوا ايمانهم بقولهم (واشهد) لتؤديها عند ربك (بأننا مسلمون) أي منقادون لكل ما تدعونا اليه ثم اذكر ما قررنا به ايمانهم واسلامهم من الانعام بالمائدة اليهم مع ما فيها من النعمة الدنيوية (اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) ذكروه باسمه ونسبوه الى أمه لئلا يتوهم انهم اعتقدوا الهيته أو ولديته ليستقل بانزال المائدة (هل يستطيع) أي يجيب دعوتك (ربك) اذا

(قوله جبلا وجبلا وجبلا وجبلا وجبلا وجبلة) أي خلقا (جزءا) أي نصيبا وقيل اناثا وقيل بنات ويقال أجزأت المرأة اذا ولدت أنثى قال الشاعر

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب
قد تجزئ الحرة المذكار أحيانا

وجاء في التفسير أن مشركي العرب قالوا ان الملائكة بنات الله عز وعلا عما يقول المبطلون علوا كبيرا

دعوته (أن ينزل علينا مائدة من السماء) التي يتوهم فيها أنها ليست محل الكون والفساد (قال اتقوا الله) أن توقفوا ايمانكم على رؤيتها (ان كنتم مؤمنين) به وبرسالتي (قالوا) آمنا لكنا (نريد أن نأكل منها) من غير كلفة تشغلنا عن عبادة الله (وتطمئن قلوبنا) فلا تعتريها شبهة لا يؤمن من ورودها لولا مثل هذه الآية (ونعلم أن قد صدقتنا) فيما تعدنا من نعيم الجنة مع أنها سماوية (ونكون عليها) أي على مثلها من مواعد الجنة (من الشاهدين) أي في حكم من شهدها بالبصر لا من سمعها بالخبر (قال عيسى ابن مريم) نسبه الى أمه ليدل على مزيد تذلله (اللهم ربنا) أي يا الله المطلوب لكل مهم الجامع للكمالات الذي ربانا بها (أنزل علينا) بمقتضى تلك الجمعية والتربية (مائدة من السماء) التي فيها ما تعدنا من نعيم الجنة (تكون لنا عيدا) سرورا (لأولنا) الذين يدركونها (وآخرنا) الذين يسمعونها فيتقوون في دينهم (وآية منك) على كمال قدرتك وصدق وعدك وتصديقك اياي (وارزقنا) النعم الاخروية الموعودة (وأنت خير الرازقين) اذ تعطي المزيد من يشكرك بنعمتك (قال الله اني منزلها عليكم) اجابة لدعوتكم فهي مستدعية لمزيد شكر وايمان (فمن يكفر) بي أو برسولي (بعد) أي بعد انزالها المفيد للعلم الضروري بي وبرسولي (منكم) أيها المنعمون بها (فاني أعذبه عذابا) أي نوعا منه (لا أعذبه) أي بذلك النوع (أحدا من العالمين) وهو مسخهم خنازير روي أنها نزلت سفرة حمراء بين غمامتين وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين أيديهم فقام عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية تسيل دسما لا فلس فيها ولا شوك وعلى رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما عدا الكراث واذا خمسة أرغفة على أحدها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا أم من طعام الآخرة قال ليس منهما ولكن اخترعه الله بقدرته كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فلم يأكل منها زمن ولا مريض الا عوفي ولا فقير الا استغنى فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وكانت تنزل غبا ثم أوحى الله الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثون رجلا باتوا على فرشهم مع نسائهم فأصبحوا خنازير فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا ثم أشار الى أنهم كما هلكوا بالتفريط في شكر تلك النعمة هلكوا في أشد منها في الافراط في حقه حتى استحق اللوم من جهتهم فقال (واذ قال الله يا عيسى ابن مريم) أشار بتسميته الى نفي الهيته وباضافته الى أمه الى نفي ولديته له (أأنت) أيها المرسل لدعوة الناس الى التوحيد (قلت للناس) بدل ذلك (اتخذوني وأمي الهين) لا تتابعكان (من دون الله) أي قربة تقربكم اليه (قال سبحانك) أي نزهتك تنزيهك الكامل

(جنة) ترس وما أشبهه
(جمع الشمس والقمر) جمع بينهما في ذهاب الضوء

(باب الجيم المكسورة)

(قوله عز وجل جبت) كل معبود سوى الله قال أبو عمر وسمعت المبرد يقول الجبت التاء فيه مبدلة من السين وهو الكافر المعاند ويقال الجبت السحر (الجزية) الخراج المجعول على رأس الذمي

(مايكون لى) أى ماينصور منى بعد اذ بعثتنى لهداية الخلق (أن أقول) فى حق نفسى (ماليس لى بحق) أى ما استقر فى قلوب العقلاء عدم استحقاقى له مما يضلهم (ان كنت قلته فقد علمته) أى قبل أن أقول فكيف أرسلت للهداية من علمته مضلا لانك (تعلم مافى نفسى) أى حقيقتى (ولا أعلم مافى نفسك) حتى مايتعلق بنفسى من علمك بخفاياها (انك أنت علام الغيوب) فتعلم ماغاب عنى من صفات نفسى وضمائرها لكن لو كانت فى ما كنت مرسلى فدل ارسالك على أنى (ماقلت لهم الاما أمرتنى به أن) أقول لهم (اعبدوا الله) لامتقيدا باعتبار ظهوره فى مظهرى بل باعتبار كونه (ربى وربكم و) لايتوجه على ما أحدثوا بعدى لانى انما (كنت عليهم شهيدا مادمت فيهم) يتأتى لى نهيهم عما أشاهد فيهم بما لاينبغى (فلما) رفعتنى فصرت كأنك (توفيتنى كنت أنت الرقيب) أى الناظر (عليهم و) كذا قبل ذلك اذ (أنت على كل شئ شهيد ان تعذبهم) بما شهدت فيهم من اتخاذهم اياى وأمى الهين (فانهم) وان خرجوا عن خالص عبوديتك بالشرك (عبادك) فلك ان تتصرف فيهم بما شئت ولو لم يفعلوا ذلك أيضا ولا يمنعك من اتخذوه شريكا من ذلك (وان تغفر لهم) فليس من عجزك ولا من سفهك بل من عزتك أن لاتبالى بمعاصيهم ومن حكمتك أن لاتعاقب من توسل اليك بعبادة الغير أو عبدك بمظهرك (ف) فى كل حال (انك أنت العزيز الحكيم) فالعزة والحكمة كما يقتضيان العذاب باعتبار كذلك رفعه باعتبار آخر فلذلك لم يعتبر فى التعذيب بل انما اعتبرت العبودية (قال الله) الغفران وان لم يبطل عزتى ولا حكمتى لكن سبق وعدى بأنه (هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) فلو فعلت بالكاذبين مثله لم يظهر نفع صدقهم وذلك النفع أنه يكون (لهم جنات) من غرس صدقهم (تجرى من تحتها الانهار) كما جرى لهم من صدقهم أنهار المعارف والاعمال الصالحة ولا يختص لهم ذلك بيوم دون يوم بل يكونون (خالدين فيها أبدا) لانهم (رضى الله عنهم) لصدقهم (ورضوا عنه) بحقيقة الصدق فهم فلم يسخطوا القضائه فى الدنيا وكيف يسقط التعذيب عن غيرهم وهو موجب لدخول تلك الجنات مع ان (ذلك الفوز العظيم) الذى لايناله أهل التكذيب سيما اذا كانوا اسعاة بالفساد بل مقتضى قواعد الملك الانتقام منهم والانعام على أهل الصدق (لله ملك السموات والارض ومافيهن و) لايبعد منه ادامتهما على أهل الرضا الكلى والسخط الكلى اذ (هو على كل شئ قدير) * تم والله الموفق والملهم والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله أجمعين

* (سورة الانعام) *

سميت بها لان أكثر أحكامها وجهالات المشركين فيها وفى التقرب بها الى اصنامهم مذكورة فيها وقد اشتملت على أكثر حجها لاتهم ويتم ظهورها بها (بسم الله) الجامع للكمالات المستوجبة للمحامد من الذاتية والوصفية والفعلية (الرحمن) بايجاد السموات والارض

وسميت جزية لانها قضاء منهم لما عليهم ومنه قوله جل وعز لاتجزى نفس عن نفس شيأ أى لاتقضى ولا تغنى (قوله عز وجل جدار) أى حائط وجمعه جدر (قوله عز وجل جبلة الاولين) أى خلق الاولين (قوله تعالى جذوة) وجذوة وجذوة من النار قطعة غليظة من الحطب فيها نار لالهب لها (قوله عز وجل جفان)

والظلمات الحسية التى يتوقف عليها بعض المنافع والعقلية التى هى سبب عمارة العالم السفلى بحجبها عن الذات الالهية والصفات (الرحيم) بايجاد النور الكاشف عنهما وعن ايصال المكنونات اليهما (الحمد لله) أى جميع المحامد بما حمد به نفسه أو خلقه أو حمد به الخلق ربهم أو بعضهم مخصوص به لانه (الذى خلق) أى قدر بمقدار تقتضيه الحكمة بحيث يستوجب الحمد (السموات) التى هى بأوضاعها وحركاتها أسباب الكائنات والفاسدات التى هى مظاهر الكمالات الالهية وجمعها ليشعر بغاية كثرتها بحيث يكون لامر واحد أسباب كثيرة فلا ينقطع بانقطاع سبب معين (والارض) المشتملة على قوابل الكون والفساد التى هى المسببات ووحدها ليشير الى أن فى قوابلها ما يقبل مع وحدته الصور الكثيرة من اختلاف الاسباب (وجعل) أى أوجد من غير تقدير اذ لا مقدار لهما فى ذاتهما (الظلمات) الحسية وهى ظلال الاجسام الكثيفة الساترة عن المحسوسات والمعنوية الوهمية أو الخيالية الحاجبة عن المعقولات ليتوقف بعض المنافع على ذلك وفيها استتار الحق بالصفات الجلالية بل بتجليه بها وجمعها ليشعر بكثرتها كيف ومنها الشبهات الحاجبة عن ادراك الصواب وبرفعها يظهر فضل مدركه وجعلها بازاء السموات ليشعر بأن بعض أسبابها مما يحجب عن المسبب (والنور) وهو الظاهر بنفسه المظهر لغيره ووحده مع كثرة أنواعه لان المراد ما يوجب ظهوره فى المظاهر أو يوصل الى توحيده وأخرهما عن ذكر السموات والارض لانهما سببا الادراك وامتناعه وهما فرع المدرك والمدرك (ثم) صار انعامه بذلك سبب العدول عنه الى غيره أو التسوية بينه وبين غيره لاستعظامهم بعض ما أنعم به أو احتجابهم به عن المنعم اذ (الذين كفروا) أى علم كفرهم وان أنكروه وثبت فى الازل فستروا المنعم مع غاية ظهوره أو عبدوا مظاهره على اعتقاد كمال ظهوره فيها وهو اعتقاد النقص بالنظر الى ما هو كماله فهو ستر بالحقيقة (بربهم) الذى رباهم بهذه النعم ليلازموا بابه وعبادته ولا ينظروا الى غيره (يعدلون) يميلون عنه الى عبادة بعض ما أنعم أو يسوون بينه وبين بعض ما أنعم فى اعتقاد الالهية أو استحقاق العبادة ويتجدد ذلك منهم حتى فى حال تعظيمهم للحق لانهم لا يعظمونه بحيث لا يشاركه الغير ولا يتوجهون اليه بحيث يخلون عن كل ما سواه ثم أشار الى انه وان توهم نسبة سائر النعم الى غير الله فلا يتوهم نسبة نعمة خلق الانسان الذى هو المظهر الجامع الى غيره لقصوره مع امتناع كون القاصر موجد الكامل فقال (هو الذى) علم بحيث لا يعارضه وهم لضيه فى العقول انه (خلقكم) خاطبهم ليشير الى اعزازهم بخطابه الازلى مع كونهم (من طين) فى غاية الهوان ولا شعور له فهو غاية الانعام الموجب غاية ذم من مال عنه أو سوى بينه وبين غيره والطين هو التراب الممزوج بالماء فهم مخلوقون من الارض مع أثر سماوى (ثم) أى بعد ما تم خلقكم (قضى) أى قدر وكتب فى جباهكم (أجلا) هو أجل الموت وهو أيضا أثر سماوى لكونه من الزمان الذى هو مقدار أسرع الحركات السماوية ونكره لابهامه وانما قدره

لينتقل

أى قصاع كبار واحدها جفنة وقصعة (جمالات صفر) أى ابل سود أى جمع جمالة وواحد الجمالة جمل وجمالات بضم الجيم قلوس سفن البحر (قوله تعالى جيدها) أى عنقها (قوله عز وجل جنة) أى جن كقوله تعالى من الجنة والناس وجنة جنون كقوله تعالى ما بصاحبكم من جنة

* (باب الجاء المفتوحة) *

لينتقل من دار القصور الى الكمال ليكون أجمع وليدل على أجل القيامة المشار اليه بقوله (وأجل مسمى) أى معين فى حق الكل (عنده) لايعلمه غيره لانه ان قرب تعطلت الامور وان بعد لم يلتفت اليه ولم يذكر ههنا قضى لانه لم يكتب فى الجباه لعدم اختصاصه بأربابها وجعله جملة اسمية للدلالة على ثبوته فى العقول اذ بدونه يلزم العبث فى خلقها وتفهيم الخطاب الازلى وفى الاجلين اقوال انتهاء حياة وابتداء حياة أو ابتداء موت وانتهاء موت أو ابتداء موت وابتداء حياة أو انتهاء حياة وانتهاء موت وهذا أظهر (ثم) أى بعد انعامه عليكم بخلقكم واعزازكم بخطابه مع غاية هوان أصلكم وبعد العلم بانتقالكم الى داره والى حكمه (أنتم تمترون) أى ثابتون على الشك أو المجادلة فى الحق بتجديد الافعال وكيف تمترون فيه (وهو الله) أى الظاهر بذاته وصفاته (فى السموات وفى الارض) ليراها بمراياها مفصلا ثم ظهر فيكم مجملا ليشاهدها كما كان يشاهدها فى نفسه فكل مافيكم ظهوراته التى يشاهدها فهو (يعلم سركم) مظهر باطنه (وجهركم) مظهر ظاهره (و) كما يعلم مافيكم باعتبار المظهرية (يعلم ماتكسبون) باعتبار حقائقكم التى يختلف بها الظهور الواحد وهى جهة الجزاء اذ هى جهة الاعراض عن آيات الله (و) لذلك (ماتأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) فلايستدلون بها عليه والاعراض عن دلالتها تكذيب للحق الناطق بالدعوة اليه (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) فزعموا ان الآيات كمالات الحق ظهرت بتلك المظاهر ليعبد فيها وهذا استهزاء به اذ قالوا بظهور الالهية فيها فكأنهم جعلوها من الحوادث فهذا الاعراض والتكذيب والاستهزاء لها انباء مرجعها انباء الاستهزاء فان لم تظهر فى دار الابتلاء فلابد من ظهورها فى دار الجزاء (فسوف يأتيهم أنبؤا ما كانوا به يستهزؤن) وقد جاء المستهزئين قبلهم انباؤهم (ألم يروا) أى ألم يعلموا علما يشبه الرؤية بالبصر لما سمعوا بالتواتر من اتيان المستهزئين الاولين انباؤهم مرارا كثيرة (كم أهلكنا) أى كثيرة من أهلكنا بحيث أفاد تجربة واستقرار عادة (من قبلهم من) أهل (قرن) أى زمان فكأنهم لم يبالوا بذلك لما رأوا من تمكين الله فتوهموا انه مناف للاهلاك ومن توسيع الرزق عليهم فتوهموا انه مناف للتضييق بالانتقام منهم على انهم يتوهمون ان اهلاك من تقدم انما كان لدائرة فلكية لا لذنب صدر منهم فرد الله تعالى عليهم بقوله (مكناهم) لم يقل اهم للقطع بعدم انتفاعهم بخلاف المخاطبين اذ يتوقع لهم النفع قبل اهلاكهم (فى الارض) فيه اشارة الى أن التمكين فى السماويات هو الذى يمكن جعله منافيا للاهلاك (مالم نمكن لكم) فلم يمنع تمكينهم من اهلاكهم (وأرسلنا) هو أبلغ من أنزلنا فى الدلالة على الكثرة (السماء) أى المطر (عليهم مدرارا) أى مغزارا (وجعلنا) فى وقت أو مكان لامطر فيه (الانهار تجرى من تحتهم) فهذه التوسعة لاتنافى تضييقهم للعذاب بل صارت ذنوبهم بعد ذلك سبب الاهلاك الكلى (فأهلكناهم) وقد ترتب على ذنوبهم وكان (بذنوبهم) اذ ترتب الشئ على سببه هو الاصل (و) انما أهلكناهم فى الدنيا على ذنوبهم مع

(حنيف) من كان على دين ابراهيم عليه السلام ثم يسمى من كان يختتن ويحج البيت فى الجاهلية حنيفا والحنيف اليوم المسلم ويقال انما سمى ابراهيم حنيفا لانه كان حنف عما يعبد أبوه وقومه من الآلهة الى عبادة الله عز وجل أى عدل عن ذلك ومال وأصل الحنف ميل فى ابهامى القدمين من كل واحدة على صاحبتها (قوله عز وجل حج البيت) أى قصد البيت ويقال حججت الموضع

انها ليست دار الجزاء ليكون عبرة لمن بعدهم اذ (أنشأنا من بعدهم قرنا) خلقنا فيه اناسا (آخرين) فلا تناسخ فيه يمنع من المبالاة بالاهلاك للعود عن قرب (و) لكن أساء هؤلاء المنشؤن من بعدهم الاعتبار بحيث (لو نزلنا) من مقام عظمتنا على سبيل التنجيم الذي هو أتم في الاعجاز (عليك) أيها الخبير في نفسه الداعي الى الخيرات في العموم (كتابا) عظيم الشأن في الالفاظ والمعاني (في قرطاس) رأوا نزوله من السماء (فلمسوه بأيديهم) التي هي أعدل الاعضاء اللامسة مع انه لا دخل للسحر في هذه القوة (لقال الذين كفروا) أي مضوا على كفرهم بانكار امكان الارسال والمعجزات (ان) أي ليس (هذا) المعظم بهذه الوجوه الدالة على انه لا يكون الا من الله (الا سحر مبين) لنفسه لا يحتاج الى بيان (وقالوا) لما كانت المعجزة من المحالات الصريحة فلا دليل على النبوة سوى شهادة الملك (لولا أنزل عليه ملك) يشهد بصدقه (ولو أنزلنا ملكا) فلو أنزلناه بصورته الملكوتية (لقضى الامر) أي انقطع أمر التكليف اذ لا ينفع الايمان بعد انكشاف عالم الملكوت (ثم) ان لم يقض (لا ينظرون) اى لا يمهلون اذ الامهال للنظر فان المعجزة وان أفادت علما ضروريا لا تخلو عن خفاء يحتاج الى أدنى نظر ولا خفاء مع انكشاف عالم الملكوت فلا وجه للامهال للنظر ولم يقبل الايمان معه فلا بد من المؤاخذة عقيبه (ولو جعلناه ملكا) بحيث يراه أهل عالم الشهادة (لجعلناه رجلا) أي على صورته ليدركه أهل عالم الشهادة (و) لو جعلناه رجلا (للبسنا عليهم) من استحالة ارسال الشاهد امثل (ما يلبسون) على أنفسهم ومقلديهم من استحالة ارسال البشر ولو لم يكن شئ من الامرين فلا وجه لانزاله أيضا لانهم لما رأوا المعجزات من المحالات وانزال الملك غايته انه من المعجزات كان طلبهم ذلك استهزاء فهم يستحقون بذلك الاستهزاء من الله (و) قد فعل الله ذلك بمن قبلهم لانه (لقد استهزئ برسل من قبلك فحاق) أي أحاط من الجوانب (بالذين سخروا منهم) لا بالرسل (ما) أي الاستهزاء الذي (كانوا به يستهزؤن) اذ اهلكوا في الدنيا على أقبح الوجوه ثم ردوا الى أفظع العذاب أبد الآبدين وجعل الرسل في أعلى منازل القرب من رب العالمين فان أنكروا انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن (قل) ان لم تصدقوه بالتواتر ولم تكتفوا بما رأيتم في مكان لعدم دلالته على استمرار هذه السنة ولو أبصرتم الكل في مكانكم لنسبتموه الى السحر فالآن (سيروا) سيرا ممتدا (في) أطراف (الارض ثم) بعد تحملكم مشاق السير المذهبة رعونة النفس (انظروا) في آثارهم الدالة على انه حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن لتعلموا (كيف كان عاقبة المكذبين) الذين تضمن تكذيبهم الاستهزاء وكان عاقبتهم استهزاء الله بهم فان زعموا انه لا دلالة فيها على انها كانت لتكذيبهم اذ ليست بمعصية يعاقب بها صاحبها بمثل تلك العقوبة (قل) أي معصية أعظم من التكذيب والقول بانكار الرسالة والمعجزة وفيه تعجيز الله عن اقامة الدليل على صدق من أرسلهم وانكار رحمته وعدله وحكمته فان أنكروا قدرته على المعجزة سلهم (لمن ما في السموات والارض) فان قالوا هو لله لكن المعجزة ليست من فعله حتى تدل

على

أحجه حجا اذا قصدته ثم سمي السفر الى البيت حجا دون ما سواه والحج والحج لغتان ويقال الحج المصدر والحج الاسم وقوله عز وجل يوم الحج الاكبر أي يوم النحر ويقال يوم عرفة وكانوا يسمون العمرة الحج الاصغر (قوله تعالى حصورا) على ثلاثة أوجه الذي لا يأتي النساء والذي لا يولد له والذي لا يخرج مع الندماء شيئا (قوله عز وجل الحواريون) هم صفوة الانبياء عليهم السلام الذين خلصوا

على تصديقه (قل لله) هى أيضا لانها اماعين فعله أو فعل من أعطاه القدرة عليها الكنه
لايعطى أحدا قدرة تفضى الى عجزه عن شئ سيما تصديق الرسل الذين تقتضى الحكمة
ارسالهم لانه من الرحمة وقد (كتب) ربكم (على نفسه الرحمة) وكمالها فى الجزاء اذبدونه
تضيع مشاق المعارف الالهية والاعمال الصالحة وتضيع المظالم والاجزاء فى دار الدنيا لانه
فرع التكليف ودار التكليف لاتكون دار الجزاء لان مشاهدته مانعة من التكليف فلذلك
حلف (ليجمعنكم) فى القبور (الى يوم القيامة) واذا حلف فهو (لاريب فيه) ولايعرف
الابارسال الرسول فلا يكون تكذيبه الا سبب خسران ماوعد على معارفه وأعماله الصالحة
على ألسنتهم (الذين خسروا أنفسهم) ففوتوا عليها ماوعده الله وألزموها قهره وغضبه
اللذين ظهرت آثار ذلك على بعضهم فى الدنيا (فهم لايؤمنون) وكيف يرتاب فى يوم الجزاء
والدنيا ان صلحت له فانما تصلح جزاء لمن يتلذذ بغير الله (و) أما من كان تلذذه بالله لالنفسه
بل (له) وهو (ماسكن) اليه (فى الليل والنهار) أى حال السكر والصحو فلا بدله من جزاء
غير لذات الدنيا ولا يكفى تلذذه بالله فى الدنيا لانه ممزوج بألم شوقه (وهو السميع) لانينه
(العليم) بحنينه فلا يتمحض تلذذه الا برؤيته ومكالمته ولا يتم الا يوم القيامة ولايبعد
اعطاؤه الجزاء على الاعمال الغير المنحصرة لغير المنحصرين لانحصار الكل له لانه من جملة
ماسكن أى دخل فى الليل والنهار الحاصرين وهو السميع انيات العاملين العليم بأعمالهم
ومقاديرها ولايبعد احياؤه للجمادات من ابدان الاموات لانها وان كانت دون الحيوان
والنبات الساكنين بالليل المتحركين بالنهار لكن الكل من مظاهره حتى ان له ماسكن فى
الليل والنهار من الجمادات فكما قبل ظهوره فله قبول ظهور حياته وظهور سمعه لسماع
خطابه وظهور علمه لادراك اعماله وجزائها فلا ينبغى ان يرتاب فى يوم الجزاء لهذين الامرين
ثم انه كما لايكفى نعم الدنيا جزاء من سكن الى الله فلا يلتذ بغيره لايكفى آفاتها الجزاء من أشرك
به وان كان مرغوبا للجمهور حتى لاموا بتركه الانبياء لما فيه من ترك متابعة الآباء (قل)
بطريق الانكار على نفسك امحاضا للنصح (أغير الله) الذى له الكمالات بالذات (أتخذوليا)
مع انه لا كمال له فى ذاته أغير (فاطر) أى مخترع (السموات والارض) من غير مثال سابق
فكمالاتهما منه وقد اشتمل على آيات ومنافع كثيرة أنعم بها على الخلائق على ان الولى انما
يتخذ لانعامه أو الحاجة اليه (وهو) كاف فيهما لانه (يطعم) ويحصل مقدماته ومايترتب
عليه (و) لاحاجة له ولا انعام عليه ولايطلب العوض لانه (لايطعم) فيجب اتخاذه وليا بل
معبودا شكرا على انعامه وكفايته الحوائج بلا عوض وكيف لايعاقب على ذلك وفيه مخالفة
أمره (قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم) لاصير متبوعا للباقين فهم مأمورون بالاسلام
ومخالفة نهيه اذ قد نهيت عن الشرك صريحا بعد النهى فى ضمن الامر وأكد ذلك تأكيدا
فقيل (ولاتكونن من المشركين) ونهى المتبوع نهى التابعين والامر والنهى من الحكيم
القدير سيما للمتبوع لايكون للعبث فأقل مافيه الخوف حتى للمتبوع (قل انى أخاف ان

وأخلصوا فى التصديق
بهم ونصرتهم وقيل انهم
كانوا قصارين فسموا
الحواريين لتبييضهم
الثياب ثم صار هذا الاسم
مستعملا فيمن أشبههم من
المصدقين وقيل كانوا
صيادين وقيل كانوا ملوكا
والله أعلم (قال أبو عمرو وفيه
ثلاث لغات صفوة وصفوة
وصفوة والكسر
أجودهن) (قوله تعالى
حسرة) عهد (حسرة)
ندامة واغتمام على مافات ولا
يمكن ارتجاعه (قوله تعالى
حسبنا الله) كافينا الله

عصيت) بمخالفة أمر أو نهى ولو فيما دون الشرك (ربى) الذى ربانى فبلغنى رتبة المتبوعية فان عصيانه أخوف (عذاب يوم عظيم) تظهر فيه عظمة القهر الالهى وان كفى فيما دون الشرك الآفات الدنيوية لكنه لاختصاصه بالتعذيب يخاف عذابه لانه موضوع له بل صار لعمومه بحيث (من يصرف) العذاب (عنه يومئذ فقد رحمه) بعظم عنايته كيف (وذلك الفوز المبين) الذى يفوق الفوز بدخول الجنة اذ فوتها أهون من مقاساته فاذا عظم فوز النجاة يومئذ من عذاب ما دون الشرك فما حال عذاب الشرك كيف ولا يرفعه عمل ولا شفاعة بل الآفات الدنيوية لا ترتفع بمعالجة ولا قوة ولى الا باذن الله (و) ذلك لانه (ان يمسسك الله بضر) ولو دنيويا (فلا كاشف له) من دواء ولا موالاة ذى قوة بل لا يكشفه اذا كشفه عقيب الدواء والرقى والبخورات (الا هو) اذ ليس لغيره قدرة يعارضه ولذلك كثيرا ما لا يفعله ويفعل عقيب دعواته أ كثر مما يفعل عقيبها (وان يمسسك بخير فهو على كل شئ قدير) فيقدر على اتمامه وان أراد الغير قطعه وأ كثر ما يتمه بالشكر فان أبى فلتعويضه بأجل منه وأ كثر ما يقطعه بالكفر فان أتم فللاستدراج (و) لو فرض لغيره قدرة مستقلة فليس له معارضة الله تعالى اذ (هو القاهر فوق عباده) فان شاء أمضى تأثيرهم وان شاء قطع (و) ليس على سبيل التحكم بل (هو الحكيم) فلا يمضى الا حيث لا يضر بالآخرة الا فى حق المستدرج (الخبير) بمن يحتاج الى الواسطة ومن لا يحتاج اليها فمن استغنى بالله أغناه ومن توسل بوسايط الخيرات نفع بها والأضر بآخرته وكانهم اذا سمعوا بذلك قالوا لا نعرف هذا العذاب الا عن قولك ولا نثبت الا بشاهد عظيم (قل أى شئ أ كبر شهادة) بحيث لا يمكن معارضته بما يساويه فان سووا بين شهادة الله وغيره (قل الله) أ كبر شهادة اذ لا احتمال للكذب فى قوله أصلا وهو (شهيد) أى مبالغ فى الشهادة على نبوتى بحيث يقطع النزاع (بينى وبينكم) اذ شهد بالقول فى الكتب التى أنزلها على الاولين وبالفعل فيما ظهر على يدى من المعجزات (و) أعطانى المعجزة القولية التى لا مجال لتوهم السحر فيها اذ (أوحى الى هذا القرآن) الجامع للعلوم التى يحتاج اليها فى المعارف والشرائع فى ألفاظ يسيرة فى أقصى مراتب الحسن والبلاغة (لأنذركم به) يامن بلغوا الغاية القصوى فى باب البلاغة (ومن بلغ) من عقلاء العالمين وفضلائهم اذ يعرفون اعجازه فيقع فى قلوبهم صدقه ولما أقام الشهادة على نبوته طلب منهم الشهادة على شركهم وأشار الى انه لا شاهد له من الدلائل العقلية والنقلية والكشفية للرسل والاولياء وانما هو أقوالهم فقال (أئنكم) من غير أصل (لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل) انه وان كثرت الشهداء منكم عليه حتى تواتر (لا أشهد) لان التواتر انما يفيد العلم حيث كان عن مشاهدة ولا مشاهدة هنا ولا دليل بل أشهد على توحيده (قل انما هو اله واحد) لا يشاركه فى الهيته ولا فى صفات كماله (واننى برئ مما تشركون) من عبادتكم لها واعتقادكم استحقاقها الها وكأنهم اعترضوا على شهادة الله فى كتب الاولين بانكار جمهور أهل الكتاب اياه فأجيبوا بأنه انكار

(قوله تعالى حبطت أعمالهم) أى بطلت (حظ نصيب (حريق) نار تلهب (قوله عز وجل حلائل) جمع حليلة الرجل أى امرأته وانما قيل لامرأة الرجل حليلته وللرجل حليلها لانه يحل معها وتحل معه ويقال حليلة بمعنى محله لانها تحل له ويحل لها (قال أبو عمرو ومنه قول عنترة وحليل غانية تركت مجدلا) (قوله عز وجل حسيبا) فيه أربعة أقوال كافيا وعالما ومقتدرا ومحاسبا (قوله عز وجل حاق بهم) أى

لما عرفوه كما اعترف به من آمن منهم لاغراض كانت لهم وقد ظهرت ولا يبعد منهم لذلك ستر مالم يظهر فى العموم ولا تحريفه فقيل (الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه) لانه ذكر فيه نعته وهو وان لم يفد تعينه باللون والشكل والزمان والمكان تعين بقرائن المعجزات فبقاء الاحتمال البعيد فيه كبقائه فى الولد بأنه يمكن ان يكون غير ما ولدته امرأته أو يكون من الفجور مع دلالة القرائن على براءتها من التزوير والفجور فهو (كما يعرفون أبناءهم) فى ارتفاع الاحتمال البعيد بالقرائن على براءتها فانكاره خسران لما عرفوه ولما أمروا بالتدين به (الذين خسروا أنفسهم) بتفويت ما أوتوا من الكتاب وما أمروا به (فهم لا يؤمنون) وكيف لا يخسرون وهم ظالمون وكل ظالم خاسر وانما قلنا انهم ظالمون لانهم يحرفون كتاب الله لفظا أو معنى فيفترون على الله الكذب ويكذبون آيات الله من كتابهم ومعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكتابه وقد يسترون بعض ما فى كتابهم وهو أيضا تكذيب فعلوا جميع ذلك لانه لا يتأتى لهم ترك الايمان لمحمد صلى الله عليه وسلم بدون أحد هذه الامور (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته) لانهم بالتحريف يدعون الهية أنفسهم وبالتكذيب يريدون تعجيز الله عن تصديقه الرسل وينسبون ايجادها الى غير الله مع افتقارها الى القدرة الكاملة وانما قلنا كل ظالم خاسر لان كل ظالم لا يفلح (انه لا يفلح الظالمون) أى لا يفلحون فى الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم وفيه اشارة الى أن مدعى الرسالة لو كان كاذبا كان مفتريا على الله فلا يكون مفلحا فلا يكون سببا لصلاح العالم ولا محلا لظهور المعجزات ولما ذكر جواب الاعتراض على شهادة الله بنسبة ظلم الافتراء على الله وتكذيب آياته اليه أشار الى جواب اعتراض الله على شهادة المشركين ان مع الله آلهة أخرى بالكذب على أنفسهم بانكار شهادتهم وهو أيضا ظلم على ظلم بالافتراء على الله بالشرك وقد شاركهم الاولون فى الشرك أيضا فقال (ويوم نحشرهم) أى فكما لا يفلحون فى الدنيا بانقطاع الحجة عنهم وظهور المسلمين عليهم لا يفلحون يوم نحشرهم أى الانس والجن والشياطين والملائكة (جميعا) ليفتضح جميعا من لا يفلح من الظالمين مزيد افتضاح ويظهر المفلحون بكمال العزة (ثم نقول للذين أشركوا) أى مضوا على الشرك بأن ماتوا عليه وهم الشاهدون أن مع الله آلهة أخرى وكذا المفترون على الله بالتحريف والمكذبون بآياته بجعلها للغير (أين شركاؤكم) الذين جعلتموهم شركاءنا وهم شركاؤكم فى العبودية (الذين كنتم تزعمون) من عند أنفسكم بلا دليل عقلى ولا نقلى ولا كشفى قصدتم بذلك فعل الفاتنين فى المملكة بجعلها الغير من هى له فيتحيرون (ثم لم تكن فتنتهم) أى جواب ما اعترض به على فتنتهم التى هى شهادتهم أن مع الله آلهة أخرى (الا أن قالوا) معتذرين عنها بنفيها مؤكدا بالقسم بالاسم الجامع مع نسبة الربوبية اليه لا الى ما سواه (والله ربنا ما كنا مشركين) فكان هذا العذر ذنبا آخر مؤكد الافترائهم بالشرك الذى نفوه (انظر كيف كذبوا) مع علام الغيوب بعد كشف

(قال أبو عمر حاف
أحاط بهم) أى حق عليهم (قوله
بهم) أى ما حار
عز وجل حميم) القريب فى النسبة
والحميم
كقوله عز وجل ولا يسئل
حميم حميما أى قريب قريبا
والحميم أيضا الخاص يقال
دعينا فى الخاصة لا فى العامة
والحميم أيضا العرق (قال أبو
عمر الحميم أيضا الماء البارد
وخاصة الابل الجياد يقال
له الحميم يقال جاء المصدق
فأخذ حميمها أى خيارها
وجاء آخر فأخذ شانها أى
شرارها وأنشد
وساغ لى الشراب وكنت قبلا

الغطاء عنهم بحضرة من لا يحصر من الشهود فنادوا به ضرارا (على أنفسهم و) لم يجدوا
عنه تفصيالانه (ضل عنهم ما كانوا يفترون) من كونهم شركاء يشفعون لهم عند الله
و يقربونهم اليه زلفى وهذا من عدم فلاحهم بافتضاحهم بافترائهم بالشرك الذى اعتذروا
عنه بكذب آخر موثق كذله (و) منشأ ذلك عدم فلاحهم فى الدنيا بتدبر ما يستمعون منك من
كلام الله المرشد لهم اذ (منهم من يستمع) أى يقصد سماع القرآن ناظرا (اليك) أى الى
وجهك الذى يعرف من له أدنى بصيرة انه ليس بوجه كذاب (و) لكن لا يتدبر فيه حتى
يطلع على اعجازه ويؤثر فيه الارشاد لانا (جعلنا على) بواطن (قلوبهم أكنة) أى حجبا
من التعصب لدين الآباء أو حب الرياسة والمال تمنعهم من (أن يفقهوه) أى يفهموا
ببواطن قلوبهم بواطنه التى بها اعجازه وارشاده باقامة الدلائل و رفع الشبه بل التأثير
فرع الوصول وطريق وصول المسموعات الآذان (و) قد جعلنا (فى آذانهم) التى هى
طريق الوصول الى بواطن القلوب (وقرا) أى ثقلا مانعا من الوصول اليها لمعارضة
مطالبهم المذكورة له (و) لا يختص هذا منهم بالقرآن لرؤيتهم قصورا فيه بل (ان يروا)
بالاعين (كل آية) بحيث لا يخرج عنها شئ مما يمكن ظهوره على يدى البشر مما يدل على
صدق الرسول كانه مشاهد (لا يؤمنوا بها) وحملوها على السحر وقد بالغوا فى انكار
المعجزة القولية التى لا يتوهم فيها السحر (حتى اذا جاؤك) يا من سرى نوره الى بواطن
من يأتيك فلا يسرى منك نور اليهم لانهم (يجادلونك) فيبطلون استعدادهم لقبول
النور منك ولما لم يمكنهم القول بأنه سحر (يقول الذين كفروا) أى ستروا اعجازه من كل
وجه حتى من وجه اشتماله على أخبار الغيب (ان هذا الا أساطير الاولين) أى أكاذيبهم
التى سطروها (وهم) لرؤيتهم حلاوة نظمه فوق نثرهم وشعرهم مع متانة معانيه يعرفون
ان التدبر فيه يفيد التطلع على اعجازه فيخافون تأثيره فى قلوب الخلائق لذلك (ينهون
عنه) أى عن قراءته واستماعه لئلا يدعوهم الى التدبر فيه فيفسد عليهم أغراضهم
الفاسدة (و) يخافون على أنفسهم ذهاب تلك الاغراض بقوة تأثيره لذلك (ينأون) أى
يبعدون (عنه) يريدون اهلاكه (و) لكن لا يحصل لهم هذا المطلوب لان الله متم نوره
ومظهر دينه ينعكس عليهم مرادهم فهم (ان) أى ما (يهلكون الا أنفسهم) بابطال
نظريتهم وعمليتهم فى الدنيا واستحقاق العذاب الشديد الخالد فى الآخرة بل هم هالكون
الآن لتحقق أسبابه فيهم (و) لكنهم (ما يشعرون) لاحتجابهم بما لا يليق بذنهم ولو شعروا
لكانوا كالواقفين على النار (ولو ترى) أيها الناظر من بعد ما ابتلوا به (اذ وقفوا على
النار) قبل دخولها العظم عليك الامر فكيف حالهم بعد دخولها (فقالوا يا ليتنا) طلبا
لتمنى المحال (نرد) من دار الآخرة مع ما فيها من سعة الرحمة لتضييعهم استعداد تحصيلها
الى الدنيا ليحصل استعدادها بتكميل النظرية والعملية (و) مع ذلك (لا نكذب بآيات
ربنا) لئلا يبطل ما حصل من الاستعداد (و) مع ذلك (نكون من المؤمنين) بكل ما يجب

الايمان

أكاد أغص بالماء الحميم أى البارد) (قوله عز وجل حرث) هو اصلاح الارض والقاء البذر فيها يسمى الزرع الحرث أيضا (قوله عز وجل حشرنا) جمعنا والحشر الجمع بكثرة (قوله عز وجل حيران) أى حائر و يقال حار يحار وتحير يتحير أيضا اذا لم يكن له مخرج من أمره فمضى وعاد الى حاله (قوله عز وجل حمولة وفرشا) الحمولة الابل التى تطيق أن تحمل والفرش الصغار التى لا تطيق الحمل

الايمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وان لم يظهر انما لكل واحد
منها آية تظهر على يديه لئلا نصير مكذبين للآيات الظاهرة على يدى من أمر بالايمان به
وانما ينفعهم الرد الذى يتمنونه لو كان تعذيبهم من خارج وليس كذلك (بل بدا لهم)
بالصور القبيحة (ما كانوا يخفون من قبل) من الصفات الذميمة فيتعذبون بتلك الصور
أيضا عند الرد عذابا لا يظهر عليهم معه خفة بما أسقط عنهم بالرد من العذاب الخارجى
(ولو ردوا) مع اخفاء تلك الصفات فيهم ولا بد منها اذ لا تكليف بدونها (لعادوا) فاعلين
(لما نهوا عنه) لغلبة تلك الصفات على عقولهم المانعة عنه (و) لا يمنعهم عن العود
وعدهم (انهم لكاذبون) لان تلك الصفات تدعوهم الى الخلف فى الوعد ولا مانع منه
(و) كيف لا يعودون وهم يرون ما رأوه من البعث والوقوف على النار من أضغاث أحلام
النائم وقعت فى أثناء الحياة الواحدة لذلك (قالوا ان هى) أى ليست الحياة التى يتوهم
فيها البعث والتى يتوهم فيها الرد (الا حيوتنا الدنيا) الاولة (و) ان متنا ووردنا بطريق
التناسخ (ما نحن بمبعوثين) حتى يكون ذلك الوقوف على النار أمرا حقيقيا وانما رؤى
حال تجرد الروح بطريق الرؤيا ثم تعلق بطريق التناسخ (ولو ترى) الذين لو ردوا بعد ما وقفوا
على النار قالوا انه رؤيا باطلة (اذ وقفوا على ربهم) فاطلعوا بالاطلاع عليه أنها نار
حقيقية بعد البعث الحقيقى (قال) لهم تبكيتا لهم وردا لما يتوهمون عند الرد (أليس هذا
بالحق قالوا بلى وربنا) الكاشف لنا عن حقيقته (قال) لو رددتم عن هذا المقام احتجبتم
فكفرتم لما جرب منكم (فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) ولم يرفع عنهم لقاء الله
العذاب وان اختص بأهل الحجاب لانه (قد خسر) النور الذى يمكن به رؤية الله (الذين
كذبوا بلقاء الله) فحصلت لهم ظلمة التكذيب ولم يزالوا فى ظلمته (حتى اذا جاءتهم الساعة)
الكاشفة عن نور الله (بغتة) قبل ان يألفوا نوره ليمكنهم رؤيته (قالوا) عند عماهم بفجأة
النور بعد طول مدة الظلمة (يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) أى فى الدنيا اذ لم نكتسب من
الاعتقادات والاخلاق والاعمال ما ينير الارواح ويؤنسها بنور الحق ولو أطاقوا
النظر لمنعهم حجب المعاصى ولو لم تحجب فانما يراه من يكون قائما (وهم) يكونون
راكعين اذ (يحملون أوزارهم) أى أثقال معاصيهم (على ظهورهم) بل ينكسون لها
(ألا ساء ما يزرون و) كيف لا يسوء الاوزار وقد ساء جميع ما يعمل لحياة الدنيا مما ليس
بوزر ولا عبادة فانه (ما الحيوة الدنيا) أى اعمالها (الا لعب) أى اشتغال بالامور الخسيسة
(ولهو) أى هزل (وللدار الآخرة) أى أعمالها (خير) أى أتم لذة فى الدنيا (للذين
يتقون) وان شقت على المشتغلين بلعب الدنيا ولهوها واللذات الاخروية المناسبة
للذات الدنيا خير لهم أيضا فضلا عن الروحانية (أ) تؤثرون الادنى الفانى على الاعلى الباقى
الحاصل فى الحال لاهل الكمال (فلا تعقلون) وانما يؤثرون الدنيا لانهم لا يتلذذون لذة
المتقين لانهم لا يستعملون العقول استعمالهم اياها فى أمور الدنيا حتى لا يصدقون الرسول

وقال بعض العلماء الحمولة
الابل والخيل والبغال
والحمير وكل ما حمل عليه
والفرش الغنم كذا قال
المفسرون (قوله تعالى
الحوايا) أى المباعر ويقال
الحوايا ما تحوى من
البطن أى ما استدار
ويقال الحوايا بنات اللبن
وهى منحوية اى مستديرة
واحدتها حاوية وحوية
وحاوياء (قوله عز وجل
حثيثا) أى سريعا
(حقيق على) أى حق على
واجب على ومن قرأ حقيق

الذى لايعرف وقوعها بدونه وان حسنها العقل ودل على صدق الرسول ولعدم استعمالهم اياه فى حقه عليه السلام الموجب لتحقق الآخر مع وجوده عندهم كان يحزنه عليه السلام ذلك فقال عزوجل (قد نعلم انه) أى الشأن (ليحزنك الذى يقولون) فيك من أنك كاذب أوساحر أوشاعر أومجنون وكان ينبغى ان لايحزنك تكذيبهم (فانهم لايكذبونك) فيما تخبر عن أمور الدنيا لعلمهم بصدقك مع انك لم تعط المعجزات الالبصدقوك فيها (ولكن الظالمين) بتكذيبك فيما أعطيت المعجزات ليصدقوك فيه (بآيات الله يجحدون) فلا بدان تزيل حزنك باهلاكهم لهذا الظلم العظيم فى حق آياته وليس امهالهم لاهمالهم بل لجريان سنته عزوجل بتحقيق صبر الرسل وشكرهم (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) بأنواع اخر لم يزل صبرهم (حتى أتاهم نصرنا) فشكروا فاعطوا مع اجر الرسالة أجر الصبر والشكر وكلما طال الصبر كثر الاجر وعظم الشكر وعظم وزر العدو واشتد عقابه (ولا مبدل لكلمات الله) من نصر الرسل واعطائهم أجر تبليغ الرسالة والصبر والشكر وقهر الظلمة والمستهزئين (ولقد جاءك) جميع ذلك (من نبإ المرسلين) لتعلم انه من سنة الله التى لاتتبدل فحزنك كالمنافى له (وان كان) الشأن (كبر) أى ثقل (عليك) لمزيد شفقتك (اعراضهم) فلا ينبغى ان يكبر عليك مع مبالغتك فى تبليغ الرسالة واظهار المعجزات واقامة الحجج ورفع الشبه وان لم يبلغ الى حد الالجاء المانع من التكليف اذلا يفيد معه الايمان وهم انما يعرضون لعدم ما يلجئهم الى الايمان (فان استطعت أن تبتغى نفقا) أى سربا (فى الارض أوسلما فى السماء فتأتيهم) من تحت الارض أومن فوق السماء (بآية) ليست مما بين السماء والارض فأت بها لكن لم يجعل الله لك هذه الاستطاعة اذ يصير الايمان ضروريا غير نافع فان نفع كان موجبا لاجتماع الناس على الهدى (ولوشاء الله لجمعهم على الهدى) لكنه شاء بمقتضى جلاله وجماله اظهار غاية قهره وغاية لطفه (فلا تكونن من الجاهلين) بما تقتضيه الصفات الالهية بل بما يقتضيه عموم المملكة ثم انه لاوجه لان يكبر عليك اعراضهم لان غايتك انك داع والداعى (انما يستجيب الذين يسمعون) وانما يسمع الاحياء وهؤلاء وان كانوا أحياء بالحياة الحيوانية أموات بالنسبة الى الانسانية لموت قلوبهم بسموم الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة (والموتى) انما يسمعون حين (يبعثهم الله) باحياء قلوبهم بموت الاعتقادات الفاسدة والاخلاق الرديئة ولا يتصور الابالموت الطبيعى الذى لايكون بعده عود الى التكليف الذى فيه الاجابة بل يبقون بعده مدة فى البرزخ (ثم اليه يرجعون) بعدما كانوا عنه معرضين فيه يجيبون حين لاتنفعهم الاستجابة (و) يدل على موت قلوبهم أنهم (قالوا) للآيات التى لايمكن معارضتها انها ليست من الله اذ لا الجاء فيها (لولا نزل عليه آية) ملجئة ليعلم انها (من ربه قل ان الله) لا ينزل الآية الملجئة لان المقصود من انزالها طلب الايمان النافع ولا ينفع معها وليس ذلك من عجزه بل مع انه (قادر على أن ينزل آية) تلجئهم ولكن لا ينزل ما يخل

على أن لاأقول على الله الا الحق فمعناه أناحقيق بأن لاأقول على الله (قوله تعالى حفى عنها) معناه يسئلونك عنها كأنك حفى بهم ويقال تحفيت بفلان فى المسئلة اذا سألت به سؤالا أظهرت فيه العناية والمحبة والبر ومنه انه كان بى حفيا أى بارا معنيا (وقال أبو عمر فى صفات المخلوقين يقال فلان معى أى تعب ولا يقال معى من صفات الله عزوجل فقلت ما يكون هذا مثل المكر والعجب فقال هو جائز)

بفائدة الايمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) انها مخلة بفائدة الايمان فيطلبونها ويوقفون عليها الايمان (و) لا ينافى القول بموت فلو بكم ما يرى فيكم من الحياة فانه (ما من دابة) مستقرة (فى الارض) لا ترتفع عنها (ولا طائر) يرتفع عنها اذ (يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) فى الحيوانية بلا انسانية فمن خلا منكم عن علم وعمل فكالدابة ومن تحلى بهما فكالطائر وانما صورناه بصورة البشرية لانه (ما فرطنا فى الكتاب) أى لوح القضاء (من شئ) ناقص أو كامل من كل نوع وفعلنا تابع له لكنهم مع نقصهم أعطيناهم من العقل ما لو استعملوه لكملوا فلذلك كانوا (ثم الى ربهم يحشرون) ليسئلوا هل استكملوا بها كانوا أم لا (والذين كذبوا بآياتنا) فانهم وان شاركوا الحيوانات فى السمع والانسان فى النطق والعقل فهم فى سماع آياتنا (صم و) فى الاعتراف بحقيتها (بكم) ومع وجود نور العقل فيهم (فى الظلمات) لعدم استنارة نظريتهم وعمليتهم بنور الشرع وهذه الامور وان كانت أسباب الهداية فلا تؤثر بل المؤثر المشيئة الالهية (من يشا الله يضلله) فلا يعارضه أسباب الهداية (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) عند وجود الاسباب لابها (قل) لبيان الصراط المستقيم ان أصله التوحيد اذ الشرك افراط بلا حاجة والتعطيل تفريط مخل بالحوائج (أرأيتكم) أى اخبرونى ما فائدة الشرك هل هى فى الرخاء الذى لا تبالون فيه بشئ أو فى حال الشدة فبينوا (ان أتاكم) أعظم وجوهها الذى هو (عذاب الله أو) مقدمته اذ (أتتكم الساعة) وانما اعتبر أعظم وجوه الشدة اذ لا حاجة فى الادنى الى الشرك بلا نزاع (أغير الله تدعون ان كنتم صادقين) أى تخصون الغير بالدعوة الى رفع تلك الشدة لمزيد قوته بل لا تدعونه مع الله أيضا (بل اياه تدعون) أى تخصون بالدعوة وليست دعوتكم تلزمه الاجابة حتى يتوهم فيها الشرك بل هو على اختياره (فيكشف ما تدعون اليه ان شاء و) اذا لم يكشف لا تدعون غيره بل (تنسون ما تشركون و) لما كانت الفائدة العامة فى اتخاذ الاله الالتجاء اليه فى الشدائد (لقد أرسلنا) بهذه الفائدة (الى أمم) مختلفة لاتفاقهم على الاعتراف بها (من قبلك) لتتبعهم أمتك لو أخذوا بها وتعتبر بهم لو لم يأخذوا بها افأخذوا عليها فلم يبالوا بها لكونهم فى الرخاء (فأخذناهم بالبأساء) أى الشدائد الخارجة (والضراء) أى الشدائد الداخلة (لعلهم يتضرعون) الى الله فيجيبون الدعوة بلا كلفة لكنهم لم يبالوا بها لم يستأصلهم وكان حقهم ان يبالوا بالشدائد الخارجة فضلا عن الداخلة (فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا) أى فهل لا تضرعوا حين مجئ بأسنا مؤكد الدلالة المعجزات (ولكن قست قلوبهم) فلم يكن فيها لين يوجب التضرع (و) لولا أنه لم يعودوا الى التوحيد أيضا لانه (زين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) من الشرك فلا يصح عندهم حتى يحملوا مجئ البأس عليه فلما لم يفدهم البأساء التضرع الداعى الى التوحيد رفعه الله عنهم حتى نسوه (فلما نسوا ما ذكروا به) العذاب الاخروى من البأساء التى لم تستأصلهم (فتحنا عليهم أبواب كل شئ) من مطالبهم ورغائبهم استدراجا لهم بأن ذلك البأس

وقيل كأنك حفى عنها كأنك أكثرت سؤالك حتى علمتها يقال أحفى فلان فى المسئلة أذا ألح فيها وتابع والحفى السؤل باستقصاء (قوله حملت حملا خفيفا) الماء خفيف على المرأة اذا حملت وقوله فمرت به أى فاستمرت أى قعدت به وقامت (قوله عز وجل حرض) وحضض وحث بمعنى (قوله حنيذ) أى مشوى فى خد من الارض بالرضف وهى الحجارة

لو كان على الشرك لم يكن معه هذا الفتح ولم يزل ذلك (حتى اذا فرحوا بما أوتوا) من مطالبهم ورغائبهم مع الشرك فتأكد مزيد تأكد وتزين مزيد تزين (أخذناهم) بالعذاب المستأصل (بغتة) أى فجأة بلا تقديم مذكر اذ لم يفدهم فى المرة الاولى (فاذاهم مبلسون) أى قانطون اذ لو انقطع صار كالاول فاستمر عليهم وان انتقلوا من نوع منه الى آخر ولما كان عذابهم مستأصلا عم صغارهم وكبارهم (فقطع دابر) أى نسل (القوم الذين ظلموا) وان لم يكن ظالما لانهم لو كبروا توارثوا الظلم من آبائهم (والحمد لله) على اهلاك الظالمين واهلاك نسلهم بتبعيتهم (رب العالمين) اذ ربى الباقين بالعدل من غير تشويش ظالم وهم المقصودون من العالم فكأنما ربى الكل وان زعموا انا نلتجئ اليهم فى بعض الشدائد لنسترقى بأسمائهم ويخبرونا ببعض المغيبات والمعالجات (قل) لا دلالة لالتجائكم على الهيتها حتى يصح الشرك وانما اعتبرناه لالزامكم اذ تعترفون به والرقى انما تدفع أذيات الشياطين وهى التى تخبر ببعض المغيبات التى شهدتها والمعالجات ولا الهية بذلك بل بعموم القدرة والعلم وليس لها ذلك (أرأيتم) أى اخبرونى (ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم) فاذهبهما بالكلية بحيث لا يكون فيهما مجال للادوية (وختم على قلوبكم) فمنعها العلوم بالكلية بحيث لا مجال فيه للادوية أيضا (من اله غير الله يأتيكم به) أى بذلك المأخوذ والشياطين انما تدفع أذياتها أو تعلم الادوية ولا ترد ما أذهب الله منها بالكلية (انظر كيف نصرف الآيات) أى نوردها بطرق مختلفة (ثم) أى بعد رؤيتهم تصريفنا الآيات (هم يصدفون) أى يعرضون ويستمرون عليه بتجديد الامثال فلا يتأملون فيها عنادا وحسدا وكبرا وللاعتذار بجهلهم (قل) للمعرضين عنها بعد تصريفنا اياها الاخذ مذكر (أرأيتكم ان أتاكم) على اعراضكم (عذاب الله) المستأصل لكم (بغتة) أى فجأة من غير تقديم ما يشعر به اذ لم يفد ما تقدم (أو جهرة) بتقديمه مبالغة فى ازاحة العذر (هل) يظلم فيه أحد أم لا بل لا (يهلك الا القوم الظالمون) بالاعراض عما صرف الله له من الآيات وكيف يعم الكل مع انه منذر به على ألسن الرسل (وما نرسل المرسلين الا مبشرين) لاهل الايمان والاعمال الصالحة (ومنذرين) لاهل الكفر والمعاصى ونصدقهم بالمعجزات فلا بد أن يصدقوا فيما بشروا وأنذروا (فمن آمن وأصلح) للاعمال والاخلاق فهم أهل البشارة (فلا خوف عليهم) من ذلك العذاب قبل نزوله (ولا هم يحزنون) عند نزوله (والذين كذبوا بآياتنا) المصرفة فلم يؤمنوا ولم يصلحوا بها الاعمال والاخلاق (يمسهم العذاب) النازل بعد الانذار به لا بطريق الاتفاق بل (بما كانوا يفسقون) عن أمر الله فى ترك الايمان ومباشرة الاعمال الطالحة واكتساب الاخلاق الرديئة ولو قيل لو اختص العذاب بالمنذر به لكان المنذرون أصحاب خزائن العذاب ولو لم يكونوا أصحابها فلا أقل من أن يكون لهم اطلاع على الغيب الكلى فان لم يعلموه فلا أقل من أن يكونوا املائكة ينزلونه على من شاؤا أو يصرفونه عمن شاؤا وأولى الناس بذلك أكملهم (قل لا أقول لكم عندى خزائن الله) أخص من أشاء بفتح خزانة العذاب عليه (ولا أعلم الغيب) كله وان علمت ان كل كافر معذب أبدا (ولا أقول لكم انى ملك) أنزل العذاب

على

الحماة (قوله تعالى حاشا لله) وحاش لله قال المفسرون معناه معاذ الله وقال اللغويون لحاشا الله معنيان التنزيه والاستثناء واشتقاقه من قولك كنت فى حشى فلان أى فى ناحية فلان ولا أدرى أى الحشى آخذ أى الناحية اخذ قال الشاعر

يقول الذى أمسى الى الحزن أهله
بأى الحشى أمسى الخليط المباين

على من أشاء وأصرفه عمن أشاء (ان أتبع) فيما أقول لكم (الا ما يوحى الى) من الغيب اذ يكشف لى عن الملائكة فيخبرونى وان أنكروا كشف الملائكة عليك (قل هل يستوى الاعمى والبصير) فى المشاهدات الظاهرة فكذا فى مشاهدة الملائكة (أ) تنكرون الفرق بينهما بالنسبة الى الامور الباطنة مع ظهوره فى الظاهرة (فلا تتفكرون) ولكنهم انما يتفكرون لو علموا انهم عماة وأما من اعتقد أنه بصير فلا يمكن ارشاده أبدا ومن علم انه أعمى لا يمكنه أن يهتدى بنفسه بل يحتاج الى الانذار لذلك قال (وأنذر به الذين) يعلمون انهم عماة فهم (يخافون أن يحشروا الى ربهم) قبل أن يسمعوا من بصراء الوحى فاذا سمعوا بذلك تيقنوا به تيقن الاعمى الظاهر بقول من يعتمد عليه من بصراء الظاهر ويخافون أيضا انهم اذا حشروا (ليس لهم من دونه ولى) من الآلهة بخلاف المشرك فانه ينكر الحشر ويزعم انه لو حشر فله ولى يدفع عنه العذاب (ولا شفيع) من الانبياء والاولياء كأهل الكتاب فهذان لا ينفعهما الانذار كما لا ينفع الجازم بعدم الحشر (لعلهم يتقون) الاعتقادات الفاسدة والاعمال الطالحة والاخلاق الرديئة فلا يستمرون على مقتضى عماهم (ولا تطرد) البصراء بقول العماة الذين يزعمون أنهم بصراء وانما البصراء هم (الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى) اذ يرونه فى تصريفهما (يريدون وجهه) أى رؤيته لا الفوز بالجنة ولا الهرب من النار والعماة لكونهم أرباب شرف ومال يكرهون مجالستهم لقلة شرفهم ومالهم فقال عز وجل لأشرف الناس (ما عليك من حسابهم من شئ) أى ما يعود عليك من نقصهم فى الشرف والمال من شئ (وما من حسابك عليهم من شئ) أى وما يعود عليهم من كمالك فى الشرف والمال عليهم من شئ فاذا لم يلحقك نقصهم ولم يأخذوا كمالك بسلبه عنك فلا وجه لطردهم (فتطردهم) بلا سبب (فتكون من الظالمين) بطرد البصراء بقول العماة ومن غاية عماهم كرهوا مشاركتهم فى المجالس كما كرهوا مشاركتهم فى نفس الايمان وذلك من ابتلاء الله تعالى كما قال (وكذلك) أى وكما فتناهم فى مجالستهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى هو منبع بحار الحياة الابدية المشتملة على جواهر الحكم يتموج بها على كل أحد كذلك (فتنا بعضهم) وهم الشرفاء (ببعض) وهم الاخساء بامتناننا عليهم بالايمان (ليقولوا) أى الشرفاء (أهؤلاء) الاخساء (منّ الله عليهم) بشرف الايمان تخصيصا لهم (من بيننا) طائفة الشرفاء مع ان الشرفاء أولى بكل شرف فلو كان شرفا لانعكس الامر فقال عز وجل انما امتناننا عليهم بنعمة الايمان لانا علمنا انهم يعرفون قدر هذه النعمة فيشكرونها احق شكرها والشرفاء لا يعرفون قدرها فلا يشكرونها (أليس الله بأعلم بالشاكرين) فيمنعهم النعمة أو يعطيها غيرهم (و) كيف تطرد هؤلاء الخواص وليس لك طرد عوام المؤمنين وان كانوا عصاة بل (اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) فانه وان كان فيهم عصاة (فقل سلام عليكم) اكراما لهم على الايمان وأمانا لهم من هتك حرمتهم على المعاصى بل قل لهم (كتب) أى أوجب (ربكم) وان لم يجب عليه شئ (على نفسه الرحمة) لكل مؤمن تاب من المعاصى فقال (أنه) أى الشأن (من عمل

وقولهم حاشى فلانا أى أعزل فلانا من وصف القوم بالحشى فلا أدخله فى جملتهم ويقال حاشا لفلان وحاشى فلانا وحاشا فلان ٣ فمن نصب فلانا أضمر فى حاشى مرفوعا والتقدير حاشى فعلهم فلانا ومن خفض فلانا فبإضمار اللام لطول صحبتها حاشا وجواب آخر لما خلت حاشى من الصاحب أشبهت

٣ قوله بالهامش وحاشى فلانا كتب عليه بالهامش قال أبو عمرو وسمعت المبرد يقول اذا قال حاشى زيدا فهو بمعنى حاشيت زيدا

منكم) أيها المؤمنون اذلاتوبة للكافر عن المعاصي الفرعية مع بقاء كفره (سوأ بجهالة) أي غفلة عن الله لابطريق الجراءة عليه فانه يخاف معه مقته المانع من التوبة أو من قبولها لكونها غير مستجمعة للشرائط (ثم) أي بعد الغفلة الداعية الى السوء (تاب من بعده) ولو بمدة مديدة (وأصلح) ماأفسده من حقوق الناس ومن حقوق الله التي لاتسقط بمجرد الاستغفار (فانه غفور) لذلك السوء (رحيم) بابداله حسنة (و) كما فصلنا هذه الآية بذكر القيود (كذلك نفصل الآيات) لتستبين سبيل المؤمنين فتجر منافعه (ولتستبين سبيل المجرمين) فتجتنب مضاره فان زعموا أنه لاضرر في سبيلهم (قل) كفى بغاية التذلل لمن لايخلو عن ذلة ضررا فان العقل والشرع تطابقا على كونه ضررا أما العقل فظاهر وأما الشرع فلورود النهي عنه (اني نهيت أن أعبد الذين تدعون) أي تدعونهم آلهة مع اعترافكم بأنهم (من دون الله) والدون لايكون الها ولامستحقا للعبادة لانها لما كانت غاية التذلل اختصت بمن له غاية العلو فان زعموا أنه لايخالف العقل لاطباق من مضى من العقلاء عليه والواجب اتباعهم (قل) انما الواجب اتباع الامر الالهي فان لم يوجد فاتباع العقل وهم قد خالفوا الامرين لاتباع أهوائهم (لاأتبع أهواءكم) وهو وان اتفقوا على كونه هداية عن الضلال (قد ضللت اذا) لمخالفة الامر الالهي والعقل جميعا (وما أنا من المهتدين) باعتبار الدليل الكشفي أيضا لان ظهور الحق ليس باعتبار الهيئة وماسوى ذلك الاعتبار لايوجب استحقاق العبادة والعبادة فيها وان رجعت الى الحق فقد تضمنت اعتقاد نقص في الحق لانه لايعبده في المظهر مالم يعتقد كمال ظهوره فيه وجعل ذلك كمال الحق عين اعتقاد النقص فيه وفيه اشارة الى اني كيف أطرد الذين يدعون ربهم وهم بذلك في غاية الشرف اذ يتقربون به الى من له غاية العلو للذين يدعون من دون الله وهم في غاية الذلة ومن ذلتهم انهم مع كونهم عقلاء يتذللون لاهويتهم التي هي دون العقل على أن الشرف انما هو للحسن والضعة للقبح ولا أقبح من الضلال الذي هو ترجيح الاهواء على العقول وليس من ترجيح الكشوف على العقول ولايقابل هذا الشرف والدناءة ماهو من سعة المال والجاه وعدمهما لانهما عارضيان خارجيان والاولان ذاتيان وان زعموا ان آباءهم كشفوا بما تبعناهم فيه فرجحوه على ماعقلوه (قل) ان صح قولكم فالكشف الصحيح مالايكذبه العقل وقد كذب كشفهم وكشفي مصدق به أو بالمعجزات (اني على بينة) لايمكن التشكيك فيها لكونها (من ربي وكذبتم به) تقليد الآباء بلابينة من العقل ولامن المعجزات ولايرجعون عنه الى التصديق مالم يلجؤا اليه بالعذاب لكنه مؤخر فكأنكم تستعجلونه (ماعندي ماتستعجلون به) اذلو كان عندي لكنت أنا الحاكم لكنه (ان الحكم الا لله) وقد حكم بتأخيره لكنه محقق الوقوع لانه (يقص الحق) فلابد من تعذيب العاصي واثابة المطيع كيف وفعلهما يقتضي الفصل بينهما (وهو خير الفاصلين) فان قالوا يجوز أن يفوض اليك الحكم لصدقك وقد قصد تصديقك (قل) يكفي في تصديقي اظهار المعجزات على يدي والتفويض الي يبطل فائدة التكليف الذي

بعثت

فاضيفت الى
الاسم
مابعدها (وقوله عز وجل
حصحص الحق) وضح وتبين
(قوله عز وجل حرضا)
الحرض الذي قد أذابه
الحزن والعشق قال الشاعر
اني امرؤ لج بي حزن فأحرضني
حتى بليت وحتى شفني السقم
(قوله عز وجل من حما)
جمع حماة وهو الطين الاسود
المتغير (قوله عز وجل
حفدة) أي خدما وقيل
أختانا وقيل أصهارا وقيل
أعوانا وقيل بنو الرجل

بعثت لاجله فانه (لوان عندى ماتستعجلون به) مع حرصى على تصديقهكم اياى وقد وقفتموه
على ذلك (لقضى الامر) أى لتم أمره قاطعا للنزاع (بينى وبينكم) من غير أن يفيدكم
تصديقكم شيأ لوقوعه بعد زمان التكليف واذا أخر فقد يرجع البعض الى التصديق قبل
معاينته أو يحدث من نسل البعض من يصدق قبلها (و) الظالمون لايفوتونه بل يزداد عليهم
شدته اذ (الله أعلم بالظالمين) وان قالوا لو كوشفت لاطلعت على الغيوب كلها وأخبرت عن
وقت العذاب بعينه فقل انما كوشفت بما فتح الله على ولا يطلع على كله الامن عنده مفاتح
الغيب (و) لكنه مخصوص بالله اذ سبحانه وتعالى (عنده مفاتح الغيب) أى فى علمه
استعدادات حقائق الاشياء التى يفتح الله بها خزائن أسمائه وصفاته فيخرج مافيها بالقوة من
الظهور بصورها أو آثارها الى الفعل وقد اختصت به بحيث (لايعلمها) على التفصيل التام
(الاهو و) لاينحصر علمه فى ذلك بل (يعلم ما) أخرج من خزائنه فأفاضه على ما (فى البر والبحر)
من الاجناس والانواع (و) لاينحصر علمه فى الكليات والجزئيات التى لاتتغير بل (ماتسقط
من ورقة الايعلمها و) كيف (لا) وقد أوجدها بعد ماقدرها ثم من (حبة) يحدث منها النبات
والثمار ولو (فى ظلمات) الطبقة السابعة من (الارض ولا رطب) يقبل صورا مختلفة (ولا
يابس) يلتزم صورة واحدة (الافى كتاب) وهو لوح القدر (مبين) لما فى القلم الاعلى الآخذ من
العلم الالهى فهو سابق عليهما وعلم فى الازل حدوث ومايحدث من أصول زاها وتغير مايتغير من
القوابل فلا يتغير علمه وانما يتغير اضافة المعلوم بالماضى والحال والاستقبال خص منه
البعض لذاته وبالبعض الآخر خواصه وبالبعض الآخر العوام لكن لم يطلعهم على تفاصيل
الجزئيات بأسرها وان بلغوا من القرب ما بلغوا ولما كان علمه تابعا للمعلومات من الحقائق
واستعداداتها كان حكم التابع له تابعا فتأخر العذاب الى يوم القيامة لاقتضاء استعدادهم
ذلك (و) ان تحقق من أسبابه الوفاة والبعث بعد اكتساب المعاصى من غير عجز فيه
ولا جهل اذ (هو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم) أى كسبتم (بالنهار) قبله (ثم يبعثكم
فيه) أى فى النهار بعده لا للجزاء اذ لم يجئ وقته الذى اقتضى استعدادكم وقوعه فيه بل
(ليقضى أجل مسمى) أى ليتم مقدار حياة كل أحد لاقتضاء استعدادهم تأخيره عنه (ثم اليه
مرجعكم) بالموت (ثم) يأتى وقته بمقتضى استعدادكم فحينئذ (ينبئكم بما كنتم تعملون)
مبالغة فى عدله (و) فعله وان كان تابعا للاستعداد فليس للاستعداد أو للحقائق التى لها
الاستعداد قهر على الله سبحانه وتعالى بل (هو القاهر) لانه (فوق عباده) ولا قهر للدون سيما
اذا كان عبدا أو من أحواله فتبعية فعله للاستعداد كتبعية المسبب للسبب (و) لذلك (يرسل
عليكم حفظة) وان أمكنه التحفظ بدونهم فلا يزالون يحفظونه (حتى اذا جاء أحدكم الموت
توفته رسلنا و) ليس توفيتهم بتقصير من الحفظة بل (هم لايفرطون) كما لا يفرط الرسل (ثم)
التوفى ليس ابطالا للحفظ بل رفع درجة اذ (ردوا الى الله) وهو أولى بالحفظ لانه (مولاهم)
لكن هذا الحفظ مقيد بعدم ابطال حكمة العدل الذى هو مقتضى صفته (الحق ألا له الحكم)

من نفعه منهم وقيل بنو
المرأة من زوجها الاول
(قوله عز وجل حاصب)
أى ريح عاصف ترمى
بالحصباء وهى الحصى
الصغار (قوله تعالى
حففناهما بنخل) أطفناهما
من جوانبهما والحفاف
الجانب وجمعه أحفة
(قوله تعالى حمئة) مهموز
ذات حمأة وحمية وحامية
بلا همز أى حارة (قوله
تعالى حنانا من لدنا) أى
رحمة من عندنا (قال أبو عمر

ولذلك لم يؤخر عذابهم عن وقت اقتضائه استعدادهم بل أسرع حسابهم (وهو أسرع الحاسبين) يحاسب الخلائق فى مقدار حلب شاة لا يشغله حساب عن حساب ولا يحتاج الى فكرة وروية وعقد يد ورقم ولو أنكروا كونه أولى بالحفظ (قل) فلم تخصونه بالالتجاء اليه عند الشدائد (من ينجيكم من ظلمات) أى من شدائد (البر) كخوف العدو والحريق وضلال الطريق (والبحر) كخوف الغرق والعدو والضلال وسكون الريح فلولا انه المنجى فلم (تدعونه تضرعا) أى تذللا اليه تحقيقا للعبودية (وخفية) تحقيقا للاخلاص وتعدونه الشكر موكدا بالقسم اذ تقولون (لئن أنجانا من هذه) الشدة (لنكونن من الشاكرين) باعتقاد انك المخصوص بكل انعام والثناء عليك وصرف الاعضاء الى ما أمرتها به فان زعموا انهم وان خصوا الله بالدعوة لكن نفعتهم عبادة من عبد ومن قبل فانهم شفعوا عنده حين دعوه (قل الله) من غير شفاعة أحد ولا عون (ينجيكم منها) أى من تلك الشدة (ومن كل كرب) تتوجهون فيه اليه أو الى غيره اذ لا تتوجهون فيه الى أحد (ثم أنتم) بعد النجاة عنها الموعود فيها بالشكر وعدا وثيقا بالقسم (تشركون) حتى انكم تنسبون النجاة الحاصلة بعد تخصيصه بالدعوة الى شفاعة الشريك فقد جعلتم الشرك مكان الشكر (قل) للمشركين بعد النجاة الموعود فيها بالشكر انما أشركتم لامنكم من الشدائد لكن لا وجه للامان منها لاستمرار منشأ الخوف وهو القدرة الالهية على أنواع الشدائد من الجهات كلها اذ (هو القادر على أن يبعث عليكم) سيما اذا أبدلتم وعد الشكر بعد النجاة بالشرك (عذابا) أعظم من تلك الشدة (من فوقكم) كامطار النار أو الحجارة أو اسقاط الكسف (أو من تحت أرجلكم) كالخسف والطوفان (أو) مما بين السماء والارض مثل أن يقوى أعداءكم حتى (يلبسكم) أى يخلطكم (شيعا) أى فرقا مختلفة فى القتال (ويذيق بعضكم بأس) أى شدة (بعض) من قبيلة أو من قبيلة العدو لعدم الشعار (انظر) أيها العاقل (كيف نصرف الآيات) نوردها على وجوه شتى (لعلهم يفقهون) أى فعل من يرجو فهمهم لبعضها الداعى الى رجوعهم للحق (و) لكن لم يفقهوه بل (كذب به قومك) الذين عرفوا صدقك فيما بينهم فلا يتصور منك الكذب على الله مع تصديقه اياك بالمعجزات (و) ليس تكذيبهم لظهور امارات الكذب عليه بل هو ولو لم يكن معه المعجزات لعلم أولو البصائر انه (هو الحق) لا يتعداه الى غيره فان قالوا لم تظهر حقيته لنا (قل) انهم بعد ظهور حقيته فى نفسه وتأكدها بتصريف الآيات المعجزة وسائر المعجزات لم يبق الا أن يلجئكم الى التصديق به لكننى (لست عليكم بوكيل) ألجئكم الى التصديق به وانما يلجئكم اليه العذاب الموعود عليه لكنه لم يستقر بقلوبكم قبل وقوعه مع كثرة الدلائل عليه ووضوحه فى نفسه لكن (لكل نبأ) أى لكل خبر (مستقر) أى وقت استقرار لصدقه أو كذبه (وسوف تعلمون) أنه لم يستقر بقلوبكم مع كثرة دلائل استقراره بتصريف الآيات الظاهر حقيتها مع اعجازها وتصديق سائر المعجزات لها ومن أسباب عدم استقرار أنباء القرآن بالقلوب مجالسة الخائضين فيه بالطعن (و) لذلك (اذا

عن ثعلب عن ابن الاعرابى عن المفضل وحنانا من لدنا أى قال هيبة قال كل من رآه هابه ووقره (قوله تعالى حصيدا خامدين) معناه والله أعلم انهم حصدوا بالسيف والموت كما يحصد الزرع فلم يبق منهم بقية وقوله تعالى منها قائم وحصيد يعنى القرى التى أهلكت منها قائم أى قد بقيت حيطانه ومنها حصيد قد انمحى أثره

رأيت) أيها المؤمن (الذين يخوضون) بالطعن والاستهزاء (فى آياتنا) المنسوبة الى مقام عظمتنا لحقها أن تعظم بما يناسب عظمتنا (فاعرض عنهم) بترك مصاحبتهم ومجالستهم لئلا يقع شئ من مطاعنهم بقلبك ولا يحضره الرد لاحتجابه ببعض الاهوية أولقصوره على أن حضور المنكر اذا لم يقدر على دفعه مشاركة لصاحبه (حتى يخوضوا فى حديث غيره) أى غير الخوض فى آياتنا (واما ينسينك الشيطان) أى وان ينسينك الشيطان الامر بالاعراض بأن ينتهز وقت الفترة التى لابد من وقوعها فجالست معهم فلا تؤاخذ به لكن اذا ذكرت (فلا تقعد) أى فلا تدم قعودك (بعد الذكرى) المخرجة لقعودك عن حكم النسيان معهم لظلمهم بالطعن فى الكلام المعجز بما يتوهمون فيه من التناقض أو اللحن أو عدم الارتباط أو الحشو والتكرار مع ان الواجب عليهم عند رؤية عجزهم عن مثله لفظا ومعنى فمن قدر على مثل لفظه كان باعتبار المعنى ركيكا ومن قدر على مثل معانيه الظاهرة كان باعتبار اللفظ ركيكا الرجوع الى علمائه فالقعود معهم قعود (مع القوم الظالمين) الذين من ركن اليهم مستهم النار (وما على الذين يتقون) أى يقدرون على التحفظ من شبهاتهم (من حسابهم) أى من خسرانهم بالخوض (من شئ ولكن) أمروا بالاعراض عنهم ليكون (ذكرى) اضعفاء المسلمين (لعلهم يتقون) يبلغون مبلغ المتوقى من شبهاتهم بالجلوس مع علمائه بدلهم وكيف يصح صحبة الطاعنين ولا تصح صحبة من لا يطعن ولكن اتخذ أعمال الدنيا دينه ولذلك ورد (وذر الذين اتخذوا) أعمال الدنيا (دينهم) فاعتقدوا أنها نهاية السعادة فكان (لعبا ولهوا) لان أعمال الدنيا لا تخرج عنهما فمن صحبهم مال الى طبعهم فلا يتأمل فى آيات الله ولا يلتفت الى أعمالها (و) ذلك لانهم (غرتهم الحيوة الدنيا) فظنوا ان السعادة كلها فى لذاتها فبين غرورها (وذكر به) أى ببيانها من أراد الميل اليها أو الى أهلها بأنه سبب (أن تبسل) أى تسلم الى الهلاك (نفس بما كسبت) بهذا الغرور من انكار الآخرة فصارت (ليس لها من دون الله ولى) يقربها منه (ولا شفيع) يدفع عنها العذاب (وان تعدل) أى تفد بما يقابله (كل عدل) أى كل نوع من أنواع الفداء (لا يؤخذ) أى لا يقبل (منها) لبعدهم عن مقام الفداء اذ (أولئك) البعداء عن السعادة الحقيقية لاغترارهم بسعادة الدنيا التى غايتها اللعب واللهو هم (الذين أبسلوا) أى سلموا للهلاك بحيث لا يعارضه شئ (بما كسبوا) بهذا الاغترار من انكار الآخرة معها والانهماك فى الشهوات المحرمة (لهم شراب من حميم) جزاء على الاشربة المحرمة (وعذاب أليم) بما تلذذوا بالشهوات المحرمة لا وحدها بل (بما كانوا يكفرون) بالآخرة معها وان زعموا ان لذات الدنيا والاغترار بها ولو أفضى الى انكار الآخرة انما يضر من لم يتخذ من دون الله وليا ولا شفيعا (قل أندعوا من دون الله) ليكون وليا أو شفيعا ولا يضر معه لذات الدنيا ولا انكار الآخرة (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) فى أمر الدنيا (ونرد) فى أمر الآخرة (على أعقابنا بعد اذ هدانا الله) للاقبال اليها فنصير كالمستمر على الضلال بل (كالذى استهوته) أى استمالته عن الطريق الواضح (الشياطين) أى الغيلان يتبعهم ويسير معهم

(قوله عز وجل حدب)
نشز ونشز من الارض أى
ارتفاع (قوله عز وجل
حصب جهنم) حطب جهنم
كل شئ ألقيته فى النار فقد
حصبتها به ويقال حصب
جهنم حطب جهنم
بالحبشية قوله بالحبشية
ان كان أراد أن هذه
الكلمة حبشية وعربية
بلفظ واحد فهو وجه رآه
وأراد أنها حبشية الاصل

سيرا ممتدا (فى الارض) حتى يخرج من العمران لايدرى مقصده لكونه (حيران) فكذا من
اتخذ من دونه وليا أو شفيعا يذهب به وليه وشفيعه الى مهالك ضلاله لايدرى مقصده الذى هو
سائر اليه من أمر الآخرة وأشد من ذلك الضلال ما كان مع وجود من يهديه سيما اذا كفر
كالمستهوى المذكور واذا كان (له أصحاب يدعونه الى الهدى) أى الطريق الواضح بقولهم
(ائتنا) وهو لايسمع لهم فكذلك يدعونا الله وآياته فان زعموا أن ماهم عليه هدى بجهور
العقلاء (قل ان هدى الله) الذى أرسل به رسله (هو الهدى) فان زعموا ان مشايخهم أتوا
بهداهم من الله كالانبياء فقل لهم مشايخكم أمروكم بالشرك (وأمرنا لنسلم لرب العالمين)
فأى الامرين أحق بالنسبة اليه بل غاية أمر مشايخكم انهم أمروكم بالاسلام لله باعتبار بعض
مظاهره والرسل انهم لو اعتبروا المظاهر فلا يخصون مظهرا من مظهر فأى الامرين اتم
(و) أيضا أمرنا (أن أقيموا الصلاة) وهى العبادة الشاملة لانواع التذلل لله بجميع أجزاء
الانسان وليست عندكم فكفى بها فضلا (و) أمرنا ان (اتقوه) ومشايخكم تأمركم بتقوى
الاصنام والشياطين (و) لا وجه لذلك اذ لا حشر اليها بل (هو الذى اليه تحشرون و) كيف
لا يكون اليه الحشر وهو النهاية وقد كان منه البداية اذ (هو الذى خلق السموات والارض)
كيف وفيه ظهور الحق ومن سنة الله ترجيح جانبه فى كل شئ لذلك كان خلقه السموات
والارض (بالحق) وكيف لا يتحقق الحشر اليه (ويوم يقول) للمحشور (كن فيكون قوله
الحق) اذ لا يعتنه للعبث فلابد أن يقول الحق فى شأن المحق والمبطل (و) لا يقتصر على القول اذ
(له الملك) فلابد أن يفعل بالمطيع والعاصى فعل الملوك لمن يطيعهم أو يعصيهم وهو وان كان له
دائما فانما يظهر اختصاصه به (يوم ينفخ فى الصور) لان جمع الارواح فيه لا يكون الا لمتفرد
بالملك ولا يفعل بمقتضى الملك على سبيل التحكم بل يراعى العلم اذ هو (عالم الغيب والشهادة
و) ليس ذلك أن يعذب أو يرحم من علم انه يعذبه أو يرحمه على سبيل التحكم اذ (هو الحكيم)
وليس المراد احكام الفعل بل رعاية الحكمة الباطنة اذ هو (الخبير و) اذكر ان اتخذ دينه لعبا
ولهوا وأنكر الضلال فيه وأنكر كون من كان عليه كالذى استهوته الشياطين وزعم ان
هدى الله ما كان عليه القدماء (اذ قال ابراهيم) الذى يزعمون انهم على دينه ويفتخرون به
(لابيه) منكرا عليه وهم ينكرون انكارك على آبائك ولا ينكرون عليه الملقب (آزر)
ومعناه المعوج أو المخطئ واسمه تارخ (أتتخذ أصناما) أى صورا مصنوعة كصور لعب
الصبيان المسماة بأسماء الملوك والمشايخ فعلتم مثله فى حق الله ثم جعلتموه جدا فاتخذتموها
(آلهة) وليس هذا القول منى بطريق الهزل بل (انى أراك وقومك) وان كان فيهم حذاق
بأمر الدنيا غرقى مستقرين (فى) بحر (ضلال مبين) باعتقاد الهيتها أو اتصافها بصفاته
أو استحقاقها للعبادة لحلول الحق أو ظهوره بالالهية فيها أو لكونها مظاهر كاملة له أو
مخصوصة بمظهريته لان الالهية بوجوب الوجود بالذات وهى ممكنة مصنوعة وانى لها
الاتصاف بصفاته وهى عاجزة عن النفع والضر خالية عن الحياة والسمع والبصر والعبادة غاية

معربها العرب فتكلمت
بها فصارت عربية حينئذ
والا فليس فى القرآن غير
العربية ويقرأ حضب
بالضاد معجمة وهو ماهيجت
به النار وأوقدت (قوله
تعالى حسيسها) أى صوتها
(قوله تعالى حمل) ما تحمل
الاناث فى بطونها والحمل
ما كان على ظهر أو رأس
(قوله تعالى حدائق
ذات بهجة) بساتين ذات

التذلل فلا يستحقها من لا يخلو عن هذه الوجوه من الذلة وانما يستحقها من كان فى غاية العلو وحلول الحق فيها ان كان حلول المظروف فى الظرف فهو من خواص الاجسام وان كان حلول العرض فى الجوهر أو حلول الصورة فى المادة فهو حلول افتقار ينافى وجوب الوجود ولا ظهور للحق بالالهية التى هى بوجوب الوجود وأين كمال المظهرية مع النقائص المذكورة وأين الاختصاص ولا وجود لشئ بدون ظهوره فيه (و) كما أرينا ابراهيم وجوه الضلال فى اتخاذ الاصنام آلهة باعتبار صورها وأجسامها (كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض) ليعلم ان شيأ من روحانيات الافلاك والكواكب والمشايخ والشياطين لا يصلح للالهية (وليكون من الموقنين) بالتوحيد بالاستدلال بالادلة الكثيرة وبالسماع من تلك الارواح ولما رأى الملكوت وأيقن ان شيأ منها لا يصلح للالهية أراد الرد على قومه فى اعتقاد الهيتها الحسيتها باعتبار افتقارها فى أفعالها الى أجسامها لدناءة الافول وان كانت علوية وكذا فى اعتقاد الهية تلك الاجسام كما رد عليهم فى اعتقاد الهية الاصنام فلتظهر ظهور الكواكب التى كانوا يعبدونها (فلما جن) أى أظلم (عليه الليل رأى كوكبا) الزهرة أو المشترى (قال) لقومه ارخاء للعنان معهم باظهار موافقته لهم أولا ثم ابطال قولهم بالاستدلال لانه أقرب لرجوع الخصم (هذا ربى فلما أفل) وهو دناءة تنافى الالهية بل تمنع من الميل الى صاحبها فضلا عن اتخاذه الها أو معبودا فضلا عما يفتقر اليه (قال لا احب الآفلين) ثم انتظر نورا أعلى منه (فلما رأى القمر بازغا) مبتدئا فى الطلوع (قال هذا ربى فلما أفل قال) محودناءته بعظمته عين الضلال اذ لا تكون عظمته مطلقة ولا له لابد وان تكون عظمته مطلقة فلا يصلح للالهية فضلا عن المفتقر اليه (لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين) بجعل العظمة القاصرة مطلقة كاملة فانتظر نورا فى غاية العظمة (فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى) لم يؤنثه لئلا يعارض عظمته نقص الانوثة ولو غير حقيقية وهى وان كانت فى الواقع لم يأت به لفظا لانه قصد بذلك مساعدة الخصم أولا (هذا أكبر) والالهية لا تجاوز الاكبر (فلما أفلت قال يا قوم) ليس بأكبر على الاطلاق بل لا يمكن جعله شريكا لما هو أكبر بالاطلاق (انى برئ مما تشركون انى) أى بعد ما برئت (وجهت وجهى) أى وجه قلبى وروحى فى المحبة والعبادة بل جعلته مسلما (للذى فطر السموات والارض) وأرواحها ليست فاطرة لها فانها لا تفعل الا بهما (حنيفا) مائلا عن الالتفات اليهما والى أرواحهما وان كان فيهما ما هو من اسباب الحوادث اذ لا أثر للاسباب وانما هو لله معها لا بها ولا يفتقر اليها بل جرت بذلك سنته (وما أنا من المشركين) بان الاثر لما ظهر منه فيهما أو فى أسبابهما (وحاجه) أى أراد ومغالبته بالحجة (قومه) أى القائمون على العناد فزعموا أن الآثار الارضية منتسبة الى حركات الكواكب وأوضاعها لاختلافها باختلافها فهى المؤثرة فيها وان كانت لامكانها مفتقرة الى الله تعالى (قال أتحاجونى فى) توحيد (الله وقد هدان) لاقامة الحجج ورفع الشبه على نفى الهية ما سواه

حسن واحدتها حديقة والحديقة كل بستان عليه حائط وما لم يكن عليه حائط لم يقل حديقة (قوله عز وجل حق عليهم القول) أى وجبت عليهم الجنة فوجب العذاب ومثله حقت كلمة ربك أى وجبت (قوله تعالى الحيوان) الحياة كقوله وان الدار الآخرة لهى الحيوان أى الحياة والحيوان أيضا كل ذى روح (قوله عز وجل

وقد ثبت انها ناقصة فى ذواتها او كمالاتها من غيرها ولا الهية للناقص بالذات لان كماله لايكون
مطلقا (ولا أخاف) الضرر على نفسى من تأثير (ما تشركون به) لان تأثيرهم من كمالاتهم
وهى لهم من ربى فلا يؤثرون (الا أن يشاء ربى) أن يجعل لهم (شيأ) من التأثير لكنه لا يشاء
فى شانى لانه (وسع ربى كل شىء علما) فعلم انه لو أوجد التأثير فيهم بما يضرون به من بعثه
لتوحيده صار محجوبا (أ) تنكرون هذه الامور مع وضوحها (فلا تتذكرون) فى هذه
الامور التى لا يحتاج فيها الى تعمق (وكيف أخاف) عند التوحيد ضرر تأثير (ما أشركتم)
أى ما جعلتموه أيها المحدثون من عند أنفسكم شريكا فى غاية الضعف لمالكه الذى فى غاية القوة
من افراط جهلكم (ولا تخافون) ضرر تأثير الله فيكم من جهة (أنكم أشركتم بالله) المالك
القوى (ما) أى مملوكا ضعيفا باستقلال منكم اذ (لم ينزل به عليكم سلطانا) أى حجة مع أنه
انما يتصور جعل المملوك شريك المالك بجعله اياه شريكه فان كان لهذا المملوك الضعيف
تأثير بالضرر لمن أنكر شركه ولمالكه القوى تأثير بالضرر لمن أنكر توحيده (فأى الفريقين)
المشرك الآمن من تأثير الله أو الموحد الآمن من تأثير الشركاء (أحق بالأمن) لكن انما
تسمعون هذا (ان كنتم تعلمون) مقدار تأثير الله وتأثير الشركاء وانهم لا يؤثرون الا بتأثير الله
وانه لا يمكنهم من التأثير فيمن يغار عليهم له ثم أشار الى أن الاحقية انما تعتبر حيث كان للجانب
الآخر احتمال مرجوح ولا احتمال ههنا اذ (الذين آمنوا) بالله فعرفوا انه المالك القوى
(ولم يلبسوا) أى ولم يخلطوا (ايمانهم بظلم) أى بشرك من اعتقاد تأثير الغير وان كان سببا
(أولئك) الكاملون فى رتبة الايمان (لهم الأمن) من جانب الله لاعتنائه بهم ومن جانب
الشركاء لحفظه اياهم من تأثيرهم وكيف لا يعتنى بهم (وهم مهتدون) لاعمال واعتقادات
توجب الاعتناء بهم وأما المشرك فلا يقدر شريكه على دفع غضب الله عنهم ولا على شفاعته
عنده لمن لا يرتضيه (وتلك) أى الدلائل المشار اليها فى قوله أتتخذ أصناما آلهة الى ههنا
(حجتنا) التى لا يمكن الاعتراض عليها (آتيناها) بلا واسطة معلم من البشر (ابراهيم) ليغلب
وحده (على قومه) الكثيرين ولا يبعد ذلك اذ (نرفع درجات من نشاء) بالحجج فوق رفعها
بالسيف لانه انما يؤثر فى ظواهر البعض والحجج فى بواطن الكل وليست مشيئته على سبيل
التحكم بل على نهج الحكمة (ان ربك حكيم) يرفع درجة من استعد لرفعها لانه (عليم)
بالاستعدادات (ووهبنا له) أى لابراهيم مبالغة فى رفع درجاته (اسحق) من صلبه (ويعقوب)
من صلب ابنه ليكمل درجة والده فازداد كمال درجة جده لاختصاصهما بالهداية اذ (كلا
هدينا و) لم يلحقه نقص من جهة أبيه اذ (نوحا هدينا من قبل) من اجداده فلم يزل فضله مانعا
من لحوق نقص سائر آبائه به (و) لم نزل نرفع درجاته بعد ذلك اذ هدينا (من ذريته داود)
الجامع بين النبوة والحكمة والخلافة الكاملة بالتنصيص عليها (وسليمان) وارث كماله
المكمل له فهذان من أرباب الشكر (و) هدينا من أرباب الصبر (أيوب و) من أربابهما
(يوسف وموسى وهرون و) كما جزينا ابراهيم بالمبالغة فى رفع درجاته لاحسانه وهو ترجيحه

حناجر) جمع حنجرة
وحنجور وهما رأس الغلصمة
حيث تراه حديدا من
خارج الحلق (حرور)
ريح حارة تهب بالليل وقد
تكون بالنهار والسموم
بالنهار وقد تكون بالليل
(قوله عز وجل حافين من
حول العرش) أى مطيفين
بحفافيه أى بجانبيه ومنه
حف به الناس أى صاروا
فى جوانبه (قوله عز وجل

جانب الحق على ماسواه (كذلك نجزى المحسنين) بالمبالغة فى رفع درجاتهم (وزكريا) صاحب العبادات الكثيرة (ويحيى) صاحب العصمة (وعيسى والياس) اللاحقين بأفق الملائكة (كل من الصالحين) من أهل الولاية النبوية (واسمعيل) وعاء الكمال المحمدى ولذلك لم يذكره مع اسحق لانه من وجه فى معنى الاب (واليسع) اللاحق به فى كونه من الاخيار (ويونس) الذى قال فيه عليه السلام من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب (ولوطا) ذكره فى ذريته لكونه ابن أخيه فهو بمنزلة ابنه وهو الذى قال فيه صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى لوطا الحديث الدال على شدة أمره بالهمة بالتأثير على المخالفين (وكلا فضلنا على العالمين) فلحق فضلهم بجدهم ابراهيم بواسطتهم (و) هدينا (من آبائهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم من جهتين (وذرياتهم) فلحقهم فضلهم فلحق ابراهيم بواسطتهم (واخوانهم) فلحقهم لفضل من جهة الحاشية وابراهيم من جهة الذرية بالذات وجهة الحاشية بالواسطة (و) مع ماهديناهم بالحجج (اجتبيناهم) بالنبوة (وهديناهم) بالولاية النبوية (الى صراط مستقيم) فى الاعتقادات والاخلاق والاعمال لجعلت لهم هذه الفضائل أيضا ولحقت ابراهيم فازداد ارتفاع درجاته (ذلك) الهدى الذى كان عليه هؤلاء لاهدى رهبان الكفرة (هدى الله) ولا يختص بهم بل (يهدى به من يشاء من عباده) من اتباعهم وكيف يكون هدى الرهبان هدى الله (و) هؤلاء مع عظمتهم (لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) حال هداهم فكيف يبقى لهم الهدى معه وكيف يحصل اصاحبه نعم يحصل له بعض الخوارق استدراجا ولم يكن المذكورون من أهل الاستدراج لظهور كونهم من أهل الهداية اذ (أولئك الذين آتيناهم الكتاب) المؤسس على قواعد الهداية التى يعرف كونها هداية بالنظر الى ذاتها (والحكم) على وفقه اذلو خالفوه اظهر ضلالهم (و) مع ذلك آتيناهم (النبوة) ليصدق معجزاتها كتابهم وحكمهم ليقتدى بهم الناس (فان يكفر بها) أى بكتابهم وحكمهم ونبوتهم (هؤلاء) فلا يدل ذلك على بطلانها (فقد وكلنا بها قوما) يبينون حقيتها ويرفعون شبهاتهم عن يقين حصل لهم اذ (ليسوا بها بكافرين) فلم يبق عليهم حجاب الكفر الساتر عن حقائقها والمظلم بايقاع الشبهات بل أدى بهم نور الايمان الى الكشف عنها وكيف لايمكن بيان حقيتها ورفع الشبهات عنها مع ان (أولئك) هم (الذين هدى الله) لاقامة الحجج ورفع الشبه وهم وان نسبوا هدى مشايخهم الى الكشف (فبهداهم اقتده) باعتبار سبق زمانهم لابهدى قدمائهم اذ لاحجة عليه وهؤلاء لهم مع كشفهم حجج فان زعموا أنهم انما لايقتدون بهم لانهم يلزمهم الاقتداء بك (قل لا أسئلكم عليه أجرا) من مال أو جاه أو مدح ولا يلزمكم فيه دناءة (ان هو الا ذكرى) أى شرف وموعظة (للعالمين و) ان قالوا اذا أمرت باقتداء الانبياء السابقين فليس علينا الاقتداء بك بل عليك الاقتداء بنا قل انما أمرت بالاقتداء بالانبياء فى الاعتقادات لا بكل من ينتسب اليهم من الجهال الكفار بهم فى الحقيقة بل بالله اذ (ماقدروا الله حق قدره) أى ماعرفوه المقدار الذى يليق به من المعرفة على قدر الطاقة البشرية اذ لايمكن معرفته الا بما عرف به نفسه

حرث الآخرة) عمل الآخرة والحرث الزرع أيضا (قوله عز وجل حب الحصيد) أراد الحب الحصيد وهو مما أضيف الى نفسه لاختلاف اللفظين (قوله عز وجل حمية) أنفة وغضب (قوله عز وجل حبل الوريد) هو الوريد فاضيف الى نفسه لاختلاف لفظى اسميه والوريد عرقان بين الاوداج وبين

وتعريفه انما هو بانزال الكتاب وهم ينكرون انزاله (اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شئ)
اذ لا يطيق البشر حمل كلامه قاله مالك بن الصيف حين أغضبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين وأنت
الحبر السمين (قل من أنزل الكتاب) أى التوراة (الذى) تعترفون بحقيته وتدعون الايمان به
لكونه (جاء به موسى) صاحب المعجزات القاهرة أطاق تحمله عند ظهوره بصور الحروف
والكلمات مع أنه لو لم يأت به موسى لم يمكن تكذيبه لكونه (نورا) يكشف الحقائق بالدلائل
(وهدى) يرفع اللبس والشبهات (للناس) الذين غرز فى فطرتهم التمييز ورفع الشبهات لكنهم
نسوا ذلك فلنذكرهم (تجعلونه قراطيس) أى دفاتر وكيف تنكرونها وأنتم (تبدونها و) لا
يبعد منكم الانكار مع ذلك اذ (تخفون كثيرا) مما دل على نعت محمد صلى الله عليه وسلم
(و) لكن لم يتم لكم اخفاؤها اذ (علمتم) من أسرار التوراة على لسان محمد صلى الله عليه
وسلم (ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) فكيف تخفون عليه ما هو ظاهر التوراة فان سكتوا خوف
التناقض (قل) منزل التوراة على البشر (الله) الذى الزمهم التناقض (ثم) ان زعموا انا أردنا
ما أنزل الله بعد موسى على بشر من شئ (ذرهم) لانهم (فى خوضهم) أى أباطيلهم (يلعبون)
بلا دليل وكيف ينكرون انزال هذا الكتاب بعد موسى (وهذا كتاب) لغاية عظمته أولى أن
يقال فيه (أنزلناه) من مقام عظمتنا لانه (مبارك) يشتمل على ما لا يتناهى من الفوائد فى
ألفاظ يسيرة ولا يمكن لمخلوق أن يأتى بمثله ولا مانع فيه من تكذيبه ما ثبت نزوله اذ هو (مصدق
الذى بين يديه) أنزل تكميلا لما فيه (ولتنذر أم القرى) أى أهل مكة الذى يقصدها الناس
لان الارض التى خلقوا منها دحيت من تحتها فهم يميلون اليها بالطبع وقد تأكد بالامر
الالهى بالحج (و) لذلك كان انذارها انذار (من حولها) من أطراف الارض ولا يضره انكار
بعضهم له لانهم لا ينكرونه لنقص فيه بل لعدم ايمانهم بالآخرة اذ يزعمون أنه لن تمسنا النار
الا أياما معدودة (والذين يؤمنون) منهم (بالآخرة يؤمنون به و) لايمانهم بها (هم على
صلوتهم يحافظون) وغيرهم وان صلوا احيانا فلا يحافظون عليها وهو يدل على أنهم لا يؤمنون
بالآخرة وانما يدعون الايمان بكتابهم تحصيلا للجاه والرشا وهو وان كان ظلما فلا يبعد ممن
لا يؤمن بالقرآن فانه أظلم لانه اما يهودى يحرف التوراة لفظا أو معنى فيفترى على الله
(ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) لانه يجعل قوله قول الله (أو) غيره فان ادعى النبوة كذبا
كمسيلمة من بنى حنيفة اذ (قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ) فهذا يزيد على الافتراء فى دعوى
النبوة (ومن) ينكر اعجاز القرآن حتى (قال سأنزل مثل ما أنزل الله) مع انه قد عرف اعجازه
فكأنه ادعى لنفسه قدرة الله فكأنه ادعى الالهية لنفسه ولا يجترئ على هذه الوجوه من
الظلم من يؤمن بالآخرة فيعلم ما للظالمين فيها (ولو ترى) أيها الرائى (اذ الظالمون) وان لم يكونوا
أظلم (فى غمرات) أى سكرات (الموت) قبل البرزخ والقيامة وما فيهما من النار وسائر وجوه
العذاب انقل عليك الامر فكيف يكون على صاحبه (والملائكة باسطوا أيديهم)

اللبتين تزعم العرب أنهما
من الوتين والوتين عرق
مستبطن الصلب أبيض
غليظ كأنه قصبة معلق
بالقلب يسقى كل عرق فى
الانسان ويقال لمعلاق
القلب من الوتين النياط
ويسمى نياطا لتعلقه
بالقلب وسمى الوريد وريدا
لان الروح ترده (قوله عز
وجل حق اليقين) كقولك
عين اليقين ومحض اليقين
(قوله تعالى حاد الله) وشاق

كالمقاضى